13

التواصل

AT-TAWASUL

فصلية ثقافية شاملة

السنة الرابعة - العدد الثالث عشر - الربيع 1375 من وفاة الرسول ﷺ 2007 مسيحي

د. كويشيرو ماتسورا
مدير عام اليونيسكو

لنبرم معاهدة سلام مع الأرض

د. محمد السماك / لبنان

هل يجوز لليهودي ما لا يجوز لغيره؟

د. خيما مارتين مونيوث / اسبانيا

الإسلام.. الكل سيّان

د. كليمنتي ماستيلا
وزير العدل الإيطالي

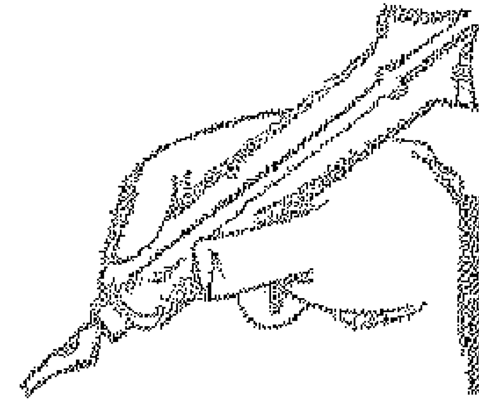
من الشرق ينبعث النور

مالطا
جزيرة الشمس والبحر

الملف

رسالة محمد ﷺ للناس كافة





أمين هيئة التحرير

بين الحلم والواقع



هذا هو العدد الأول الذي نفتتح به السنة الرابعة من عمر هذه المطبوعة الفصلية التي كانت حلماً، ثم صارت واقعاً ملموساً...

لن أطيل الحديث عن المسافة بين الحلم والواقع، لكنني أرى أن مجرد الإشارة إلى ذلك كفيلة بأن تختزل المسافة بينهما مهما كانت شاسعة، ولعل القارئ الكريم يدرك بحسه وحسن تقديره للأمور معنى ما أشير إليه، خاصة وأن المشاريع الثقافية الجادة لا يمكن أن تنمو مثلما تنمو الطحالب، إنها لا تنمو إلا في وسط سليم، ومقاييس النمو السليم في وسط سليم باتت من الأمور التي يصعب تحقيقها في هذا الزمن الذي تراجعت فيه - وبنسب متفاوتة - المقاييس السليمة، وذلك بالطبع ناتج عن تجاهل القيم وآليات العمل الصحيحة، التي بناء عليها يمكن أن تتحدد ملامح الوسط الثقافي والإعلامي.

ليس هذا موقفاً سلبياً أو نظرة متشائمة حيال الواقع الذي نشهده ونعيشه رغماً عنا، كما أن هذه الكلمات ليست اتهاماً لأحد، ولا انتقاصاً من قيمة أي عمل، ذلك أن الأعمال الجادة الرصينة الهادفة تصطدم بسلبيات لا حصر لها، وهذا ما نلمسه حين نتحسس الواقع الثقافي في عدد لا بأس به من مناطق العالم...

هل فقدت الثقافة الجادة موقعها لصالح ثقافة لا تتصف بالرصانة والجدية؟

لا بد أن أحداً ما يتساءل: ما معنى الثقافة الجادة والرصينة؟ وما المعايير التي من شأنها أن تدلنا على معنى الثقافة الجادة والرصينة من غيرها؟

وهب أن حواراً ساخناً دار حول معنى الثقافة الجادة، فهل من حق أحد أن يزعم أنه يمتلك المعيار الذي من شأنه أن يعزز رأيه ويسقط رأي غيره؟

على أية حال هذه بداية لجدل لم يحسم ويبدو أنه لن يحسم بسهولة، لكنه جدل يشير إلى أن ثمة من يسعى إلى البحث عن الجدية والرصانة عبر رحلته في عالم الكلمة الرحب الفسيح.

هذا هو العدد الأول من السنة الرابعة، من هذه المطبوعة التي نسعى من خلال ما تحويه - وما ستحويه إن كتب لها النجاح والإستمرار - إلى ترسيخ قيم التواصل والفهم المشترك والتشجيع على قبول التنوع الثقافي، الذي يشكل لوحة تتماشى وأحد أسرار الخلق: التنوع الإيجابي، التعاون الإيجابي، دون إقصاء أو تهميش أو انتقاص من قيمة ثقافة أو شعب أو حضارة.

التقى على صفحات هذه المطبوعة كتّاب من مختلف الجنسيات، طرحوا أفكاراً وآراء ورؤى، كان القاسم المشترك بينها جميعاً السعي إلى إرساء قيم راقية بأسلوب راق، بعيد عن كل أشكال الإنغلاق والتعصب والتطرف، وهي قيم لا شك تنمي الإحساس بالمسؤولية الأدبية والأخلاقية، حيال الإنسان - بغض النظر عن معتقده أو لونه وجنسه - الذي هو في أمس الحاجة إلى تواصل بناء إيجابي، تواصل يحترم الخصوصيات الثقافية، تواصل ينمي الشعور بالمسؤولية المشتركة.

من أجل تفعيل هذه القيم الراقية، من إجل إثراء منتدى الحوار تسعى هذه المطبوعة إلى التواصل مع قرائها الكرام، وتتمنى أن يتواصلوا معها، وعبر صفحاتها نتمنى أن يتواصل عطاؤهم وآراؤهم ومقترحاتهم ومساهماتهم...

ليكن شعارنا جميعاً: لنتواصل، لنتواصل..



في هذا العدد

التواصل

AT-TAWASUL

تصدر عن

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الرابعة ـ العدد الثالث عشر

الربيع 1375 من وفاة الرسول ﷺ

2007 مسيحي

المراسلات باسم

أمين هيئة التحرير

طريق السواني ـ كلم 5

هاتف: 4800730 / 4808461.5

بريد مصور: 4800736 ـ 4800730

ص.ب: 86086

طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني

INFO@AT-TAWASUL.INFO

ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت

WWWW.AT-TAWASUL.INFO

WWWW.AT-TAWASUL.NET

WWWW.AT-TAWASUL.ORG

WWWW.AT-TAWASUL.COM

شـروط النشر في مجلـة

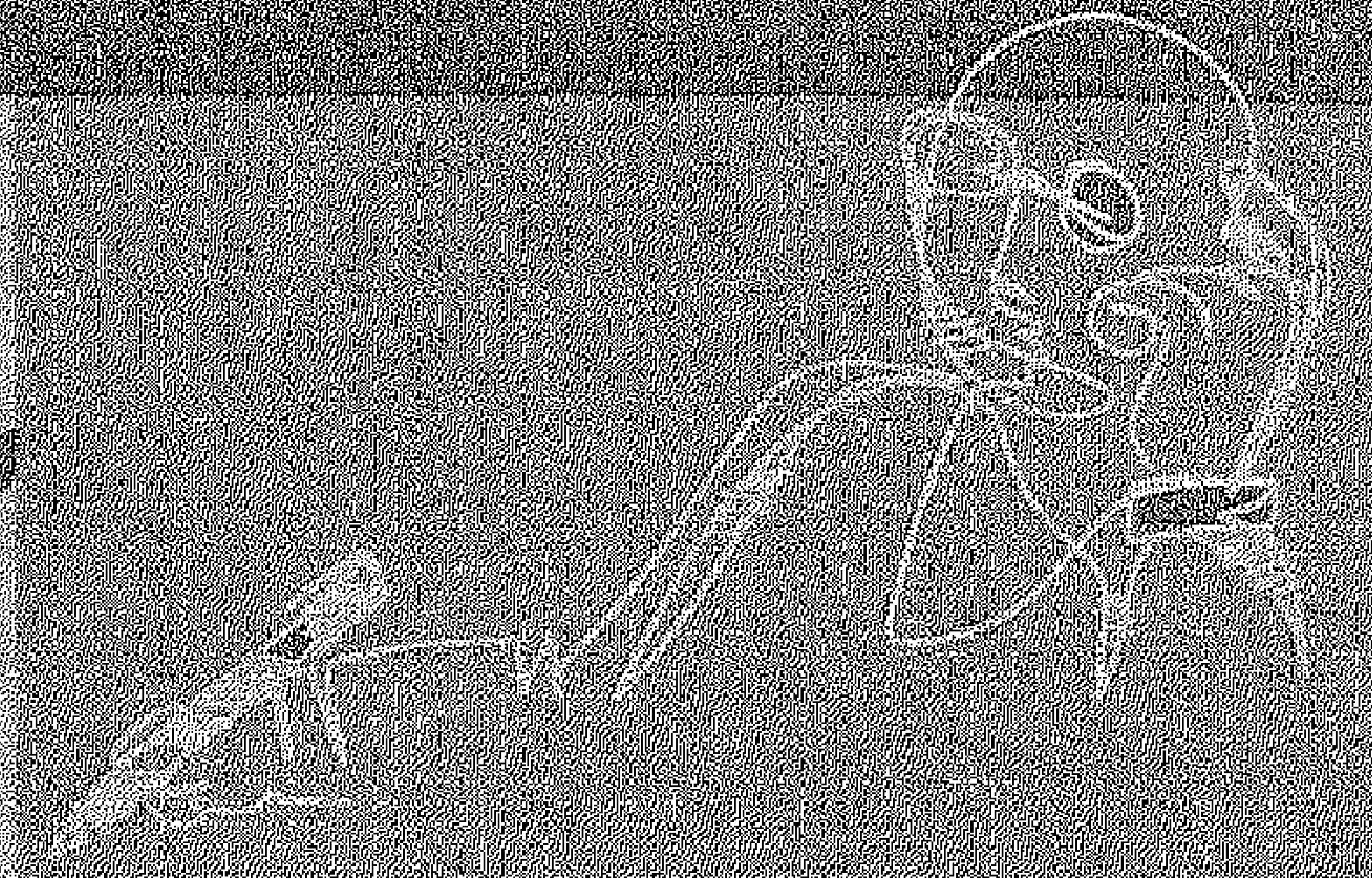
التواصل

ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

- أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.
- أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.
- أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.
- أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.
- ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.
- أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.
- في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

- للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.
- ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
- لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.
- تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.
- تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.



مقالات

- لنبرم معاهدة سلام مع الأرض — كويتشيرو ماتسورا
- هل يجوز لليهودي ما لا يجوز لغيره؟ — أ.محمد السماك
- من مأدبة الله في القراءة — أ.د. مهدي امبيرش
- صورة الاسلام والمسلمين في مناهج التاريخ الغربية — د. فوزية العشماوي
- من أجل عولمة الخصوصية الإيمانية والأخلاقية — د. عبد الاله بنعرفة
- الاسلام.. الكل سيان — د. خيما مارتين مونيوث
- ثلاثة أوجه لدين واحد.. ولكن — عبد الحميد غريبي
- الصهيونية والعولمة — الحاج موسى فال

لنبرم معاهدة سلام مع الأرض



د. كويتشيرو ماتسورا*

ترجمة: عبد الحميد غريبي**

لا شك في أن الأزمة البيئية التي تواجهها الإنسانية ليست الأولى من نوعها، ولكن تجلياتها التي تتبدّى في الأفق الآن هي الأشد خطورة. والسؤال البديهي الذي يفرض نفسه هو: ما العمل إزاء هذا الخطر البيئي الذي يهدد الأرض كلها ومن عليها؟ وما هي الحلول العملية لتدارك ما يبدو كأنه مصير مأساوي لن يفلت منه أحد؟.

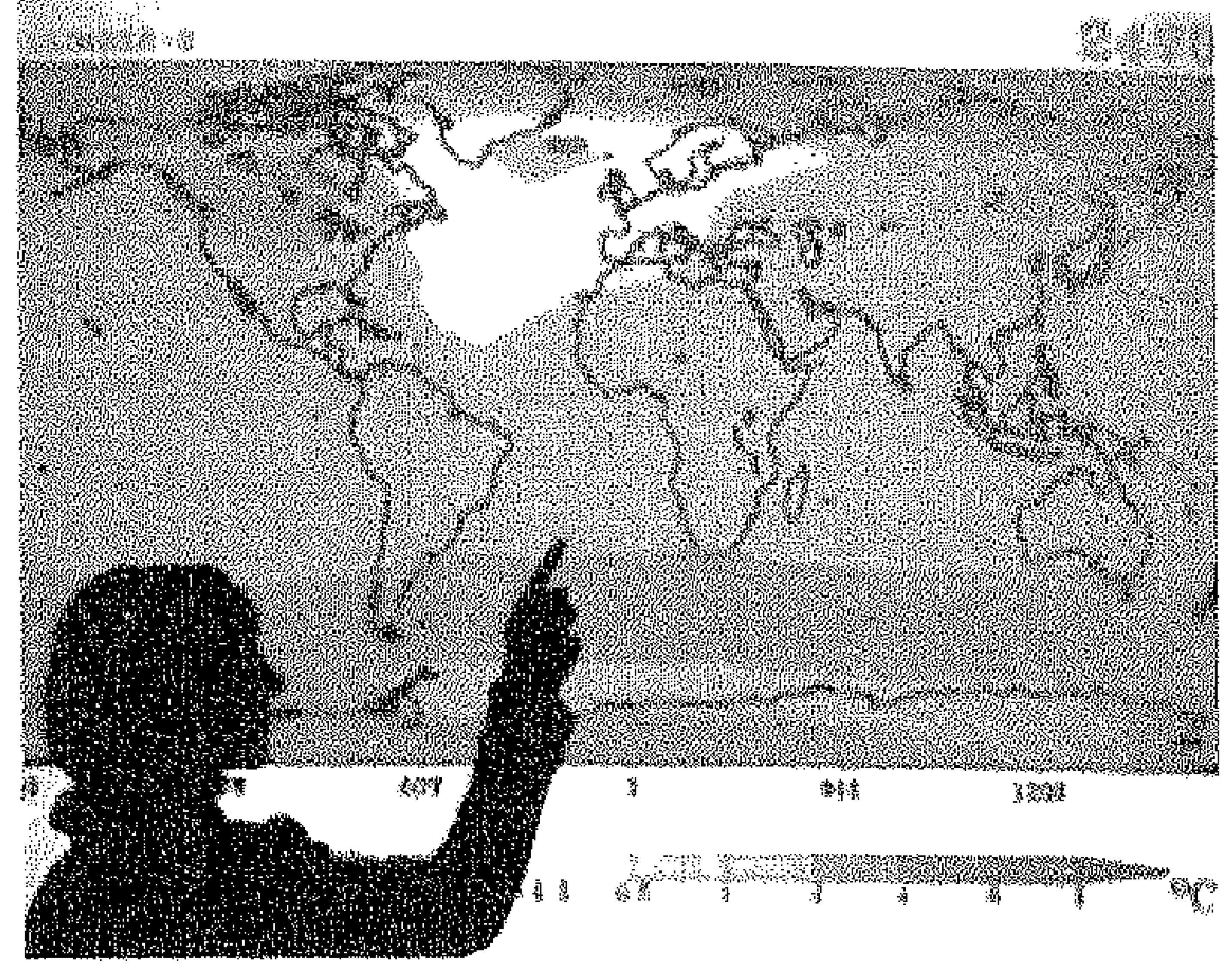
هذا التساؤل كان محور (حوارات القرن الحادي والعشرين) التي أشرف على تنظيمها (جيروم بانديه) في (اليونسكو)، تحت شعار: (ما هو مستقبل الجنس البشري؟ وما هو مصير كوكب الأرض؟) وقد شارك في (الحوارات)، خمسة عشر خبيرًا، من أكفأ العلماء في هذا المجال.

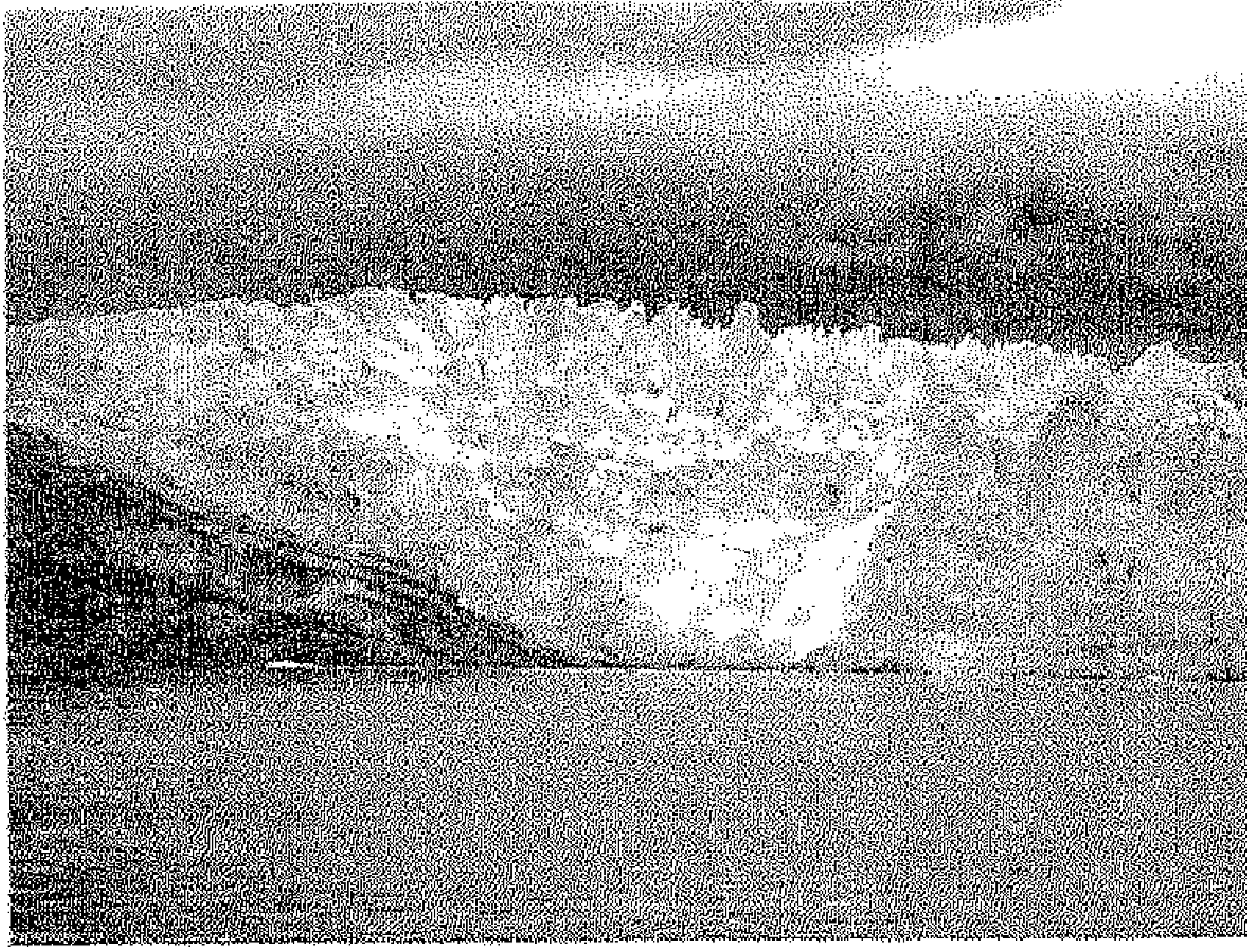
1 ـ التغيرات المناخية وارتفاع درجة الحرارة:

سترتفع درجة حرارة الأرض بحوالي 1,5 درجة على الأقل، و5,8 درجات على الأكثر، بحلول سنة 2100م، وهذا التغير يهدد مناطق عديدة من الأرض، وقد يسبب كوارث طبيعية، كاختفاء الكثير من الجزر، والمناطق المنخفضة

* مدير عام منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، باريس.

** صحفي ومترجم / ليبيا.

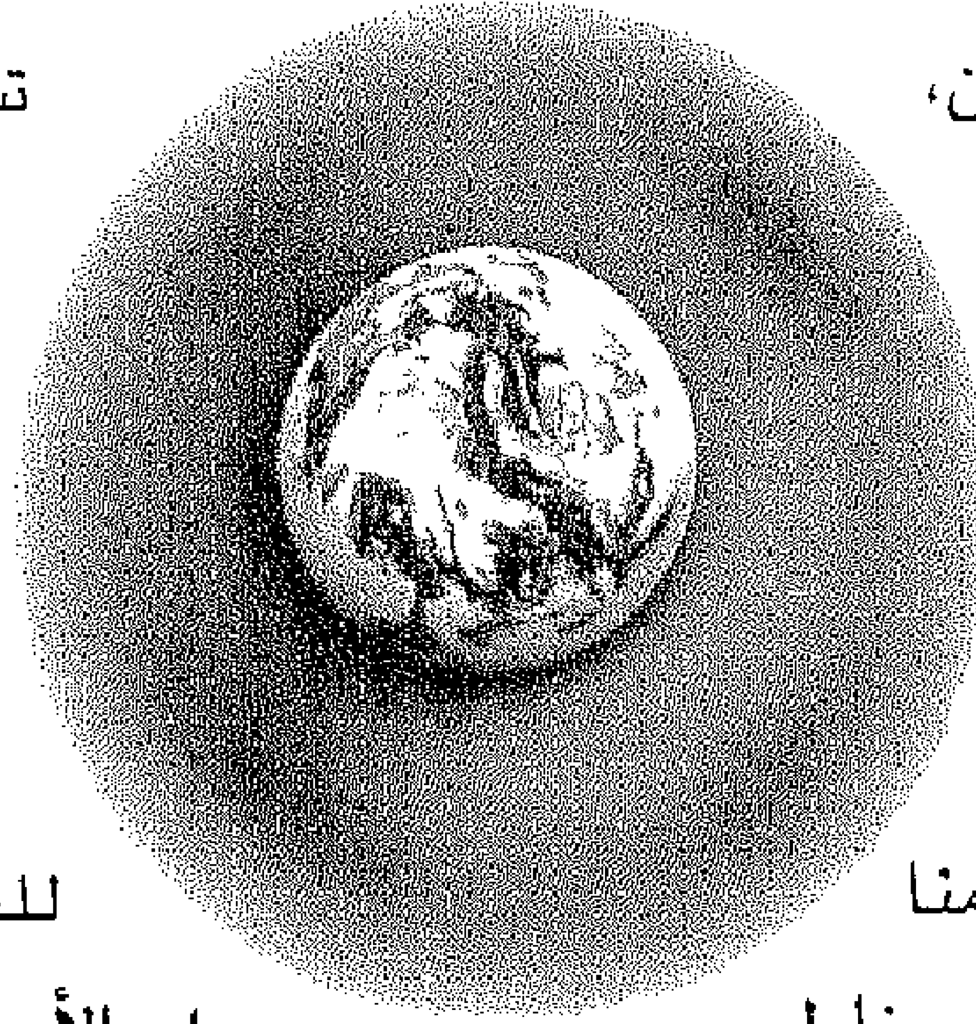




على شواطئ المحيطات والبحار، ويُتوقع أيضًا أن تشهد المناطق الحارة، شمال وجنوب خط الاستواء، نوعًا من العواصف الشديدة غير المعهودة.

التصحّر:

آفة التصحر أصابت أكثر من ثلث مساحة الأرض، خلال القرن العشرين، وقد تضرّر منها حوالي مليار إنسان، في (110) دولة. ويتوقع أن تتضاعف هذه الأرقام بحلول سنة 2050م.



تدمير الغابات:

اقتلاع الأشجار متواصل إلى يومنا هذا، بالرغم مما يُحدثه ذلك من مخاطر. فمن المعلوم أن الغابات الكبرى تساهم بشكل أساسي في الحفاظ على التبادل البيئي، وحماية الأراضي، والحد من آثار التغيرات المناخية.

التلوث:

يتعرض الغلاف الجوي، وكذلك المياه والبحار والأراضي الزراعية، للتلوث الكيميائي، الظاهر والخفي، ويُعزي (المصرف الدولي) موت (1,5) مليون إنسان سنويًا في آسيا، بسبب تلوث الجو.

أزمة المياه:

ولا نغفل في هذا المجال أزمة نُدرة المياه على المستوى العالمي. ويتوقع الخبراء أن يبلغ عدد المتضررين من نقص المياه مليارين من البشر، بحلول سنة 2025م، وثلاثة مليارات في سنة 2050م.

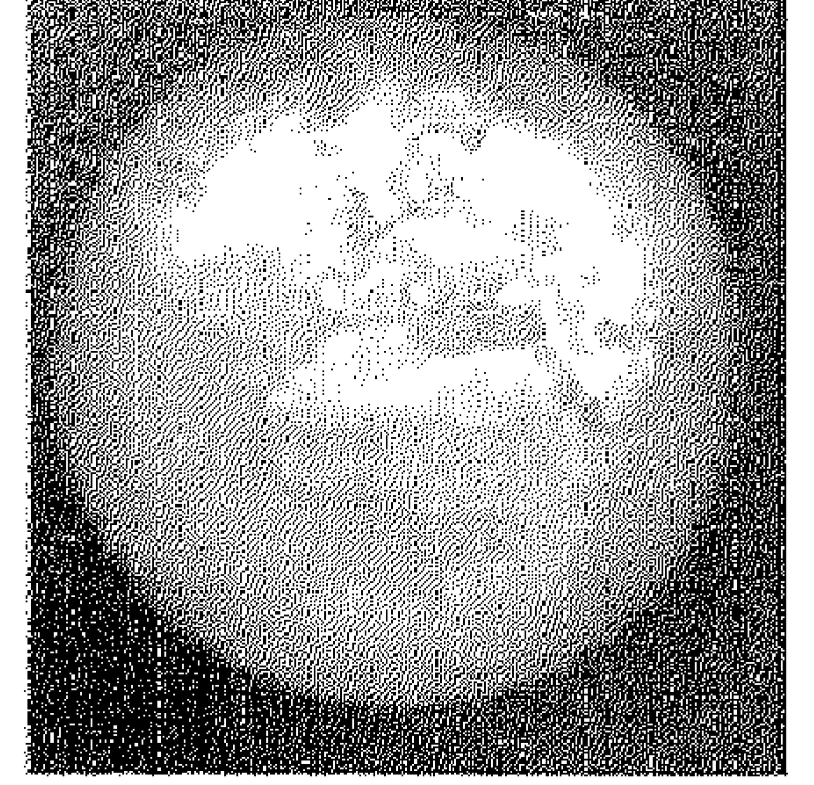
البيئة الحيوية (دورة الأحياء) سوف تشهد تناقصًا في عدد الأنواع، وستبلغ نسبة الانقراض معدلاً يزيد بمائة ضعف عن المعدل الطبيعي، وينتظر أن يختفي نصف الأنواع بنهاية القرن الحالي.

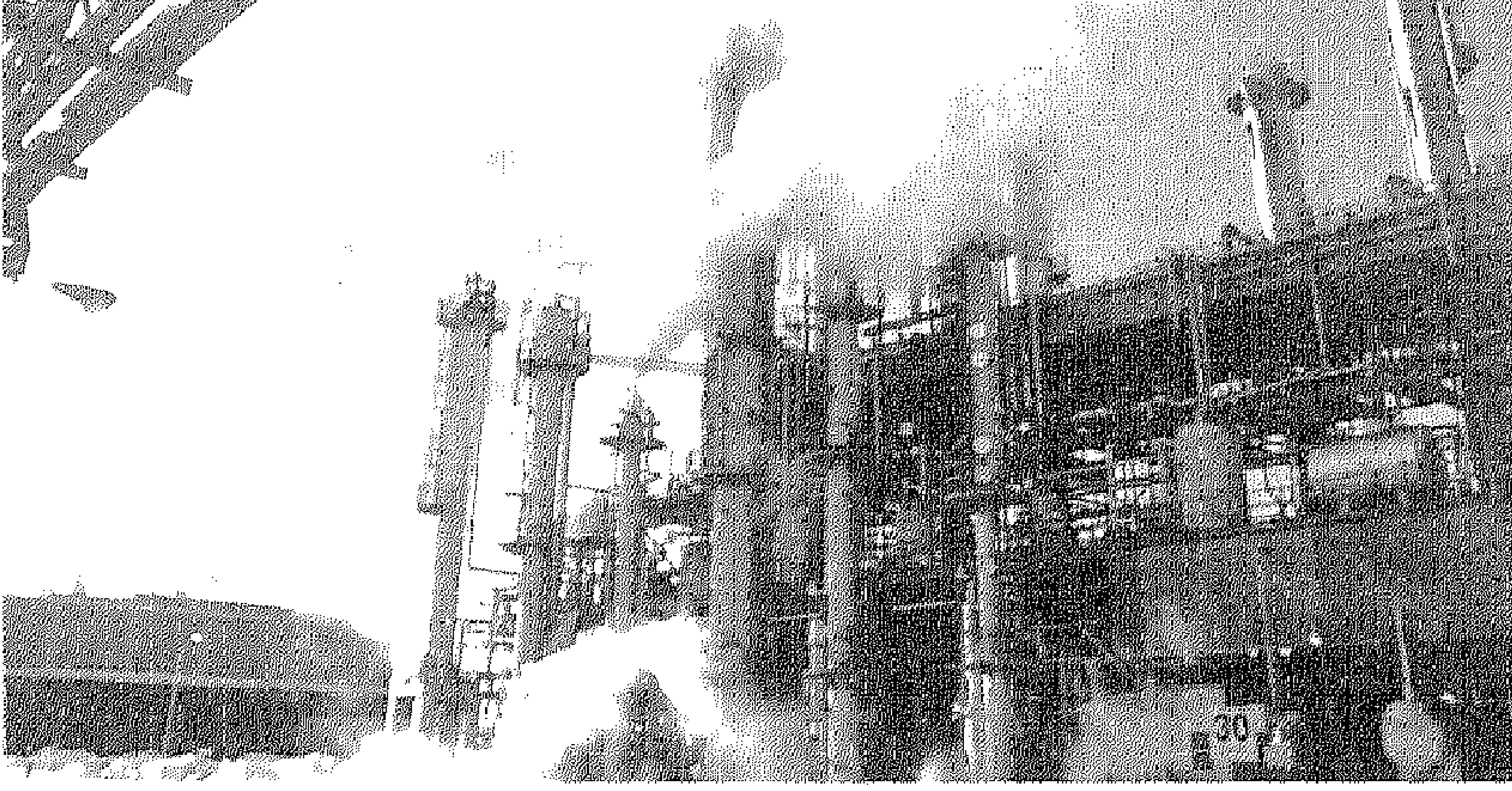
وسلامة الدورة الحيوية ضرورية للحفاظ على الدورة الغذائية، وبالتالي على الأمن الغذائي البشري.

إن هذه الحالة التي تواجهها البشرية لأول مرة في تاريخها؛ سوف تؤدي إلى حروب وصراعات، إذا لم تؤخذ تدابير عملية لإصلاح ما يمكن إصلاحه.

إن فكرة (التنمية الدائمة) المطروحة تعنينا جميعًا، وتشكل الشرط الضروري لمكافحة الفقر، لأن الفقراء سيكونون الأكثر تضررًا من آثار الأزمة المناخية، وما ينتج عنها من تسارع كارثة التصحّر، وتزايد الكوارث الطبيعية.

ومن الواضح أننا سنواجه المخاطر البيئية





القادمة، فيما يشبه حربًا عالمية، من حيث مخاطرها.

ورد في تقرير (ستارن)، حول النتائج الاقتصادية للأزمة المناخية، أن الناتج الإجمالي العالمي سينخفض بنسبة تتراوح بين (5) و(20٪) إذا لم نقم بإجراءات عملية عاجلة لمقاومة الاضطراب المناخي.

هل تكلفة التحوّل إلى (التنمية الدائمة) العالية هي سبب التردد الواضح في اتخاذ القرارات العملية



لمعالجة الوضع؟ أم هو الكسل وضعف الهمم لدى أصحاب القرار؟

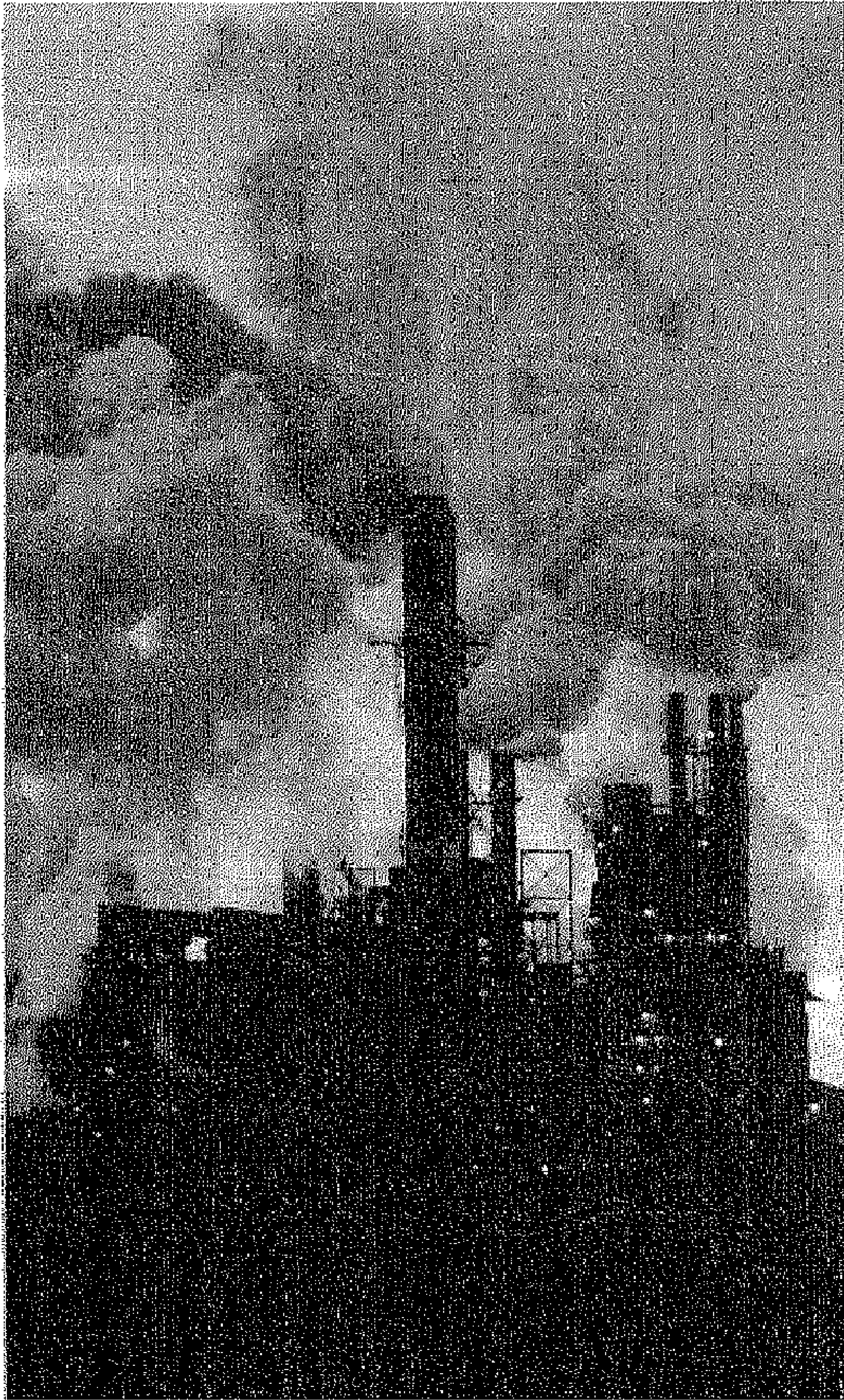
يقول (جافيي بتريز دي كويلار) الذي شارك في ملتقى (حوارات القرن الحادي والعشرين): كيف نعرف الخطر ولا نحرك ساكنًا؟.

إن الحقيقة الماثلة أمامنا تفرض علينا أن نجيب بشجاعة عن أسئلة صعبة، متجاوزين الحديث عن خيارات غير صحيحة وغير مجدية، في حين أن الحل الحقيقي يكمن في إيجاد أنماط جديدة للتنمية، وترشيد الاستهلاك. وكما قال (هارولدو ماتوس) في مداخلة بملتقى (الحوارات) فإن «الإنسانية لم تعد تعيش على (القيمة المضافة) التي توفرها الطبيعة، بل أصبحت تستهلك رأس مالها». ولكن هذا لا يتطلب بالضرورة تجميد النمو الضروري. ويقول الخبير (مصطفى طلبة) في هذا الشأن: إن الضرورة تقتضي الاقتصاد في استهلاك المواد الأولية في جميع قطاعات الإنتاج، مع التقيد بمقررات (اتفاقية كيوتو) بشأن الآثار المدمرة المتوقعة لزيادة حرارة الأرض.

ويتعين أيضًا على المجتمع الدولي أن يضمن حق جميع الشعوب في الحصول على المياه الصالحة للاستهلاك البشري، وأن يضع آليات ترشيد استخدام المياه، وإنشاء مشاريع تنقية المياه المستعملة.

إن منظمة اليونسكو تلتزم بشكل عملي - على عدة





مستويات - بتطوير سياسات تهدف إلى الاستخدام المتجدد والدائم لمصادر المياه، والحفاظ على التوازن الطبيعي، ومنع أي اختلال في استغلال الموارد المائية. وقد أنشأت شبكة دولية من (المحميات البيئية) التي يمكن اعتبارها (معامل تجريبيّة) لدراسة إمكانيات تحسين استخدام الموارد، دون الإضرار بالاحتياطي اللازم لبقائها، وتجددها على المستوى المحلي.

وأذكر في هذا المجال المبادرات الكثيرة التي عرضتها ونفذتها المنظمة في دول الجنوب، من أجل تدريب وتكوين متخصصين، قادرين بمساعدة مسؤولين أكفاء، يستوعبون أبعاد المشكلة، ويعملون على إيجاد الحلول الملائمة، للحفاظ على الموارد المائية.

إن أطروحة (التنمية الدائمة المتجددة) تحتاج إلى تطوير منهجي في التعليم والثقافة، لتوعية الشعوب والمسؤولين، على حد سواء، بضرورة المحافظة على الموارد المائية، وترشيد استهلاكها، وإعادة استخدامها، في إطار أعمّ، وهو الحفاظ على التوازن



البيئي الطبيعي، فنحن أمام مفاهيم جديدة تستوجب جهودًا حثيثة لاستيعابها والتعامل معها.

وقد شهدت منظمة الأمم المتحدة نقاشًا واسعًا - ضمن بحث إصلاح آليات المنظمة - حول إدارة شؤون البيئة على المستوى الدولي، وضرورة تنسيق الجهود المبذولة في هذا المجال. وأنا أعتقد أنه يجب وضع حد لتشتت تلك الجهود، وأرى أنه بإمكاننا استعمال الآليات المتوفرة لدينا، بشرط تنسيق استخدامها بشكل أفضل وأكثر فاعلية.

فمنظمة اليونسكو تضطلع بدور فاعل في هذا الشأن. وإذا نظرت في تسمية المنظمة فإنك ستلاحظ أنها تعنى، بالتربية والعلوم والثقافة، بما فيها الاتصال، وكل هذه المهام المسندة إلينا معنية بقضية التنمية الدائمة، للحد من الأزمة البيئية التي يواجهها العالم.

وأود أن أذكر القارئ أن اليونسكو تقوم بتنفيذ أربعة برامج علمية دولية مهمة في مجال علاج مشكلة البيئة، وهذه البرامج تتعلق بالبيئات البحرية، والمنابع المائية، والبيئات الإنسانية والحيوانية، مع الاهتمام بالمعطيات.

وتنفذ المنظمة برامجها بالتنسيق مع برنامج البيئة العام الخاص بالأمم المتحدة ذاتها.

وأشير هنا إلى مشروع (الأمم المتحدة والماء) (ONU-EAU)، الذي تشارك في تنفيذه (اليونسكو) ضمن (24) مؤسسة ومنظمة دولية، والذي يُعد نموذجًا ناجحًا يحتذى به.

وبالإضافة إلى ذلك تلعب منظمتنا دورًا رياديًا في إدارة البرنامج الدولي لمصدر الموارد المائية العالمية، وتسهم أيضًا ببرنامج العقد (عشر سنوات) الدولي للتوعية والتعليم، بشأن التنمية الدائمة.

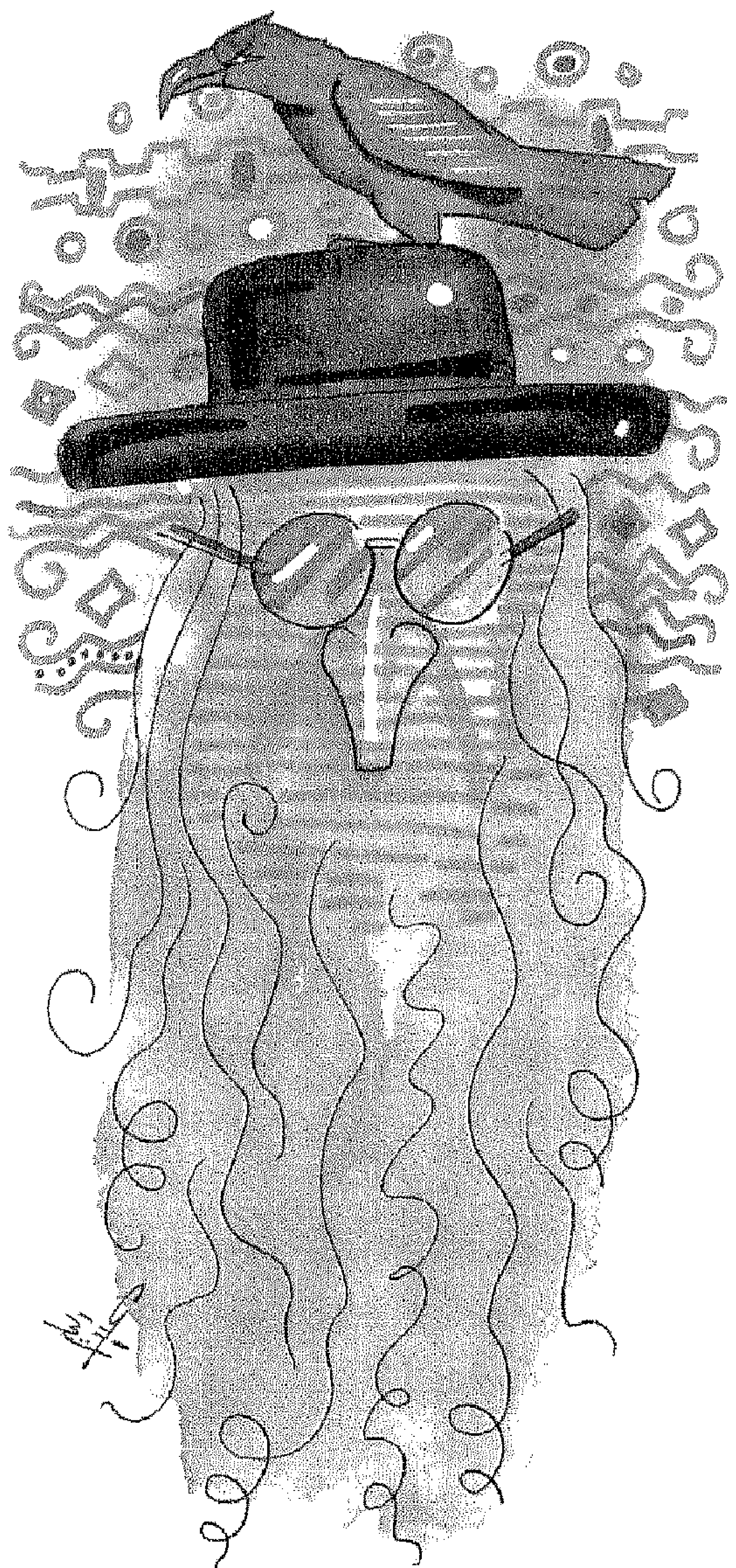
إذا أردنا أن نوقف الحرب التي نشنها على الطبيعة؛ فلا مناص من تأسيس مبدأ التضامن بين جيلنا والأجيال القادمة، ولا مناص أيضًا من صياغة ميثاق عالمي، ولنُسمّه (العقد الطبيعي CONTRAT NATURE) يلزم البشرية بانتهاج نوعٍ من التنمية المتوازية مع الطبيعة. وبعبارة أخرى علينا إبرام (معاهدة سلام مع الطبيعة) وعلينا أن نثبت قدرتنا على النظر إلى المستقبل والأجيال القادمة من زاوية أخلاقية، إذا أردنا أن نلتزم بمعاهدة سلام مع الأرض.

إن الأرض مرآتنا، إذا جرحناها أو شوهناها فإنما نجرح ونشوه أنفسنا.

فإذا عقدنا العزم على تغيير وجهتنا؛ فلا بد لنا من صياغة مجتمعات تأخذ بالعلم والمعرفة، قادرة على الجمع بين مكافحة الفقر، وتطوير التعليم والبحث العلمي، وتأسيس ذلك كلّه، على مبدأ الالتزام الخلقي، والشعور بالمسؤولية.

هل يجوز لليهودي ما لا يجوز لغيره؟

د. محمد السماك*



أ أثناء الحرب العالمية الأولى، تمكّنت خلية من الإستخابرات الفرنسية، من الوصول إلى وثائق سريّة، من سجلات السفارة الألمانية في باريس، تتضمن تقارير مكتوبة، بخط يد ضابط في الجيش الفرنسي، يدعى الفرد «دريفوس»؛ كشفت تلك الوثائق بالتفاصيل، عن قيام ذلك الضابط، بالتجسس لحساب الألمان، حيث قدّم لهم معلومات خطيرة ومهمة جدًا، عن أسرار الجيش الفرنسي؛ أعتُقل الضابط في شهر التمور (اكتوبر) من عام 1894م، وأُحيل إلى محكمة عسكرية؛ إلى هنا يبدو وكأن كل شيء ليس خارجًا عن مألوف الأحداث الاستثنائية، غير أن الضابط «دريفوس» كان يهوديًا، ولذلك خرجت قضيته


ألفرد دريفوس

ـ أو لعلها أُخرجت ـ عن إطارها الطبيعي، وهو محاكمة ضابط متهم بالخيانة، إلى إطار آخر مختلف تمامًا، وهو تلفيق تهمة للإساءة إلى يهود فرنسا، من خلال الإساءة إلى ضابط يهودي كبير، وهكذا، فالقضية التي يُحتفل بذكراها في فرنسا كل عام، لا تزال تدور حول

---

* كاتب وصحفي ـ رئيس لجنة الحوار الإسلامي المسيحي / لبنان.

محورين: محور معاداة السامية، ومحور موالاة الصهيونية، ولا تزال فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى، منقسمة على نفسها حتى اليوم، فريق ينفي تهمة الخيانة، ويطالب الدولة بالاعتذار لليهود، عن ردود الفعل الغاضبة التي استهدفتهم، وفريق ثان يؤكد التهمة، على أساس الوثائق التي ضبطت من السفارة الألمانية، وبالتالي يطالب اليوم بإبعاد اليهود، عن المواقع الهامة والحساسة في الجيش الفرنسي.

وفي الواقع، صدر حكمان عن محكمتين فرنسيتين مختلفتين، بشأن تلك القضية، الحكم الأول بالإدانة، وقد أصدرته محكمة عسكرية، في عام 1899م، أما الحكم الثاني فقد صدر عن محكمة مدنية، في عام 1906م، ونصّ على براءة «دريفوس»، وكان قرار إعادة المحاكمة، قد اتخذته حكومة يسارية.

وتشكلت المحكمة المدنية، بطلب من تلك الحكومة ولأسباب سياسية داخلية، ولكن في عام 1994م ـ أي بعد مائة عام ـ صدر عن رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، تقرير من ثلاث صفحات، يشكك في حكم البراءة، ويؤكد صحة حكم الإدانة، وقد حرّك نشر هذا التقرير، اللوبي الصهيوني الفرنسي، الذي أثار حملة على قيادة الجيش، وعلى وزارة الدفاع، موزعًا الاتهامات باللاسامية، مما حمل وزير الدفاع في ذلك الوقت ـ فرانسوا ليوتار ـ على عزل رئيس قسم التاريخ في الجيش من منصبه!!

كان حكم المحكمة العسكرية الفرنسية، قد نصّ على تجريد «دريفوس»، من رتبته العسكرية، ونفيه إلى «جزيرة الشيطان»، قرب غُيانا الفرنسية، ولعل هذا السجن، كان الأسوأ في التاريخ، ومن أجل ذلك اشتدت الهجمة الصهيونية المضادة، ذلك أن سجن الشيطان، كان يُعرف بأنه مقبرة السجناء، وكانت فرنسا قد نقلت إليه حوالي (70) سجينًا، مات أكثر من نصفهم، قبل أن تكتمل مدة عقوبتهم، وكان السجن يقع وسط جزيرة صغيرة، معزولة في البحر الكاريبي، يستحيل الهروب منه أو الخروج منها، واستندت الحركة الصهيونية، في ايداع «دريفوس»، ذلك السجن على مجرد كونه يهوديًا، وهو ما ينكره الفرنسيون، وبصورة خاصة العسكريون منهم، ثم شدد الحكم عليه بالسجن عشر سنوات إضافية، لثبوت ضلوعه بالتجسس لمصلحة العدو.



الكاتب الفرنسي أميل زولا، شارك يهود فرنسا حملتهم واتهم الجيش

تمكن يهود فرنسا، من إثارة حملة تشكيك بالتهم المساقة ضده، شارك فيها الكاتب الفرنسي «أميل زولا»، الذي اتهم قيادة الجيش الفرنسي في مقال شهير له، نشره تحت عنوان: «إني أتّهم J'Accuse» بتلفيق القضية من الأساس للإساءة إلى يهود فرنسا، من أجل ذلك، حوكم هذا الأديب الفرنسي الكبير، وحُكم عليه بالسجن لمدة عام، ولكنه غادر فرنسا إلى بريطانيا، تهربًا من العقوبة، وعندما مات «زولا» في عام 1902م، جرت خلال مراسم تشييعه، محاولة لاغتيال «دريفوس»، الذي كان يشارك في تلك المراسم، ولكنه نجا بعد إصابته بجراح.

وتحت ضغط تلك الحملة، أعيدت محاكمة «دريفوس»، أمام محكمة مدنية، حيث برّيء، وأعيد إليه اعتباره، ورفعت رتبته العسكرية، وأعيد بالتالي الاعتبار إلى اليهود الفرنسيين، غير أن المحكمة العسكرية، رفضت تبني هذا الحكم، وأصرّت على حكمها الذي سبق لها أن أصدرته، ولا يزال هذا الوضع مستمرًا حتى الآن، رغم أن «دريفوس» مات عام 1935م، وكان قد ترك الجيش الفرنسي في عام 1907م.

من هنا جاء تقرير رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، بمثابة تأكيد جديد لصدقية الجيش وقيادته، وبالتالي بمثابة تأكيد للحكم الذي صدر بإدانة «دريفوس».

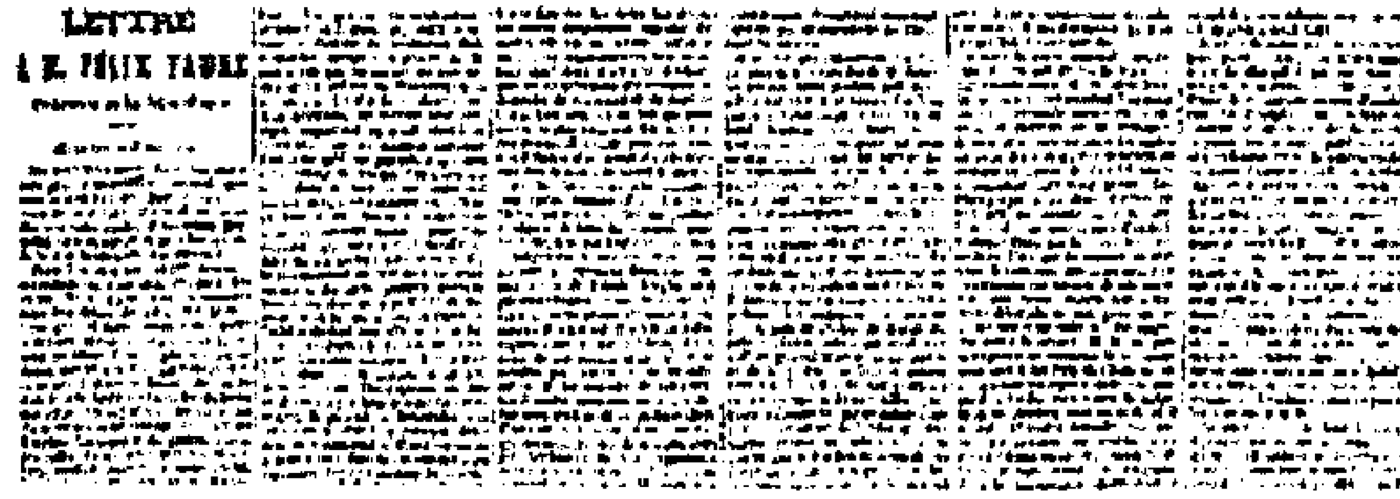
لقد أثار هذا الموقف غضب اللوبي الصهيوني الفرنسي، الذي اعتبر التقرير إثباتًا وتجديدًا لإدانة اليهود الفرنسيين، الذين يبلغ عددهم الآن حوالي (600) ألف شخص، وتحريضًا جديدًا، ضد وصول عسكريين يهود، إلى مراكز عليا، في الجيش الفرنسي!!. ولقد تمكّن هذا اللوبي، ليس فقط من إدانة وعزل رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، ولكنه تمكّن أيضًا من إقامة متحف تكريمي «لدريفوس» في باريس.. والمطالبة بنقل رفاته من المقبرة اليهودية، في «مون مارت» إلى «البانتيون » Pantheon، حيث رفات كبار الشخصيات الفرنسية، أمثال بونابارت!...

ويحذر عدد من كبار القادة العسكريين، ومسؤولي وزارة الدفاع الفرنسية، من أن رد فعل الحركة الصهيونية، بات يشكل خطرًا على وحدة الجيش، بينما تعتبر الحركة الصهيونية، أن هذا التحذير، يشكل في حد ذاته، دعوة خبيثة لإعادة تحريك مشاعر العداء ضد اليهود في فرنسا، تحت مظلة الدفاع عن وحدة الجيش، حتى إن الإعلام الصهيوني الفرنسي، استغل حادث الشاب اليهودي «المخنث» إيلان حاليمي، والذي وُجد مقتولاً في ضاحية باريس، ليصفه بأنه «دريفوس» القرن الواحد والعشرين، الأمر الذي يُقصد منه الإيحاء بأن اللاسامية الفرنسية مستمرة، وكذلك ضحاياها اليهود!!.

يتداخل مع هذه القضية أمران أساسيان:

الأمر الأول، هو: انعكاس الصراع العربي الإسرائيلي، على العلاقات بين اليهود والمسلمين الفرنسيين، وذلك منذ أن اعتبرت إسرائيل، أن أي انتقاد لسياستها، هو نوع جديد من اللاسامية، وقد شهدت فرنسا عدة اشتباكات، تارة بين المسلمين واليهود، وتارة أخرى بين اليهود وحركات اليمين المتطرف (حركة ماري لوبان).

أما الأمر الثاني، فهو: انعكاس القانون الإسرائيلي، الذي يعتبر كل يهودي إسرائيليًا، على مفهوم الولاء



L'AURORE

Littéraire, Artistique, Sociale

J'Accuse...!

LETTRE AU PRÉSIDENT DE LA RÉPUBLIQUE

Par ÉMILE ZOLA

صورة مقال (إني أتهم) لأميل زولا، نشر على الصفحة الأولى



ألفرد دريفوس، أثناء تجريده من الرتبة والنياشين العسكرية

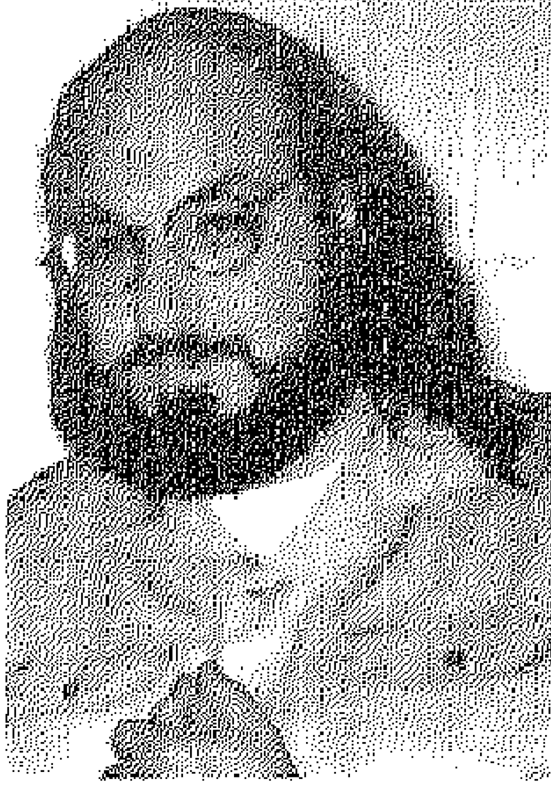
الوطني، ليس فقط عند يهود فرنسا، إنما عند يهود كل دول أوروبا، والولايات المتحدة.

ففي عام 1987م، كان الأدميرال «بوب راي إينمان» نائبًا لرئيس وكالة الإستخبارات المركزية الأمريكية (C.I.A)، عندما انكشفت فضيحة جوناثان بولارد، وبولارد مواطن أمريكي يهودي، كان يعمل في الوكالة، وكان ينقل معلومات وأجهزة غاية في السرية إلى إسرائيل، عن طريق السفارة الإسرائيلية في واشنطن.

جرت محاولات لطمس القضية، غير أن «إينمان» وقد أذهله حجم ونوع المعلومات، التي تم تسريبها إلى إسرائيل، وقف بالمرصاد ضد تلك المحاولات، مصرًا على محاكمة الجاسوس، الذي أثبت عدم ولائه للأمة الأمريكية، تدخل اللوبي الصهيوني في الكونغرس، لدعم جهود السفارة الإسرائيلية، وذلك على أساس أن عملية التجسس، التي ثبتت وقائعها، تمت لمصلحة دولة صديقة ـ هي إسرائيل ـ وأن المعلومات والأجهزة، التي وصلت إليها، لم تستعمل ضد الولايات المتحدة، وأنه بالنظر لوجود اتفاقات تعاون استراتيجي بين الدولتين، فإن إسرائيل تصبح بفضل جهود بولارد، أكثر قدرة على خدمة المصالح الأمريكية، في الشرق الأوسط.

رفض «إينمان» هذا المنطق التبريري، الذي يحاول أن يجعل من الخيانة بطولة. وأصر على طرد بولارد من الوكالة، وإحالته إلى المحكمة بتهمة التجسس لمصلحة دولة أجنبية، خاصة وأنه تمكن من سرقة أجهزة سرية، تمكن إسرائيل من السيطرة على دائرة استخباراتية، يزيد قطرها على (250) ميلاً، وهذا ما حدث. فقد حوكم بولارد، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة (إلا أن اللوبي الصهيوني، تمكن من استصدار قرار قضائي، بإطلاق سراحه، في عام 1995م، مع إبقائه تحت المراقبة).

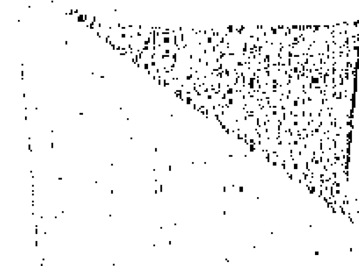
رغم ذلك، فإنه عندما رشح الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون، الادميرال إينمان، لمنصب وزير الدفاع، بعد إحالته إلى التقاعد، تحركت الآلة الصهيونية في الإعلام، وفي الكونغرس، لقطع الطريق أمام وصوله إلى هذا المنصب السياسي العسكري الرفيع، بدأت الحملة صحيفة نيويورك تايمز، حيث نشر الكاتب اليهودي «وليم سافير»، سلسلة مقالات ضد «إينمان» شخصيًا، وذلك انطلاقًا من اتهامه بالتهرب من دفع رسوم الضمان الاجتماعي، عن خادمة تعمل في منزله!!.



جوناثان بولارد
في سجنه

وسرعان ما انتقلت الحملة، بعد ذلك إلى الكونغرس، حيث قادها هناك السيناتور روبرت دول، الزعيم السابق لـ«الأقلية» الجمهورية»، في ذلك الوقت، وتوسعت دائرة الحملة التشويهية، حتى اضطر «إينمان» إلى الاعتذار، عن قبول ترشيح الرئيس الأمريكي له لمنصب وزير الدفاع.

القانون الإسرائيلي، الذي يعتبر كل يهودي إسرائيليًا، على مفهوم الولاء الوطني، ليس فقط عند يهود فرنسا، انما عند يهود كل دول أوروبا، والولايات المتحدة.

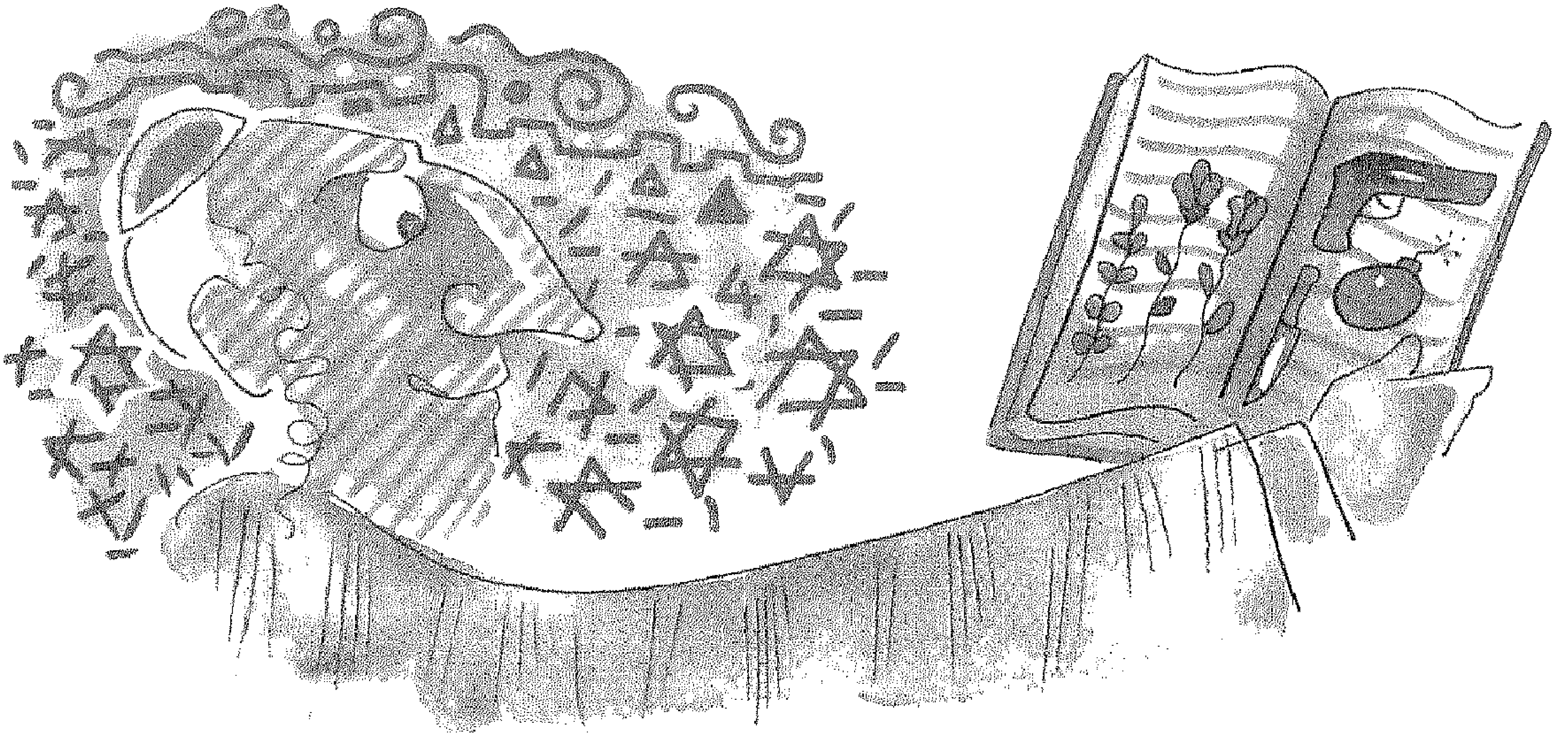


لم يستطع اللوبي الصهيوني الأمريكي، تحمل وجود شخص يعتبر معاديًا لإسرائيل على رأس وزارة الدفاع الأمريكية، التي يعمل في مؤسساتها العسكرية المختلفة، ثلاثة ملايين رجل، والتي تمسك بأكبر قوة مدمرة في تاريخ البشرية!.

وهكذا بين سقوط الضحية الأمريكية الادميرال «إينمان»، الذي كان مرشحًا لمنصب وزير الدفاع، في الولايات المتحدة، وسقوط الضحية الفرنسية، رئيس قسم التاريخ في الجيش الفرنسي، قاسم مشترك هو اللوبي الصهيوني.

ذهب «إينمن» ضحية الدفاع عن جاسوس يهودي أمريكي أثبت أن ولاءه لإسرائيل كدولة يهودية، يتقدم على ولائه لوطنه الأمريكي، وفي فرنسا ذهب رئيس قسم التاريخ، ضحية الدفاع عن جاسوس يهودي فرنسي، أتهم بأنه قدم مصالح جماعة يهودية ألمانية ـ كانت متعاونة مع ألمانيا، في الحرب العالمية الأولى ـ على مصالح وطنه فرنسا.

لم تكن قضية جوناثان بولارد الأولى، التي تهز المجتمع الأمريكي، فقد سبقتها قضية «شبيرو»، وهو عالم يهودي أمريكي، كان يعمل في إحدى المحطات



النووية الأمريكية (محطة أبولو في بنسلفانيا)، وتمكن من خلال ذلك، من تهريب كميات كبيرة من اليورانيوم المخصّب، إلى إسرائيل، الأمر الذي ساعدها على تشغيل مفاعل ديمونا في النقب، لإنتاج ترسانة نووية، يعتقد الآن أنها تضم أكثر من ألفي عبوة نووية، ورغم خطورة تلك العملية، فقد تمكن اللوبي الصهيوني، من طمس معالمها، واحتواء ردات فعل العلماء والسياسيين والعسكريين الأمريكيين، ربما لأنه لم يكن على رأس جهاز وكالة المخابرات المركزية، في ذلك الوقت، شخصية صلبة، مثل الأدميرال اينمان!!

في الأساس يعزى قيام الحركة الصهيونية في أوروبا، إلى هزيمة الحركات الديمقراطية الغربية، لمصلحة الحركات القومية، فيما بين (1830-1850م)، كانت تلازم الحركات الديمقراطية المهزومة، حركات يهودية مثل: حركة مندلسون، وحركة الهسكالا، التي دعت اليهود إلى الانصهار في المجتمعات، التي يعيشون فيها، في إطار تميزهم الديني، وبانتصار الحركات القومية، تحولت الحركة اليهودية، إلى الصهيونية القومية العنصرية، غير أن الوضع تغير في أوروبا خاصة، وفي الغرب عامة، وتقدمت الديمقراطية على القومية، إلا أن الحركات الصهيونية، ظلت محافظة على مواقعها، ومع قيام إسرائيل، صدر قانون الجنسية، الذي يعتبر كل يهودي إسرائيليًا، بمجرد أن تطأ قدماه أرض إسرائيل، هذا الواقع يطرح ازدواجية الولاء اليهودي، على النحو الذي كشفته أحداث عديدة، في الولايات المتحدة وأوروبا، من قضية الأدميرال «إينمان»... إلى قضية رئيس قسم التاريخ، في الجيش الفرنسي.

فليس جاسوسًا ولا خائنًا لوطنه، إذا كان فعل الخيانة والتجسس يصب في مصلحة إسرائيل (بولارد وشبيرو كمثالين على ذلك)، ذلك أنه على قاعدة شعب الله المختار، يبدو أنه يحق لإسرائيل، ما لا يحق لغيرها من الدول... ويحق لليهودي، ما لا يحق لسواه من بني البشر.

من مأدبة الله

أ. د. مهدي امبيرش*

4 في القراءة



ما مفهوم أن يقرأ الإنسان على الأحرف السبعة؟ ثم لماذا يتكرر هذا الرقم (7) في الخرافات والأساطير، وفي الشرائع الإلهية؟ إن الاستفهام بـ (ما) هو طلب فهم هذا الغيبي، أو المجهول، وفي الاستخدام الفلسفي، طلب فهم (الما هو؟)، أو (الما هي؟)، التي قد تتعدد، أي: (الما هُمّ؟)، أو (الما هُنّ؟)، وكما هي دلالة الأصوات في البيان العربي التي نخطها أو نرسمها، فإن صوت (الميم)، يرسم دائرة مغلقة، ثم يمتد هذا الصوت ويرسم ألف مد، وهذا يعطي الاستفهام عن الغيبي دلالته، من خلال علامات الاستفهام التي تضغط في الذهن على الإنسان، ثم محاولة الإنسان طرح، أو بلغة النفسانيين، تخفيف الضغط والتوتر، وإن كان التوتر والضغط والفائض، كلها لها مفاهيم (فيزيائية)، فكل ما يتجاوز الحد، أو حد الاحتمال والقدرة، أي يتجاوز القدر، إما أن يتم صرفه، أو يولد انفجارًا، وهذا هو الشأن في عملية طرح الاستفهام، أي طرح هذا التوتر الذي يلح ويضغط، من أجل الوصول إلى إجابة، وإن كان السؤال من خلال إشاراته المتعارف عليها (؟)، يعبر عن حالة القلق هذه، فالإشارة بمثابة رأس بجذع، على نقطة تُعبّر عن القلق، والسؤال، هو عملية سلب، أو (طرح)، ويعبر عنها في الخط العربي وفي غيره، بإشارة المد الأفقي (-)، وإن كان اللسان العربي يتقدم خطوة فيقدم هذه الإشارة إشارة للضعف، الذي هو الانفتاح والنصب، فهي إشارة انفتاح، والانفتاح يرتبط بالنصب، والقابلية للنصب تدل على القابلية للمفعولية، ومن ثم تأتي إشارة السلب قابلية للامتلاء، وهو الذي ينهي مؤقتًا حالة التوتر، إذا سقط عليه خط عمودي (/)، ومن إلتقاء الأفقي والعمودي تكون هذه الإشارة التي تعبر عن حالة الامتلاء أو الزيادة، من خلال إلتقاء الخطين (+)، وإن كانت الزيادة هي زيادة في كل واحدة منهما قبل هذا الالتقاء والتعامد، فعلامة السلب زيادة في السلب، أي زيادة في الامتداد الأفقي، ولكنها نقص في هذا العمودي، وهو ذاته ما

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية/ ليبيا.

يمكن أن نقوله على هذا الخط العمودي، وهنا يبدأ مشروع الولادة، في هذا التزاوج بين الأفقي والعمودي، وهنا نؤكد على أنه ما من لسان فيه المثنى إلا اللسان العربي، فكل مشروع ولادة يتم من زوجين اثنين، وفي عملية الاستفهام، لا بد أن نقبل أن هذه الحالة الجديدة من الزيادة أو الحمل، ستلد عن طريق الاستخلاف سؤالاً جديدًا، وهكذا تستمر الحياة، ويمتد مشروع المفاهيم في رحلة الغيبي، في محاولة للتمعن، أي لطلب المعنى، ولهذا فإن هذه البيانية العربية تقدم مشروع الفهم ومشروع المفاهيم أو قل القراءة، مشروعًا إنسانيًا منفتحًا، ولكنه انفتاح موجب مشروع إمكانية، يحوي مفهوم المكون والتمكن، ولكنه في ذات الوقت مشروع إمكانية، فالكينونة هي أبعد من الوجود، ودلالة الكينونة في اللسان العربي تأخذ قوتها من (صار)، أي من هذه الصيرورة التي تتقدم بالإنسان، ومن ثم تعطي هذا المفهوم التقدمي للمكان والزمان، فترتبط الكينونة بالمكان والزمان حالتي امتداد، فالمكن غير المكان، والزمن هو غير الزمان، والأخيران فيهما هذا المفهوم المتحرك والممتد، والذي يقدم مشروع الإنسانية مشروعًا في التمام حتى الكمال، ومن ثم لا ينتهي مشروع القراءة، ومشروع التاريخ، إلا باكتمال الإنسان نفسه، أو بالتعبير المنطقي، إلى أن يصل المفهوم كمال المعنى، بالتمظهر الكامل، أو التحقق الكامل للمعنى، وهو ما يعبر عنه في مفهوم (كان) في العربية، بلحظة الظهر، وهي الظهور الكامل للحقيقة، ومن ثم اضطر المنطقيون والقواعديون، إلى الاعتراف بهذه الحقيقة البيانية العربية، فهم مع عجزهم عن شرح دلالة الكينونة، واكتفوا بقولهم: «كان وأخواتها»، دون أن يوضحوا نسب كان هذه، التي لها أخوات، ولكنها مقطوعة النسب!، ثم إنهم لم يوضحوا لماذا كان فعل أظهر فعلاً تامًا، أو لماذا هذه الـ(كان)، ناقصة؟.



هذه أسئلة ومشاريع استفهامية، أي مشاريع للفهم، تكشف عن هذا الجانب الإبداعي في البيانية العربية، أو في هذا اللسان العربي المبين، وربما نتناول محاولة لفهمها في دراسات قادمة، وإن كانت هذه الأسئلة نفسها، التي هي مشاريع قراءة، أو مشاريع رقي، أو قرى معرفي، أو مشروع أدب، ينهل من هذه المأدبة، في دلالاتها العربية التي قدمنا لها، وإن كانت كلها ضمن هذا الاستفهام الذي طرحناه في المقدمة حول دلالة الرقم (7).

إن الرقم في العربية غير العدد، فالرقم له مفهوم وجودي حسي، والحس هو تجاوز الجس، أي تقدم بالمجسوس إلى المحسوس، والرقيم، الذي ورد في القرآن يقدم هذا المفهوم:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 9]

ومن ثم فإن الرقم (7)، هو ليس العدد (7)، فالعدد هو تركيب شمولي، بمعنى أن العدد (7) هو مركب تجريدي، للعدد (1)، سبع مرات، في حين أن الرقم (7)، مشروع لوجود يسير نحو الاكتمال، ودلالة السير في العربية تحمل مفهوم السر، فالسير هو محاولة لاكتشاف السر، و(الياء)، هي هذا الامتداد الحسي، كما هو في كلمة (يد)، حيث تجتمع الياء والدال، والدال له علاقة بالدليل، والدليل له مفهوم جسي، من دلالة (الجس)، ولهذا نرى فرقًا مفهوميًا بين (الجسم) في العربية، و(الجسد)، فالدال في الجسد، أعطت هذا المفهوم الجسّي، في حين أن (الميم) قدمت الدلالة التي أشرنا إليها، أي دلالة هذه الدائرة المقفلة التي تفتح المشروع على الغيبي.

إن الرقم (7) يضعنا في هذا الغيبي، أي مشروع المعنى الغيبي والمطلق، ولهذا اكتسب هذا الرقم رمزيته في الخرافات والأساطير، عند كثير من الشعوب، وكما نعرف، فإن أصول هذه الخرافات والأساطير، هي أصول دينية، فليس الدين مؤسسًا على خرافة وأسطورة، بل العكس هو الصحيح، فالخرافة والأسطورة سببها نفسي اجتماعي، إذ أغلب الشعوب، وخاصة المحبطة، تحاول أن تملأ فراغ الواقع، من خلال الأسطورة والخرافة، أي من خلال تراجع سلفي، يضع الكمال في المتحقق من الزمان، أو هذا الذي يطلق عليه الماضي، أي أن الزمان في امتداده، يختزل في الزمن والتاريخ، الذي هو الفعل الإرادي الواعي الممتد، يقطع في (التأريخ)، ودلالة الهمزة في العربية، هي دلالة الإثارة، وهنا دلالة الإثارة والإشارة إلى حالة الانقطاع في حركة التاريخ، ومن ثم فإن الموقف السلفي التراجعي الأسطوري الخرافي، ينقطع عن الامتداد، كما أنه يتخذ موقف قطيعة من هذا التقدم في التاريخ، وكل المشاريع المحبطة، تحاول أن توقف حركة التاريخ، ودائمًا تستند إلى الخرافة والأسطورة، وحتى وإن حاولت أن تقدم نفسها (مشروعًا فلسفيًا)، أو (مشروعًا تقدميًا، كـ(المشروع) التفوقي التركيبي الألماني، كما يقدمه (هيغل)، أو (مشروع) (نهاية التاريخ)، الذي يعبر عن إفلاس (المشروع) الليبرالي الانجلوسكسوني، مع ملاحظة أن هذين (المشروعين) يختزلان مشروع الفلسفة المعرفي المفهومي، ضمن لوغوس التركيب المنطقي، ومن ثم تتحول الحياة إلى منطق، ويموت (مشروع البيان)، أو قل مشروع الحياة في محدود اللغة والمنطق، أي في (مشروع) اللوغوس، وإن كنت أستخدم المشروع هنا على غير دلالته العربية، فمصطلح (Project)، هو إسقاط أو إملائية أو دكتاتورية، وذلك خلاف المشروع في مفهومه العربي، ولهذا وضعت هذا المصطلح بين قوسين.



لقد أشار القرآن الكريم في قصة الخلق، إلى أن الله خلق السماء والأرض في ستة أيام:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 54]

وقد استغل اللاهوتيون اليهود هذا العدد (6)، في الإدعاء أن الله ـ وحاشا له ذلك ـ قد استراح في اليوم السابع، وأن هذا اليوم السابع هو يوم السبت، وذلك لمصلحة المشروع اليهودي التلمودي، إلا أن القرآن الكريم يقدم هذا الرقم (6)، على الرغم من أن أيام الأسبوع هي سبعة أيام، وهنا يكون الرقم (7)، هو ما يقدم هذا البعد الغيبي، المرتبط بخلق السماء والأرض في ستة أيام، وفي ظننا أن هذه تحتاج إلى قراءة بيانية، ومن ثم فإن الرقم (7) هو مشروع هذا الغيبي، والذي يتكرر في الحديث عن السموات السبع:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [سورة المُلك، الآية: 3]

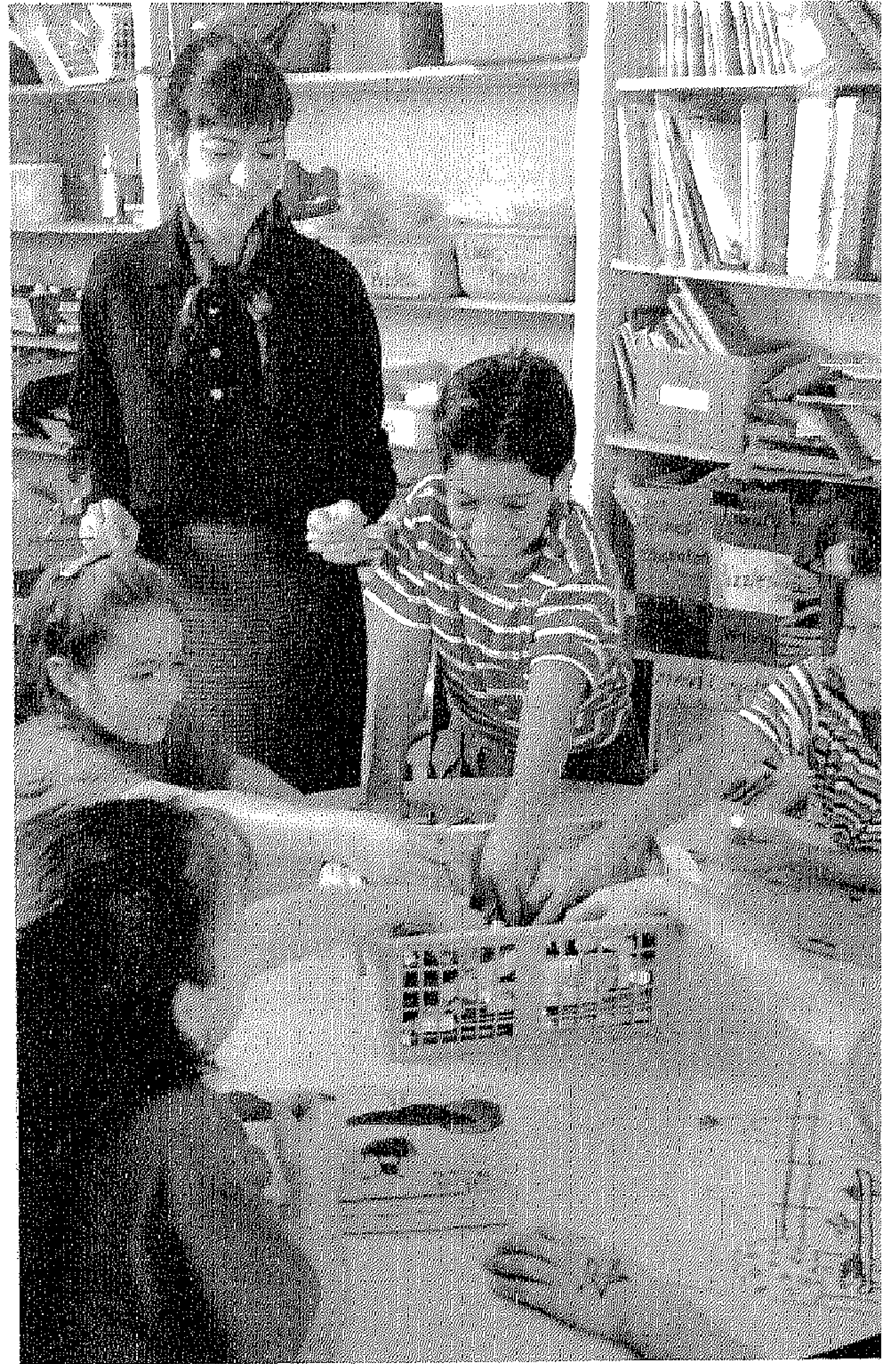
وفي موضوع العلم الإلهي، يقدم الرقم (7)، في ضرب المثل بالأبحر السبعة:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: 27]

وغير هذين الموضوعين في القرآن، آيات تؤكد أهمية هذا الرقم، كما أن العبادات في الحج على سبيل المثال، تؤكد الرقم (7)، فالسعي سبعًا، والطواف سبعًا، وهذا يقودنا إلى البعد الغيبي الذي يعطيه حديث الرسول ﷺ، لهذا الرقم مشروعًا لقراءة منفتحة على الغيب، أي قراءة باسم الله، وباسم الذي خلق، وهذه القراءة هي ما يخرج الإنسان عن هذه المحدودات فيما دون السبعة، فنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، ليس هذه التي يطلق عليها القراءات السبعة، بل هي هذا البعد السابع الغيبي، الذي يجعل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، ومن ثم تكون هذه الشريعة هي الخاتمة والمكملة، وبذلك فهي تخرج الناس مما عداها من الطقوس الرقمية، ولنا أن نشير هنا، إلى أن الأشكال الهندسية، قد تكون في ما هو غير شكل سباعي، أي لا يوجد شكل سباعي في هذه الرسوم الهندسية، إضافة إلى هذا، فإن البناء الإسلامي يقدم هذا الرقم (7)، مشروعًا كاملاً غير منقطع، فالإسلام يرتفع بناؤه على قواعد خمس، ولكن هذه القواعد هي على الأرض، وهي ما يفتح مشروع البناء الإسلامي على هذا البعد السابع غير المنغلق، إذ إن البناء المقفل، يوحي بوجود سقف، وهذا ما لم يشر إليه الرسول الكريم ﷺ، وهو ما يفهم من هذه القراءة على الأحرف السبعة، أو ما يضع البشرية ضمن مشروع الغيب الذي تحقق على هذه الأرض، والغيب الذي سيتحقق، وبذلك يكون مشروع الإسلام مشروعًا يربط هذا الغيب، الذي انقضى، والآني، والآتي، وهذا ما سوف نتناوله في قراءة قادمة، تخرج هذا المشروع من أن يتحول إلى حركة تراجعية بائسة، أو واقعية ساكنة، أو قفز طوباوي، أي عدمية هي شطح، وكلها تؤكد الأزمة المعرفية الفكرية، ولكنها لا تجد المخرج منها، وعلى الجملة، فإن هذا المشروع، هو مشروع للناس، ومشروع للحياة، ولكنها حياة الإنسان، التي هي جديرة بأن يعيشها الإنسان، أي حياة الكينونة، التي هي أبعد من الوجود، وتكون الروح، هي هذه الكرامة، التي تقدمت بالإنسان من درك الشيء، ومن مستوى النفس التي هي قوام الحياة، في كل حي، نباتًا أو حشرة أو حيوانًا أو إنسانًا، يتقدم الإنسان بهذه الروح التي نفخت فيه، وإن كانت هذه الروح هي ما تفتحه على الذاكرة، أي على الغيب المتحقق، وعلى الإيمان، أي على هذا الغيب الآتي، وهنا هو مشروع القرآن الكريم.

صورة الإسلام والمسلمين في مناهج التاريخ الغربية

د. فوزية العشماوي *



إذا تتبعنا مناهج التاريخ في الدول الأوروبية والأمريكية، نجد أنها تبدأ غالبًا بسرد تاريخ الحضارات القديمة، وتعرض لنا حرص المجتمعات البدائية على معرفة الآخر، ليس للتواصل والتعايش السلمي معه، ولكن لمعرفة نقاط الضعف عنده، حتى تستطيع أن تتغلب عليه، وتستولي على أراضيه وممتلكاته، وتوسع رقعة أراضيها الزراعية، وتزيد من قوة جيوشها، لتهيمن وتسيطر على مزيد من الأراضي والشعوب؛ وحين نتتبع تاريخ الشعوب والدول، نجدها تتصارع وتحارب بعضها البعض، باسم الأديان، وقد حرصت كل أمة من الأمم على نشر دينها بالقوة، وفرضه على الأمة المغلوبة.

وبمراجعة مناهج التاريخ المدرسية في الغرب، للبحث عما ذكرته عن تاريخ الآخر عامة، وتاريخ العرب والمسلمين خاصة، وجدنا أن معظم الدول تشيد بتاريخها المجيد، وتندد بتاريخ الآخر وتشوهه عمدًا، أو بدون عمد. وهذه ظاهرة خطيرة، يلاحظها كل من يعكف على دراسة المناهج الدراسية الأوروبية بصفة خاصة، وقد أطلق عليها الباحثون مصطلح: (Eurocentrismez) أي المحورية العرقية الأوروبية، التي تجعل من أوروبا محور العالم، وتجعل كل الدول

* باحثة/ الأمين العام المساعد لشؤون المرأة بالمجلس العالمي للدعوة الإسلامية / سويسرا.

والشعوب، تدور في فلك أوروبا[1]. وتؤكد هذه المناهج، على أن أوروبا هي مهد الحضارة والثقافة والتاريخ، وأن تاريخ الشعوب والدول الأخرى، يكتب ابتداء من تاريخ أوروبا، أي أن أهم أحداث التاريخ العالمية، تجري بمحاذاة ومواكبة تاريخ أوروبا، أما الأحداث الهامة التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية مثلاً، فيتم إغفالها تمامًا، ويتم التركيز فقط على بعض الأحداث غير ذات الأهمية، والتي تبرز تفوق أوروبا أو انتصارها على المسلمين.

وهكذا ينشأ المواطن الأوروبي منذ صغره، على فكرة أن الآخر، أي المسلم، أقل شأنًا من الأوروبي، وأنه لا يستحق أن يهتم به، ولا أن يدرس تاريخه، لأن الحضارة الأوروبية متفوقة على الحضارة الإسلامية، حسب اعتقاده الراسخ، وفي الغالب تكتفي المناهج الدراسية الأوروبية، بذكر بعض المعلومات الطفيفة عن الإسلام والمسلمين، تتناقلها كتب التاريخ من طبعة لأخرى، دون الأخذ في الاعتبار التغييرات الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية، للدول العربية والإسلامية، وللحياة الاجتماعية لهذه الشعوب.

وتعد ظاهرة «تهميش الآخر» هذه، نوعًا من رفض «الآخر» أي المسلم المختلف عن الأوروبي، وعدم قبول التعرف عليه، وعلى مكونات هويته، وعلى دوره في تاريخ وحضارة العالم وقيمة، هذا الدور. وهذه اللامبالاة بتاريخ الآخر، خاصة تاريخ الإسلام والمسلمين، إنما تعكس الرفض الواعي المتعمد، أو غير الواعي للآخر، وقد حرص الأوروبيون منذ العصور الوسطى، وعبر الأجيال، على تصوير الآخر، أي المسلم وكل ما يتعلق به، بأسلوب منفر، لتشويه صورته، حتى يخاف منه التلاميذ، منذ أول لقاء لهم مع الإسلام والمسلمين، على صفحات كتب التاريخ المدرسية.

وهذا التشويه قد ترسب في نفوس الأوروبيين منذ الصغر، لأن العلم في الصغر كالنقش على الحجر، وهذا ما ظهر جليًا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م في أمريكا من خلال تصريح رئيس وزراء إيطاليا، «سيلفيو بارلسكوني» حين قال: «إن حضارتنا أرقى من الإسلام... ويجب أن نعي تفوقنا، تفوق الحضارة الغربية». ولم يكن ذلك زلة لسان، -كما قيل- بل انعكاسًا للقناعات الراسخة في ذهنه منذ الصغر، مثله مثل كل أوروبي مسيحي، تعلم في المدارس الحكومية، في أي دولة أوروبية، وأخذ معلوماته من كتب التاريخ المدرسية.

حرص الأوروبيون على تصوير الآخر، أي المسلم بأسلوب منفر لتشويه صورته.

وهكذا تغلب النقش المشوه المحفور في الذاكرة، منذ الطفولة، على الدبلوماسية السياسية، لرئيس وزراء دولة ترى نفسها من أعرق الدول الأوروبية، بينما العالم يدخل الألفية الثالثة، وينادي بالتعايش السلمي، وبمزيد من التسامح بين الشعوب، وبالعلمانية، ليصبح العالم قرية واحدة بدون فوارق، ولا حواجز مسبقة، صنعها الجهل بالآخر، على مر العصور.

ونجد نفس هذه الظاهرة، مع بعض الاختلاف في المناهج الدراسية الأمريكية، أي في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كندا، بل نجدها في المناهج الدراسية؛ أيضًا في استراليا، وبالرغم من أن تاريخ دول أمريكا الشمالية وأستراليا، يعتبر حديثًا بالنسبة لتاريخ الدول الأوروبية، وأيضًا بالنسبة لتاريخ الإسلام والمسلمين، وكذلك الحال بالنسبة لكندا، فهي تعتبر شمال القارة الأمريكية، وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ قارة استراليا، والمناهج الدراسية في هذه الدول، لا

1. انظر سومر ويليم، العرقية، نيويورك 1953.

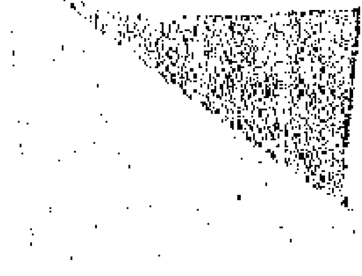
تعطي لتاريخ الإسلام والمسلمين، الاهتمام اللازم، بقدر ما تقدم صورة مشوهة عنهما، ربما تكون منقولة عن المناهج الدراسية الأوروبية، مع بعض التعديلات الطفيفة.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المجلس الأوروبي منذ منتصف القرن العشرين، يولي اهتمامًا خاصًا بقضية توحيد المناهج الدراسية لمادة التاريخ، في دول الوحدة الأوروبية، كما يهتم بوجه خاص، بتقنية تلك المناهج، من القوالب النمطية السلبية، والشوائب التي تسئ إلى كل من اليهود والمسلمين. ولقد عقد المجلس الأوروبي، عدة مؤتمرات وندوات لمعالجة هذه القضية الشائكة، وأصدر قرارات وتوصيات في غاية الأهمية، تتسم بالموضوعية والرغبة في التصحيح، بإدراج الحقائق التاريخية الثابتة، وخاصة فضل الحضارة الإسلامية، وفضل العلماء العرب المسلمين على النهضة الأوروبية، ونذكر هنا باختصار أهم هذه التوصيات الصادرة عن تلك المؤتمرات والندوات:

- ❖ توصية المائدة المستديرة في روما عام 1953م، حيث نادي روبير شومان، الأب الروحي للوحدة الأوروبية بـ«تنقية المناهج الدراسية من التلوث وعلاج التسمم الموجود فيها».
- ❖ توصية مؤتمر أوسلو 1954م، اعتبار الإسلام حضارة أصيلة zeuqitnehtua.
- ❖ التوصية رقم 1162 لعام 1991م، للجمعية البرلمانية للمجلس الأوروبي، الخاصة بمساهمة الحضارة الإسلامية في الثقافة الأوروبية.
- ❖ توصية الاجتماع الـ19 للمؤتمر الدائم لوزراء التربية والشؤون الثقافية للدول أعضاء المجلس الأوروبي، فيينا 2003م، بشأن مشروع المجلس الأوروبي الخاص بإعادة النظر في محتوى تدريس التاريخ، خلال القرن العشرين.

وتعتبر هذه التوصيات في غاية الأهمية، وتبرز الجهود التي يبذلها المجلس الأوروبي، لتنقيح وتوحيد مناهج التاريخ، في مدارس دول الوحدة الأوروبية. إن تطبيق هذه التوصيات، سيقدم خدمة كبيرة للدارسين والمتتبعين لهذه القضية، حيث سيكون من السهل الإطلاع على هذا المنهج الموحد، وتكثيف الجهود عليه في لغة واحدة، وتكليف لجنة من خبراء المسلمين المتخصصين للاطلاع على هذا المنهج الموحد، قبل نشره وطباعته وتوزيعه، وإدخال التعديلات عليه، بالاتفاق مع المسؤولين التربويين الأوروبيين، وأصحاب دور النشر الكبرى، التي ستقوم بنشره وتوزيعه. وإلى أن يتم إعداد هذا المنهج الأوروبي الموحد المرتقب، سيستمر الخبراء المهتمون بالمناهج الدراسية، في الإطلاع على مختلف كتب التاريخ المدرسية، في دول الوحدة الأوروبية، لاستخراج صورة الإسلام والمسلمين منها.

المجلس الأوروبي يولي اهتماماً خاصاً بقضية توحيد المناهج الدراسية لمادة التاريخ.



وهذه المهمة، مهمة شاقة، حيث إن الحصول على كتب التاريخ المدرسية، ليس بالأمر السهل، وإن كان هناك في ألمانيا معهد متخصص في مدينة برانشفيج، وهو معهد «جورج ايكارت انستيتوت»، متخصص في توفير كتب التاريخ المدرسية، لمعظم دول العالم بجميع اللغات، وقد تشرفنا بزيارته عند الاضطلاع بهذا المشروع، لإعداد هذه الدراسة.

ونشير هنا إلى الدراسة، التي أجريناها باللغة الفرنسية عام 1994م، تحت إشراف مكتب التربية الدولي في جنيف، والتابع لمنظمة اليونسكو، تحت عنوان: «دراسة مقارنة بين صورة الآخر في مناهج التاريخ المدرسية، في بعض دول شمال البحر الأبيض المتوسط، ودول جنوبه» (فرنسا، وإسبانيا، واليونان من ناحية، ومصر، والأردن، ولبنان، وتونس، من ناحية أخرى)، حيث كان اهتمامنا منصبًا على وجه



الخصوص، حول مناهج التاريخ في نهاية المرحلة الابتدائية(2)، وقد توصلنا في تلك الدراسة، إلى أن التاريخ الذي يتم تدريسه للتلاميذ الأوروبيين الصغار، في دول شمال البحر الأبيض المتوسط، يحتوي على معلومات مختلفة تمامًا، عما يتم تدريسه للتلاميذ العرب المسلمين في مدارس جنوب البحر الأبيض المتوسط، وأن المناهج في الدول الأوروبية المتوسطية، التي درسناها تعمد إلى تقديم مفهوم عن الإسلام وعن المسلمين، وعن نبي الإسلام، محمد ﷺ يتفق مع المفهوم اليهودي المسيحي للإسلام، ويحتوي على معلومات تجرح شعور المسلمين.

وكنا نأمل ـ بعد انقضاء حوالي عشر سنوات، على إجراء تلك الدراسة المستفيضة، التي رصدت أهم المغالطات السائدة عن الإسلام والمسلمين، في المناهج الدراسية، في ثلاث دول أوروبية، هي: فرنسا، وإسبانيا، واليونان، حيث يوجد بكل منها جالية إسلامية، من أكبر الجاليات الإسلامية في أوروبا، أن نجد في المناهج الجديدة تنقية من السلبيات والتشوهات، خاصة بعد ازدياد عدد التلاميذ المسلمين في المدارس الأوروبية، نتيجة لتزايد الوجود الإسلامي الأوروبي، وتضاعف أعداد المسلمين في الدول الأوروبية، خلال العشر سنوات الماضية.

ولكننا عند إعداد هذه الدراسة الجديدة، عن صورة الإسلام والمسلمين، في المناهج الدراسية، ـ وخاصة مناهج التاريخ ـ في الغرب، وبعد تحليل أحدث كتب التاريخ المدرسية الأوروبية والأمريكية، وجدنا أن المناهج الدراسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية في معظم الدول الغربية، تهتم أكثر في طبعاتها الجديدة بالإسلام، في العصر الحديث، أي تاريخ المسلمين منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وحتى الآن، وبالرغم من أن هذه المناهج الدراسية الأوروبية، مثلها مثل المناهج الأمريكية، تحاول الحفاظ بقدر الإمكان

2 ـ د. فوزية العشماوي، دراسة مقارنة بين صورة الآخر في مناهج التاريخ المدرسية في بعض دول شمال البحر المتوسط، ودول جنوب البحر الأبيض المتوسط، مطبوعات معهد روبير شومان لأوروبا، باريس 1996م. باللغة الفرنسية.

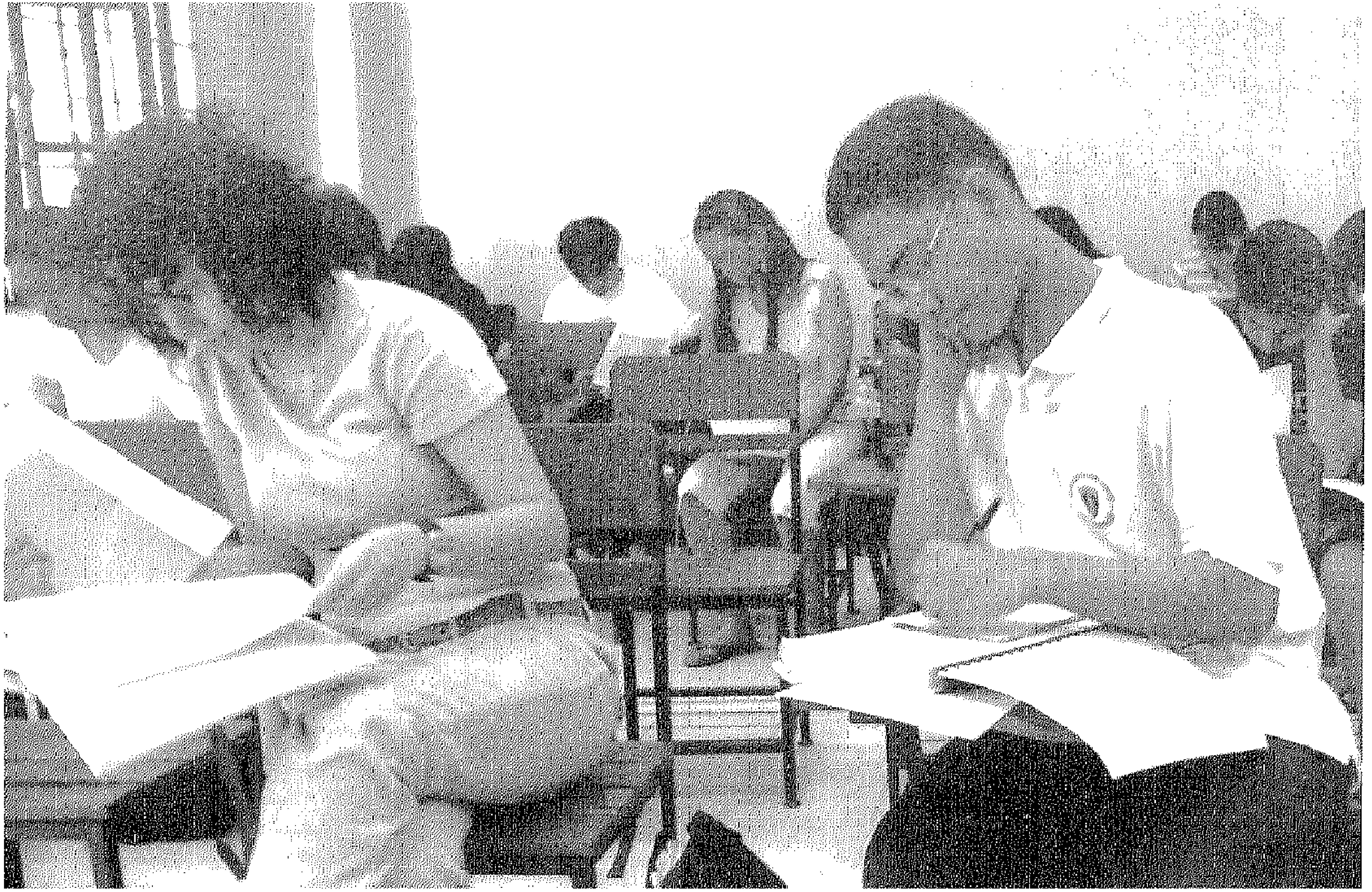
على العلاقات الدبلوماسية الموجودة بينها وبين الدول الإسلامية، منذ بداية القرن الماضي، وكذلك مراعاة المواثيق والمعاهدات الدولية التي تربط بين الدول، والتي تنص على احترام حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، في جميع أنحاء العالم، كما أننا لاحظنا أن الصورة التي تعطيها معظم هذه المناهج عن الإسلام والمسلمين، لا تزال مشوهة وعالقًا بها كثير من الشوائب والمغالطات المعتمدة، وكثير من النواقص والاغفالات، وعدم الاهتمام بالجوهر، والتركيز على الأنماط المتكررة والأفكار المتوارثة.

لقد ارتأينا استكمالاً للمشروع الذي بدأناه عام 1994م، والذي ارتكز على دراسة صورة الإسلام في المناهج الدراسية الأوروبية، في المرحلة الابتدائية، أن نقوم هذه المرة، في الدراسة الحالية، باستخراج صورة الإسلام والمسلمين، من المناهج الدراسية للمرحلة الإعدادية والثانوية، في دول الوحدة الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال بعض القضايا الهامة المحورية التي تهتم بها المناهج الدراسية الغربية، وتبرزها في كتب التاريخ وتركز عليها أساسًا لعرض صورة الإسلام والمسلمين، ومن أجل إعداد هذا البحث، اطلعنا على أحدث الطبعات (من 1995 إلى 2004)، لكتب التاريخ المدرسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية، في الدول الغربية، وبناء على توصيات المجلس الأوروبي، منذ عام 1952م، باختيار كتب التاريخ الفرنسية، كنموذج للمنهج الموحد للتاريخ، في دول الوحدة الأوروبية.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في فرنسا، لا تزال بها كثير من الشوائب والسلبيات والإغفال المتعمد للحضارة العربية والإسلامية، بل وبعض التشويه والاتهامات الباطلة. وربما يرجع ذلك إلى الخلفية التاريخية، والآثار المترتبة عن حرب الجزائر، واستعمار فرنسا للجزائريين «العرب المسلمين»، والسياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا، لتشويه صورة هؤلاء المسلمين وتحقيرهم وتحقير معتقداتهم، واعتبارهم أدنى من الفرنسيين أصحاب السلطة والسيطرة في الجزائر، ومن ثم ترسخت هذه الصورة المشوهة عن المسلمين العرب، التي كان المقصود منها الجزائريين خاصة، والتصقت هذه التشوهات والسلبيات في أذهان الفرنسيين عن المسلمين عامة. فلا تزال فرنسا مصرة على سياستها العلمانية، وتعطي أهمية كبيرة جدًا لما يطلقون عليه في فرنسا تعبير «احترام قيم العَلْمَانية»، وتطبيق الحياد التام فيما يتعلق بالتعامل مع الأديان في المدارس الحكومية، وخير دليل على ذلك هو القانون الجديد الذي أصدرته فرنسا واعتمده البرلمان الفرنسي بأغلبية ساحقة في النوار (فبراير) 2004م، بمنع التلاميذ في المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية، من ارتداء علامات دينية بارزة، هذا القانون الذي تم تطبيقه ابتداء من العام الدراسي الفاتح (سبتمبر) 2004م، في فرنسا، والذي ترتب عليه منع دخول التلميذات المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب إلى المدارس الحكومية في فرنسا.

صورة الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية في فرنسا، لا تزال بها كثير من الشوائب والسلبيات والإغفال المتعمد للحضارة العربية والإسلامية.

أما بقية الدول الأوروبية الأخرى، المجاورة لفرنسا، فقد خطت خطوات كبيرة خلال السنوات العشر الأخيرة، نحو تنقية صورة الإسلام والمسلمين، في مناهجها الدراسية، ولاسيما النمسا، وانجلترا، وإيطاليا، وألمانيا، والسويد، والدانمرك، وإسبانيا. ومن المعروف أن معظم هذه الدول الأوروبية قد اعترفت بالإسلام رسميًا (النمسا، إسبانيا، السويد،



الدانمرك)، والبعض الآخر اعترف بالإسلام كدين لبعض المواطنين فيها، ومن ثم أصبح تدريس التربية الإسلامية في المدارس الحكومية في هذه الدول معترف به رسميًا، ويتولى تدريس التربية الإسلامية مدرسون مسلمون تقوم الدولة بدفع مرتباتهم من ميزانيتها. وكان من نتيجة ذلك أن صورة الإسلام والمسلمين قد تحسنت كثيرًا، فلم يعد ممكنًا اضطهاد بعض المواطنين فيها، بسبب الدين بتشويه صورتهم وصورة دينهم، في الكتب المدرسية، لأن ذلك يتنافى ويتعارض مع قوانين تلك الدول، ومع دساتيرها، خاصة أن المسلمين في كل دولة، من هذه الدول الأوروبية، أصبح لهم هيئة إسلامية رسمية، تمثلهم لدى الحكومة، وتدافع عن حقوقهم.

وقد وجدنا أن صورة الإسلام والمسلمين متشابهة في أغلب كتب التاريخ المدرسية، في هذه الدول الأوروبية، وأنها أصبحت صورة بعيدة عن التشوهات السابقة، بالرغم من وجود بعض السلبيات، خاصة الإغفال المعتمد، لفضل الحضارة العربية والإسلامية، على الحضارة العالمية، وفضل العلماء العرب المسلمين في الأندلس، في العصر الذهبي للإسلام، على النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر. أما في فرنسا فإن الصورة تختلف تمامًا، ولا تزال صورة مشوهة، وبها كثير من الشوائب والسلبيات، بدرجات متفاوتة، في طبعات مختلفة لدى ناشرين متعددين، نذكر هنا أكثر هذه الكتب انتشارًا، وهي طبعات: «هاتييه وهاشيت ومانيار وبيلين وناثان وبورداس»، وكل هذه الطبعات، تحتوي على نفس المنهج تقريبًا، ويتم تدريسها في المدارس الحكومية، أو المدارس الخاصة في فرنسا، وكل مدرسة تختار كتاب التاريخ من بين مختلف الطبعات هذه، وتقرره على تلاميذها ولا يتم تعديل هذه الكتب إلا كل 5 سنوات، وعلى سبيل المثال، فلا تزال طبعة 2001م، تدرس في معظم مدارس فرنسا، في العام 2004م.

وباستعراض معظم هذه الكتب وتحليل ما تذكره عن الإسلام وعن المسلمين، نجد في الغالب أن عدد الصفحات المخصصة للشرق وحضاراته، بما في

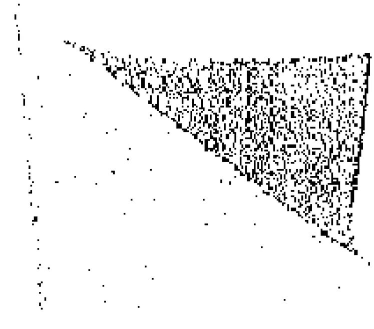
ذلك الحضارة البيزنطية والصينية، يقل عن 10٪ من إجمالي كتاب التاريخ، والنسبة المخصصة للحضارة الإسلامية داخل الحضارات الشرقية، لا تتعدى نسبة 5, 4٪ من إجمالي المقرر الدراسي، وهي نسبة ضئيلة جدًا، بالمقارنة بباقي المقرر، أي نسبة 5, 5٪ المخصصة لتاريخ أوروبا وأمريكا[3]. وتدرج مناهج التاريخ المدرسية، تاريخ العالم العربي والإسلامي، منذ الصف الدراسي الخامس الابتدائي، ويتدرج المنهج، ويتسع ويشمل قضايا ومحاور، تتناسب مع تزايد سن التلاميذ، وتنامي إدراكهم ووعيهم في الصفوف الدراسية، في المراحل الإعدادية والثانوية.

وبمراجعة كتب التاريخ الفرنسية المذكورة بعالية، وجدنا أن كتاب: «هاتييه» للتاريخ، طبعة 2001م، المخصص للصف الثالث الإعدادي، هو الذي يخصص أكبر عدد من الصفحات، لعرض الحضارة الإسلامية، حيث بلغ عدد الصفحات أكثر من 20 صفحة، من مجموع 288 صفحة، وهي نسبة 7٪ تقريبًا، وهي أعلى نسبة بين جميع الكتب الدراسية الأخرى، التي اطلعنا عليها.

ومن هذا المنطلق أعطينا اهتمامًا خاصًا في دراستنا هذه، لكتب تاريخ «هاتييه وهاشيت»، والتي تدرس حاليًا في المدارس الإعدادية والثانوية في النظام الفرنسي، وكذلك في سويسرا، الناطقة بالفرنسية، وهذه الكتب تعكس خلاصة خبرة ونتاج قناعات مؤلفيها، بأهداف المجلس الأوروبي لتوحيد منهج التاريخ، في دول الوحدة الأوروبية[4]. كما اهتممنا أيضًا بكتاب الناشر (Hachette)، وسلسلة للتاريخ والجغرافيا في العالم الحديث (ايزا)، والذي يدرس في المدارس الثانوية ويهتم بالقضايا المعاصرة في العالم. وتطبق معظم هذه الكتب نفس الأسلوب في عرض الأحداث التاريخية، من منطلق عرض أهم القضايا المحورية، التي تدور الأحداث التاريخية في مجراها.

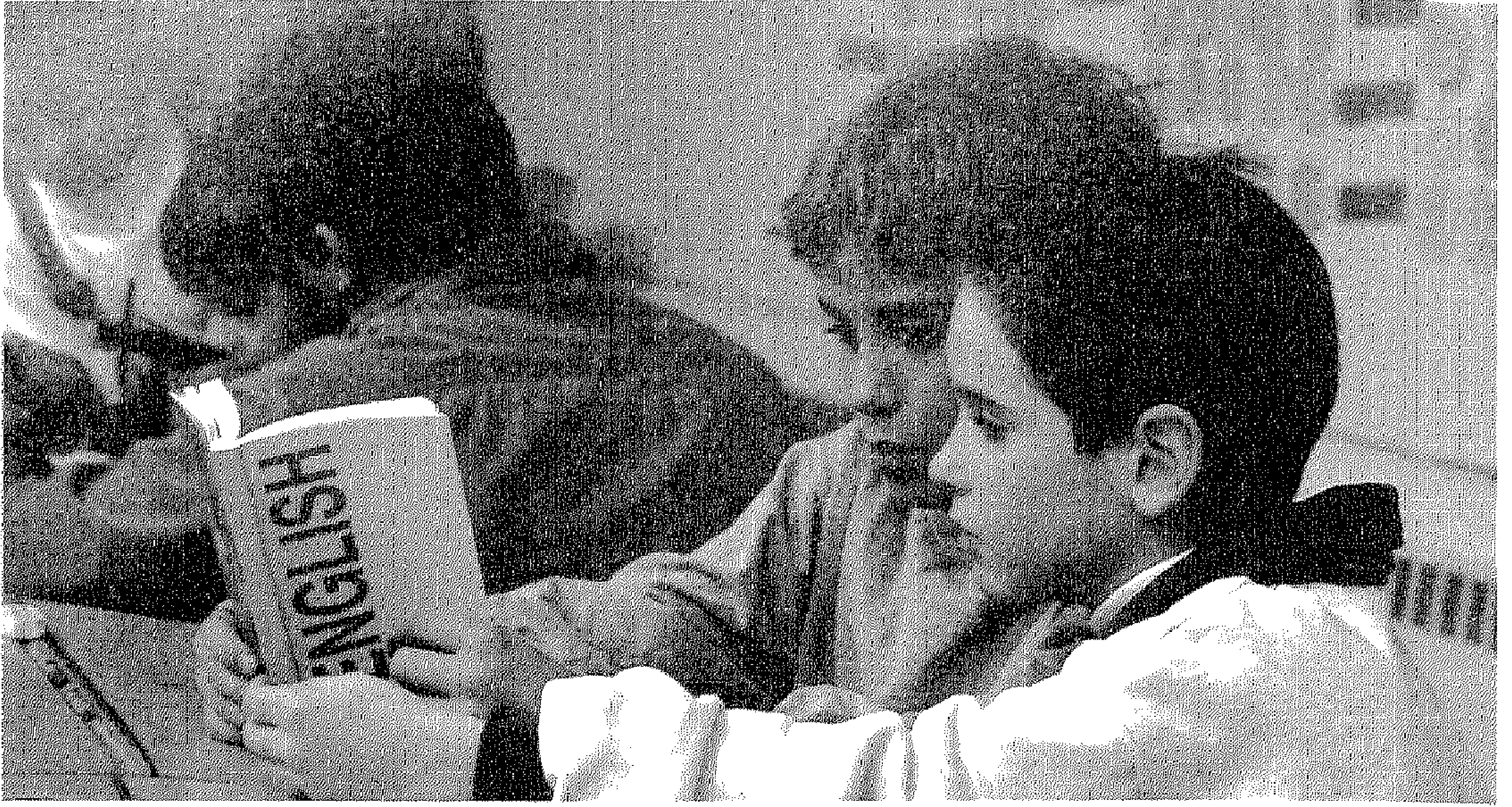
أما الولايات المتحدة الأمريكية، فمثلها مثل فرنسا، لا تعترف بالإسلام رسميًا، ولكن المناهج الدراسية فيها تولي اهتمامًا شديدًا بالإسلام، كدين وكثقافة، وليس كحضارة، وكذلك الاهتمام بالمسلمين كمواطنين أمريكيين أولاً، وثانيًا كشعوب لها مصالح وارتباطات اقتصادية، مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ ونظام الدراسة في المدارس الإلزامية الأمريكية، يختلف عن نظام التعليم في الدول الأوروبية، وقد لاحظنا أن مادة التاريخ، ليست من المواد الأساسية في التعليم الأمريكي، ولا توليها الدولة الاهتمام الذي توليه للمواد الرئيسة وهي الرياضيات واللغة الانجليزية والفيزياء، أما مادة التاريخ فهي وإن كانت إلزامية حتى الصف الثامن (الثاني الإعدادي) إلا أنها بعد ذلك تصبح اختيارية ولا تستغرق سوى حصة واحدة في الأسبوع، إذا تم اختيارها، أي 45 دقيقة تاريخ فقط في الأسبوع، وهي نسبة ضئيلة جدًا لا تكفي إلا ليستوعب التلميذ المعالم الأساسية لتاريخ بلاده، وبعض المعلومات الطفيفة عن تاريخ الأمم الأخرى، أما إذا لم يختر الطالب مادة التاريخ فإنه لا يتعلم شيئًا عن الأمم الأخرى، لا تاريخها ولا شيء عن ثقافتها، وفي ظل هذا النظام في التدريس فإن التلميذ الأمريكي لا يهتم بمادة التاريخ عامة ومن ثم فإن اهتمامه بسيط

الولايات المتحدة الأمريكية، مثلها مثل فرنسا، لا تعترف بالإسلام رسميًا، ولكن المناهج الدراسية فيها تولي اهتمامًا شديدًا بالإسلام، كدين وكثقافة، وليس كحضارة.



3 ـ هنري دال بيب، صرة الشرق في كتب التاريخ الفرنسية، تولوز، 2004.

4 ـ انظر تقرير هنري دا بيب، أرشيف المجلس الأوروبي في ستراسبورغ، تولوز، 2004.



جدًا بالإسلام والمسلمين، ومعلوماته عنهما تعتبر ضحلة جدًا.

وتوجد في الولايات المتحدة الأمريكية هيئة حكومية مستقلة هي المجلس الأمريكي للمناهج الدراسية American Textbook Council (ATC) الذي أنشئ في نيويورك عام 1988م، والذي يتولى «مراجعة محتويات كتب التاريخ المدرسية لتتوافق مع القيم الغربية». كما توجد هيئة إسلامية مستقلة لمراقبة ومراجعة ورصد كل ما يذكر عن الإسلام والمسلمين في المناهج الدراسية الأمريكية Council on Islamic Education (CIE) وهي: مجلس التربية الإسلامية، وقد تم إنشاء هذا المجلس عام 1989م، في كاليفورنيا، وازداد نشاطه بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، بصورة كبيرة، وقام بمراجعة كتب التاريخ المدرسية الأمريكية، ورصد ما تحتويه من تشوهات وقوالب نمطية، ومفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين، ثم قام بمخاطبة أصحاب دور النشر الكبرى، التي تتولى طباعة كتب التاريخ المدرسية، للتفاهم معها بشأن حذف المقاطع، التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين، وتعديل بعض المصطلحات والمفاهيم، لتتناسب مع المفاهيم الإسلامية، وقد تفهم الناشرون الأمريكيون وجهات نظر رئيس ومؤسس المجلس الإسلامي للتربية، (شابير منصوري)، وقاموا فعلا بحذف بعض المقاطع التي تسئ للإسلام والمسلمين، لدرجة أن اللوبي اليهودي في كاليفورنيا، أعد تقريرًا من 23 صفحة، يشتكي فيه من أن كتب التاريخ المدرسية في «سانتا زورا» (كاليفورنيا)، أصبحت تدرس «المصطلحات الإسلامية، وفقًا لما يكتبه مجلس التربية الإسلامية، في صفحته على موقعه «بالانترنيت»... وأنها تعرض صراع الشرق الأوسط، من وجهة نظر الفلسطينيين.... والقضية الفلسطينية الإسرائيلية، طبقًا للدعية (البروباجندا)، التي تنشرها منظمة التحرير الفلسطينية»[5]. وتعتبر هذه الشكوى انتصارًا للجهود، التي يبذلها المجلس الإسلامي للتربية، في كاليفورنيا، ونتمنى أن يعم في جميع الولايات الأخرى، في أمريكا، وكذلك في الدول الأوروبية، لتنقية صورة الإسلام والمسلمين، من كل الشوائب العالقة بها.

5 - انظر تقرير لي كابلان، المناهج الدراسية للجهاد، مجلة الصفحة الأولى، كاليفورنيا، مارس 2004 م.

من أجل عولمة الخصوصية الإيمانية والأخلاقية

د. عبد الإله بنعرفة*

إن العولمة الحالية التي اكتسحت العالم، وفرضت نمطًا معينًا في التفكير، وتعاملاً مُوحَدًا مع مجتمع اقتصاد المعرفة، قد ولدت وعيًا قويًا لدى شعوب المعمورة، بضرورة التعامل البناء، والمتفاعل مع ظاهرة العولمة. وبدل الدعوى التي قدمها البعض، لمناهضة العولمة، سار الاتجاه نحو إيجاد الطرق الكفيلة، بالاستفادة القصوى منها، وهكذا بدأ الحديث عن الاستثناء الثقافي، أي استثناء المنتجات الثقافية، من المعايير المعمول بها، في إطار اتفاقيات التبادل التجاري بين الدول، والخاضعة لقانون العرض والطلب. ثم تلا ذلك المطالبة بحق الدول في حماية ثقافتها، وعدم ذوبانها في حال القبول بفتح الأسواق، أمام منتجات ثقافية تحظى بدعم قوي، ولها سياسات تسويقية عالمية.



* باحث وأستاذ جامعي / المغرب.

وتبلور هذا الاتجاه داخل المنظمات الدولية المختصة، كاليونسكو والإيسيسكو وغيرهما، حيث صدر عن الأولى الإعلان العالمي، حول التنوع الثقافي، ثم زكاه الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي، الذي صدر عن منظمة الإيسيسكو، للتأكيد على الخصوصية الإسلامية في الموضوع، ثم تطور الأمر بعد ذلك، إلى أن حدث شبه إجماع دولي، بضرورة إصدار اتفاقية دولية، حول التنوع الثقافي. وبالفعل، فقد تم هذا الأمر، ووقعت على هذه الاتفاقية 148 دولة، باستثناء الولايات المتحدة وإسرائيل، في أكتوبر 2005م، وهذه الاتفاقية تؤكد على حق الدول في حماية منتوجها الثقافي ودعمه، وعدم تعريض ثقافتها لخطر الذوبان والانقراض، إن هذا الوعي نشأ من كون المنتوج الثقافي، يحمل محتوى حضاريًا لصيقًا بقضية الهوية، فهو ليس محايدًا كغيره من السلع الثقافية، بل يحمل ويروج للثقافة التي صدر عنها. ومن هنا استشعر الجميع، أن فتح الأبواب أمام المنتجات الثقافية المهيمنة، من دون اكتساب تنافسية عالية، وإقرار المساطر القانونية التي تصحح قانون العرض والطلب، واعتماد قاعدة الحصص في البث الإذاعي، للمواد الثقافية الوطنية، الخاصة بكل بلد، من شأنه أن ينعكس سلبًا، على الثقافة الوطنية لكل بلد.

وفي إطار هذه الاتفاقية، وعلى إثر الأزمة العالمية، التي أثارتها صحيفة دانماركية، بنشر رسومات مركبة ومتخيلة، مسيئة لشخص رسول الرحمة إلى العالمين، أقترح التفكير في مفهوم جديد للعولمة، يمكن أن نسميه: عولمة الخصوصية الإيمانية والأخلاقية.

لقد تبين فعلاً، أن هذه الأزمة، طرحت على العالم، مسألة الخصوصية الثقافية، لكل حضارة، وتبين كذلك أن هناك اختلافًا، في تقدير تلك الخصوصية الثقافية، بين مقتضيات حرية التعبير، وضرورات احترام المقدسات.

إن الأخلاق في نظر العولمة الأحادية، منبعها الثقافة فقط، والقيم الأخلاقية، محصورة في هذه الثقافة، وهي تتغير بفعل مرور الوقت والأزمان. ولكن القول بأن القيم محصورة في الثقافة فقط، يؤدي إلى قطع تلك القيم، عن أصلها الإيماني، وهي خطوة على درب نزع القداسة، عن منظومة الأخلاق، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، تخضع لنفس ما تخضع له الظواهر الاجتماعية، من التقلب والتغير والطعن والنقض وغير ذلك. فإذا ترسخت لدى الجميع هذه القناعة، أمكن بسهولة تجريد القيم عن الإيمان، وإلحاقها في خزائن الذاكرة، وتعريضها لنقد العقل المنقطع، عن كل مصدر علوي. ومتى قطع عن منظومة القيم هذا المصدر الإيماني، وألحقت بمشرحة العقل الوضعي، ثم صُفّفت في الذاكرة، صارت كشأن باقي القيم المجردة، عن نماذجها الحية، التي تبعث فيها روح التجدد والاستمرارية. إن هناك فرقًا بين القيم المتصوَّرة ذهنيًا، وتلك المشخصة فعليًا في حياة الناس، لدى نماذج الكمال عبر التاريخ، كالأنبياء ومن دونهم، من أهل الصلاح. والإيمان لا يترسخ إلاّ إذا تجسد في مظهر إنساني كامل، يكون المظهر الأتم لذلك الإيمان، ويمد الناس بالحياة المتجددة لهذه القيم.

العولمة الحالية تسعى إلى انتزاع القيم من أصلها العلوي وإلحاقها بالمجال الثقافي العام

وهكذا يظهر لنا أن العولمة الحالية، تسعى إلى انتزاع القيم، من أصلها العلوي، وإلحاقها بالمجال الثقافي العام. وفي هذا التحويل نوع من المصادرة، لتاريخ الحضارة الإنسانية عمومًا، كما أنه يتسم بنوع من العنف الثقافي، شاهدنا بعض آثاره، خلال أزمة الرسوم المذكورة المشار إليها سابقًا.

وللخروج من مستنقع هذه العولمة الأحادية، وتحقيقًا للسلم العالمي، والتصالح الثقافي، والتحالف الحضاري، نرى أنه من المفيد أن نؤكد على الخصوصية الإيمانية والأخلاقية، ومحاولة عولمتهما.



وهناك إشكالات فكرية، يطرحها هذا الأمر، ويمكن الإجابة عنها وحلها، بالتأكيد على أن العقل، يمكن ربطه بالإيمان، وأن الثقافة يمكن وصلها بالفطرة الإنسانية النقية، وأن السياسة يمكن ربطها بالصلاح والخير. وهذا يعني أولاً، رفض الحتمية القائلة بتلازم العقل مع اللا إيمان، والثقافة بالمكتسب الاجتماعي، والسياسة بالمصلحة الضيقة، إن تفكيك هذه الثنائيات، وإعادة ربطها مجددًا وفق ما ذكرناه، من تلازم العقل بالإيمان، والثقافة بالفطرة، والسياسة بالخير، كفيل بإحقاق عولمة ثقافية وحضارية حقيقية، يسودها العدل والسلم والمحبة والرحمة.

إن الخلل كأمن في الخلفية الفكرية، التي تحكم تلك الثنائيات، التي أبطلنا تلازمها، وفي نظرنا ليس هناك تعارض، بين ما هو سياسي، وما هو أخلاقي، أو ما هو عقلي وما هو ديني، أو بعبارة أخرى، ليس هناك تعارض بين ما هو قُدُسي، وما هو دنيوي، والأولى أن نعتبر أن أحدهما، وسيلة إلى الآخر، والتجربة التاريخية والحاضرة، تفيد ذلك، إذ أنّ التعرف على القدسي، لا يتم إلا من خلال الدنيوي، وأقدس المقدسات الذي هو الإله، تعرَّف إلى الناس من خلال ما هو بشري، أي بإرسال الرسل، كما أن ممارسة القدسي، تتم من خلال أفعال حسية، وأعمال بدنية كالصلوات وغيرها. وكل شيء في المقدس، يتوسل بما هو دنيوي، فكيف تجهر العولمة الأحادية، بإقامة تعارض بين ما هو قدسي، وما هو دنيوي؟ بل الأدهى من ذلك، أن اتجاه هذه العولمة الأحادية، يسير نحو إضفاء القدسية، على ما هو دنيوي، بعدما تم نفي القدسي، من الحياة العامة للناس. وهكذا تقدس العولمة الأحادية، ما ليس من شأنه التقديس.

إن هذه الثنائية المصطنعة، التي تعارض بين ما هو قدسي، وما هو دنيوي، مرفوضة في المجال التداولي للحضارة الإسلامية، وكل الحضارات الأصيلة، ولنا كل

الحق في الاختلاف حولها، وليس هذا من العولمة في شيء، بل إن العولمة في مجال الحضارة الإسلامية، ترى أن لا تعارض بين الزمني والقدسي.

المسألة الأخرى، التي يتميز بها المجال التداولي، للحضارة الإسلامية، والتي يمكن تعميم نتائجها في حضارات أخرى، مع تكييفها وفق مكوناتها الأساسية، هي مسألة الأخلاق. ومعلوم أن كل فلسفة أخلاقية، تنظر في الفعل الإنساني، من حيث اتصافه بالخير أو الشر. إن كل مجالات الحياة، يمكن أن تنسحب عليها هذه الثنائية القيمية، فمثلاً، في الاقتصاد الرواج والكساد قيمتان أساسيتان، الأول يؤول إلى قيمة الخير، والثاني شر، لأن الكساد شر يتأذى منه الناس. كما أن السياسة تتأرجح بين قيمتين أساسيتين، هما: جلب المصالح، ودفع المضار. وكلا القيمتين يحكمهما أيضًا الخير والشر. أما في الجانب المعرفي، فإن المعارف تُقَيَّمُ وفق الإفادة وعدمها، وهو ما يعبر عنه باللغو. ونفس المقياس يمكن أن نستعمله لتبيان أن الخير في الفائدة، والشر في اللغو. ثم إن الأخلاق ليست أمرًا عرضيًا، أو تحسينيًا حسب القسمة المعروفة، في علم أصول الفقه، الذي يميز بين الضروريات والحاجيات والتحسينات. ويعتبر هذا العلم أن مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ترجع إلى هذه التحسينات. والحقيقة أن الأخلاق ليست كذلك، بل هي أمر ضروري، إذ بفقدانها ينحط الإنسان، عن مرتبة الإنسان، ويلحق بالبهيمة، كما أن المجتمع الذي لا يقر بالأخلاق، أو يعتبرها أمرًا عرضيًا، ينتهي به الأمر إلى الانحلال، والتفسخ والانقراض، واللحوق بقطيع البهماوات، التي لا تُحِلُّ حلالاً، ولا تحرم حرامًا. إن نظام الحياة، يختل بغياب هذه الأخلاق. ثم إن الأخلاق مرتبطة بالمصادر العلوية، وليست تواضعًا إنسانيًا مُتبدلاً، كما تصر على ذلك العولمة الأحادية، ومن هنا نستطيع أن نقول، بأن الانتقادات التي أتينا بها لتصور العولمة للإيمان، والدين والأخلاق، والثنائيات التي ترفعها وتجعلها متعارضة، تحمل في طيها مشروع وجواب عن الخصوصية الإيمانية، والأخلاقية الإسلامية، ومع أن تسميتها بالخصوصية، قد يوهم بافتقادها للعالمية، فإن ذلك مجرد انطباع لا يفتأ أن يزول، انطلاقًا من التشريع الإسلامي، الذي يشرع للمسلم وغير المسلم، ثم في الخطاب القرآني ذاته، الذي تقرع آذاننا عند كل صلاة، حقيقة الفاتحة مؤكدة، على أن الله هو رب العالمين. هذه هي العولمة، التي نرغب فيها، ونتمنى أن يشاطرها معنا الأخيار، والأشراف في كل مكان. وهي عولمة هادئة، لا تسعى لطمس معالم حضارات الآخرين، بل تتحاور معها تحقيقًا للتوافق والتراضي، على القواسم المشتركة. كما أن نبي الإسلام هو نبي رحمة بمقتضى القول الإلهي، الذي يؤكد قائلاً:

تلازم العقل بالإيمان، والثقافة بالفطرة، والسياسة بالخير، كفيل بإحقاق عولمة ثقافية وحضارية حقيقية، يسودها العدل والسلم والمحبة والرحمة.



﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: 107]

هذه بعض أفكار، أتمنى أن تكون لبنة على طريق الاعتراف والإقرار، بأن هناك خصوصية، إيمانية وأخلاقية في الحضارة الإسلامية، ويجب احترامها، بل والذّب عنها كلما انتهكها منتهك. ومن شأن هذا الاحترام، وذلك الاعتراف، أن يحققا السلم العالمي، ويشعر الجميع، أنهم على سفينة واحدة، يقودها رُبّان متمرس، مهمته الوصول إلى بر السلامة.

الإسلام.. الكل سيان

د. خيما مارتين مونيوث*
ترجمة: خليل صدقة**

تراكمت في السنوات الأخيرة، سلسلة من القضايا المثيرة للجدل، تبدو كأنها عناصر خلاف وصدام، بين ما يمكن أن نسميه العالمين: الغربي والإسلامي. في عالمنا الغربي، نحاول تبسيط الأمر، وكأنه مجرد جدل حول: حدود الحرية ومكامن الحرف.

في نظري، حرية التعبير، لا يمكن إدراجها ضمن القيم المطلقة، المجردة من أي مسؤولية (وهو الأمر الذي يجري إبرازه، عندما يتعلق الأمر بالعالم الإسلامي) مما يبدي حرية التعبير، كامتياز للقدح بالغير. أما الخوف أو الابتزاز، فمن غير المقبول أن يتحول إلى سبب، يجبر على تغيير طريقة التعامل مع الآخر، هذه المعاملة يجب أن تكون حصيلة معرفة متعمقة للطرف الآخر وواقعه. وهناك في العالم الإسلامي الجدل ينطلق من أسس أخرى، تتمثل في مدى الاحترام، أو الطعن في ثقافتهم ودينهم، الذي يقرن عادة بالعنف أو التعصب. مما لا شك فيه، أن ما يسميه جيراننا في الجنوب تصرفات استفزازية غربية، تنم عادة عن تحليلات غير موثقة، ومتجاهلة للحقيقة الواقعية والتنوع الكبير في المجتمعات الإسلامية، وغالبًا ما تعبر - أي هذه التصرفات الاستفزازية - عن أراء أشخاص لا يلمون بالعالم العربي أو الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك تؤخذ وكأنها حقائق ناصعة، توصل إليها خبراء في الموضوع، على دراية كافية بالأوضاع الإسلامية، ولكن من الواضح بأنه طالما اقتصر رد الطرف الآخر (العالم الإسلامي) على هذه الأعمال الاستفزازية، على انفعالات عاطفية، فإن النتيجة لن تكون سوى التأكيد على الأفكار السائدة تغذي الإسلاموفوبيا.

إن أحد أسباب المشكلة القائمة، يتمثل في رسم صورة ممسوخة ومقتضبة حول «الـ نحن». و«الـ هم» أعني الثقافتين، وكان كل طرف -الغرب والإسلام- ليس إلا عالمًا مغلقًا ومتجانسًا يتألف من ملايين البشر.

إن هذا المفهوم التجريدي للثقافات المتبع عند مقارنة العالم الإسلامي مع «الـ نحن»، هو ثمرة عملية إخراج وتصوير زائفة، قام بها الغرب، لإظهار أن 1200 مليون مسلم، وكأنهم بوتقة واحدة، وجسم إيديولوجي متسق، هذا الكم الهائل من البشر، يمثل بالنسبة للغرب، مجرد فرد، وهذا يعني تجاهلاً متعمدًا، للتنوع

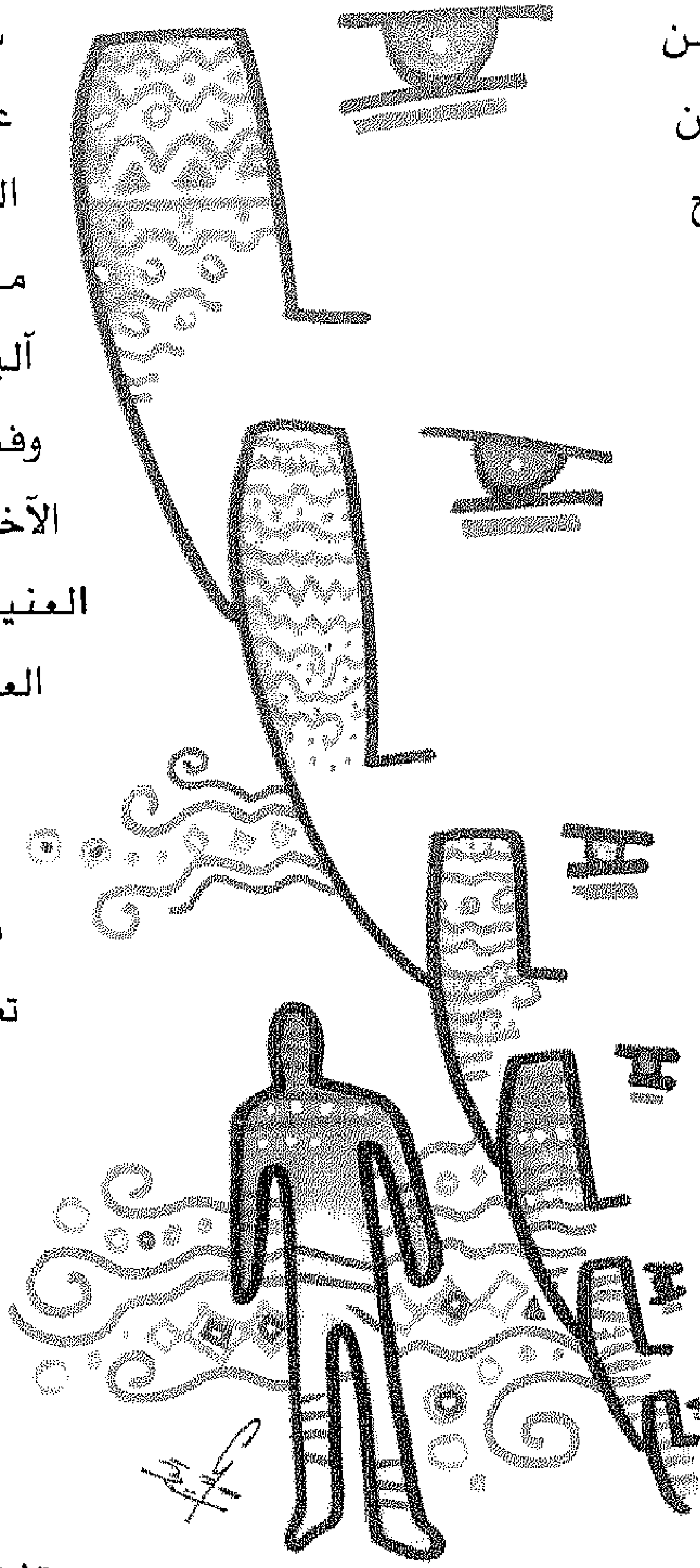
* باحثة وأستاذة جامعية / إسبانيا.
** صحفي ومترجم / إسبانيا.

الهائل الذي يمتد جغرافيًا في آسيا وأفريقيا، بالإضافة لملايين من المسلمين، الذين يعيشون بين ظهرانينا، كل ذلك ناجم عن الطرح الإعلامي الشمولي، الذي خلفته قضية الشرق الأوسط.

إن معالم الإطار الخارجي، للصورة السائدة عن الإسلام في الغرب، تتسم بالتزمت والأصولية واللاعقلانية.

إن محاولة الجمع بين عنصري: العدوانية والاختزال، عند الحديث عند الإسلام، يبرز معالم صورة ممسوخة لجسم إسلامي واحد، مرعب ومتخلف وعنيف؛ تستخدم هذه الصورة، لتبرير البحث عن علاج قصري، يشتمل حتى على الإقصاء، إن لم يكن التصفية المباشرة للطرف الآخر، كما يؤكد (ادوارد سعيد) في كتبه، غطاء الإسلام، هذا المشهد ليس إلا تبريرًا لعودة التدخل الامبريالي والاستعماري، في هذا الجزء من العالم.

خلال عملية التبسيط الساذج لثقافة ممسوخة، من أجل خلق انطباع واسع، في ذهن أغلبية شرائح المجتمعات الغربية، يتم الإفراط في الحديث عن عنصر الانحطاط، أي الجهل، حيث يبدو للإنسان الغربي، بأن شعوب العالم الإسلامي، تعيش مرحلة طويلة من الانحطاط، أدت إلى الجمود والبقاء خارج حركة التطور البشري، وبدون أن ننفي حالة التخلف التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي، وهي ظاهرة عامة لكل الدول النامية، التي تفتقر للتنمية

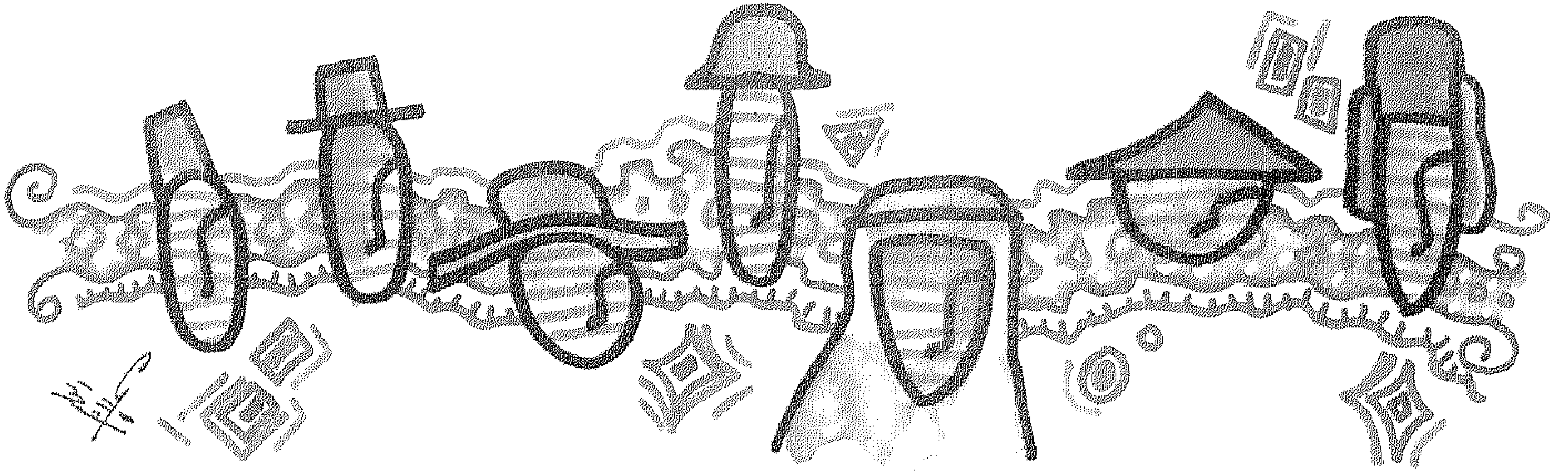


الاقتصادية والسياسية، فإن شعوب هذه المنطقة، لم تتوقف عن المساهمة في التطور التاريخي، وقد حققت انجازات، في مجال التحول نحو الحداثة ضمن آليات خلاقة، ومساهمات فكرية وفلسفية وفنية، والقضية، هي أن الآخرين يجهلون بسبب المقاومة العنيفة، على تقبل انخراط الثقافة العربية، في البنية الراهنة للعالم المتحضر.

ويجب أن لا يخفي عمق مشاعر الإحباط والألم، التي تعتمر في نفس أي عربي أو مسلم، عندما لا يجد من الآخرين، سوى الإصرار، على تقديم عقيدته وثقافته وهويته، بأنها قرين للانحطاط والعنف والتزمت.

شعور الإحباط والأسى، تنتشر في المجتمعات العربية والإسلامية، إن هذه المشاعر ليست ناجمة فقط، عن آثار تجربة التخلف، بل عن معايشة تاريخية طويلة، للعجز والتهميش، بالإضافة إلى احتلال أرضهم وخضوعهم لأنظمة شمولية، وكل ما ترتب على هذه الحقبة الطويلة من ضحايا.

إن المواطنين العرب، والمسلمين في غالبيتهم العظمى، من الحضر المتمدنين، وأكثريتهم من الشباب المتعلمين المتسيسين؛ في ذاكرتهم الجماعية، تتفاعل بقوة شديدة مشاعر الإنتماء إلى جزء من العالم المتميز (مهد الحضارات، منطقة ذات أهمية إستراتيجية، تختزن فيها أكبر احتياطي للطاقة)، ويعتبرون بأن عوامل التميز هذه، كان من



المفروض أن تمنحهم مكانة مرموقة في العالم، بالإضافة إلى ضمان انتعاش وازدهار اقتصادي، لم يروه أبدًا، لأنه بقي خارج إرادتهم، ولا قدرة لهم على التأثير أو الاستفادة منه، كل ذلك يضاعف من شعورهم بالهامشية والحرمان.

كما أن عدم قدرة المجتمع الدولي، والحكومات المحلية، على تطبيق أحكام القانون الدولي (قرارات الأمم المتحدة، والمعاهدات والمواثيق الدولية، وخاصة تلك التي تتعلق بحقوق الإنسان)، كلها عوامل إضافية، تساهم في تعميق مشاعر اليأس؛ أضف إلى ذلك كله، شعور الجماهير العربية، بالعجز عن التأثير في مسرح الأحداث العالمي، وأنها ليست إلا كمًا مهملاً، لا دور له فيما يجري حوله من تطورات.

إن التفاعلات، التي تنجم عن هذه السلسلة من العوامل، تنتج مركبات سامة، تضرر بالإنسان المسلم، وتعمق فيه مشاعر الكراهية، والظلم والإحباط. إن هذا الوضع، يستدعي مراجعة متعمقة في العالم الإسلامي، للخروج من هذه الحلقة المفرغة، المتمثلة في المقارنة بين (النحن والهم) عند تحليل وتفسير ما يعاني منه، مقارنة بما هو عليه الوضع في الغرب، لكي لا ينجرف إلى ردود انفعالية، تعبر فقط عن العجز، في مواجهة الوضع الداخلي، ليلقى باللائمة على الطرف الآخر باعتباره السبب الرئيسي، لكل ما يعاني منه، وهنا ينجرف بكل سهولة، نحو أفكار تحث على الانتقام، تتبناها أقليات متزمتة، وفي اعتقادي، فإن المفكرين المسلمين، مطالبون بالرد المتأني والعقلاني والعلمي، على الأصوات الغربية الاستفزازية، والاستماع لصوت العقل، الذي يتبناه قطاع هام من المفكرين الغربيين، الملمين بتاريخ الإسلام والثقافة والفلسفة الشرقية، والأهم من ذلك، هو طرح كل هذه المسائل انطلاقًا من مبدأ الاحترام، لكرامة الإنسان وعلاقته بمورثه التاريخي والثقافي والديني. وهذا يعني بعبارة أخرى، تشكيل ما يوصف باللوبي المتنور، القادر على الوصول إلى الرأي العام الغربي، للعمل على تغييره.

وإذا لم يعاد النظر في مسيرة الأحداث الجارية، في هذه المنطقة من العالم، على نحو يسمح للمواطنين، بالتحكم في مصيرهم، والتعمق في معرفة العالم الغربي الأصيل، والتمسك بميزة التنوع المثمر (الحوار بين الحضارات)، فإن النتيجة لن تكون سوى فشل آخر، يضاف إلى العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي.

ثلاثة أوجه لدين واحد.. ولكن

قراءة في فكر برنارد لويس

عبد الحميد غريبي*

يُعد (برنارد لويس) من كبار المتخصصين في تاريخ الإسلام، وهو يهودي بريطاني، ولا تعتبر كتاباته بصورة عامة، معادية للإسلام، وإن كانت لا تخلو من نقد للمسلمين. وله مؤلفات عديدة، أحدثها كتاب مثير للجدل بعنوان «عودة الإسلام» وآخر عن «العرب في التاريخ» كما صدر له كتاب بعنوان: «الإسلام والغرب والحداثة». وآخر مؤلفاته دراسة تحليلية يصفها «بالموضوعية» تجيب ـ كما يقول ـ عن سؤال يتردد حاليًا على ألسنة الغربيين وهو: هل يشكل الإسلام خطرًا على الغرب؟.

في الترجمة الفرنسية يحمل عنوان: «أزمة الإسلام» أو «الإسلام يواجه أزمة».

وأهمية الكتاب، تكمن في عرضه الصور النمطية عند أكثر المثقفين الغربيين، عن الإسلام ديناً وثقافة، ثم يحاول إيضاح علاقة المسلمين بالغرب، والجدلية التي أسستها وتؤسسها تلك العلاقة عبر التاريخ.

لذلك قد يكون من المفيد لنا ـ ونحن نواجه الحملة تلو الحملة، من غلاة التطرف والفاشيين الجدد ضد الإسلام ـ أن نتبين الصور النمطية، المترسبة في عقول الغربيين عمومًا، عن الإسلام، والمنطلقات التي تشكل مرجعيتهم، في التعامل مع المسلمين، خصوصًا في الزمن الراهن.


برنارد لويس

وقد يكون عرض مقتطفات مهمة بنصها، كما وردت في الكتاب، أبلغ وأوقع من إستعراض كامل، لكل ما ورد في الكتاب.

يقدم «برنارد لويس» لكتابه فيقول: الإسلام كدين، أقرب بكثير إلى اليهودية والمسيحية منه إلى الديانات الآسيوية، كالبوذية والهندوسية والكنفوشيوسية. والإسلام واليهودية، يتفقان في أن الله وضع للناس شرعة (قوانين) تنظم شؤون حياتهم وآخرتهم، وتشمل جميع المجالات، أما أهم أوجه الشبه بين الإسلام والمسيحية، فهو اعتقاد أتباعهما بأنهم ـ كل في إطار دينه ـ يملكون الحقيقة الإلهية والوحي (الرسالة) الكاملة ويختلفون عن

* صحفي ومترجم / ليبيا.

اليهود، في أنهم مأمورون بنشر دينهم والتبشير به.

فهذه الأديان السماوية الثلاثة، إذا ما قورنت بالأديان الشرقية الأخرى، تبدو وكأنها ثلاثة أوجه لدين واحد.

ومع ذلك فإن الفوارق بينها عميقة، ليس في أصولها العقدية فقط، بل في كثير من فروعها. فالإسلام والمسيحية يختلفان، في علاقة كل منهما بالشؤون السياسية والإجتماعية، فمؤسسو المسيحية، يدعون أتباعهم إلى «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

الدين والسياسة:

يقارن الكاتب علاقة الدين بالسياسة، في تاريخ المسيحية والإسلام فيقول:

«ظلت المسيحية تنتشر منذ ظهورها بين الفقراء والمضطهدين لعدة قرون، إلى أن اعتنقها قسطنطين، ومن ثم قيصر امبراطور روما، حتى أصبحت ديانة الدولة، وسادت جميع أطراف الإمبراطورية الرومانية، وغيرت مجرى تاريخ أوروبا.

ويقول برنارد لويس: أما الإسلام، فقد اختصر الطريق بأن تأسست الدولة الإسلامية، على يد «مؤسس» الإسلام ذاته، (يعني محمدًا ﷺ وهو ليس مؤسس دولة الإسلام بل نبي الله ورسوله) ويضيف الكاتب: لذلك لم يحتج الإسلام إلى مؤسسة كنسية ترعى الديانة الإسلامية، مثل ما عليه الحال في المسيحية. فالثنائية المسيحية، بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، غير موجودة عند المسلمين، وليس لها أصل في الإسلام، الذي لا يفصل بين الدين والدولة. والثنائية بتعقيداتها، لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ المسيحية عمومًا، والمسيحية الغربية على وجه الخصوص.

الثنائية المسيحية، بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، غير موجودة عند المسلمين، وليس لها أصل في الإسلام، الذي لا يفصل بين الدين والدولة.

أما المسلمون، فقد انضووا منذ البدء، في ظل دولة إسلامية دينًا وسياسة. وكان محمد ﷺ رئيسًا للدولة الناشئة، إلى جانب كونه نبيًا، وسار خلفاؤه على سيرته وعلى منواله من بعده».

النموذج الإسلامي

ظلّ الإسلام أكثر من عشرة قرون، يقدّم للعالم النظام المرجعي الوحيد والمقبول على مستوى العالم، من التشريعات والمبادئ الأساسية، التي لا غنى عنها في إصلاح المجتمعات، وظل المسلمون إلى يومنا هذا، وحتى في عصر ازدهار الحضارة الصناعية في أوروبا، وحقبة الاستعمار، على اتصال وثيق بالقيم والمرجعيات الثقافية والاجتماعية الإسلامية، ولم تستطع الثقافات الغربية الوافدة، زعزعة تلك القيم والمرجعيات، بل نحن نشهد اليوم، انتعاشًا سريعًا لها، تحت أشكال وصيغ مختلفة ظاهرًا، ومتسقة مضمونًا.

ومن الظواهر التي تلفت انتباه الكاتب، هي استمرار تمسك المسلمين بمفهوم «الأمة» كأساس للبنية الفوقية، لجميع المجتمعات والتجمعات الإسلامية، بمختلف نظمها، وهذا المفهوم كامن في نفوس المسلمين، ويفعل فعله بشكل واع، أو غير واع. ولعل قوة الإسلام، تكمن أساسًا في هذا المعنى، الذي يُنتج تضامنًا تلقائيًا، بين جميع الشعوب الإسلامية، نشاهده اليوم في التعامل مع الأحداث التي تمس الإسلام.

وكذلك نلاحظ اليوم أن الدول الإسلامية على اختلاف نظمها، تُنشئ قنوات وآليات للتشاور والتنسيق فيما بينها، في جميع المجالات، من خلال منظمات أو مؤتمرات، القاسم المشترك فيها الإسلام، بالرغم من اختلاف لغاتها ومواقعها

الجغرافية. ولا يوجد ما يشبه ذلك في الدول غير الإسلامية، حيث لم يعد للدين أي دور سياسي في العلاقات الدولية والإقليمية. ومجرد التفكير في استغلال الانتماءات الدينية، في انشاء تكتلات في المحافل الدولية، يُعد ضربًا من السخف أو اللامعقول...

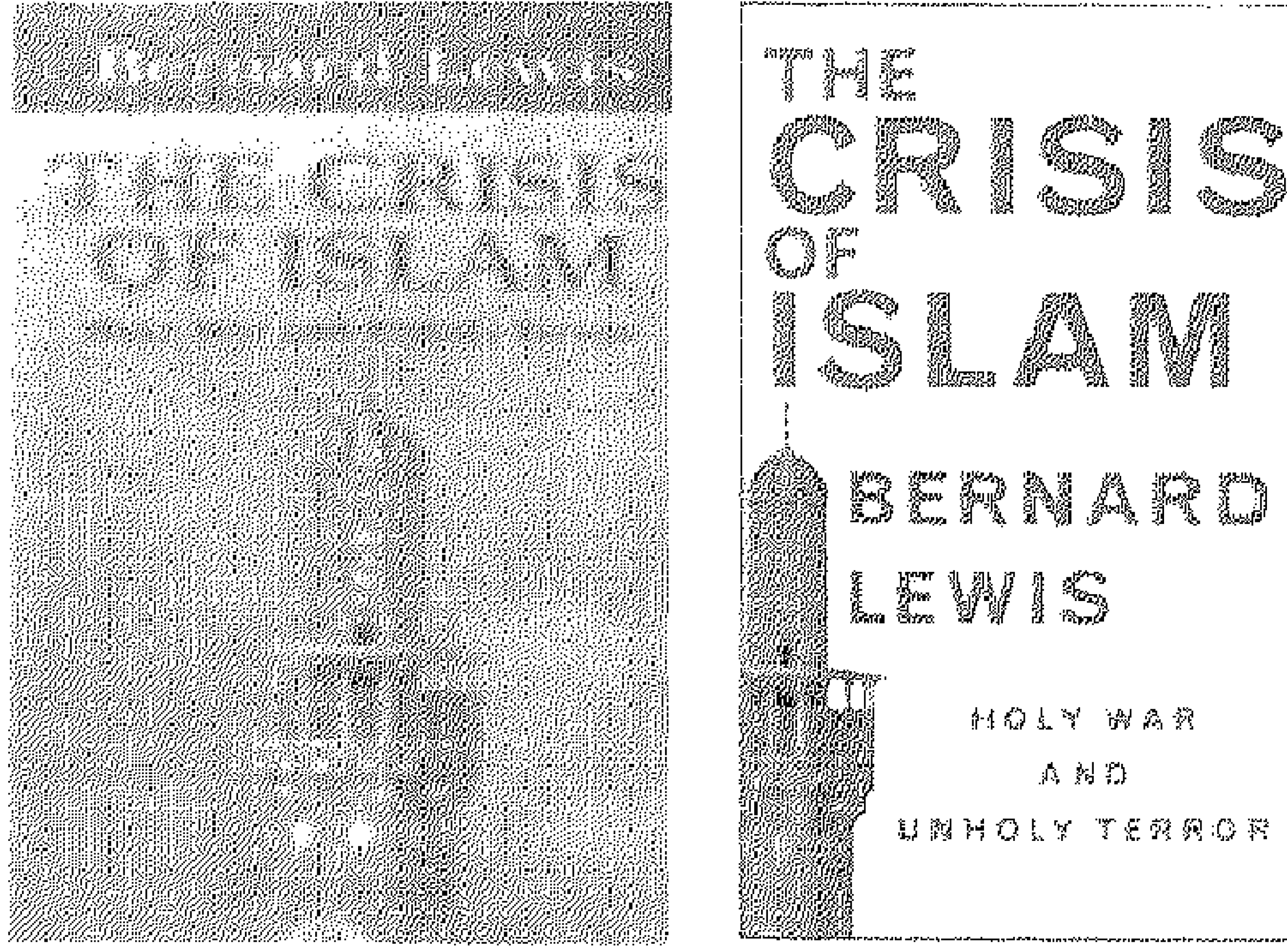
ومردّ ذلك إلى أن المسلمين كانوا وما زالوا يضعون معتقدهم، فوق كل الاعتبارات الدنيوية، بالرغم من وجود تيارات عَلْمانية، تسعى بدون جدوى، إلى تغيير العقليات. فالإيمان بالله والدين لم يفتر لدى المسلمين، على عكس ما حصل في الغرب، حيث ضعف تأثير القيم الدينية المسيحية، إن لم نقل قد اختفى نهائيًا، وحل محلها «العقد الاجتماعي» وما يصطلح عليه الناس، من قواعد وضعية لتنظيم علاقاتهم.

لا شك أن الكنائس المختلفة، ورجال الدين المسيحي، لا زالوا يؤدون الطقوس، ويعظون أتباعهم ـ على قلتهم ـ، ولكن تأثيرهم السياسي والاجتماعي، لم يعد قادرًا على أداء دور مهم في الحياة العامة. بل إن المؤسسات الدينية، والمسيحية نفسها، ليست في معزل عن الانتقادات الشديدة، ممن يفترض أن يكونوا المدافعين عنها، باعتبارها أساس حضارتهم.

ويسترسل الكاتب قائلاً:

أما الإسلام، فإنه لم يتعرض لمثل ما تعرضت له الأديان الأخرى، من نقد شديد من قبل اتباعه، وإن اختلفوا أحيانًا في استنباط مقاصده. ولا زال الإسلام يحتفظ بقدسيته، المستمدة من قدسية الإله، التي تحفظه من النقد تحت كل الظروف. وهو كذلك حتى في الدول الإسلامية، التي تعد نظمها عَلْمانية وديمقراطية. بل نلاحظ ذلك عند الأقليات المسلمة، في الغرب المفرط في العلمانية.

إن المناعة من النقد، التي يحظى بها الإسلام عند معتنقيه، لا يوجد مثيل لها في المسيحية



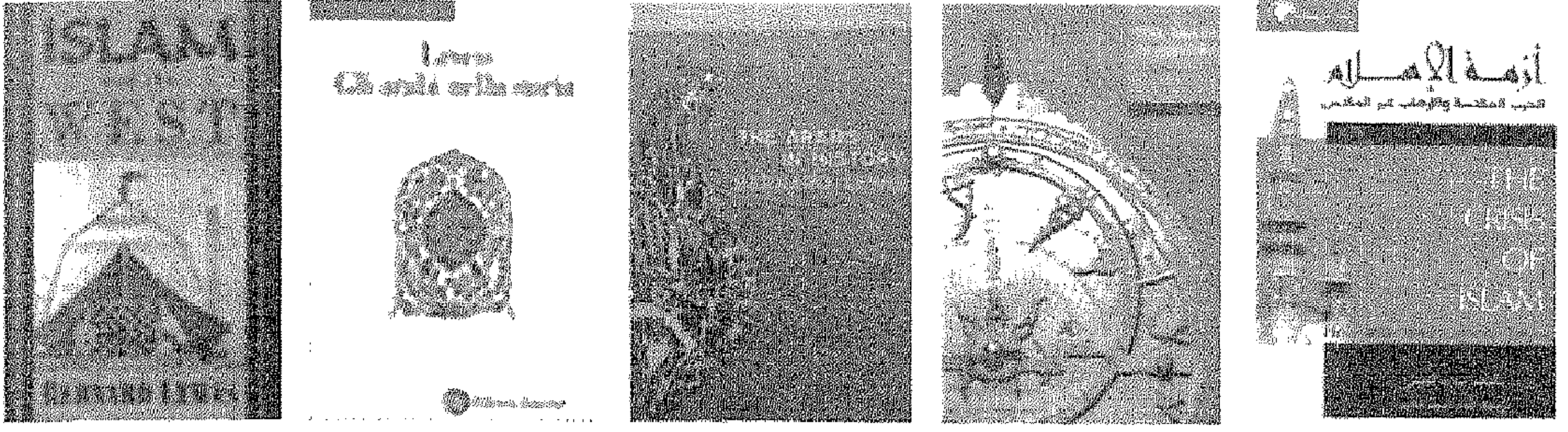
الكتاب في بعض طبعاته

واليهودية، وتمسك المسلمين بأداء مناسكهم، تحت كل الظروف، ميزة ينفرد بها الإسلام في الماضي والحاضر.

وقوة العقيدة، والتمسك بأداء المناسك والفرائض، عند المسلمين، يفسران إلى حد كبير تعاملهم مع المعطيات السياسية، والمنظور الخاص الذي يقيمّون من خلاله ما يحدث حولهم. إن الإسلام عند أتباعه ليس عقيدة دينية صرفة، أو مناسك يؤدونها، بل هو هُوية ملازمة، تحت كل الظروف، والتزامٌ سلوكي وأخلاقي، يشمل مجمل حياتهم، وما عدا ذلك، فمتغيرات ظرفية قابلة للتعديل، لكونها تابعة وليست متبوعة، والإسلام هو الأصل في كل ما عداه.

ظلال وارفة لدين عظيم

يقر الكاتب بعظمة الإسلام فيقول: إن الإسلام هو أحد الأديان الكبرى، على مدى تاريخ البشرية. وقد علَّم الإسلام معتنقيه على اختلاف أجناسهم، كيف يصبحون إخوة، قولاً وعملاً، وعلَّم غير معتنقيه، من أتباع الأديان الأخرى، كيف يعيشون مع المسلمين، دون أن يؤذوا في عقائدهم، أو في كرامتهم، أو كسبهم، وفي إطار من التسامح والأمن. وهو الذي أسس حضارة عظيمة مكنت المسلمين وغير المسلمين، من إنجاز إبداعات، كان لها اليد



من مؤلفات برنارد لويس

الطولى، في الدفع بالإنسانية إلى تحقيق تقدم منقطع النظير، في كل المناحي، ولكنه، مثله في ذلك مثل الديانات الأخرى، مرّ بفترات غير مضيئة، عبّر تاريخه الطويل، اتسمت بقدر من العنف والشحناء.

ويقول الكاتب: وللأسف الشديد، إن الإسلام يواجه حاليًا، إحدى أسوأ تلك الفترات وتتسم هذه المرحلة، التي تعيشها قطاعات من العالم الإسلامي، بالحقد الموجه ضد الغرب عمومًا.

ثم يستطرد قائلاً: ولكن لنتجنب المبالغة في التشاؤم. فمن جهة ليس كل المسلمين متفقين على رفض الغرب بالجملة، ومن جهة أخرى، فإن كراهة الغرب ليست محصورة في المسلمين، بل شعوب أخرى، من العالم المسيحي الثالث، تُكِنُّ لنا قدرًا من العداء، ولا يجب أن نغفل، أن الكثيرين من المسلمين، يشاركوننا في القيم الأساسية الكونية، والأفكار والطروحات، ولنا علاقات ثقافية مع العديد من الدول الإسلامية.

ولا يمكن أن نقلل من أهمية موجة العداء، التي تتجاوز أحيانًا المصالح والاعتبارات السياسية، لتشكل رفضًا قاطعًا للقيم الغربية، والمتمثلة خصوصًا، في السياسات الأمريكية، حتى إن أصحابها يصنّفون أعداءً لله، وهذه ظاهرة مؤكدة في الكثير من الأوساط الإسلامية، (ويلاحظ الكاتب أن عبارة «أعداء الله» غير مفهومة لدى الغربيين، بالرغم من ورودها في الإنجيل والتوراة، وكذلك في القرآن الكريم).

«الخير والشر» في الإسلام

يقول «برنارد لويس»: إن الصراع بين الخير والشر، يكتسي في الإسلام، صبغة سياسية، وأحيانًا عسكرية. فالنبي محمد ﷺ، لم يكن رسولاً أو موجهًا روحيًا فحسب مثل سائر مؤسسي الديانات، ولكنه كان أيضًا، رئيس دولة وقائدًا عسكريًا، فقضيته كانت، تبعًا لذلك، سياسية وعسكرية، فإذا اعتبرنا المقاتلين المسلمين في الحروب المقدسة «مجاهدين في سبيل الله» فالمنطق يلزمهم أن يعتبروا أعداءهم «أعداء الله» وأشر خلقه.

ويسترسل الكاتب في «تعريفه» للجهاد قائلاً: بما أن الله هو المالك لكل شيء، والآمر والناهي المطلق، فإنه هو المهيمن على مقاليد الدولة الإسلامية، فهو الذي يأمر الرسول ﷺ بقيادة المسلمين المجاهدين. فالجيش الإسلامي، هو من وجهة نظرهم «جيش الله»، ومهمة المجاهدين تصبح في النهاية: إلقاء أعداء الله في بؤرة العذاب، الذي أعده الله لهم.

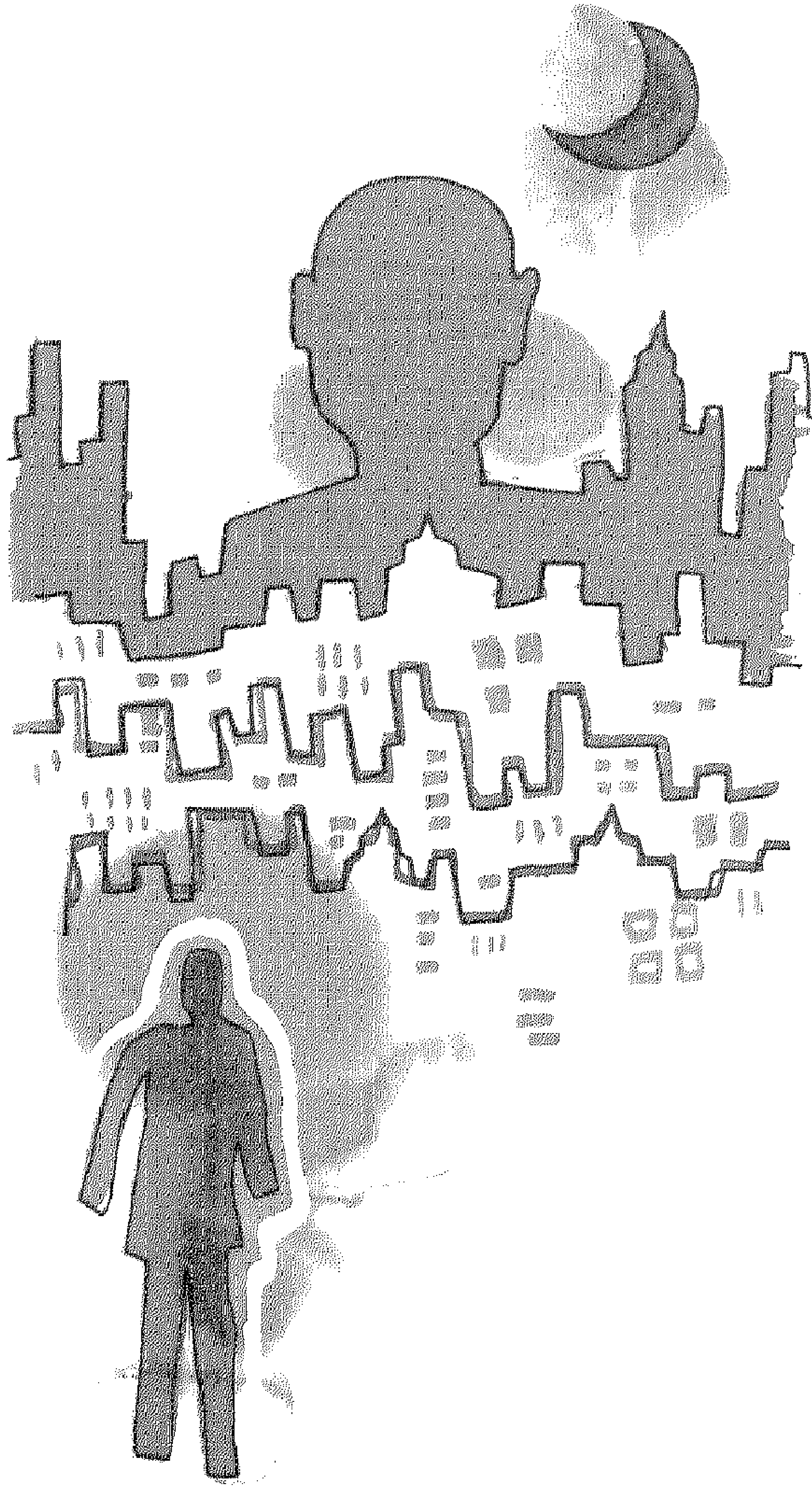
الإسلام العدو البديل

السؤال الذي يقض مضاجع القادة السياسيين الغربيين، يمكن صياغته في جملة بسيطة: هل الإسلام، سواء كان متشددًا أو غير متشددٍ، يشكل خطرًا على الغرب؟

يجيب الكاتب على هذا السؤال قائلاً: قد يكون لهذا السؤال عدة إجابات، ولكن وكما هو الحال، في

مثل هذه القضايا، قد تؤدي بنا الإجابات إلى الوقوع في أخطاء، لذلك ليس من الحكمة في شيء، محاولة الحصول على إجابة حاسمة، فمن الاعتبارات التي قد تضللنا، القول: بأن الإسلام و«الأصولية الإسلامية»، حلا محل النظرية الشيوعية، التي كان يجسدها المعسكر الشرقي، قبل انهياره، وأصبح الإسلام بدوره، الخطر الذي يهدد الغرب وقيمه، مثل ما كان عليه الحال، مع الكتلة الشيوعية، ولهذا الرأي السطحي أنصار. ولكن كثيرًا من المحللين، يعتقدون أن ظاهرة التطرف والتشدد لدى المسلمين، التي نشاهد نموها، ليست نتاجًا طبيعيًا لعلة في الإسلام أو في المسلمين، ولكنها نتيجة منطقية، لشدة ما يعانونه من الظلم على أيدينا. ويقول آخرون: إن معاداة الإسلام نشأت في الغرب عقب رواج وهم ناتج عن حاجة نفسية، للبحث عن خطر بديل للخطر الشيوعي، الذي زال بزوال المعسكر الشيوعي، فكان ردّ المسلمين على عداوتنا لهم بالتطرف والارهاب.

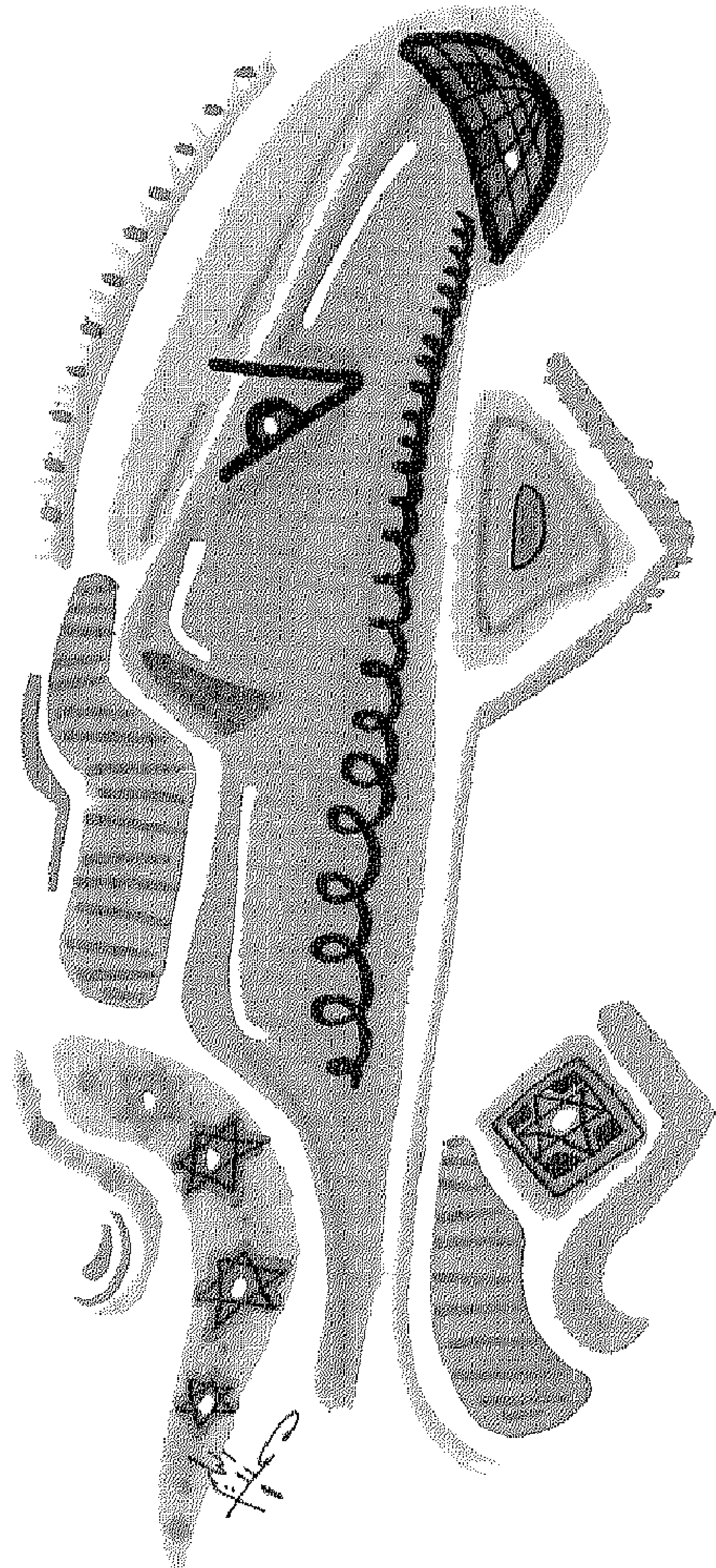
وينتهي «برنارد لويس» إلى القول، بأن كل الاجابات المطروحة، تحمل شيئاً من الحقيقة، ولكن ليست كل الحقيقة، لذلك لا يجب أن نركن إليها، ومن المؤكد لدينا، أن الإسلام ليس معاديًا للغرب، وأن كثيرًا من المسلمين، يرغبون في توطيد علاقاتهم مع الغرب، ويؤمنون بأن الحضارة الغربية ليست كلها شر، وليست كلها خير، وأن التعايش السلمي والتعاون المتكافئ هما الخيار الأفضل.



الصهيونية والعولمة

الحاج موسى فال*

إن مرحلة العولمة ـ رغم أنها حدثت فجأة ـ يمكن أن تعتبر من أهم مراحل المخطط الصهيوني، للاستيلاء على مصادر القوة والاقتصاد في العالم، من خلال حلفائها ذوي الانحياز الأعمى لمصالح السياسة الصهيونية، ولكي ندرك حقيقة النفوذ اليهودي على العولمة، فلندرس معًا وضع اليهود في الولايات المتحدة: فاليهود لا يمثلون سوى 5, 2» من مجموعة السكان الأمريكيين، يملكون قوة تأثير تفوق حجمهم نحو 10 مرات، ولدرجة أنهم يشكلون في الولايات المتحدة 23٪ من المحامين و20٪ من الأطباء، ونحو 25٪ من العاملين في المجال الإعلامي[1]، ويمتلك اليهود في الولايات المتحدة فقط، علنًا وبأسمائهم وأسماء منظماتهم 244 صحيفة، منها 158 دورية، هذا بالإضافة إلى مئات الدوريات في أوروبا وكندا وأميركا الجنوبية، مما يسهل لهم التأثير المباشر، على الرأي العام الدولي، وتوجد لليهود مئات المنظمات في أمريكا، تعمل في المجالات الفكرية والثقافية والاقتصادية والدينية...



* باحث / السنغال.

1 ـ مجلة فلسطين المسلمة العدد السادس، محرم 1417هـ/ الصيف «يونيو» 1996 مسيحي، لندن.

ولضيق المجال لا نستطيع سردها كلها ولكن نحاول ذكر بعض منها في المجالات الثلاثة الآتية:

1 ـ المجال الفكري: ويقصد به المنظمات التي تنشط في بث الأفكار الصهيونية في الأوساط الأمريكية، وأبرزها:



❖ **المنظمات الصهيونية الأمريكية:** تأسست سنة 1918 مسيحي، تقدم دعمًا سخيًا للمؤسسات التعليمية الإسرائيلية.



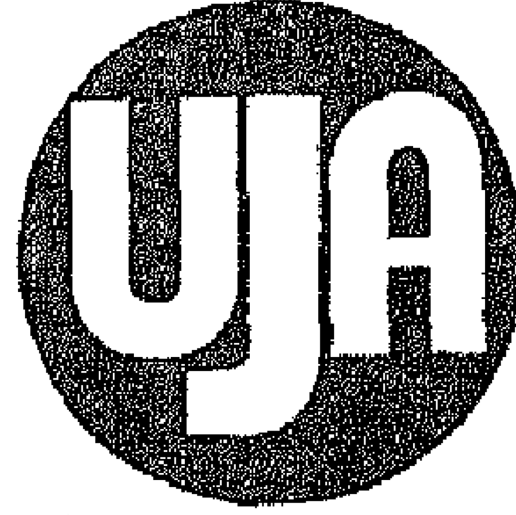
❖ **الاتحاد الصهيوني الأمريكي:** تأسس في العام 1970 مسيحي، في نيويورك، ويضم 16 منظمة صهيونية، ومن أهم أهداف الاتحاد، العمل على توضيح أهمية العلاقات بين الولايات المتحدة والدولة اليهودية، وترابط المصالح بين البلدين.

❖ **المنظمة الصهيونية النسائية في أمريكا:**



(هداسا)، وتعمل في إقامة معسكرات ودورات تدريب الطلاب، وتنظيم زيارات لهم إلى إسرائيل.

2 ـ المجال المالي والإعانات: تشير بعض الإحصائيات إلى أن الجالية اليهودية في أمريكا، تعتبر ثاني مصدر للمعونات المالية لإسرائيل، بعد الحكومة الأمريكية، وتعمل أكثر من 500 منظمة يهودية، في جمع التبرعات لصالح دولة إسرائيل، وتحول هذه الجالية إلى إسرائيل سنويًا 2 مليار دولار، حسب تقديرات، ابن برادلي، في كتابه «اللوبي الإسرائيلي» وكثيرًا ما تستخدم الحكومات الإسرائيلية ـ على مختلف اتجاهاتها ـ هذه المعونات في المشاريع العسكرية والاستيطانية، بل هناك بعض منظمات يهودية تخصصت في تمويل المشاريع الاستيطانية وتسهيل الهجرة إليها بعض المنظمات اليهودية الممولة لإسرائيل على سبيل المثال لا الحصر:



نداء إسرائيل الموحد: وهي مؤسسة تشكل حلقة الوصل بين يهود الولايات المتحدة والوكالة اليهودية في فلسطين، تركز أنشطتها في مجال توطين المهاجرين اليهود في فلسطين، وقد حولت الحكومة الأمريكية خلال الفترة ما بين 1971 ـ 1998 مسيحي، نحو 350 مليون دولار استخدمت كلها لتمويل عمليات توطين المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفييتي.

النداء اليهودي الموحد: هذه المنظمة تأسست عام 1939 مسيحي، وتعد المنظمة الرئيسة لجمع التبرعات في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد بلغت الأموال التي جمعتها عام 1988 مسيحي، نحو 631 مليون دولار.

منظمة سندات حكومة إسرائيل: تأسست عام 1951مسيحي، من أجل إيجاد استثمارات كبيرة لتنمية الاقتصاد الإسرائيلي، وتماري عملها من خلال شركة استثمارات التنمية الإسرائيلية، وتقول صحيفة واشنطن بوست: إن حجم الأموال التي جمعتها خلال الفترة من 1951مسيحي، حتى 1986 مسيحي، تبلغ 8 مليارات دولار، هذا إلى جانب منظمات أخرى مثل:

❖ **صندوق دعم المؤسسات الدينية اليهودية في إسرائيل.**

❖ **صندوق أورشليم (القدس).**

❖ **دعم مستوطنات «يشع» الضفة الغربية وغزّة.**

❖ **صندوق الاستيطان في الجولان.**

3 ـ المجال السياسي: وتوجد في الولايات المتحدة الأمريكية منظمات تمارس ضغوطًا سياسية لصالح إسرائيل، وتوجيه الرأي العام الأمريكي، كوضع

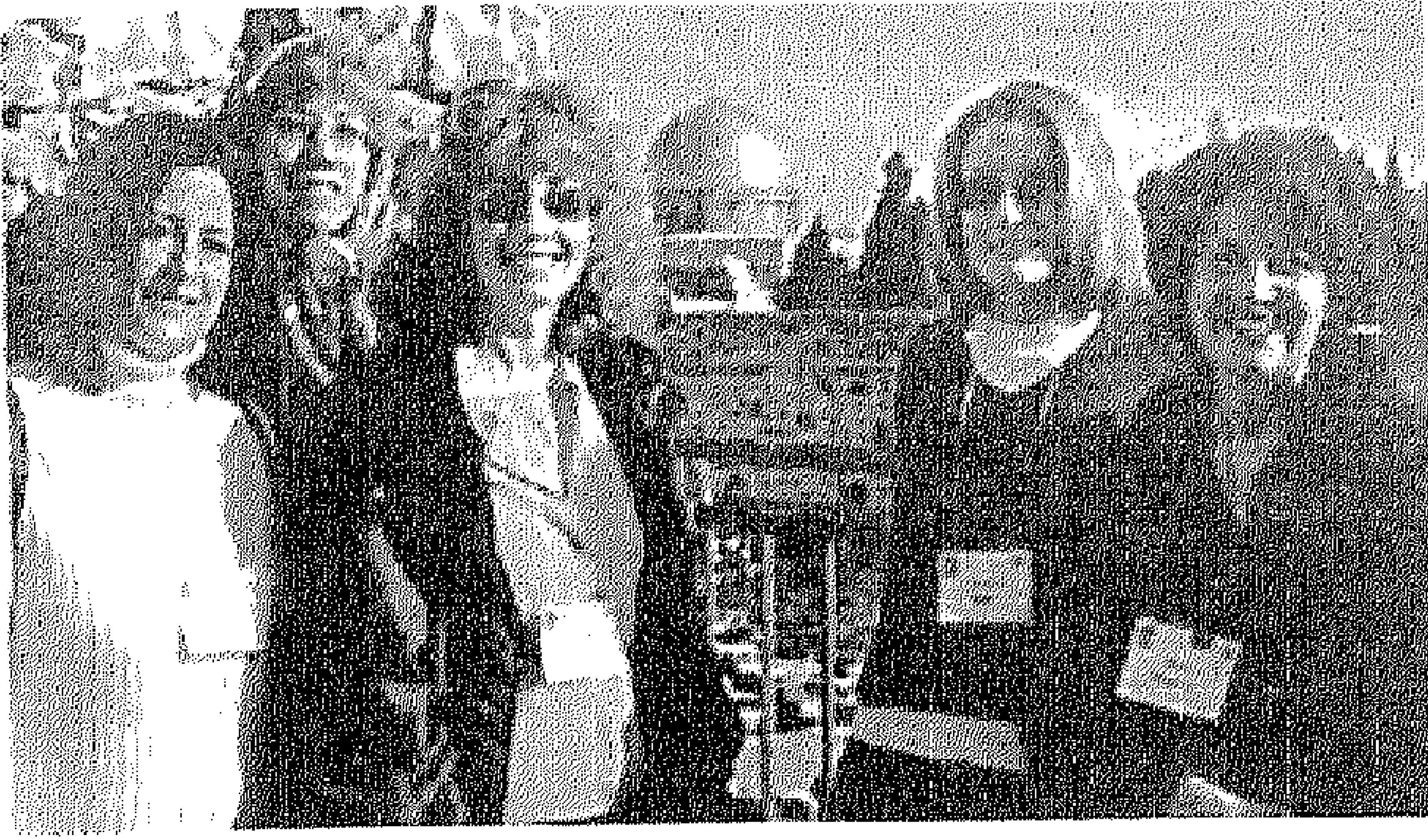
القوانين داخل الكونغرس، ونشر المعلومات والمواقف السياسية باتجاه المصالح الإسرائيلية. ويلاحظ أن هذه المنظمات تنشط بوضوح في فترات الانتخابات الأمريكية للتأثير في تحديد النتائج ومن أهمها:

❖ **اللجنة الإسرائيلية الأمريكية «إيباك»:** وقد تأسست عام 1951 مسيحي، وتستقطب في صفوفها موظفين سابقين بارزين في الإدارة الأمريكية يعرفون خبايا أروقة صنع القرار الأمريكي.

❖ **اللجنة القومية للعمل السياسي:** وتأسست في العام 1982 مسيحي، تعتبر من أغنى اللجان المؤيدة للكيان الصهيوني، والعاملة في مجال دعم المرشحين والتأثير على نتائج الانتخابات الأمريكية.

❖ **مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى:** ويضم هذا المؤتمر 16 رئيسًا من المنظمات اليهودية باسم «نادي الرؤساء» ويعمل لحفظ المصالح الإسرائيلية في مختلف القضايا الدولية.

❖ **المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي:** تأسس المعهد في عام 1937 مسيحي، من قبل مجموعة من الخبراء والمحللين العسكريين المؤيدين لإسرائيل، وهدفه الأساسي هو إقامة علاقات بين المؤسسات العسكرية الأمريكية والصهيونية، وترويج المقولة: (أي خطر تتعرض له إسرائيل يهدد أمن واشنطن نفسها). والجدير بالذكر أن هذا النشاط الضخم متشعب الجوانب في الولايات المتحدة، وليس في إسرائيل!!! وهو ما يشهد بصحة القول: اللوبي اليهودي دولة في الدولة الأمريكية!.



نساء من أعضاء (هداسا) خلفهن تظهر قبة الصخرة..
«صورة مقصودة!!»

مكانة إسرائيل لدى الإدارة الأمريكية:

إن مسؤولي الدولة الأمريكية ـ على مختلف اتجاهاتهم السياسية ـ وتباين حكوماتهم لديهم قناعة كاملة بأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ليست قائمة على المصالح المتبادلة كما هو الحال مع باقي دول العالم الأخرى، وإنما هي علاقة تاريخية قائمة على التحالف الإستراتيجي أو على الشراكة الإستراتيجية أو على الصداقة بين الدولتين على حد تعبير المسؤولين من كلا البلدين.

في أمريكا منظمات يهودية تمارس ضغوطًا لصالح إسرائيل وتنشط في فترات الانتخابات....

وبعد أن لعبت بريطانيا دورًا بارزًا في وعد بلفور 1917مسيحي، لإقامة وطن لليهود في أرض فلسطين، جاء دور الولايات المتحدة الأمريكية، بعد الحرب العالمية الثانية، المتمثل في تحمل إقامة الدولة الإسرائيلية فعليًا ورعايتها وضمان تفوقها النوعي على كافة الدول العربية والإسلامية. إن أهمية منطقة الشرق الأوسط الاقتصادية وموقعها الإستراتيجي بالإضافة إلى سقوط الاتحاد السوفييتي ـ كقوة عظمى مضارعة لأمريكا ـ جعلت الولايات المتحدة تركز سياستها في هذه المنطقة لتحقيق أكبر قدر ممكن من

المكاسب والمصالح، وذلك عن طريق ضمان التفوق العسكري لليهود على حساب الدول العربية وشعوبها في المنطقة. إن الإدارة الأمريكية لا تخفي على العالم دعمها «اللانهائي» لدولة اليهود، يقول


بيل كلينتون

فرديك سميث ـ نائب وزير الدفاع الأمريكي بالوكالة لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ـ أمام الكونغرس الأمريكي بتاريخ 13/4/1994 مسيحي، وذلك بمناسبة جلسة عقدت لدراسة المساعدات العسكرية لدول شرق الأوسط: (إن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل كان منذ أمد طويل ولا يزال حجر الزاوية في سياستنا تجاه الشرق الأوسط(...) وكان نقل التكنولوجيا المتقدمة ـ ولا يزال ـ عنصرًا حيويًا آخر في التزامنا باستمرار التفوق النوعي لإسرائيل، وقد حققنا ذلك من خلال برامج تعاونية مكثفة في مجال البحوث والتطوير ومبيعات الأسلحة)[2]. وأما بيل كلينتون أحد رؤساء الولايات المتحدة فهو يقول: (يجب علينا أن نصون التزامنا الخاص بشريكنا الديمقراطي إسرائيل وبأمنها)، ولا يثير العجب إذا ما نراه من قيام أمريكا بصب المساعدات العسكرية الضخمة على إسرائيل في نفس الوقت الذي تسعى لفرض الحد من التسلح على الدول العربية والإسلامية، يقول «سميث» في المناسبة السابقة أمام الكونغرس الأمريكي: «إن إدارة الرئيس كلينتون قد قررت منح إسرائيل 25 طائرة حربية من طراز (اف 15أي) ومعدات عسكرية متطورة أخرى قيمتها 2,4 بليون دولار، تحت بند الهبة العسكرية السنوية للكيان الصهيوني... إن هذه الصفقة تعزز أمن دولة صديقة كانت ولا تزال قوة مهمة للاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي في الشرق الأوسط، وأن إسرائيل تستخدم هذه الطائرات لتدعيم سلاح طيرانها وتقوية قدراتها الدفاعية وتحقق أهداف الولايات المتحدة الأمريكية الإقليمية بالنسبة إلى الأمن القومي والإسرائيلي والمحافظة على تفوق إسرائيل النوعي)[3]. والجدير بالذكر أن هذه الطائرات تمكن إسرائيل من ضرب أهدافًا عسكرية إلى أبعد من 1500 كيلو متر، وكانت إسرائيل تأمل في الحصول على 20 طائرة فقط، منها بينما أمريكا قدمت إليها 25 طائرة هبة!! وقال سميث أيضًا» إن مصر والأردن قد أبديا رغبة في الحصول على طائرات من طراز (إف16) ولكن هذين البلدين لن يحصلا على هذه الطائرات لأن حق السحب من الاحتياطي هو خاص لإسرائيل فقط ولا يحق لغيرها، وأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع الاستفادة من برنامج حساب الاحتياطي الذي خصص لإسرائيل من وزارة الدفاع الأمريكية في أعقاب حرب الخليج، مبلغ 700 مليون دولار، وأن



2 ـ أحمد منصور، أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ط1، 1415هـ 1994مسيحي، دار ابن حزم، بيروت لبنان ص: 83.

3 ـ المرجع السابق، ص: 78.

إسرائيل سوف تتلقى من نفس النوع 50 طائرة تؤخذ مباشرة من المخزون الجاري للقوات الجوية الأمريكية.


جيمس بيكر

نعم إسرائيل هي الدولة الوحيدة ـ على حد تعبير نائب وزير الدفاع الأمريكي ـ في ظل العولمة، التي تستطيع أن تتمتع بهذا الدعم العسكري الهائل من أمريكا، ولذلك حينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية عام 1991 مسيحي، تحض الدول العربية، أو تجبرها على حضور مؤتمر السلام مع إسرائيل في مدريد، كان الكونغرس الأمريكي، قد أجاز في نفس العام مشروع قرار، يقضي بأن يقوم الجيش الأمريكي بتخزين أسلحة ومعدات حربية أمريكية سنويًا في إسرائيل، بما قيمته 3000 مليون دولار، ويذكر «جان فرانسوا ريجل» وهو صحفي في المجلة الفرنسية «اكسبريس» ومعروف بميوله نحو الدولة اليهودية «أن التصاميم العسكرية الأمريكية الحساسة، تصل إلى تل أبيب في نفس الوقت الذي تصل فيه إلى البيت الأبيض»(4). وأكدت بعض المصادر الإعلامية، أن هناك معلومات أكثر من خبير أوروبي في بروكسل، تؤكد بأن إسرائيل التي كانت تفاوض على السلاح مع العرب، يعكف خبراؤها مع خبراء أمريكيين، في معهد «التخنيون» في حيفا، على وضع التصاميم الخاصة بالقنبلة النيوترونية، التي تبيد الكائنات البشرية وحدها، بينما تبقى الجمادات على حالها. أي سلام هذا؟!!! وأية عدالة هذه؟!!! وهكذا أمريكا، إذا وجهت نحو اليمين، فانتظرها في اليسار، وإذا تكلمت عن السلام، فاستعد للحرب!

ويلخص لنا «جيمس بيكر» وزير الخارجية الأمريكية السابق، في لقاء مع أعضاء مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، في الفاتح «سبتمبر» 1992مسيحي، العلاقات الأمريكية اليهودية بالعبارات التالية: (إن الولايات المتحدة وإسرائيل، قد توصلنا إلى اتفاق في خمسة مجالات، تقضي بالحفاظ على التفوق العسكري النوعي لإسرائيل في الشرق الأوسط، ومن هذه المجالات: تمكين إسرائيل من استخدام تجهيزات ومعدات، من مخازن ومعدات الجيش الأمريكي في أوروبا، وضم إسرائيل إلى شبكة الأقمار الاصطناعية، للحماية من الصواريخ، ونقل خبرات تقنية عسكرية حديثة إلى إسرائيل، والإشراف على الحد من سباق التسلح في الشرق الأوسط، بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية).

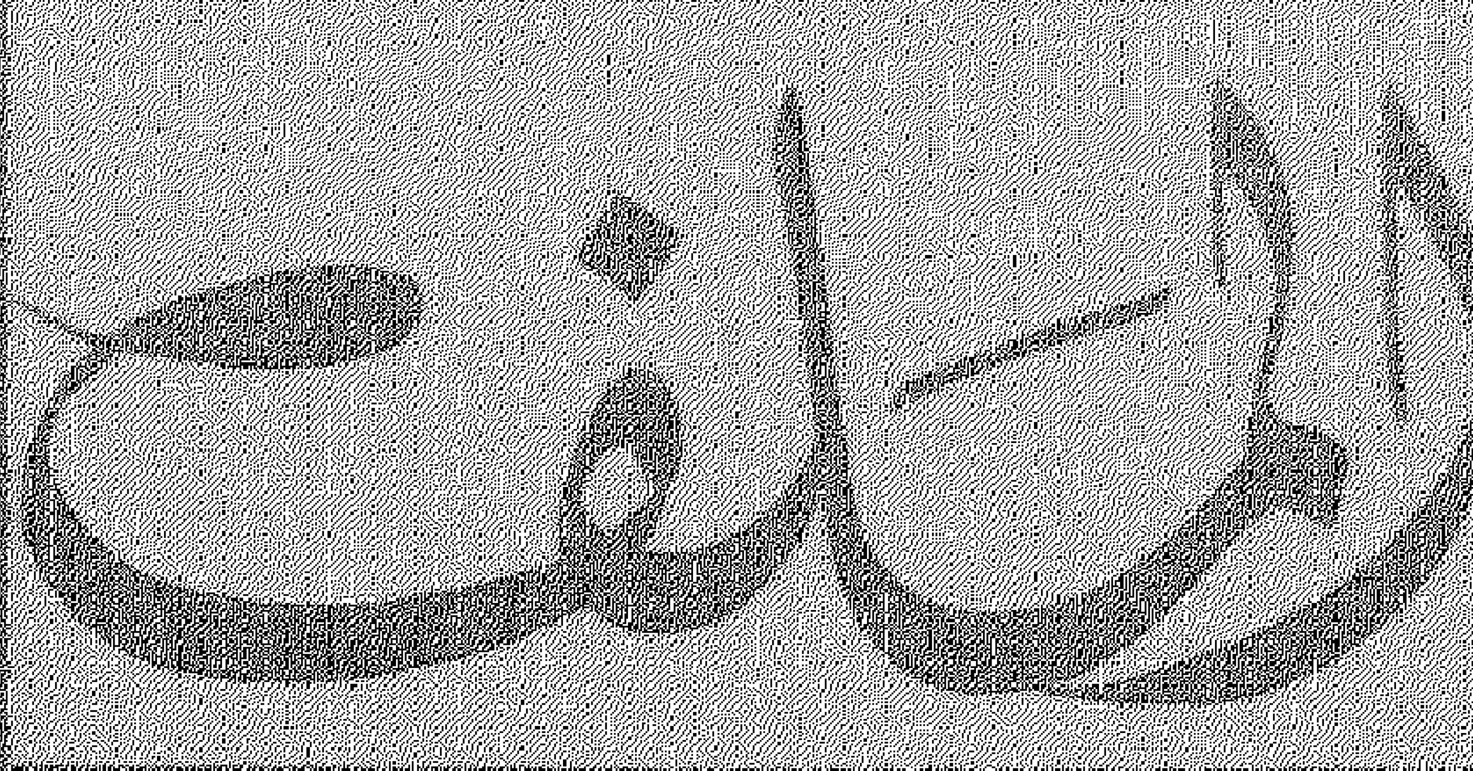
العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ليست قائمة على المصالح المتبادلة وإنما على التحالف والشراكة.



وللأسف الشديد، رغم كل هذه الكميات الهائلة من الأسلحة والمعدات العسكرية، ذات التقنيات العالية، التي تقدمها أمريكا لإسرائيل ـ هذا بالإضافة إلى تأكيدات كل مسؤول أمريكي، في كل مناسبة، على ضرورة تفوق إسرائيل النوعي على جيرانها العرب، رغم كل ذلك ما زال بعض المسلمين والعرب منهم بالذات يظنون بأمريكا خيرًا!!!

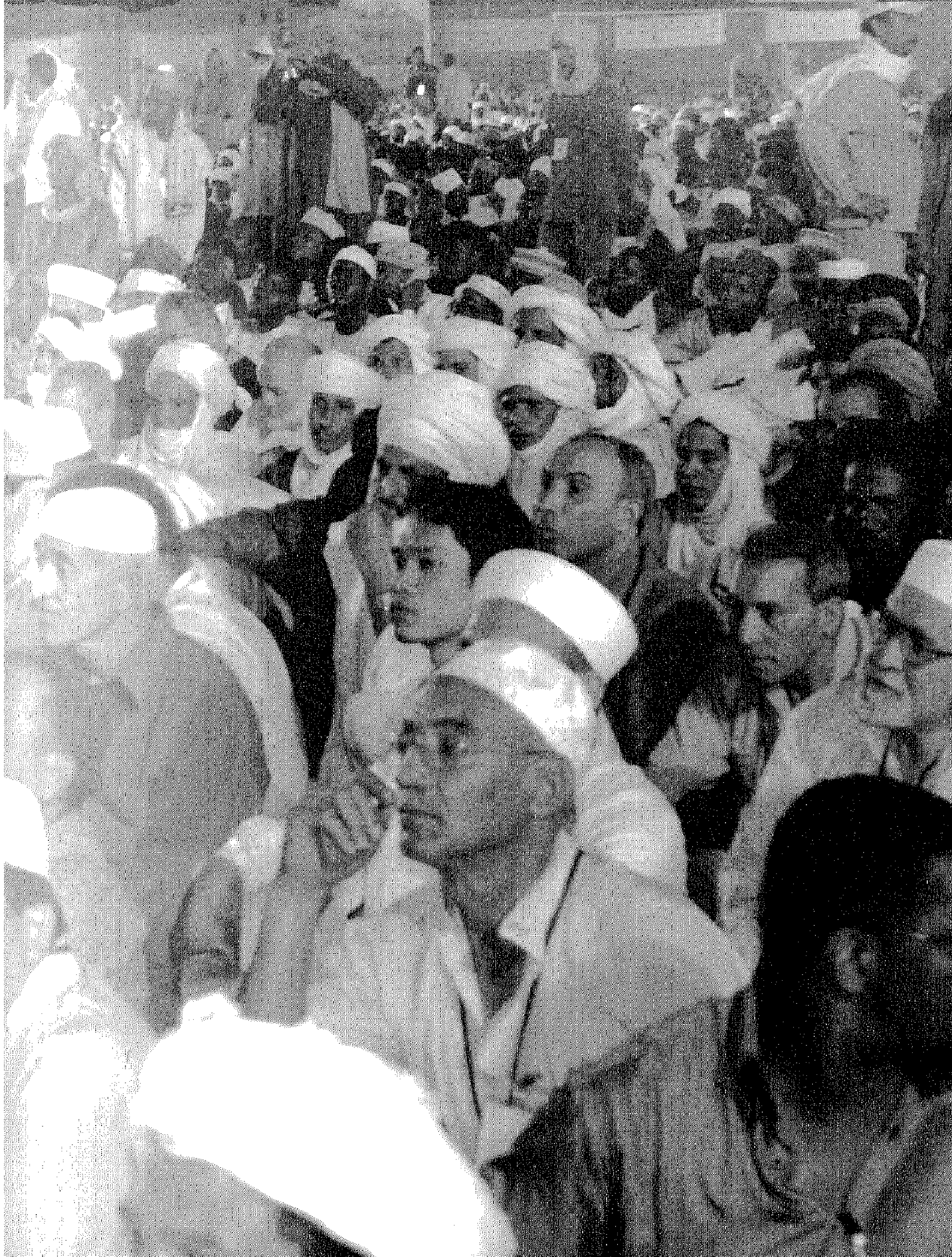
إن العولمة ليست إلا مرحلة خصبة للكيان الصهيوني، في تحقيق مشاريعه الاحتلالية في العالم العربي الإسلامي، وراء الستار الأمريكي.

4 ـ حوار نشر في مجلة الحوادث 22/ 4/ 1994 مسيحي.





رسالة محمد ﷺ للناس كافة



تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى الثانية:

رسالة محمد ﷺ للناس كافة

حدث تاريخي في يوم مشهود، عاشته واحة أغاديس، إحدى حواضر الإسلام التاريخية في إفريقيا: يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول، الموافق للثلاثين من شهر الربيع (مارس 2007 مسيحي)، كان الأخ معمر القذافي، يلتقي في هذه الواحة مع عشرات الآلاف من جموع المسلمين من ست وتسعين دولة، يتقدمهم الرؤساء: «محمد طانجا» رئيس جمهورية النيجر، و «إدريس دبي» رئيس جمهورية تشاد، و«عمر حسن البشير» رئيس جمهورية السودان، و«أحمد توماني توري» رئيس جمهورية مالي، و«أحمد تيجان كابا» رئيس جمهورية سيراليون، والعقيد «أعلي ولد محمد فال» رئيس المجلس العسكري للعدالة والديمقراطية في جمهورية موريتانيا، وسلاطين وملوك وامراء وعمداء، قبائل الصحراء الكبرى، وشيوخ الطرق الصوفية والمريدون والأتباع، فاعليات وقيادات أحزاب ومنظمات ومؤسسات إسلامية، وعلماء وفقهاء وأساتذة جامعات، من إفريقيا وآسيا الوسطى، ومن غرب وشرق أوروبا ومن أمريكا وكندا وأستراليا، ووفود من برلمانات: تنزانيا، كمبوديا، باكستان، كينيا، أفغانستان، رواندا، سيراليون، أثيوبيا، ترينداد وتوباغو، ومفتيو الإسلام من: مقدونيا، روسيا البيضاء، طاجكستان، أذربيجان، تتارستان، لاتفيا، بلغاريا، رومانيا، استراليا، رواندا، أوغندا، وزنجبار.

وفي صلاتي المغرب والعشاء، أمَّ القائد معمر القذافي هؤلاء المسلمين قادة ورؤساء ودعاة، ومصلين من عامة الناس الذين علموا من تواتر الأخبار في المدن والقرى والصحراء الإفريقية، بوصول الثائر المسلم معمر القذافي إلى أغاديس، فتدفقوا راكبين وراجلين على الواحة : كان الجميع على موعد يترقبونه سنوياً، ليشاركوا في التظاهرة الإسلامية الكبرى، احتفالاً بذكرى ميلاد ووفاة خاتم الرسل والنبيين محمد ﷺ.

إعداد :

التحرير

بالتعاون مع

صحيفة الدعوة الإسلامية

مع القائد معمر القذافي في أغاديس

أبو بكر صديق *

كان الشارع المؤدي إلى مطار مانديوك الدولي، في عاصمة جمهورية النيجير(أغاديس) مليئا باللوافت والملصقات الزاهية الألوان، ترحب كلماتها بمقدم القائد معمر القذافي في الضيوف الذين جاءوا من أرجاء العالم، ملبين دعوته لحضور فاعليات مولد الرسول ﷺ في هذا البلد من احدى حوافز الصحراء الكبرى.

وكنا قد وصلنا (أغاديس) قبل ذلك عبر الخطوط الأفريقية، وبسبب تعب السفر ارتاح زملائي بالفندق، ولكنني وبحكم اهتماماتي المهنية خرجت من الفندق



* مدير عام معهد باكستان للدراسات الإسلامية والعربية في إسلام أباد رئيس تحرير مجلة (المجلة الباكستانية) الأسبوعية.



لتفقد شوارع هذه المدينة التاريخية، التي لا تزال توجد فيها بصمات أولئك العظام من السلف الصالح، الذين ترعرعت وازدهت على أيديهم الحضارة الإسلامية في شمال وجنوب أفريقيا، وجدت سكان المدينة رجالاً ونساء كباراً وصغاراً يبتسمون للأجانب، كان منهم من ينتظر أن تحاوره، فيخبرك عن بلاده، ومن حسن حظي وجدت البعض منهم ممن يجيدون اللغة العربية، فتبادلت معهم أحاديث كثيرة وعرفت ما لم أكن أعرف

كلماتكم رسمت الطريق لمستقبل أفضل

لقد أخذتم بلباب الحاضرين – في ملتقى أغاديس – بتلك الكلمة الشاملة الجامعة، عن نبي هذه الأمة وعن عيسى وبشارته بمحمد، وعن الأناجيل، وعن عالمية الإسلام وعموم رسالته وبقائه إلى الأبد .

الإصغاء إليكم أيها القائد لا يمل، لأنكم تخاطبون القلوب قبل العقول، وتعبرون عن الواقع بكل ما فيه من ايجابيات وسلبيات، وترسمون الطريق لمستقبل أفضل، ملهمين في كل ذلك من دروس التاريخ، تاريخ الإنسانية، الذي ساهم فيه الإسلام بنصيب أكبر..

شكرا لكم وإلى الأمام معاً، لإسلام مستنير قوي خلاق، في عالم لا مكانة فيه للضعفاء.

هارون سامسا

المسؤول عن التربية والثقافة، في اتحاد المتطوعين للتربية والثقافة الإسلامية في السنغال

الاسلام دين الناس كافة

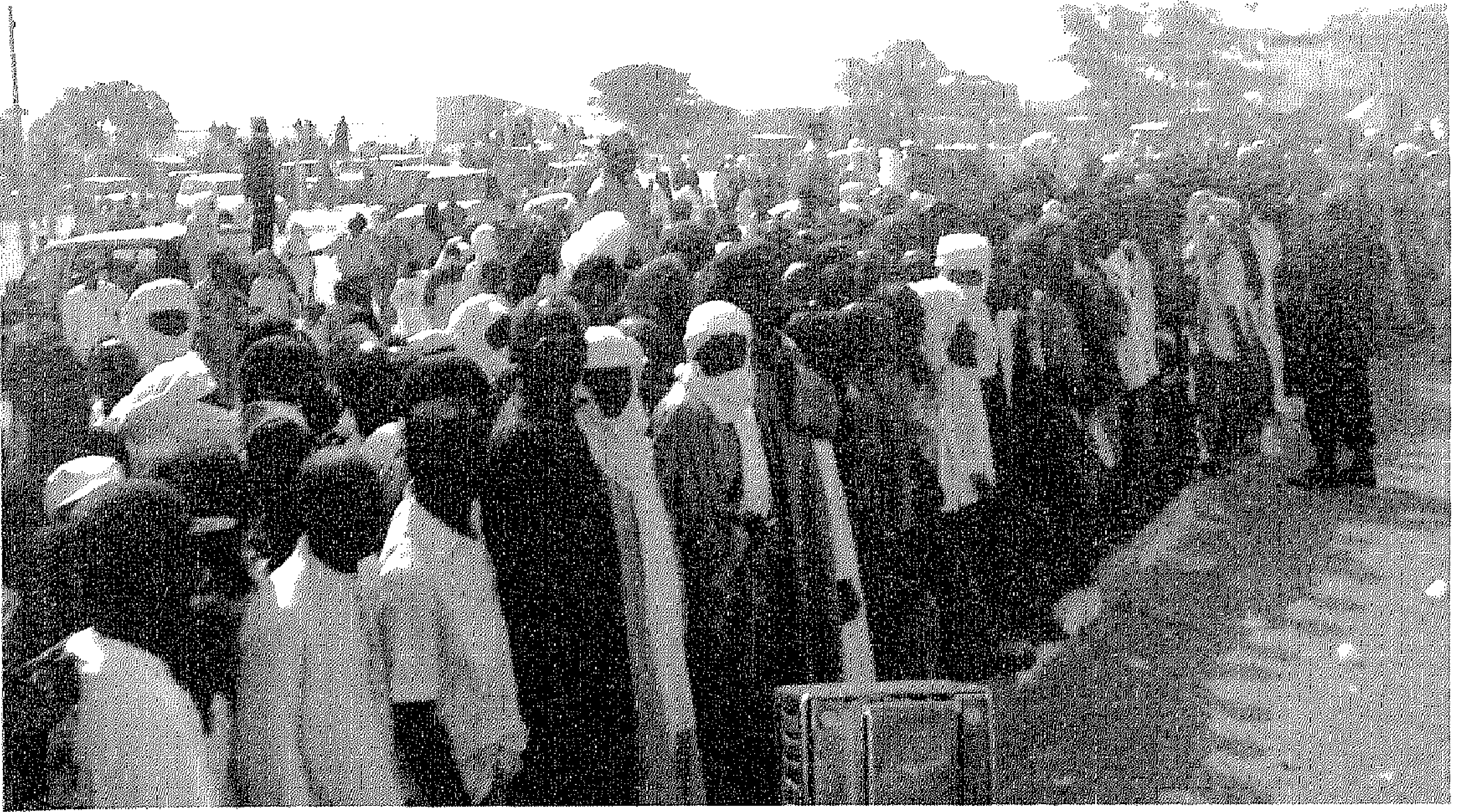
خاطب الأخ القائد المصلين موجها الحديث – من هذه المدينة الإفريقية الإسلامية التاريخية – إلى الأمة الإسلامية والعالم كله، مجددا التأكيد على أن اليوم الذي ولد فيه «محمد» خاتم النبيين ﷺ، والذي توفى فيه أيضاً، هو يوم عظيم في تاريخ البشرية،

وإن الإرادة الإلهية والحقائق الإلهية الواردة في القرآن الكريم، تبين أن النبي الوحيد، الذي صلى عليه الله وملائكته وطلب منا أن نصلي ونسلم عليه تسليما، هو النبي محمد بن عبد الله ﷺ، وأن الله سبحانه وتعالى خصه بأن ختم به الرسالات السماوية، وخص أهل بيت النبي بالطهارة، ولم يقل الصلاة والسلام عليهم، وأن ما ينسب للنبي محمد ﷺ من أشياء أخرى تقليداً للأنبياء الآخرين، هو غير صحيح : المسلمون يعترفون بمعجزة ولادة عيسى بدون أب، وكون عيسى يُحيي الموتى ويَشفي المرضى، لكن عيسى عليه السلام، أرسله الله إلى بني إسرائيل فقط، ليصحح شريعة موسى، ولا علاقة له بآسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا.

وشدد الأخ القائد على أن بقاء عدة أديان بعد دين محمد ﷺ هي أخطاء تاريخية خطيرة لأن الدين عند الله هو الإسلام.. والله قد أرسل محمداً للناس جميعاً، الله قد بعث للناس كافة رسولاً هو خاتم النبيين «محمد بن عبد الله» ﷺ، فهو النبي الوحيد الذي صلى عليه الله وملائكته، وطلب منا أن نصلي ونسلم عليه تسليماً:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: 56]







عن جمهورية النيجير، وفي هذه المناسبة فإنني أشيد بجهود مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية على التسهيلات التي حصلتُ عليها خلال تجوالي في هذه المدينة، التي أقيمت فيها انجازات إسلامية مرموقة، بدءاً من إنشاء وتطوير مهبط مطار (أغاديس) الدولي، إلى بناء المساجد والمدارس والعديد من المشاريع التنموية التي مولتها الجمعية والقيادة.

كان سكان المدينة في انتظار وصول القائد، ليسمعوا منه المزيد من التحليلات والإضاءات لمشاكل المسلمين، وتقوية أواصر الأخوة الإسلامية والإفريقية، وهذا ما لمسته من خلال الحوار مع البسطاء من الناس، الذين ينظرون إلى القائد باعتباره مصدرا للمعرفة الإسلامية الصحيحة.

كنا في يوم الجمعة على موعد لاستقبال القائد معمر القذافي، وكان استقبالاً فريداً من نوعه، حيث امتلأت الشوارع والساحات بالمواطنين النيجريين الذين جاءوا من كل فج عميق، في السيارات وعلى الإبل، تملأ الفرحة وجوههم، عندما أطل عليهم القائد، الذي كان من الممكن له إحياء هذه المناسبة في

مدينة طرابلس، ولكنه اختار هذه المدينة لإحيائها، تأكيداً على قناعته بأن النيجير هي مثل ليبيا تاريخاً وحضارة. سوف أتحدث عن ردود فعل الوفد الباكستاني على كلمة القائد معمر القذافي، التي ألقاها بالمناسبة في مقال مستقل، ويكفي الآن القول: إن الوفد الباكستاني اعتبر أن هذه الكلمة الجريئة هي بمثابة رسالة واضحة إلى الغرب.

على العموم، كانت الرحلة موفقة وتعلمنا منها الكثير الكثير، من خلال التواصل مع الآخرين، كما أنني فرحت عندما رأيت في كلمة القائد، مدخلاً للتقريب بين مختلف المذاهب والتيارات الإسلامية، وقد ساعد على ذلك حضور الكثير من الفاعليات الإسلامية إلى (أغاديس) على اختلاف مذاهبهم الفقهية، حيث جرت محاورات هادئة، من غير تعصب أو تشدد، بين هؤلاء جميعاً والفضل في ذلك بعد الله عز وجل، يعود إلى القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية.

تشرفنا بحضور الاحتفالات في أغاديس

لقد تشرفنا بحضور الاحتفالات في أغاديس، التي تدل على تمسككم بإقامة الشعائر الإسلامية، والحرص على تأديتها، وهذا ليس بالغريب عليكم، نظراً لانحداركم من السلالة الطاهرة التي تعود لجدكم رسول الله ﷺ.

وقد كان هذا جلياً، من خلال خطابكم العظيم بتلك المناسبة العطرة، والتي دعوتم فيها لإنشاء الدولة الفاطمية، التي يعرف بدلالاتها القاصي والداني، لما تحمله من المعاني الإسلامية السمحة وتطبيق شرع الله.

جزاكم الله عن الأمة الإسلامية جمعاء، خير الجزاء وسدد الله على طريق الخير خطاكم.

عشائر مدينة معان الأردنية

كل الرسل خصهم الله بالسلام، أما محمد ﷺ، فخصه الله بالصلاة والسلام. وأسمع كثيراً من الفقهاء يقولون «كما صليت على إبراهيم» وهذا غير صحيح.. فالله خص السلام على إبراهيم وليس الصلاة، إنما الصلاة لمحمد فقط.

إن الله خص أهل البيت.. بيت النبي، بالطهارة، ولكن لم يقل الصلاة أو السلام عليهم.. فالصلاة والسلام على محمد فقط. الشيء الآخر الذي خص به الله سبحانه وتعالى النبي محمداً ﷺ هو أنه قد ختم به الرسالات السماوية، فهو خاتم النبيين. هذه هي الإرادة الإلهية وهذه الحقائق الإلهية الواردة في القرآن الكريم. أما ما يوصف به النبي من أشياء أخرى تقليدا لأنبياء آخرين، هذا غير صحيح ف «محمد» يكفيه أنه هو خاتم النبيين وأن الله خصه بالصلاة عليه. الله قال له في القرآن الكريم:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

[سورة الأعراف، الآية: 158]

بينما قال عن عيسى:

﴿...مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾

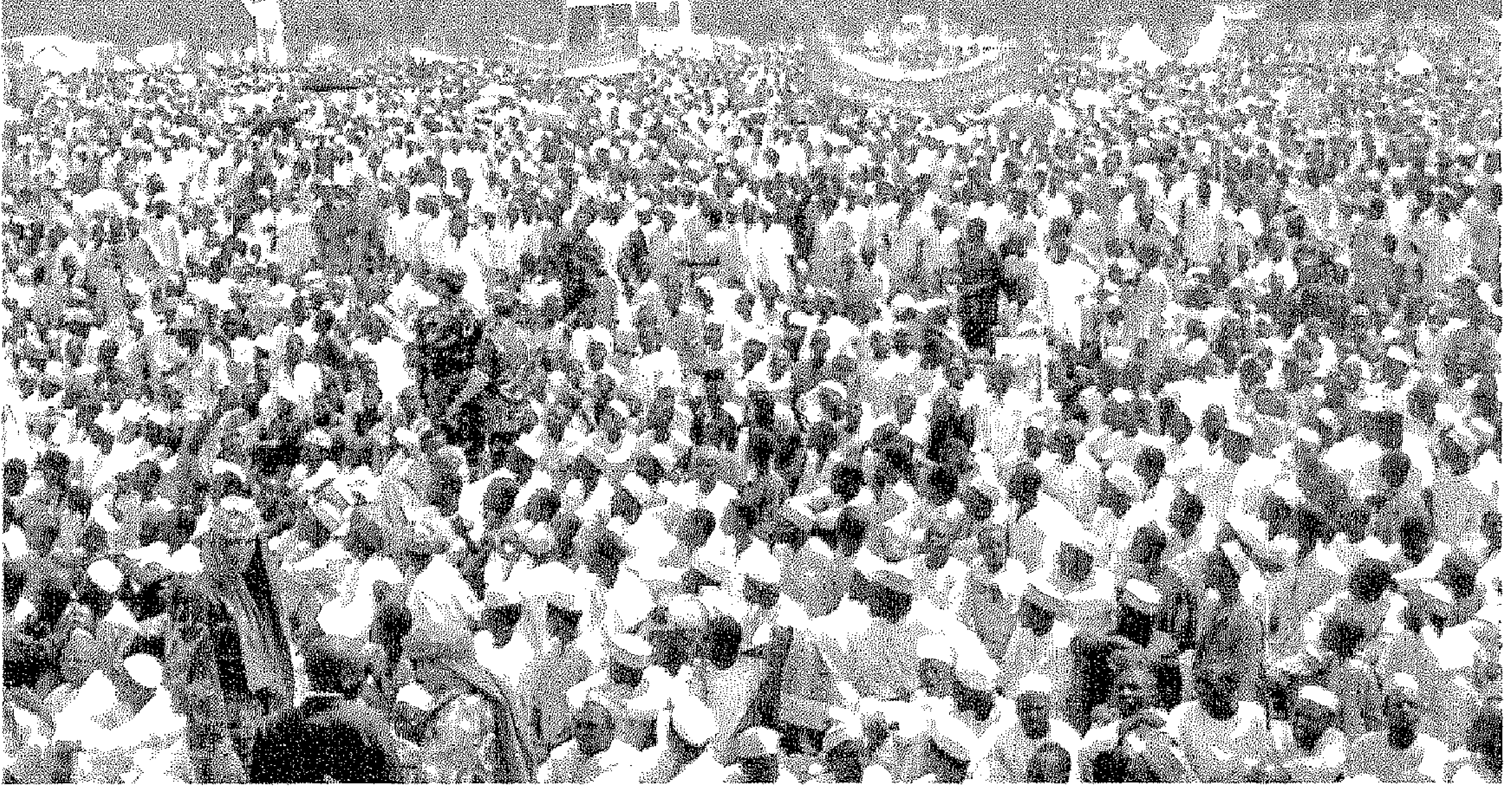
[سورة الصف، الآية: 6]

عيسى عليه السلام لم يرسل إلى آسيا ولا إلى أوروبا ولا أمريكا ولا إفريقيا.. هؤلاء غير معنيين برسالة عيسى، لأن عيسى مُرسل إلى بني إسرائيل فقط ليصحح شريعة موسى. وقال عيسى لبني إسرائيل

﴿...مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [سورة الصف، الآية: 6]

إستراتيجية المواقف

د.محمد شيخاني *



الأخ معمر القذافي، هو خير من يوظف الزمان والمكان؛ فالزمان ذكرى ميلاد ووفاة محمد خاتم النبيين والرسل ﷺ، والمكان الذي اختاره هو مراكز قيادات الدعوة والممالك الإسلامية عبر تاريخ طويل في الصحراء الكبرى، إنها رحلة مكانية عبر ذكرى المولد النبوي الشريف:

من كانو إلى تمبكتو.. ثم إلى أغاديس في النيجر.

لقد كان لهذه المواقع تاريخها الإسلامي وامتدادها الجغرافي، فمنها عبرت قوافل الدعاة إلى كل إفريقيا، وفي قدرة مبدعة يقوم معمر القذافي، بإعادة اللحمة بين الإسلام - الذي يحاربه أعداؤه - وهذه المراكز المهمة التي كان لها الدور القيادي في توسع الدعوة الإسلامية عبر الجنوب، فهذا الاختيار مبني على فكرة متجذرة في فكر الأخ معمر القذافي، لكونه قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، يعيد مجد الإسلام، الذي كان متألقاً تاريخياً وعراقة وأصالة، في هذه الأماكن المنسية، وإن دلت هذه الاستراتيجية فإنها تدل على فكر واقعي ومستقبلي مدروس ومبرمج، لتكوين الرأي العام الإسلامي في كل أصقاع إفريقيا، منطلقا من هذه المثابات الإسلامية عبر التاريخ، وهو يحلل الأسباب التي عمل لها الاستعمار، عبر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، قطيعة لغوية وثقافية ودينية وروحية

* كاتب، أستاذ جامعي / سورية.

في كل أرجاء هذه المنطقة، بخطة مدروسة عبر مراكز البحث العلمي عند المستشرقين والمنصرين، بإرسال البعثات التنصيرية، وبأسلوب مكشوف لاستمالة المثقفين والمفكرين والعلماء والحكام، لينهلوا من الغرب علومهم ولغاتهم، وبذلك تتحقق حالة فراغ كبير، يتولد منها فقدان الهوية القومية والثقافة العربية والإسلامية، مع العمل المستمر لإبعاد المسلمين عن اللغة العربية، التي تكون أداة الاتصال الوثيق بين هذه الصحراء الكبرى والأمة العربية والإسلامية، وبذلك يحققون ما تصبو إليه نفوسهم، فبدأ يفكر بالأمر وخطورته، فنادى - وبكل قوة وشجاعة وإباء العربي المسلم الأصيل - لتجميع القبائل العربية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى صحراء العراق مروراً بالصحراء الكبرى من كل أقاليمها في الجزائر ومالي والنيجر ونيجيريا وليبيا ومصر والأردن وسوريا والجزيرة العربية، لتكون قوة متعاونة فيما بينها،

خطابكم أظهر الحقائق

نفتخر بالقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، التي نعتبرها رحمان الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

إننا حقاً أعجبنا بخطابكم التاريخي، في الميدان الكبير بأغاديس، الذي أظهرتم فيه حقيقة تاريخية، لطالما أخطأت فيها الكثير من الشعوب، ألا وهي كون الإسلام هو الدين العالمي الوحيد من بين الأديان .

إنه لتحد تاريخي ومبادرة مباركة، من شأنها أن تحبط كافة المؤامرات الغربية لتمزيق الأمة، وتؤكد على ثوابت هذه الأمة وتماسكها.

فامض أيها القائد، فنحن معك والشعوب الإسلامية معك.

والله الموفق والمعين ..

مشيخة الطرق الصوفية في الباكستان

نحن نبحث عن الإنجيل الذي فيه كلام الله لعيسى، أين هو؟، إنه غير موجود الآن. إذن الإنجيل الموجود الآن ليس هو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، لأن الإنجيل الحقيقي مذكور فيه «محمد».. والإنجيل الذي بين أيدينا الآن غير موجود فيه اسم «محمد» الذي سيأتي بعد عيسى. وهذا يؤكد لنا أن ما يسمى بالكتاب المقدس الآن، هو ليس الكتاب المقدس الذي أنزله الله على موسى ولا على عيسى، هذا كتبه الرسل بعد عيسى وبعد موسى بمئات السنين. هناك «بايبل» إسمه (بايبل القديس برنابا) مذكور فيه محمد، وهذا هو الذي يبدو صحيحاً، وهذا أُحرق.. أُعدم.. اختفى نهائياً من العالم. إذن عيسى مرسل لبني إسرائيل، فقط، ومحمد مرسل للناس كافة.الأمم الأخرى التي هي غير بني إسرائيل ليست معنية برسالة عيسى إطلاقاً، ولكنها معنية برسالة محمد ﷺ، لأن محمداً خاتم النبيين ومرسل للناس كافة، هذا عصر العلم وثورة المعلومات.. ولا بد أن يفهم الناس حقائق الدين. لكن يجب الإيمان بعيسى كنبي لبني إسرائيل وأن ميلاده كان معجزة إلهية. ومن أجل أن يثبت الله نبوة عيسى لبني إسرائيل وأنه مبشر بنبي يأتي من بعده وهو النبي محمد، مكّنه بمعجزات لم يمكّن منها أي رسول آخر. عيسى ويحيي الموتى بإذن الله ويشفي المرضى بإذن الله، وينزل المائدة من السماء بإذن الله. فالله يطلب من أتباع موسى وعيسى أن يتبعوا محمداً الذي يصفه في القرآن بأنه الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل؛ أين التوراة والإنجيل المذكور فيهما محمدﷺ؟. القرآن قال هكذا، قال مذكور في

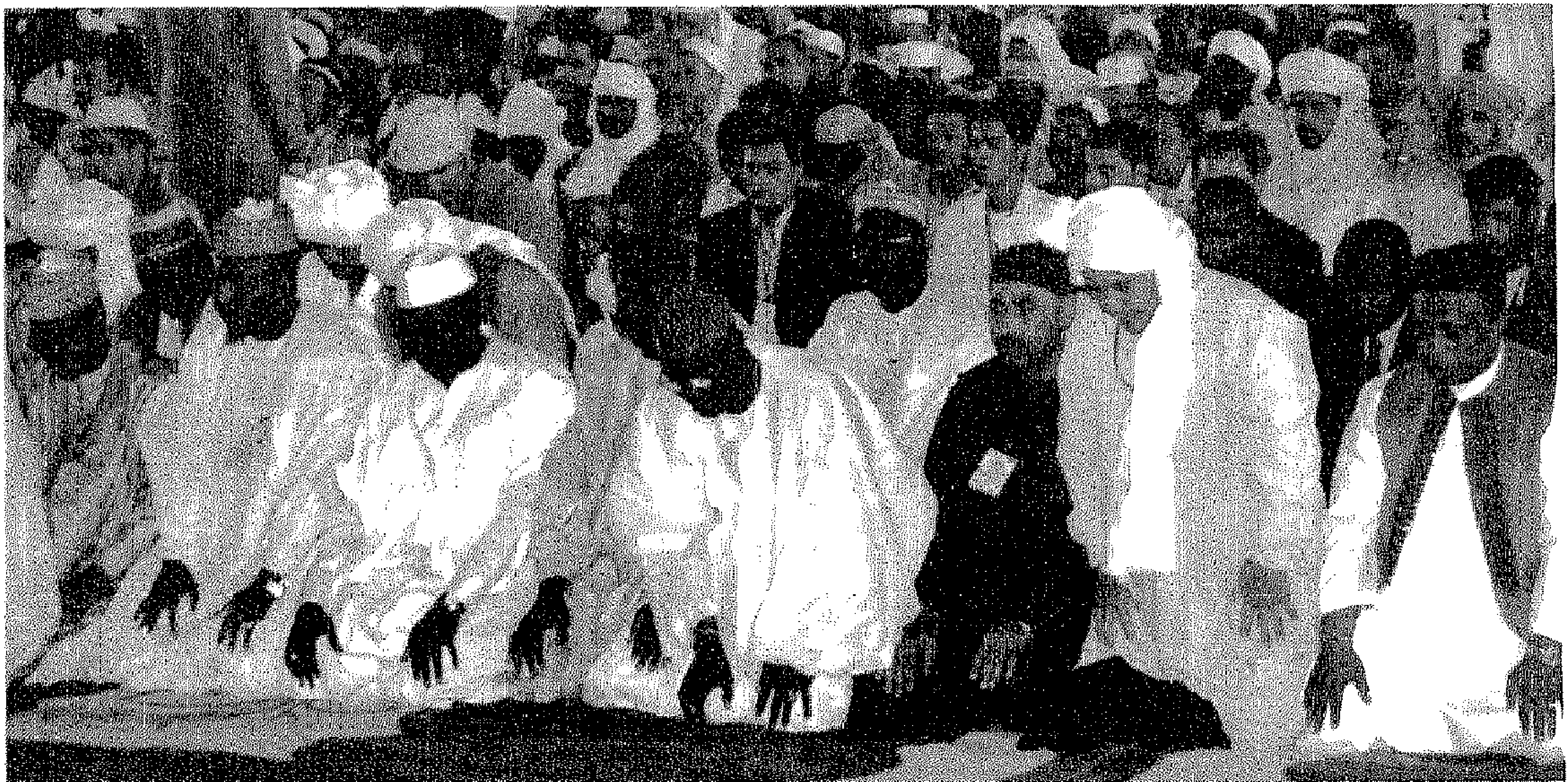
لاستعادة حقها المسلوب من الاستعمار، وليجعلها سداً منيعاً ضد الشمال، ليمنعه أن يجتاح المنطقة، وهذه مواقف استراتيجية بعيدة المدى، واسعة التطلعات، ايجابية في كل أطروحاته ودفاعه عن المنطقة كلها.

فهذا اللقاء وهذا الخطاب، وهذا التجمع المستمر لاعادة وتثبيت الهوية العربية والإسلامية، وهي عملية ذكية جداً، وتدل على مرتكزات عميقة يريد تحقيقها، كما يريد إعادة التفكير الجذري لهذا المنطقة، لتحصين شعوبها من كل عدوان فكري وثقافي وديني واقتصادي، وعلى رأسه الوقوف أمام التنصير، لأنه قال: «إن المسيح لم يأت لافريقيا ولا أوروبا ولا لأمريكا، وإنما جاء لحراف بني اسرائيل، ليصحح لهم شريعتهم المنحرفة»، ويؤكد أن دعوة الأنبياء كلهم كانت لأقوامهم، عدا الرسول محمد ـ خاتم النبيين والرسل عليه الصلاة والسلام ـ فكانت دعوته عالمية، ولذلك على الأفارقة أن يبحثوا عن الرسالة العالمية الخاتمة التي جاء بها محمدﷺ، والذي يسوي بين الأبيض والأسود؛ وأشار بشكل رائع إلى الأناجيل الحقيقية، وأكد عدم وجودها، إلا انجيل برنابا الذي حاولوا إخفاءه، لأنه أشار في ستين موضعاً بمجيء الرسول العربي محمد ﷺ الذي سيرسل بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين.

إن الحقائق المستفادة من خطاب أغاديس، إنما هي تركيز وتعميق لكل المقالات التي طرحها معمر القذافي في تمبكتو وفي كانو، حيث قام بتأصيل الاستدلال العقلي والعلمي، للاستمرار في الهوية الإسلامية لهذه المنطقة، التي كانت منطلقا للدعوة، ولقد أوصل دعوته للجماهير والحكام ورؤساء القبائل، محذراً من مخططات الإستعمارالذي يريد استعمارهم اقتصاديًا وسلب خيراتهم، وإبقاء هذه المنطقة مجزأة تتناحر فيما بينها بايجاد الفتنة المذهبية والعرقية والاقليمية.

والإسلام قادر بعمقه التربوي والروحي، أن يجمع بين أبناء هذه الشعوب ويوحد كلمتهم، لأنه يحمل مشاعل الحرية والكرامة والمساواة والوحدة، ولا يحمل الغرب الاستعماري لهذه المنطقة إلا الاستغلال والتجزئة والتمزيق والفتن والحروب واستلاب المواد الخام، لابقاء الشعوب في حالة من الفقر والمرض والجهل، وفقدان الهوية الجامعة لهم في ظل العقيدة الإسلامية.

ومن المحاولات المكشوفة للاستعمار، لإنهاء الصلة



الصلاة الجامعة ـ أغاديس

بين هذه المناطق، التي كانت مراكز وممالك إسلامية، ومراكز اشعاع حضاري وفكري وديني وروحي، عمل جاهدا لبث فكرة مذهبي الشيعة والسنة، لايجاد الفتنة وايجاد القطيعة مع العالم العربي والإسلامي، فأكد عروبة القبائل، فهي قبائل عربية الأصل، عربية الجذور، جاءت قبل الإسلام ومع الإسلام وبعد الفتوحات الإسلامية، وعالج موضوع الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة، بأسلوب رائع داحضاً كل أساليب الاستعمار، وقال: إن كل مسلم يحب عليا ويحب آل البيت، فكلنا شيعة لعلي ولأهل بيت الرسولﷺ.

والعرب كلهم بايعوا الإمام علي رضي الله عنه، وأحبوه وآل بيت الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولم يكن الشعب الإيراني إلا مسلما يعمل بسنة النبيﷺ، ويحبون علياً وآل بيته، وإن حب علي وآل بيت الرسولﷺ ليس حكراً على الفرس وليس هو مذهباً، وإنما يمثل كل المسلمين الذي أحبوا سنته وشايعوا آل بيته، فلو أجرينا ـ كما قال الأخ معمر القذافي في خطابه

نؤيد ما جاء في خطابكم

نؤيد كل ما جاء في خطابكم بأغاديس بالنيجر، في تلك الليلة المباركة لبيلة مولد المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، والتي باركها الله بهطول الأمطار التي غابت طويلاً عن أهل أغاديس.

وبفضلكم تم إسلام ذلك العدد الكبير أمامكم .

ونؤيد ما جاء في خطابكم عن الدولة الفاطمية، وعما تحدثتم عن الشيعة والسنة، وعملكم الدؤوب لتوحيد قبائل الصحراء والساحل، وانجازكم الكبير في إفريقيا بقيام الاتحاد الإفريقي، وخطواتكم المباركة بإذن الله للم شمل إفريقيا وتسوية المشاكل بين السودان وتشاد.

سدد الله خطاكم وأعانكم بفيض من عنده على طريق النصر والسؤدد .

أبناء قبيلة الحلاوين بالسودان

التوراة والإنجيل، لكن التوراة والإنجيل التي بين أيدينا ليس فيهما ذكر لمحمد، إذن هاتين ليستا التوراة والإنجيل الصحيحتين.

وفاة محمدﷺ حدث كوني عظيم

في كل الأحوال نحن الآن نؤرخ بميلاد عيسى، وهو جدير بالتأريخ به، لأن ميلاده كان معجزة من الله. لكن لماذا لا نؤرخ بوفاة محمدﷺ؟ فوفاة محمدﷺ هي أيضاً حدث كوني عظيم، لأن وفاة محمدﷺ هي وفاة آخر نبي يرسله الله للبشر.. وفاة محمدﷺ تعني صمت السماء نهائياً عن الكلام وعن الاتصال بالأرض مباشرة، عن طريق الرسل إلى يوم القيامة.الله من آدم إلى محمد يرسل الرسل ويخاطب البشر والسماء على اتصال بالأرض إلى أن انتهى هذا بوفاة محمدﷺ، فمنذ 1375 عاماً توقف الوحي نهائياً عن البشر.إذن لا بد أن نؤرخ بتاريخ وفاة محمدﷺ.. هذا حدث كوني عظيم.

إذن يجب على العالم أن يؤرخ اعتباراً من الآن ويقول مرَّ 2007 سنوات على ميلاد عيسى المعجزة و1375 عاماً على وفاة محمدﷺ خاتم النبيين. لماذا نؤرخ بميلاد عيسى ولا نؤرخ بوفاة محمدﷺ.. لماذا؟. السبب لأن المسلمين ضعفاء مغلوبون على أمرهم. نحن الآن نصحح وفقاً للقرآن الوضع الخطأ الموجود فيه العالم.. نحن لم نأتِ بحاجة من عندنا.كون عيسى عليه السلام ولد دون أب، هذه معجزة.. كون عيسى يُحيي الموتى بإذن الله ويشفي المرضى بإذن الله، هذه معجزة ونعترف بها. لكن هذا لا يعني أن عيسى نبي لإفريقيا، أو لأوروبا، أو لأمريكا، أو لآسيا، هو نبي لبني إسرائيل فقط. لو أن عيسى «عليه السلام» حي

التـاريـخـي الـهـام - اسـتـفـتـاء في كل الـعـالم الـعـربـي والإسلامي، لوجدناهم كلهم يحبون عليا وآل بيته، أكثر من معاوية ويزيد وغيره، وجاء بأدلة علمية تاريخية، بأن أول دولة شيعية تأسست في شمال إفريقيا هي الدولة الفاطمية، بعد شيخوخة الدولة العباسية وترهلها وتمزقها، وإذا أرادوا هذه الفتن فنحن سنشكل الدولة الفاطمية الجديدة الممتدة في كل شمال إفريقيا، وفي كل العالم العربي والإسلامي بمفهومه الإسلامي الجامع، مع التأكيد على العمل بالسنة النبوية المعتمدة على القرآن الكريم ومسترشدة بكل التراث الفقهي، كأفكار تفسيرية مساعدة وليست كمذاهب للتعصب والتقوقع، فليس في الإسلام مسجد شيعي ومسجد سني، واستشهد بالآية القرآنية:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

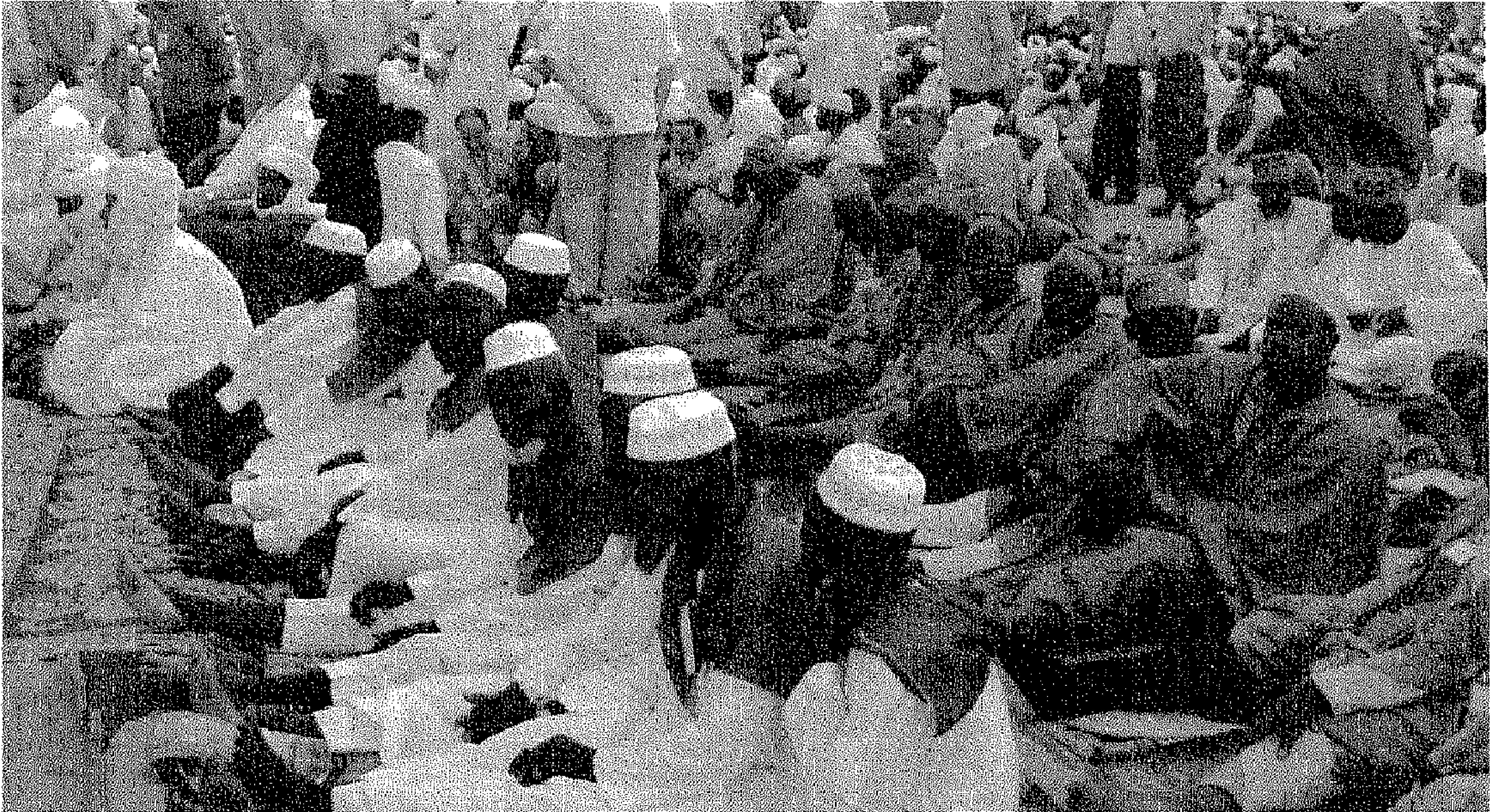
[سورة الجنّ، الآية: 18]

فما بال هؤلاء الذين يعملون لتمزيق الأمة، ولا يعلمون أن المؤمنين إخوة لا يفرق بينهم أي عرق أو لون أو إقليم فهم كلهم مسلمون.

فالمتأمل لخطاب الأخ معمر القذافي في أغاديس، يشعر بالبعد الاستراتيجي لفكر إسلامي عميق، يعي الأحداث ويفهم الواقع، ويستقرئ المستقبل ويعمل جاهداً لايجاد الحلول القريبة والبعيدة المدى، لتوعية الشعوب وكل الذين لم يتعمقوا في الأبعاد المتجذرة في أطروحاته العقدية، والتاريخية والتوثيقية، وما هي إلا صرخة مدوية في أعماق إفريقيا لتعود إلى رشدها، وتعيش حاضرها ومستقبلها مع الذين يحبونها وينظرون إليها كشعوب في إنسانيتها وأُخوتها بالمساواة، حيث قال الرسول ﷺ «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح» وإن أول من وقف على الكعبة، بعد فتح مكة، ينادي بالأذان هو بلال الحبشي رضي الله عنه، ينادي الله أكبر الله أكبر، ويستصرخ همم العلماء والمثقفين والحكام والشعوب لتعلم أن كل رسول جاء لقومه إلا محمد ﷺ كان عالمي الدعوة وخاتم المرسلين ورحمة للعالمين ورسالته هي الإسلام دين التوحيد، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾

[سورة آل عِمرَان، الآية: 19]



أغاديس، جموع المهتدين

واستشهد بآية أخرى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 85]

وما كان المسيح عليه السلام، إلا لحراف بني إسرائيل، لتصحيح شريعتهم الضالة، وكأنه يقول لهم: إياكم إياكم من هذا الزحف الاستعماري الغربي والتنصيري، والذين يريدون استغلالكم باسم المسيح عليه السلام، الذي لو كان موجوداً ما وسعه إلا اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، وحاور المسيحية ـ بواقعها المنحرف ـ التي جاء بها بولس الرسول الذي حول الرسالة إلى عالمية، وحرفها عن مسارها التوحيدي، إلى عبادة وثنية وإشراك المسيح بالعبودية كابن للإله، وأنه هو الله، قد حل فيه اللاهوت بالناسوت . الخطاب عميق الفكرة، واسع الدلالات، مبني على حكمة وعقلية مدركة لأبعاد المؤامرة الدولية الغربية والأمريكية والصهيونية، ولم ينس أن يذكر العالم العربي والإسلامي والشعوب العربية والإسلامية بدورها الكبير لإعادة حقوقها المسلوبة باسم حكومات إسلامية لا تعي دورها في مشاركة الشعوب بالشورى الحقيقية والديمقراطية المباشرة، وتكامل اللقاء الأول مع اللقاء الثاني بخطاب متكامل الأبعاد لإعادة مجد العروبة والإسلام وإحقاق الحق للشعوب الإفريقية التي تحاول المؤامرات تجذير الخلاف بينها.

وكان القائد معمر القذافي واضحاً في تأكيده على أن الإسلام الحقيقي في مصادره المتكاملة هو الحل لكل النزاعات الإقليمية، وأوجد قنوات متعددة وخطوطاً عريضة تحتاج إلى مجلدات لشرحها، وقد أثار اشعاعات وومضات فكرية روحية للعودة إلى القيم العربية والإسلامية والإنسانية، التي جاء بها الإسلام العظيم وأثبت أنه المجدد والمفكر الذي وعى دوره في قيادة القيادات الشعبية الإسلامية العالمية بتنظير وتخطيط وعمق الإدراك للواقع والحاضر والمستقبل؛ لقد انتقل الأخ القائد في خطابه، من أفق إلى أفق، عبر فكر رائد متألق.

عندما أرسل محمد، لأصبح تابعاً لمحمد ﷺ. أن تبقى عدة أديان بعد محمد، هذه أخطاء تاريخية خطيرة. الدين يجب أن يكون واحداً بعد محمد..

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 19]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: 85]

هذه إحدى الحقائق الكونية. الخطأ الآخر الذي خدع الناس البسطاء هو ادعاؤهم أن عيسى صلب نفسه ليغفر ذنوب تابعيه، وعيسى لم يُصلب ولم يُقتل

﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾

[سورة النساء، الآية: 157]

﴿...وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

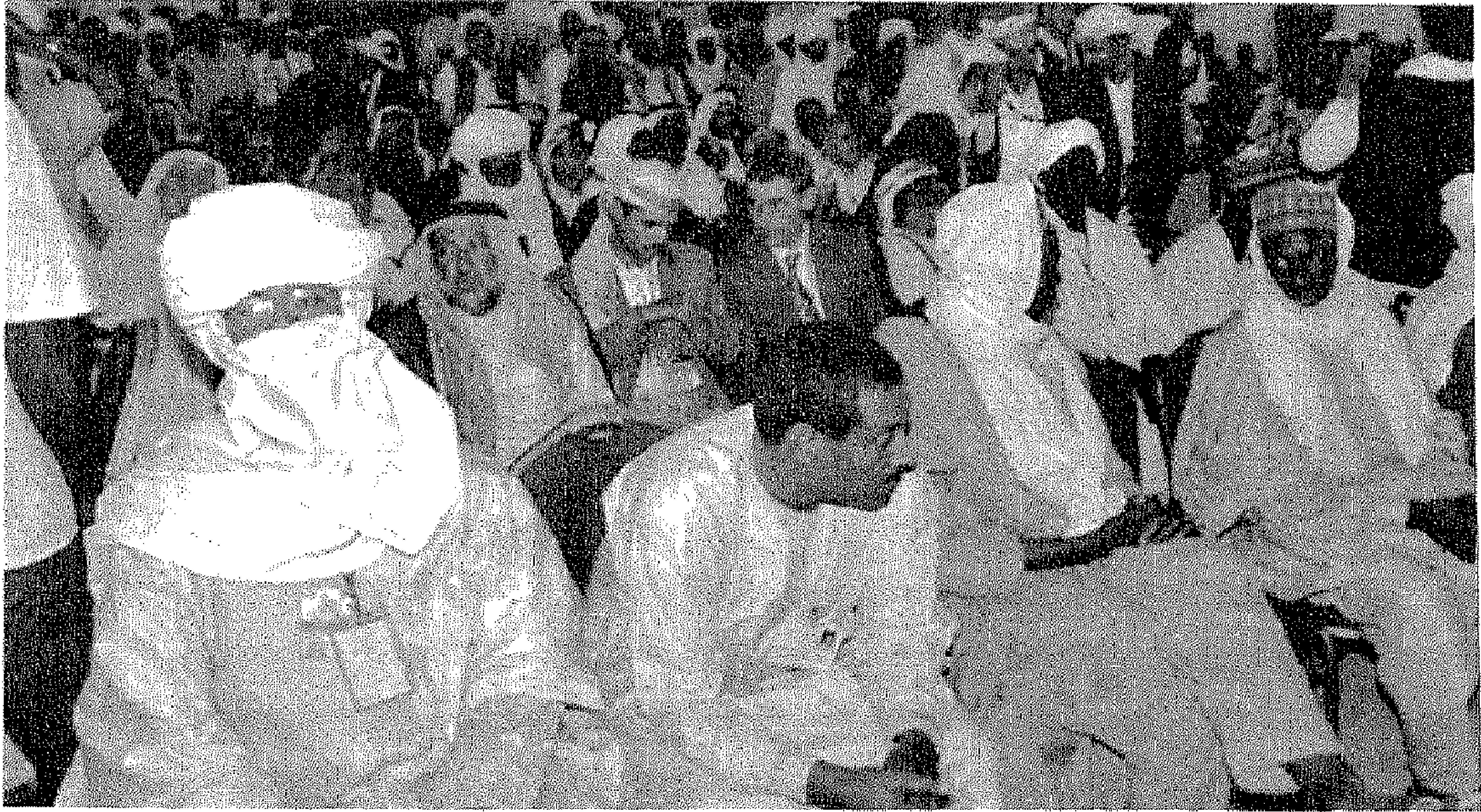
[سورة النساء، الآية: 157]

فالذي صُلب منذ 2040 عامًا هو شخص آخر يشبه عيسى وليس عيسى.. عيسى لم يُصلب. الكتاب الموجود بين أيدينا، ليس كلام الله.. كُتب بعد وفاة عيسى بمئات السنين، يقول: إن عملية الصلب حضرتها مريم وحضرتها مريم المجدلية وربما يوسف النجار وبعض التلاميذ، هم كلهم يعرفون أنه لم يكن عيسى. ولكن مثلوا أن هذا هو عيسى لكي يحموا عيسى الحقيقي من المطاردة، لأنه كان مطارَداً في ذلك الوقت. هذا كلام قاله الله، ولم نقله نحن. كل الكلام الذي قلته هو كلام الله.. نحن لم نكن نعرف هذه الحقائق إلا عندما قالها الله لنا في القرآن ولم نأتِ بها من عندنا.. الله يقول لعيسى:

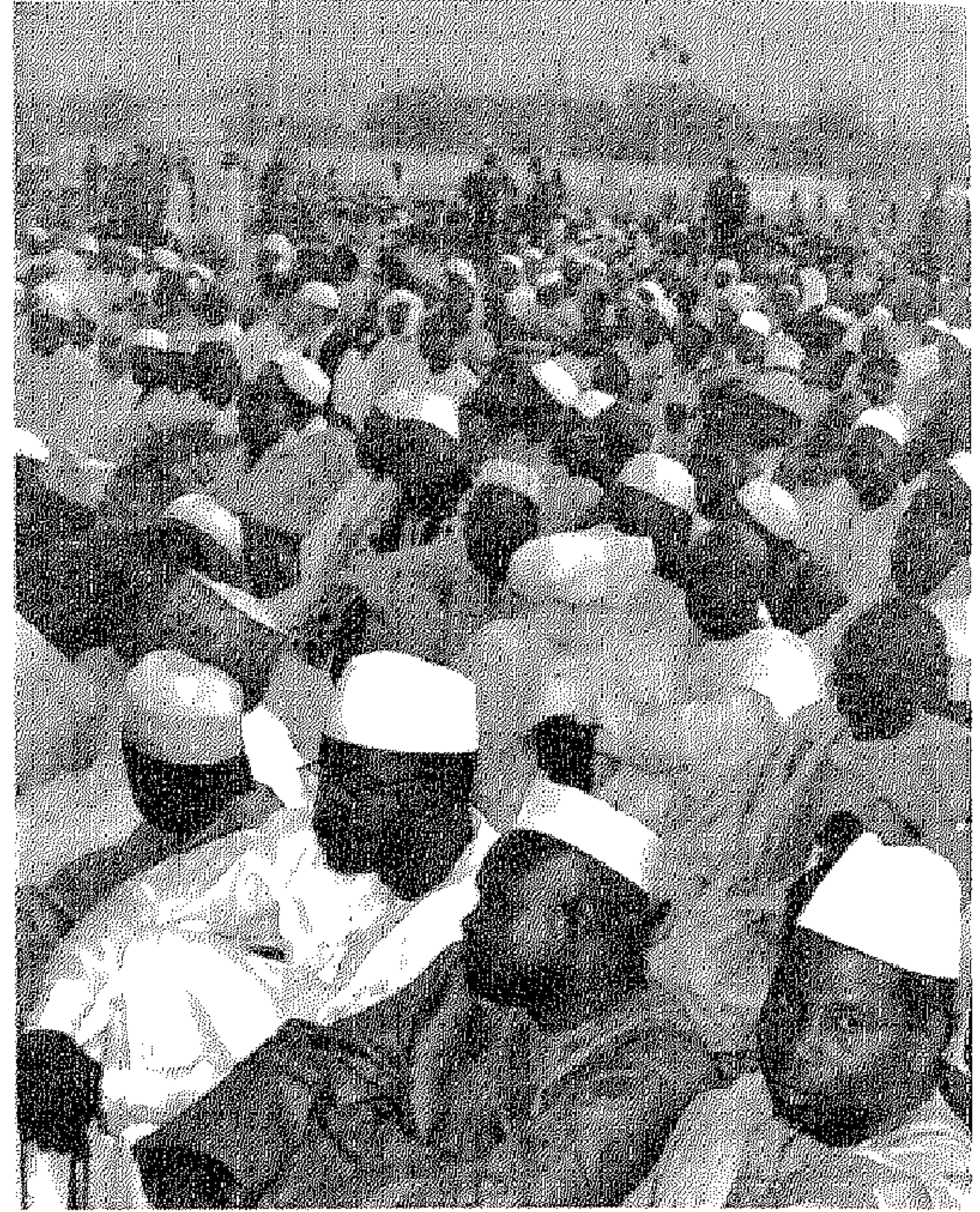
حواضر الإسلام في إفريقيا تستعيد بريقها

بلال حسن التل *

للإسلام مع الصحراء العربية علاقة طويلة، فالصحراء العربية كانت ولا زالت جزءًا حيًّا نابضًا، من هذه الأمة وتاريخها ووجودها، وهي بامتدادها من الخليج العربي شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر الأبيض شمالاً، وحتى قلب إفريقيا السمراء جنوبًا، جزء لا يتجزأ من العروبة والإسلام، وقبل ذلك، هي مهد لكل حضارة عرفتها قارات العالم القديم، ابتداء من الحضارة الفرعونية، وانتهاء بالحضارة الإسلامية، مرورًا بحضارة الرافدين في بلاد العراق، وبالحضارة الرومانية التي- برغم ادعاءات الأوروبيين. كان مركزها ومصدر إشعاعها الحضاري دمشق المتربعة على أطراف الصحراء العربية، وحتى الحضارة الإغريقية التي كثرت المزاعم حول كونها حضارة أوروبية خالصة، فإن



* كاتب، باحث / مدير المركز الأردني للدراسات والمعلومات / الأردن.



عمقها الاستراتيجي وكثيرًا من مكوناتها جاءت من هذه الأرض الطيبة من الصحراء العربية، وطن العرب والعروبة؛ فمن العرب العاربة، ، الذين نزلوا من جبال اليمن، والعرب المستعربة أبناء إسماعيل (عليه السلام)، وبين أحضانها تكونت القبائل كلها، ابتداءً من بني قحطان حمير وكهلان، مرورًا ببني عدنان مضر وربيعة، وصولاً إلى قبائل اليوم، مثل شمر وعنزة وقبائل الطوارق الممتدة على طول إفريقيا وعرضها، وكما أن الصحراء العربية ذات أياد بيضاء على العرب والعروبة، فهي أيضًا ذات صنيع حسن مع الإسلام، ففي مكة القابعة في قلب الصحراء، ولد هذا الدين وترعرع، ومن فيافي المدينة انطلقت رسائل الهداية إلى أصقاع الأرض وكل شعوب البسيطة، وكانت الصحراء الحضن الحاني والحامي لهذا الدين، فوقفت سدًا منيعًا في وجه الغزاة والطامعين، وحمت الإسلام في منشئة حتى قوي واشتد عوده، وأضاء العالم بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسيف وسفك الدماء كما يزعم خصومه، وليس سرًا أن جهود الداعية المسلم سواء أكان تاجرًا أو مسافرًا، هي التي عرّفت بهذا الدين،

﴿... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 55]

حتى العبادات الموجودة الآن التي يقوم بها أتباع عيسى، لم يقلها عيسى.. الحركات التي تعني الصليب، هذه لم يعملها عيسى لأن عيسى في ذلك الوقت لم يُصلب حتى حسب اعتقادهم.

إن صورة عيسى وتمثال عيسى أو مريم التي توضع أمامهم في الصلاة، وثنية لم يقلها عيسى.

حتى الصلوات التي الآن يمارسها أتباع عيسى، ليست هي التي قال بها عيسى أبداً.

إذا كنت من بني إسرائيل يمكن أن تكون مسيحياً، أما إذا كنت لست من بني إسرائيل فما علاقتك بالمسيحية؟ فأنت لست معنياً بها أبداً.

❖❖❖

قبائل العرب تلتقي في أغاديس

تميزت احتفالية أغاديس، بانعقاد الملتقى الثاني لقبائل الصحراء الكبرى، وهو حدث إسلامي تاريخي يشهده المسلمون للمرة الثانية، وكان شيوخ وسلاطين وفعاليات هذه القبائل تقاطروا على أغاديس من السنغال وموريتانيا غرباً ومن العراق شرقاً مروراً بشمال إفريقيا ووادي النيل وبادية الشام والجزيرة العربية والقرن الإفريقي والسودان وتشاد والنيجر.

وألقى الأخ معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في هذا الملتقى التاريخي الشامل خطابا فيما يلي نصه :

نؤمن بكل الأنبياء

باسم الله

في البداية أشعر أنني عاجز عن التعبير

وكم فوجئ الفاتحون وهم على أعتاب بلاد مسلمة، أن الذين سبقوهم إليها من الدعاة والتجار المسلمين، قد فتحوها بحسن الخلق والموعظة الحسنة.



خطابكم جدد دعوة الإسلام

إفريقيا بين العروبة والإسلام

منذ بداية الإسلام وفجره الأول، كان لإفريقيا نصيب كبير فيه، فإليها كانت هجرة المسلمين الأولى والثانية، وكانت الحبشة أول دولة تحالف المسلمين وتحميهم، وكان النجاشي أول حاكم يدخل في هذا الدين، ومن هناك بدأ انتشار الإسلام في إفريقيا، وتوغله فيها حتى وصل إلى كل بقاعها شرقًا وغربًا، وأقام فيها دوله وممالكه، وحتى إمبراطوريته الإسلامية، وبقيت إفريقيا عامرة مزدهرة طوال فترة قوة الإسلام، وازدهاره فيها، حتى دخلها الرجل الأوروبي الأبيض، غازيًا مستعمرًا، فدمر حضاراتها واستعبد الملايين من أبنائها واستنزف ثرواتها، ولولا ذلك الغزو والاستنزاف لكان لإفريقيا شأن كبير، من العلو والرفعة والقوة، ونتيجة لهذا التدهور حدثت القطيعة بين إفريقيا وخلفيتها التاريخية والثقافية، أي الإسلام أولاً، والعروبة ثانيًا، وطالت القطيعة قرابة ثلاثة قرون، ثم عادت الأواصر العربية الإفريقية، تنمو من جديد، لكن هذا النمو كان في بداياته نموًا بطيئًا

لقد أحسسنا بقوة دعوية جديدة، وعزيمة متجددة مما سمعنا منكم، وشاهدنا بأم أعيننا من دخول الكثير من الناس الإسلام في الساحة الكبرى بمدينة أغاديس.

الشكر لكم من الأعماق على خطابكم هذا، والخطاب الثاني الذي ألقيتموه أمام رؤساء القبائل العربية والإفريقية، فأشرتم فيه إلى ضرورة الوقوف ضد التطاول الغبي، لتفريق الأمة وإشعال فتيل الحرب فيما بينها.

إن نيتكم لإقامة دولة فاطمية في الشمال الإفريقي، على غرار الدولة الفاطمية الأولى، خطوة تاريخية عملاقة ستنهي ما يعاني منه العالم الإسلامي، بفعل المؤامرات الخارجية، من وضع التناحر والصراع بين الأمة الإسلامية.

ونحن نؤيدكم في هذه المبادرة التاريخية، ونقف معكم في خندق واحد.

دمتم منارة شامخة للإسلام والمسلمين، ورمزاً للدعوة الإسلامية.

وجزاكم الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير الجزاء.

جمعية الأئمة الوطنية في بنغلاديش

مشوهًا، نتيجة للتراث الطويل من الظلم والاستعمار، الذي عاناه الطرفان، لكن نقاط التداخل والتماس العربية الإسلامية الإفريقية، كانت أكبر وأقوى، فهناك أحد عشر دولة عربية، في الجناح الإفريقي، من الوطن العربي، تضم الغالبية من العرب، كما أن القبائل العربية متأصلة في الكثير من الدول الإفريقية غير العربية، ولا زالت هذه القبائل تحتفظ بجذورها ولغتها، هذا عدا عن الرابط الأهم، وهو الإسلام، أوسع الديانات انتشارًا في قارة إفريقيا. أما الآن وبعد أن بدأت العلاقة بالاستقرار، ونشأ رابط جديد أصبح يعرف (بالإفروعربي)، حيث أصبح أكثر وضوحًا أن العربي - الإفريقي، والإفريقي غير العربي لا ينفصلان، فلا يوجد فاصل جيولوجي ما بين البلدان العربية وغير العربية في إفريقيا، على العكس، فهناك الكثير من نقاط ومناطق التداخل واختلاط الأعراق، وعلى الرغم من ميل الكثيرين، إلى الفصل الحضاري بين العرب والأفارقة، إلا أن الواقع يؤكد أن لا إفريقيا بلا عروبة ولا عروبة بلا إفريقيا، لكون التأثر والتداخل الحضاري بينهما أقوى وأعمق، من أن ينفصل، بل على العكس، ظهرت عدة نظريات مؤخرًا، تقول بأن الساميين (نسبة لسام بن نوح، والذي تنتسب إليه عدة أعراق منها العرب)، كان أيضًا إفريقياً، وبالتالي فإن التمييز على أساس الأصول الجغرافية أيضًا، أصبح يشوبه الكثير من اللبس.

أما من المنظور اللغوي، فإن الكثير من الدول العربية، أو المنضوية تحت الجامعة العربية، تتداخل فيها عدة لغات ولهجات عربية وإفريقية، وأجنبية غربية، وبالمقابل فإن الكثير من الدول الإفريقية غير العربية، تستعمل فيها اللغة العربية وبكثرة، حتى إنها تعتبر لغة رسمية وشبه وحيدة، لعدد من الأقاليم والقبائل الكبيرة المستوطنة في تلك الدول، مثل: أثيوبيا والنيجر ومالي، هذا عدا عن استخدام اللغة العربية، كلغة تعامل يومية في العديد من البلدان الإفريقية،

بعبارات الامتنان والشكر والتقدير، لتواجدكم في هذا اليوم المشهود بالمناسبة الكونية، وهي ميلاد ووفاة خاتم النبيين، وأن تأتوا من كل فج عميق إلى هذه الواحة التي كانت منسية ولا يعرفها العالم إلا قليلاً، وكذلك لما سمعته من نثر وشعر، وللهدايا الرمزية التي لها معنى معنوي كبير، هذا ثاني لقاء تاريخي شامل لأبناء الصحراء الكبرى في مناسبة كونية عظيمة واحدة، لمرتين، في تمبكتو السنة الماضية واليوم. هذا التواجد له معنى، فيه شيء من التحدي، مع هذا التطاول على نبي الإسلام، وعلى القرآن الكريم، وعلى أمة الإسلام والمسلمين، الحقيقة في ظل احتلال العراق وأفغانستان تم الاستهتار بدين الإسلام وبنبي الإسلام وبالقرآن حتى في اسكندنافيا التي هي بقعة بعيدة باردة، فمن عرفهم بمحمد ﷺ هناك؟ معنى ذلك أنه يوجد منهج كراهية يدرسونه حتى في اسكندنافيا.

نؤمن بكل الأنبياء نحن الآن متهمون بالإرهاب، ومتهمون بأننا أصحاب الكراهية، وأننا لا نقبل الآخر، بينما نحن نقبل الآخر، نقبل نبي النصارى وأنبياء اليهود وكل الأنبياء نقبلهم ونعترف بهم وإلا لا نكون مؤمنين. هم الذين لا يقبلون نبينا، ولا يقبلون كتاب الله الذي نزل على نبينا، وهم الذين يمارسون العنف ضدنا، وهم الذين يمارسون الإرهاب ضدنا، يعني أن الآية معكوسة تماماً. فالصحفي الذي في اسكندنافيا، الذي يرسم صورة للنبي محمد ﷺ ما هو مستواه؟ من عرّفه محمداً ﷺ؟ كيف عرف أن هناك نبياً اسمه محمد، إلى درجة أنه أصبح يرسم صورته ووضعه الاجتماعي وما إليه؟ هناك أحد علمه

سواء كعربية بحتة، أو كلغات متفرعة مرتبطة بالعربية، كالسواحلية والهوسا.

أما بالنسبة للإسلام في إفريقيا، فقد شاب اللبس مفهوم أو معنى أن تكون مسلمًا إفريقيًا، بحيث أصبح الإسلام مرتبطًا بالعروبة، مما خلق في فترة من الفترات حاجزًا ونوعًا، من التنافر بين المسلم العربي، والمسلم العربي الإفريقي من جهة، والمسلم الإفريقي من جهة أخرى، لكن السعي من كلا الطرفين، نحو التقريب والتواصل، ألغى هذه الصورة من التنافر غير المبرر، خاصة أن الفرق بين العروبة والإسلام بيّن واضح، فليس كل عربي مسلمًا، ولا كل مسلم عربيًا، وكذلك الحال مع إفريقيا وأبنائها، وبالتالي لا يجوز أن يستخدم أي من هذه المصطلحات، مترادفًا مع الآخر، ومعلوم تمامًا أن أعداد الأفارقة المسلمين، أو ممن ارتبطوا بالجذور والثقافة الإسلامية، أكبر من أعداد العرب ـ الأفارقة.

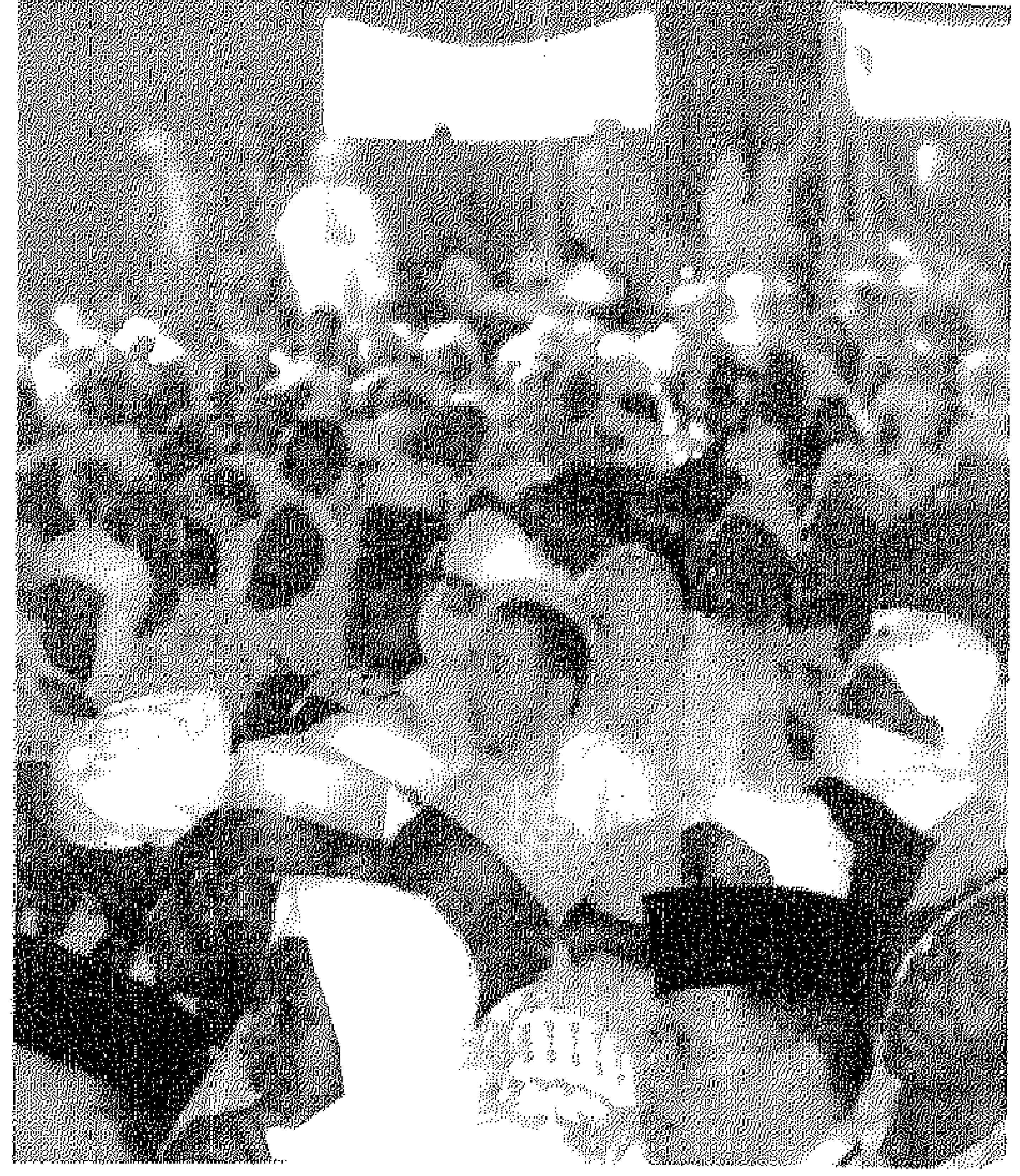
إن الصحراء العربية، من مكة إلى أعماق إفريقيا، حمت الإسلام واحتضنته في مكة أولاً، وفي الحبشة ثانيًا، فقد حفظ الإسلام للصحراء صنيعها، فحفظها ولم يهجرها، وكانت ولا زالت أضخم عواصم الإسلام، ودوله وإمبراطورياته متربعة في قلب هذه الصحراء، فنجد مكة مهد الدعوة والرسالة، والمدينة المنورة العاصمة الأولى، ومثوى آخر الرسل، والبصرة، والموصل، أولى الحواضر التي أسسها الإسلام، ونجد الفسطاط أولى مدن الإسلام في إفريقيا، وقاهرة المعز، ومنها إلى كانو وأغاديس وتمبكتو عاصمة الإمبراطورية الطوارقية، كلها مدن صحراوية، وكلها عواصم

الصلوات الجامعة جعلت المسلمين في قلب الحدث وليس متفرجين

جاءت احتفالات هذه السنة بذكرى المولد النبوي الشريف، في مرحلة بالغة الصعوبة، وبالتالي فإن المسلمين بحاجة إلى مثل هذه الصلوات الجامعة، وما يستفاد منها من دروس.

ويأتي ملتقى أغاديس ليؤكد جملة من الحقائق، التي اعتقد أنها بحاجة للإبراز، من أجل أن يظل المسلمون في قلب الحدث، ومن أجل أن يكون لهم حضورهم الفاعل، فهو ملتقى للمصارحة مع الآخرين، ومن هنا فإن الجموع التي حضرت من شتى الدول والأقوام والأجناس من كل القارات، من استراليا وأوروبا والأمريكتين وإفريقيا وآسيا، هو دليل على أننا بحاجة إلى اللقاء من خلال قيادة توحدنا، وفكر يوحدنا، وحدث يجعلنا في دائرة الضوء، وعليه فإن كل هذه يمكن أن تشكل رمزا للتطلع إلى المستقبل والاستشراف للمستقبل الأفضل لهذه الأمة، وهذا التواجد في إفريقيا هو إعطاء لإفريقيا هذا الدور الذي يجب أن تلعبه وهو دور العطاء الروحي للإنسانية، والتأكيد على مضامين الرسالة المحمدية، الرسالة الخاتمة، الرسالة التي جاءت للناس كافة، ومن هنا فإن خطاب الأخ القائد هو دليل على أن هذه الرسالة هي رحمة للعالمين، وهي لكل البشر باختلاف الألوان والأجناس، ورغم أن الرسالات السابقة هي شرائع وكل شريعة تنسخ الأخرى، لكن الشريعة المحمدية والعقيدة الإسلامية هي منهج ومسلك وحل لكل مشاكل الإنسانية، نعم إفريقيا بحاجة إلى مرجعية، هذه المرجعية جسدت في إعلان سرت التاريخي، إعلان 9-9-1999 مسيحي، الإعلان بدأ يقترب بالقارة، وبعبارة أدق وضع إفريقيا على الطريق الصحيح، وما عشناه في هذه التظاهرة الكبرى وما لمسناه في كل الصلوات الجامعة وخاصة أفواج المهتدين، يدلل على عمق ما تكنه شعوب القارة من محبة وتقدير للأخ معمر القذافي، قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، الذي تجد فيه المرجع الفكري لكل هذه الاجناس وهذه القبائل.

الدكتور محمد البشاري:
أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي ورئيس الفدرالية العامة لمسلمي فرنسا



ضخمة تاريخية، كان ولا زال لها شأنها في حضارة الإسلام، وقد زاد عدد الممالك والدول الإسلامية، في إفريقيا عن 25 دولة، وهو رقم لم يتكرر، في أي بقعة من أرض الإسلام.

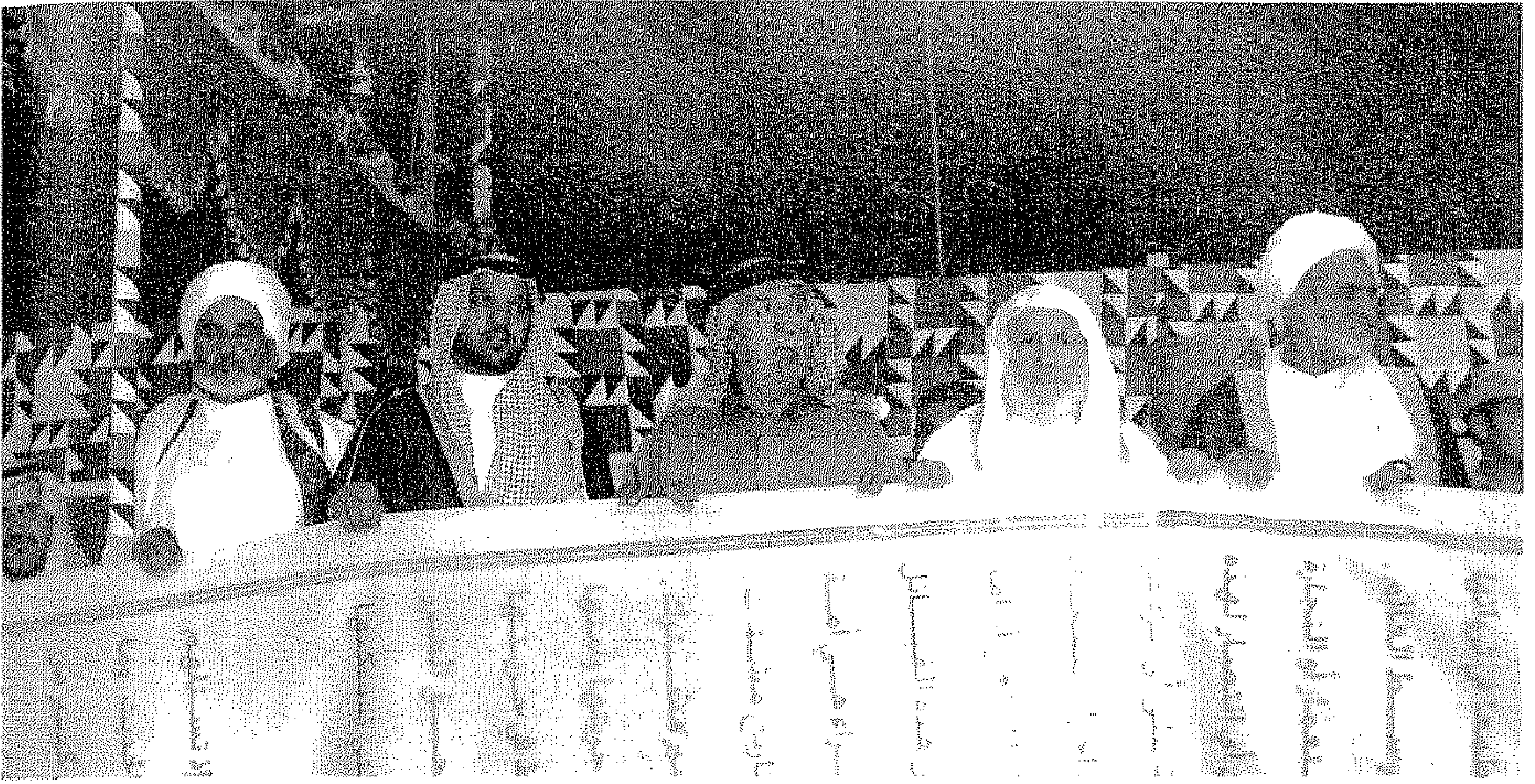
والقارئ لخطاب الأخ معمر القذافي، في الملتقى التاريخي الثاني، لقبائل الصحراء الكبرى، يلمس هذه النقاط بصورة واضحة، فالملتقى جمع القبائل العربية من المحيط إلى الخليج، ومن البحر إلى عمق القارة الإفريقية، في احتفالية نادرة من نوعها، وفي ذلك إشارة واضحة إلى نقاط هامة عدة، منها: أن العرب سواء آسيويين أو أفارقة، هم أولاً وأخيرًا، إخوة ينتمون إلى أصول واحدة، وجذور متصلة متشابكة، وأن هذه الصحراء التي جاءوا منها واجتمعوا فيها، ستكون دائمًا إحدى أقوى حلقات الوصل بينهم، في إشارة أوضح، إلى أننا كعرب، كلنا أبناء لهذه الصحراء، وبالتالي يجب أن نحفظها وننميها، ونعيد لها عزها وعزتها، إذ لا عزة لنا بغيرها، أما ثروات وخيرات هذه الصحراء، فأبناؤها أولى بها، وأحق من المستعمر الأوروبي وغيره، وإن كنا قد سمحنا له في الماضي، باستغلالها واستنزافها، تحت تهديد القوة والسلاح،

هذا، هناك منهج كراهية، منهج حقد، منهج عدواني في اسكندنافيا نحن ليس عندنا كلام ضد عيسى ولا موسى ولا يوسف ولا إسحاق ولا إبراهيم ولا هود ولا صالح ولا كل الأنبياء الخمسة والعشرين المذكورين في القرآن، فنحن إذا لم نؤمن بهم لا نكون مؤمنين.. ولما نذكرهم نقول عليهم السلام أما هم فعندما يذكرون نبينا يذكرونه بالشتيمة وباللعن.

نحن قلنا أمس إن هذا ليس نبينا نحن فقط لأنهم يجهلون أنه نبي للناس كافة.. محمدﷺ نبي حتى لـاسكندنافيا، المفروض أن يدخلوا في الإسلام، رسالة محمد خاتم النبيين. يعني توجد تُهم ضدنا وهم الذين يرتكبون هذه التهم، فهم يتهموننا بأننا ندرس الكراهية، نحن لا ندرس الكراهية، بينما هم الذين يدرسون الكراهية، لو كنا نحن الذين ندرس الكراهية لكنا شطبنا على اسم عيسى عليه السلام المذكور 25 مرة في القرآن.. لماذا لم نشطب عليه لو كنا نحن الذين ندرس الكراهية لأولادنا، ومريم مذكورة 33 مرة في القرآن لماذا لم نشطب عليها. وموسى الذي هو نبي لليهود مذكور، 136، مرة في القرآن ولم نقدر أن نشطب حتى على رقم واحد، لو كنا نحن الذين ندرّس الكراهية نشطب على هذه الأشياء كلها. لكن هذا كلام الله ونحن لا نستطيع أن نتصرف فيه. نحن لا ندرّس في الكراهية هم الذين يدرّسون الكراهية ضدنا.

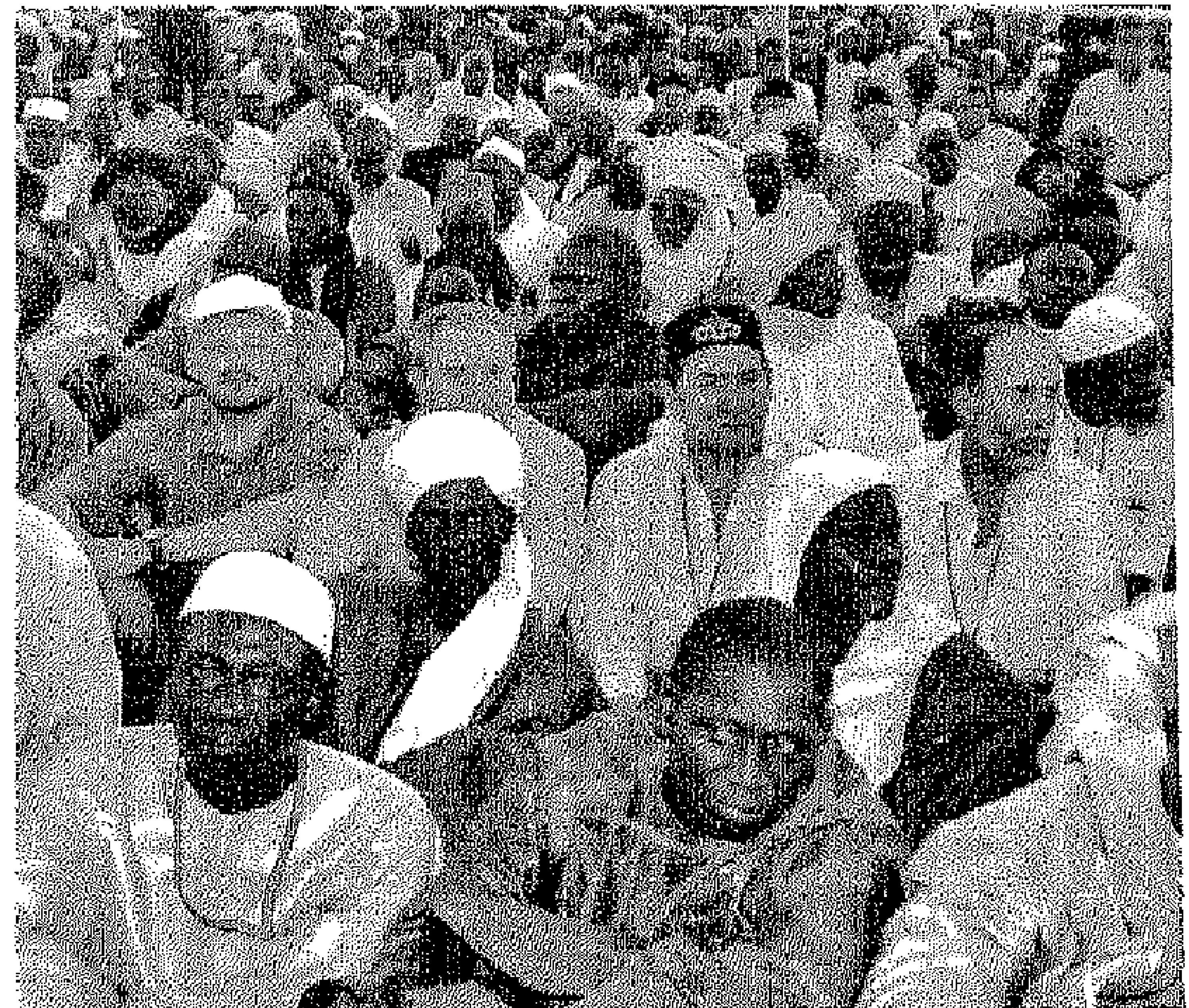
نرد على التحدي

نرد على التحدي، لقد أصبح هناك تطاول ما دام بلد مثل العراق أمكن احتلاله وأمكن القبض على رئيسه وأمكن إعدامه أمام العرب



ميثاق تمبكتو





والجبروت الغاشم، فيجب أن لا نسمح له بذلك مرة أخرى، حتى لو جاء مستترًا تحت عباءة حريرية، مثل التنصير الذي اجتاح إفريقيا، أو التذرع بذرائع كاذبة خادعة، مثل الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، أو الحفاظ على حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، مع أن دعاة هذه الأمور هم أول منتهكيها، فليس العربي أو الإفريقي هو من يحتل الدول، ويشتت شعوبها، وليس العربي والإفريقي من استعبد غيره من الأمم طوال قرون، ولا العربي والإفريقي هو من لا زال يقيم دول التمييز العرقي والعنصري والديني، ويسيء إلى أرباب الديانات ورسلها، ويحتقر كل من لم تكن بشرته صافية، أو عيناه زرقاوان، فالثروات كانت ولا زالت ملكًا لشعوبها التي تكدح للحفاظ على حياتها ومستقبلها، ومن بين صفوفها يخرج القادة والزعماء، الذين يجب أن يضعوا دوما مصالح أوطانهم وشعوبهم نصب أعينهم، مهما كانت التهديدات والمغريات، حتى لا يكون حال المواطن كقول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

فهذا شيء منكر مرفوض، فكيف يطلب من أي

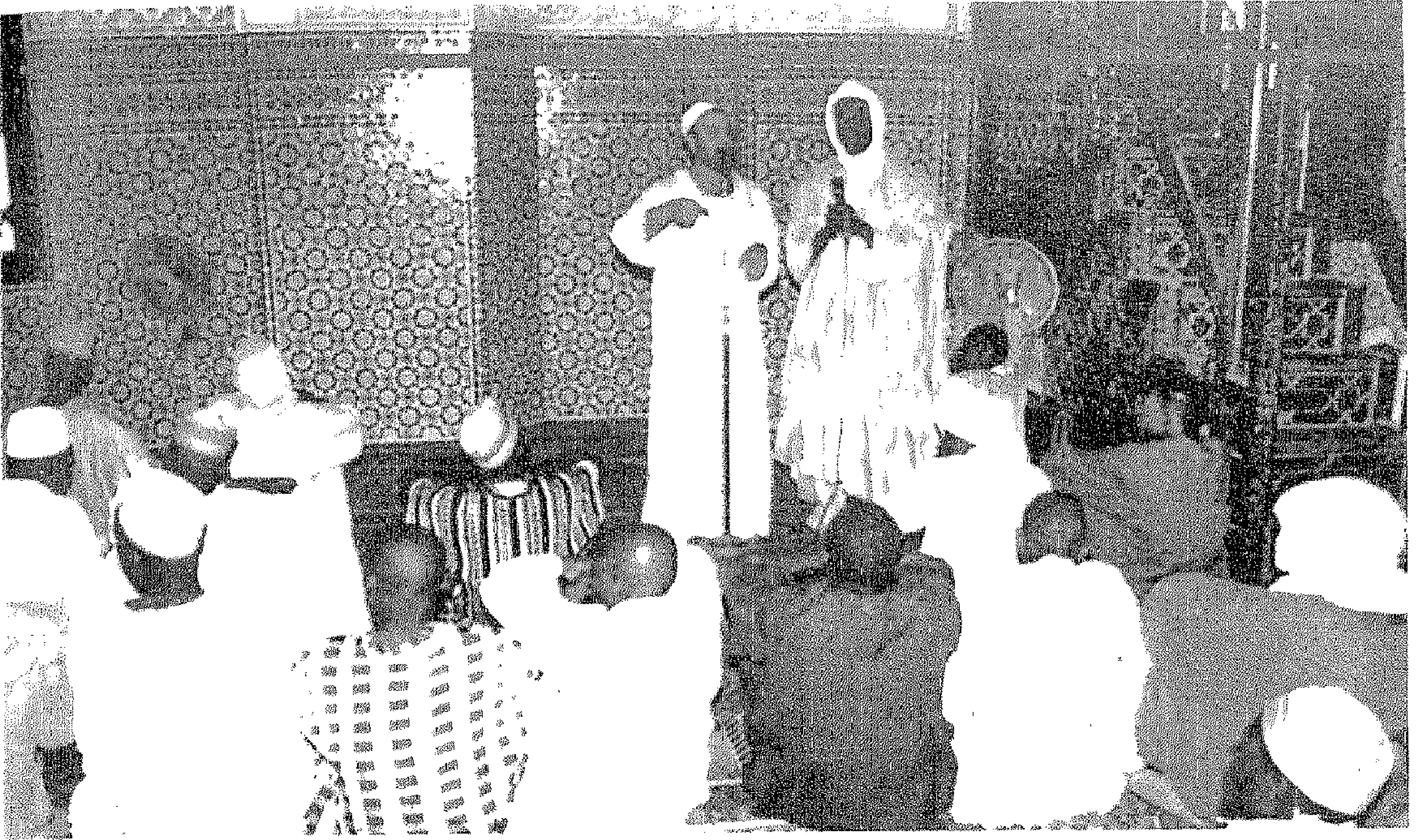
كان، أن يسير فوق جبال وأنهار من الذهب الأبيض، والأسود والأصفر، ثم يسلمه طائعًا لكل من يريد أن يستغله ويستنزفه، ثم يقعد هو ملومًا محسورًا، طالباً للمعونات والمساعدات، من الذين نهبوه وتمتعوا بثروته، فبأي حق أو عقل يبرر الأمريكي والأوروبي، ضرورة أن يعيش شعبه في رفاهية وغنى، من عرق وثروات الشعوب الأخرى، وفي نفس الوقت تحرم هذه الشعوب، من أبسط مقومات الحياة، ثم يُصنف أبناؤها على أنهم عالم ثالث ورابع، وتوصف إفريقيا بالقارة السوداء، وهي لم تكن أبدًا سوداء، إلا في عهد الاستعمار الذي استنزفها وجردها من أبسط مقومات الحياة، حتى أصبحت أكبر مدنها وحواضرها، تخلو من أبسط الخدمات والبنى التحتية، فإفريقيا هي أقل القارات من حيث التغطية، بشبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي والطرق المعبدة، وهي أعلى القارات من حيث نسبة الأمية والفقر والبطالة، وتدني متوسط عمر الفرد، مع أنها تمتلك أكثر من ثلثي ماس العالم وذهبه، وفيها نسبة ضخمة من احتياطيات النفط والغاز، وبيئتها الأفضل للكثير من الزراعات

حدث عظيم

لقاء هذه الجموع التي توافدت على أغاديس للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، في عمق صحراء إفريقيا، أعتقد أنه حدث مهم جدا على كافة الأصعدة والمستويات، واجتماع المسلمين هو شيء مهم كثيراً كثيراً، وهنا أود أن أشكر القائمين على هذه التظاهرة، ومنهم الإخوة من القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، كما أود أن أشكر الإخوة في النيجر على استضافتنا، والحقيقة أن توافد جموع المسلمين من مختلف أنحاء العالم، للاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في أغاديس، هو شيء عظيم.

حسين شوشر/ أمريكا

والمسلمين وهم يتضاحكون، وأن أفغانستان أمكن أن يحتلها الحلف الأطلسي، وفلسطين أمكن أن ينكروا حقها.. لم تعد هناك قضية فلسطينية إطلاقاً والفلسطينيون يعيشون لاجئين وانتهى أمرهم. وأمام هذا كله والتطاول الذي وصل لهذه الدرجة فنحن على الأقل. محاولة منا. نردُّ على هذا التحدي، ونحيي ذكرى النبي محمدﷺ الذي يجري الآن التطاول عليه، وطمس ميلاده، وممنوع الاحتفال بميلاد محمدﷺ، وجرى طمس للقرآن، طمس للإسلام باسم حركات مشبوهة، يريدون أن يصبح الإسلام بين الحقيقة والخيال ما الذي يضير الإسلام ويضر العقيدة إذا وجدنا السيوف التي قاتل بها المسلمون في خيبر وفي بدر وفي أُحُد وفي حنين وفي حروب الردة وفي الفتوحات وأن هذا سيف محمد وهذا سيف علي وهذا سيف حمزة وهذا ترس عمر وهذا ترس عثمان. ماذا يضرنا إذا كانت الرسائل التي كتبها النبي لقادة الأمم في ذلك الوقت موجودة ومحفوظة. أين هي؟ لقد أحرقوها. أين الحراب أين التروس أين السيوف وأين النشاب والقوس الذي يحاربون به أين المعدات هذه كلها؟. كلها دمروها لكي لا يكون هناك دليل على أن هناك ديناً وأن هناك نبياً اسمه محمدﷺ. أين قبر محمدﷺ.. أنا أتحدى أي واحد يقول لنا هذا قبر محمدﷺ. إنه ليس موجوداً.. فلقد انتهى قبر محمدﷺ وجثمانه وانتهت قبور الصحابة وقبور آل البيت والمهاجرين والأنصار تم طمسها. ماذا يضرنا إذا كان هذا قبر فاطمة وهذا قبر عائشة وهذا قبر عثمان وهذا قبر عمر. قالوا حتى لا نعود للوثنية. إذا كنا لسنا مؤمنين فإننا نعود



الإستراتيجية والاستثمارية، ولو استغلت ربع المساحات الصالحة للزراعة، وتربية المواشي في إفريقيا فقط، لانتهى الجوع والفقر من على وجه الأرض، لذلك فقد حان الوقت لأبناء هذه الصحراء، أن يجدوا مظلة تجمعهم وتدافع عنهم وعن حقوقهم.

الدعاة الجدد

ومن هذا المنطلق جاءت جهود جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، بتدعيم هذه الدعوات الخيرية، نحو إعادة الروح لإفريقيا المسلمة، بوسائل منهجية مدروسة بعيدة عن منهجية العمل السريع غير المدروس، الذي يأتي وليد لحظته، فيأتي ويذهب هباء، لذا دأبت هاتان المؤسستان ومنذ سنوات طويلة، على العمل لإعادة الوعي للمواطن الإفريقي المسلم، وذلك بمواجهة المد التنصيري، الذي اجتاح إفريقيا منذ بدايات القرن السابع عشر، وعمل على تغريب عقول أبنائها، وتشويه أفكارهم ومبادئهم ومعتقداتهم الدينية والخلقية، باسم المسيح والمسيحية، وهما من ذلك براء، فما كان التنصير في إفريقيا إلا إحدى وسائل الاستعمار وسيوفه الخفية، والتي عمد من خلالها السياسيون، إلى استمالة من لم يمكنهم استعبادهم أو شراؤهم أو الاستقواء عليهم، بوسيلة أشد خطرًا وأكبر ضررًا، هي تحوير أفكارهم ومعتقداتهم الدينية والخلقية، وذلك بالعمل على تنصيرهم، وليس بخاف أن الغالبية ممن استهدفتهم هذه الحملات المتعددة، منذ القرن السابع عشر، وحتى يومنا هذا، هم من المسلمين الذين لقصور في دور الداعية المسلم، انقطعت الأواصر بينهم وبين الإسلام، وأصبحوا عرضة للوقوع أمام أبسط الدعوات الوافدة من الغرب.

وكانت أولى هذه الخطوات، هي بث مجموعات من الدعاة المسلمين المؤهلين، والدارسين للإسلام وحضارته، وعلوم ولغات المخاطبين، المستهدفين بالدعوة في كل بقاع وأطراف إفريقيا، ليعملوا أولاً: على مواجهة الطوفان التنصيري، وإيقافه عن التمدد والاتساع، بأن أظهروا أمام المواطن الإفريقي، وأمام المبشر الأوروبي، أن هناك مدًا مضادًا يعمل في الساحة، وأنه قوي ومؤثر، وليبينوا للإنسان الإفريقي،

صاحب التراث العربي الإسلامي، أنهم الأقرب له والأكثر قدرة على فهمه واستيعاب احتياجاته، والتقريب بين تراثه وبين الرسالة السامية التي يحملونها، وأن الإسلام هو دين إفريقيا الأول، والذي كانت قبلة معظم إفريقيا (باستثناء الحبشة والرومان في مصر)، غارقة في الوثنية، ومثلما جاء الإسلام ليعتق إفريقيا من رق الوثنية أول مرة، عاد ليعتقها من الرق الحقيقي، ومن رق الفقر والضعف هذه المرة، وبعد أن يتم هؤلاء الدعاة مهمتهم الأولية وهي تهيئة المناخ الفكري والثقافي المناسب، وسط التجمعات السكانية، تأتي الخطوة الثانية والتي لا تقل أهمية، وهي العمليات التنموية البنائية فتدخل كوادر الجمعية لتقوم بإعادة الحياة وبث الحضارة في هذه التجمعات من تمهيد الطرق، وإنشاء المدارس، وحفر الآبار، وإيصال أكبر قدر من الخدمات الأساسية، تلي ذلك المشاريع الاقتصادية التنموية من المصانع وتشجيع وتطوير ما هو قائم من مشروعات محلية بسيطة، فقبل سنوات قليلة، كان التنصير هو الحركة والقوة السياسية، والاقتصادية والمجتمعية الأهم في إفريقيا.

صدى إيجابي

نحن نشكر الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ونشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، على هذا اللقاء، كما نود أن نشكر فعاليات الشعب النيجري للقائه الكريم لنا، وهذه فرصة عظيمة لإحياء ذكرى المولد النبوي الشريف، والحقيقة أن لقاء جميع المسلمين من جميع أنحاء العالم، هو من الأحداث التي لابد أن يكون لها صدى إيجابي واسع على واقع المسلمين خاصة الأقليات المسلمة في الغرب.

عاصم فاضل

أمين المؤتمر الإسلامي في كندا

للوثنية حتى بلا هذه القبور وبلا هذه الرموز. لما عملت الناس الوثنية ولما عملوا:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

[سورة النّجم، الآيتان: 19-20]

وهذه الأصنام المذكورة في القرآن هل عملوها لأن هناك رموزاً لأنبياء باقية وبالتالي جسدوها في أصنام، إنهم عملوها من تلقاء أنفسهم. إذا كنا ضعافاً إلى درجة أننا لما نجد قبر محمد أو قبر عائشة أو قبر عثمان نصبح وثنيين، معناها لسنا مؤمنين.. لم ندخل للإسلام. فلتبقَ هذه الأشياء ونبقى مؤمنين بوحدانية الله، بنبوة محمد. الآن يريدون أن يكون الإسلام بين الحقيقة والخيال: هل هناك نبي اسمه محمد ﷺ. والله لانعرف ما الذي يدل عليه؟ حتى قبره ليس موجوداً وعملوا هذا المسجد الكبير من أجل طمس القبر.. أين القبر. أنا نفسي ذهبت وفتحوا لي هذا المكان ولم أجد القبر.. وأتحدى أي واحد يثبت لي أن قبر محمد ﷺ موجود، لأنه مثله مثل قبور الآخرين الذين معه «وطائفة من الذين معه».. أين هم؟. إذا كانت رسالة كتبها النبي للمقوقس أو للنجاشي تجعلنا نرجع للوثنية.. إذن نحن لسنا مؤمنين ولا داعي للإيمان إذا كنا ضعفاء إلى هذه الدرجة. طمسوا قبر عائشة قبر فاطمة قبر خديجة قبر عثمان قبر أبي بكر. طمسوا كل ما له علاقة بالإسلام.. لماذا قالوا: خائفون عليكم من الوثنية. هذا معناه أننا نحن لسنا مؤمنين. إذا كنا مؤمنين لا نخاف من هذه الأشياء ونحن الآن نقول:

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾

[سورة النّجم، الآية: 23]



حتى إن بعض الكنائس والبعثات التبشيرية كانت تتحكم بسياسات الدول الإفريقية، إلى درجة أصبح معها واضحًا أن أعداداً كبيرة من المسلمين، حتى الواعين المثقفين منهم، أخذ يتبع هذه الدعوات وينضم إليها، بدافع من الحاجة والعوز وانعدام البديل، أما الآن فتثبت الإحصائيات، وآخرها إحصائية نشرتها صحيفة نيويورك تايمز أواسط شهر الطير (نيسان أبريل) من هذا العام، أن الإسلام هو الدين الأوسع والأسرع انتشارًا في إفريقيا، وان الدور السلبي للحركات التنصيرية وتورطها في عدد من المذابح والفضائح السياسية والعسكرية، كان أحد أهم أسباب انحسار هذا المد وتحول مئات آلاف الأفارقة إلى الدين الإسلامي، خاصة وأن مثل هذه المشاكل تقابل بجهود دعوية وتنموية ضخمة، من قبل عدد من المؤسسات الإسلامية، أضف إلى ذلك أن الداعية المسلم، لا يفرق بين أبناء الجلدة الواحدة، ولا يلعب على أوتار النزاعات القبلية والموروث القبلي في إفريقيا، كما تفعل الحركات الهدامة.

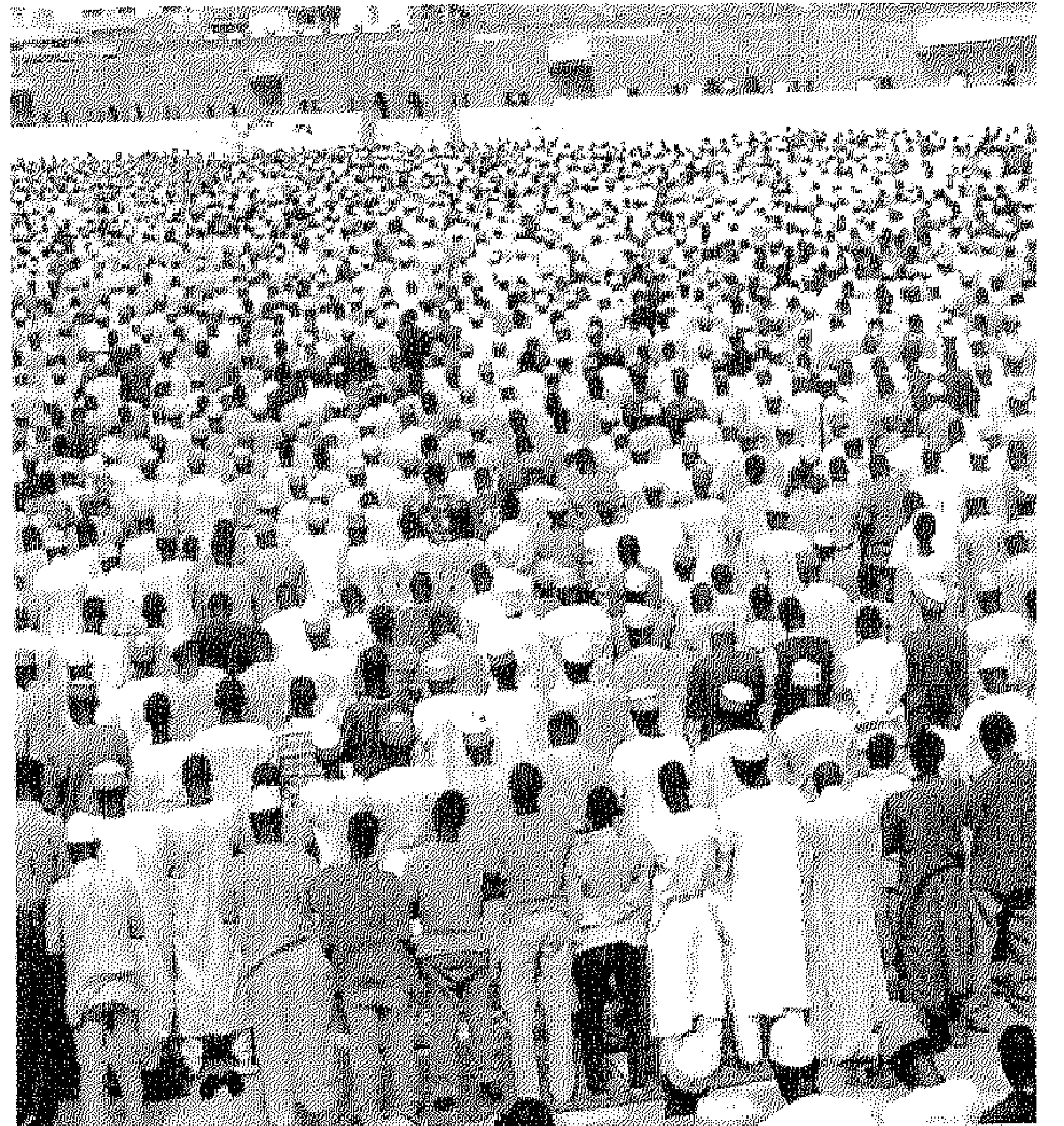
ملتقى كانو

جاء ملتقى كانو في نيجيريا في العام 2005م، ليمثل أول تتويج علني عالمي لهذه الجهود الدعوية، التي سبقته بسنوات، واختيار كانو ونيجيريا لم يأت عشوائيًا، بل كان ذا دلالات واضحة وعميقة، من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، فنيجيريا من أول دول إفريقيا إسلامًا، فبعد أن دخلها الإسلام أول مرة على يد المهاجرين الأوائل في الحبشة، والذين هيئوا أرضية خصبة لانتشار الإسلام هنالك، عاد الإسلام ثانية على يد القائد المسلم عقبة بن نافع، عام 56 للهجرة، حيث أمضى عقبة وجيشه ما يقرب من ستة أشهر، في تلك المنطقة التي أصبحت تعرف الآن بنيجيريا وتشاد، حيث بث بذور الإسلام وترك لمن بعده من الدعاة تنميتها، ولا زال التراث النيجيري يروي الكثير عن أولئك العباد الزهاد الذين اقتحموا قلب إفريقيا لا يحملون سوى المصحف الشريف وقربة الماء، وكيف أنهم هدوا خلقًا كثيرًا، بحسن الخلق والتعامل الطيب،

وكيف أنهم فتحوا الأبواب أمام التجار والدعاة الآخرين، ليدخلوا البلاد ويستقروا فيها مما ساعد على انتشار الإسلام واستمراره، وبعد أن حدثت القطعية بين البلاد العربية وإفريقيا في فترات انحطاط وانهيار الدول الإسلامية، حافظ الإسلام على وجوده في تلك البلاد، بفعل الطرق الصوفية المختلفة، التي لا زالت منتشرة هناك إلى يومنا هذا.

أما نيجيريا الحديثة، فهي أكبر الدول الإفريقية، من حيث تعداد السكان إذ يزيد عدد السكان فيها عن 133 مليون نسمة، وهي أكبر دول إفريقيا مساحة، وتتكون من 36 إقليمًا وتبلغ نسبة المسلمين فيها حوالي 76٪ من السكان، تليها المسيحية، ثم مجموعة ديانات ومعتقدات أخرى.

تاريخًا كانت كانو إحدى أهم المدن الإفريقية، كونها بوابة بلاد الهوسا ومركزًا تجاريًا قديمًا، لكن ازدهار كانو وانفتاحها على العالم، لم يبدأ إلا في العهد الإسلامي، حيث دخلتها جموع من التجار المسلمين، من قبائل الفولاني والبربر واستقروا ونشّطوا الحركة التجارية الدولية إليها، كما لعبت قوافل الحجيج دورًا



حتى ولو يأتون بمليون صنم سنقول لهم هذه الآية. لماذا نحن لا نعبد النخل ونعبد الزيتون والكرم ونعبد الجبال.. لماذا لا نعبد هذه الأشياء؟. هذه كلها رموز.

الإسلام دين الناس كافة

الإسلام دين الناس كافة يعني يوجد تحدٍ حقيقي للإسلام ولا بد أن يواجه بتحدٍ ولا بد أن نثبت أن الإسلام ليس للمحمديين. الإسلام هو دين الناس كافة وأي واحد ليس على دين محمد ﷺ فهو في الآخرة من الخاسرين:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 85]

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾
[سورة آل عمران، الآية: 19]

ومحمد هو خاتم دين الإسلام الذي بدأ من إبراهيم.. كلهم مسلمون ومحمد ختم الرسالات السماوية بأن اختار للمؤمنين به دين الإسلام الذي بشر به الأنبياء السابقون. إذن كلهم يجب أن يتبعونا.. كل الذين على دين موسى خطأ والذين على دين عيسى خطأ.. ولو كان عيسى موجوداً لاتّبع محمداً ولو كان موسى موجوداً لكان تبع محمد ﷺ. وهذه نحن نجاهر بها، نستخدم الإنترنت وثورة المعلومات ونستخدم أصواتنا كلها ونبين لهم أنكم أنتم خطأ وأن عيسى لم يُصلب:

﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾
[سورة النساء، الآية: 157]

كل هذه خرافات وثنية. والحركة التي يعملونها «يمين يسار» هذه لم يعملها عيسى

هامًا جدًا، في نماء المدينة وازدهارها، وقد زارها وسكنها عدد كبير من العلماء، ومنهم الشيخ عبد الكريم التونسي، ومحمد بللو، كما حكمها عدد من السلاطين والملوك الذين اشتهروا بالعلم والإنفاق عليه، والعمل لتحسين البلاد وأوضاع أهلها، منهم السلطان محمد رمفا (أواخر القرن الخامس عشر)، والسلطان محمد نزاكي (1618-1623) وقد استمرت كانو في ازدهارها في عهد الخلافة الصوكونية أواخر القرن التاسع عشر، حتى وقعت تحت نير الاستعمار البريطاني، بداية القرن العشرين (1903م) مما تسبب بخرابها وهجر عدد كبير من أبنائها، فرارًا بدينهم نحو السودان والحجاز وبلاد الشام.

أما كانو الحديثة فهي قلب الحركة الاقتصادية للبلاد، والمحرك الثقافي لغربي إفريقيا، ورغم أن الانجليزية هي اللغة الرسمية إلا أن الواقع يؤكد أن اللغة الأكثر شيوعًا أو لغة التعامل اليومي هي الهوسا الأقرب إلى العربية، والإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا، ويبلغ عدد سكان الاقليم نحو 11 مليون نسمة.

ورغم الطابع الأكثر قربًا إلى العروبة والإسلام في كانو، إلا أن ملامح الثقافة العربية لم تكن واضحة في الإقليم، كون الناحية الاقتصادية هي الأكثر وضوحًا أحياناً، فكانو هي مقر معظم الشركات الدولية المقيمة في نيجيريا، ومركز لتجمع معظم أغنياء إفريقيا ونيجيريا، لكن بعد ملتقى كانو، والذي عقد في 2005م، بدأت الهوية العربية الإسلامية بالظهور، بصورة واضحة، حيث نتج عن المشروع الذي أخذ يعرف

رسالة واضحة

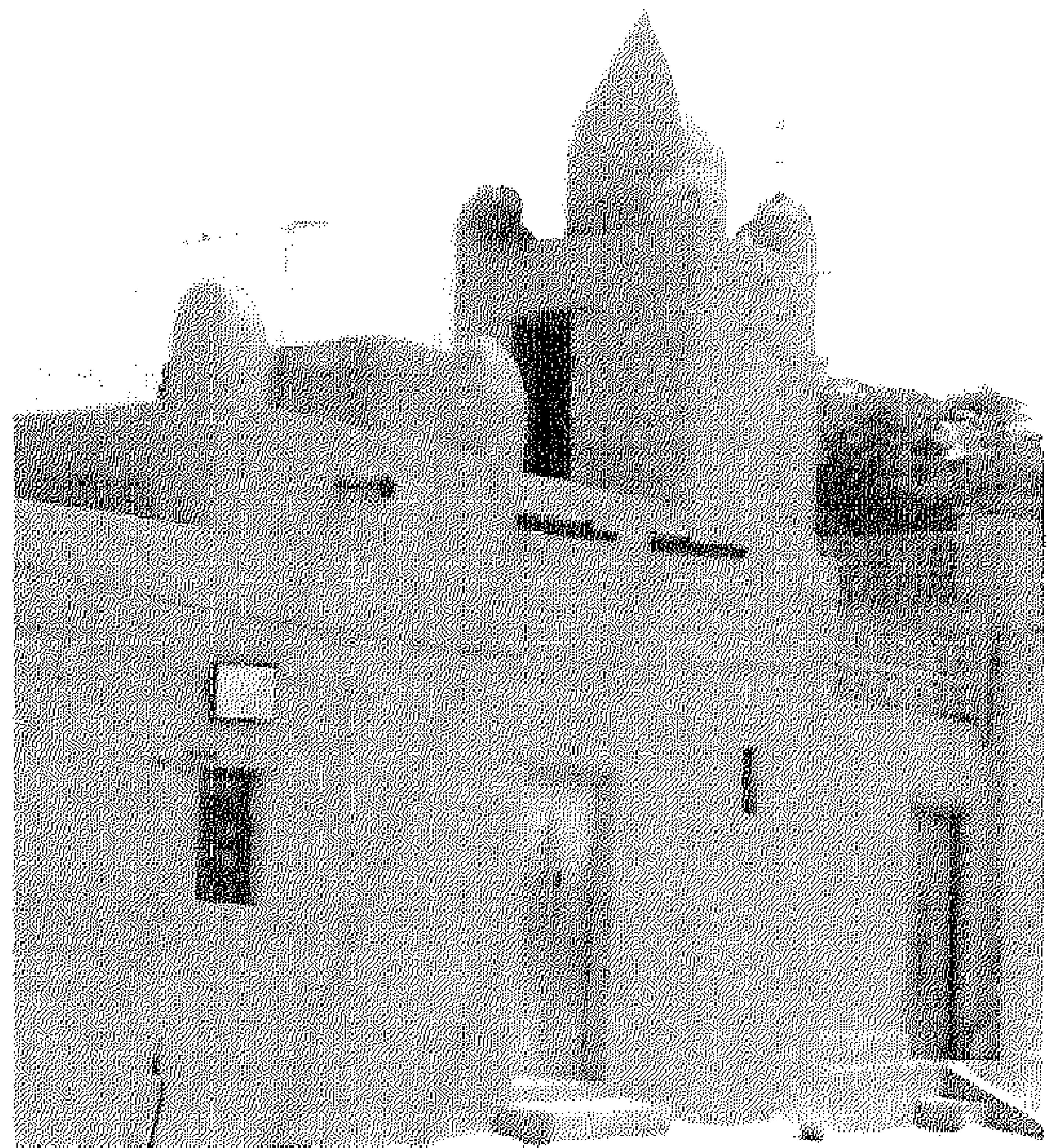
الحقيقة في هذه المناسبة العزيزة على كل المسلمين وهي ذكرى المولد النبوي الشريف، جاءت الرسالة واضحة من هذه المدينة التاريخية والتي هي من المدن العريقة التي لها تاريخ كبير، فقد بيّن الأخ القائد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، من خلالها حقيقة دين الإسلام، وعرف بنبوءة محمد ﷺ ، الذي أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين، وقد وضع في الكلمة التي ألقاها بعد صلاة المغرب، في جموع الحاضرين في هذه الحاضرة الإفريقية، والقادمين من كل قارات العالم المختلفة، وضع القائد النقاط على الحروف، بأن الأنبياء والمرسلين والرسالات تتكامل واحدة وراء الأخرى، وكلها تأتي في النهاية وتتوج بالدين الخاتم دين الإسلام الذي أرسل به نبينا محمد ﷺ رحمة للعالمين لكل الناس ولكل الأجيال إلى يوم القيامة، وأن المسلم كما قال الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وكما هو في حقيقة الدين الإسلامي الحنيف، يؤمن بكل ما سبق من الرسالات والديانات، وهو ينظر نظرة إكبار للأنبياء والمرسلين الذين سبقوا، ولكن يضعهم في مواضعهم ومنازلهم لا يتجاوزهم بها، لأنهم كما أراد الله تبارك وتعالى أرسلوا لأقوامهم ولأزمنة معينة، أي لبني إسرائيل بالذات، أما الإسلام فقد جاء خاتما لهذه الرسالات فهو للأسود وللأبيض وللناس أجمعين وأن الدين عند الله الإسلام، أي لكل الناس في مختلف مواضعهم وفي مراحل تاريخهم، والحقيقة أن فكرة إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف، والاحتفال بهذه المناسبة الشريفة في أعماق أعماق إفريقيا، إنما هو تعريف بحقيقة الإسلام الذي جعله الله تبارك وتعالى ملاذا ولا يقبل من عباده غيره.

محمد صلاح الدين المستاوي،
عضو المجلس الإسلامي الأعلى / تونس

بـ(مابعد كانو) حوالي 1126 مدرسة، وست جامعات، وما يزيد عن أربعة آلاف مدرس، بحيث انتشرت اللغة العربية والثقافة الإسلامية، بصورة جاوزت كل التصورات، فوصلت خلال عامين إلى ما يزيد على ثلثي السكان، هذا عدا عن مئات من المشاريع التنموية الصغيرة، التي انتشرت هنا وهناك.

تمبكتو عبر العصور

وبعد كانو حطت هذه القافلة المباركة رحالها في تمبكتو المدينة، عاصمة تمبكتو الإقليم بجمهورية مالي، وتمبكتو غنية عن كل تعريف، فهي المدينة الإسلامية الحقة أسسها المسلمون الطوارق نهايات القرن الحادي عشر المسيحي، ولم يدخلها غير الإسلام منذ ذلك الوقت، والمدينة مبنية في بقعة صحراوية منبسطة تبعد حوالي عشرة كيلومترات عن مجرى نهر النيجر، وقد كانت مدينة عامرة ومركزًا للامبراطورية الطوارقية، وقد كتب عنها باسهاب عدد من الرواة والمؤرخين، منهم: ابن بطوطة والحسن الفاسي، ووصفوها بالعمران والغنى، واتساع النشاط الثقافي والاقتصادي، وعرفت المدينة بالازدهار منذ نشأت،



ولم يقل بها أبداً.. هذه الصلوات لم يقل بها:

﴿...وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الحديد، الآية: 27]

لا بد أن نجهر بهذا: أن يكون إفريقي «مسيحياً غلط.. أوروبي» يكون مسيحياً غلط.. أمريكي» يكون مسيحياً غلط. عيسى بُعث ليصحح شريعة موسى لبني إسرائيل فقط. وكل الموجودين الآن على هذه الديانات غلط. والذين يضعون صورة عيسى ومريم ويصلُّون ناحيتها هذه أوثان.. هذه وثنية. نحن سكتنا عليهم:

﴿...وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

[سورة النحل، الآية: 125]

ولكن بدون فائدة. كنا ساكتين ممنوع علينا المجادلة.. لو تقول لهم هذا خطأ يقولون لك أنت متعصب.. أنت ضد الآخر.. الآخر يعني هم لكن الآخر عندما يكون نحن يسبون (سنسفيل أبينا). أي يسبوننا بكل الألفاظ وينالون منا بكل الطرق والوسائل.. هذا الحضور من جميع أنحاء العالم تحد كبير. أنا أقدر هذا التواجد من جميع أنحاء العالم الإسلامي في هذه الخيمة في أغاديس في النيجر في قلب الصحراء.

هذا التواجد تحدٍ كبير وردٌ على المستهترين الذين تعدوا الحدود. بحارة إنجليز أمسكهم الإيرانيون احتج الإنجليز، قالوا: نحن في مياهنا الإقليمية.. قالوا: مياهكم الإقليمية في جزيرة بريطانيا أم أين.. قالوا: في العراق. العراق صارت بريطانية والمياه الإقليمية للعراق صارت مياهاً إقليمية بريطانية، حتى يقولوا لهم أنتم مسكتموهم في مياهنا الإقليمية. قالوا لهم نحن مسكناهم هناك في بريطانيا أم مسكناهم في العراق إذا

لكن هذا الازدهار ازداد وذاع صيته، في عهد الأباطرة المسلمين حكام مملكة مالي، الذين استقروا في تمبكتو، وجعلوها عاصمة لهم لفترة طويلة من الزمن، وكان أولهم السلطان منسي موسى، الذي لا زال اسمه مشهورًا بين دارسي التاريخ، لشدة ما عرف عنه من الكرم الذي وصل حدود البذخ، حتى إن موكبه الذي كان يحج فيه، كان من أشهر الأحداث التاريخية في عصره، والروايات التي تتحدث عن كثرة إنفاقه وضخامة أعطياته، وكيف أن الصحراء كانت تفرش أمام موكبه بالنمارق، وصلت حدود الأساطير، وما هذا إلا مؤشر واضح على مدى ثراء وأهمية تمبكتو في تلك العصور.

ولا زال مركز أحمد بابا التمبكتي، بالرغم مما وصل إليه من تدهور، من أهم مراكز المخطوطات

ملتزمون بتوضيح هذه المضامين وتعريف الآخر بها

أولاً في هذه الفرصة أقدم التحية لجميع المسلمين في العالم بهذا الحدث العظيم، ذكرى مولد النبي ﷺ الذي يهتم به جميع المسلمين في العالم.

وحول انطباعاته أوضح قائلاً: نحن نعلم أن الأخ القائد دائماً يهتم بتوحيد المسلمين، ودائما يوجه وينبه على أن الإسلام دين حنيف، دينٌ سلام، وقد لمسنا هذه المضامين في حديثه بهذه المناسبة، مدللاً على هذه الحقائق، مبيناً أن رسالة الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، هي الرسالة الخاتمة للناس كافة، وهذه المضامين نرى أن الكثير من الأوساط الغربية تحاول التكتم عليها عمداً، كما أن الكثير من الناس يجهلونها، ولهذا نحن ملزمون بتوضيح هذه المضامين وتعريف الآخر بها.

وقد تحدث في هذه الليلة المباركة، الأخ القائد معمر القذافي، ليوضح الأسباب، ويبيّن أن هناك تجهيل لعقول الناس، ويشير إلى أن الإنجيل الصحيح والأصلي الذي غاب أو تم تغييبه، ونحن ندرك أن الأناجيل المتداولة طالها الكثير من التحريف وهذا باعتراف صريح من أتباعها أنفسهم، فالإنجيل الأصلي ذكر فيه أسم الرسول محمد ﷺ، ولكن اليوم لا نجد هذا النص الذي أخبر به الوحي.

والحقيقة أن هذا الحدث هو شيء عظيم جداً، لو كان كل القادة المسلمين مثل الأخ القائد معمر القذافي، يهتمون بالدعوة وبهذه القضايا لما كان المسلمون في مثل هذا الوضع، ومن هنا قدم هذا الحدث الكثير من الفرص في مجال الدعوة لدين الله الخاتم، وجمع كلمة المسلمين وتوحيد جهودهم وإبراز قوة الإسلام، وعرف بمضامين إنسانية جاء بها الإسلام، مثل التقارب والمحبة والتسامح، والتعارف والحوار، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: 70]

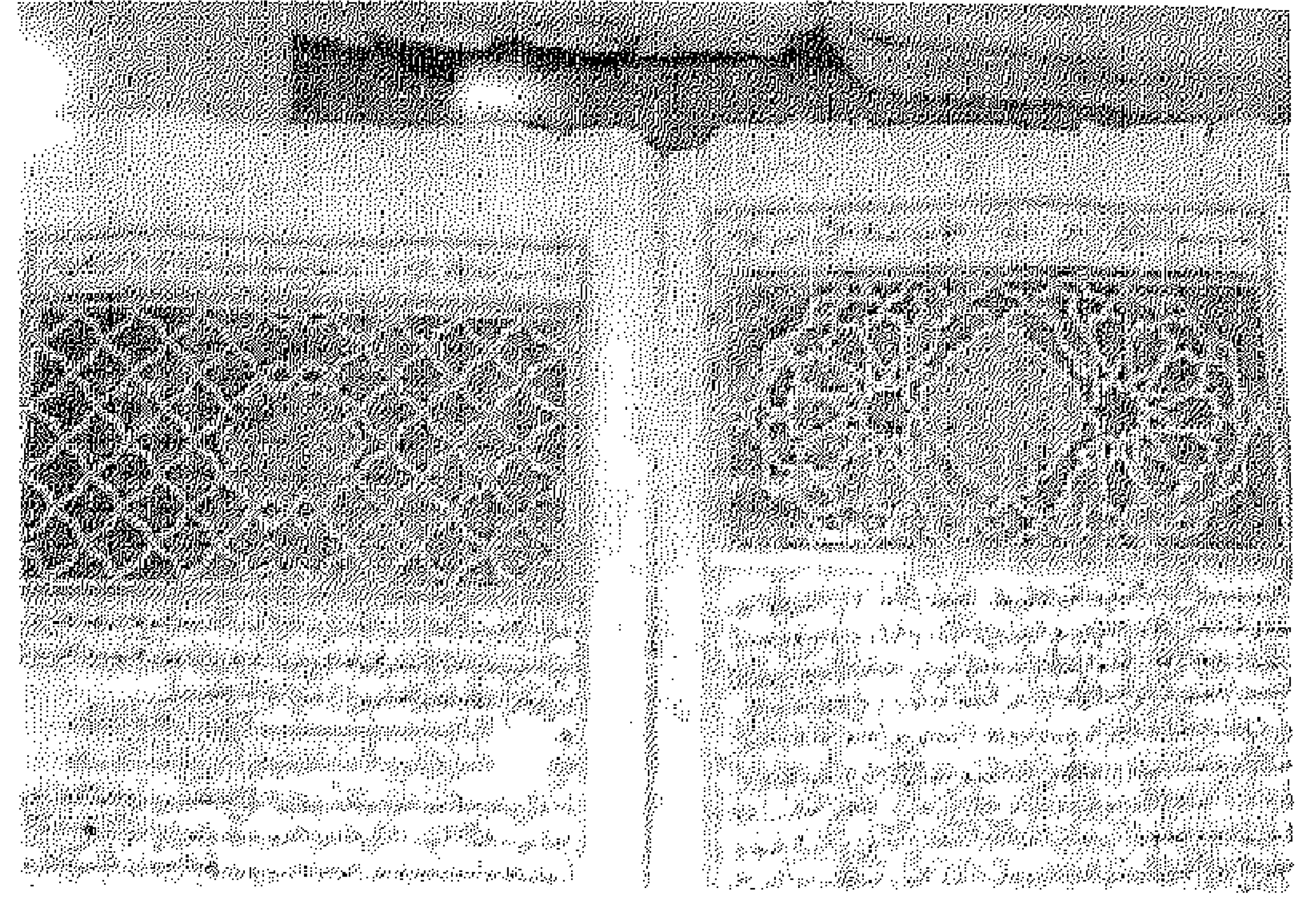
وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْأُخْرَىٰ﴾
[سورة الحجرات، الآية: 13]

يعني هذه فرصة عظيمة ونحن دائماً نتمنى أن يطيل الله سبحانه وتعالى عمر الأخ القائد معمر القذافي، لأن الحقيقة هذه رحمة ونعمة لنا كمسلمين، فدائماً يتكلم القائد ويوجه المسلمين، وكلنا يجب أن نقتدي بهذا الحدث وأن نعمل بهذا المنهج، من أجل أن يتوحد المسلمون، وقد رأينا حرص القائد على ضرورة الانتقال بالمسلمين من خانة الانفعال إلى خانة الفعل ومن خانة التأثر إلى خانة التأثير، من خلال الكثير من الجهود التي قام بها سابقاً ويقوم بها، فمثلاً فكرة الكتاب الأخضر فكرة مبنية على مبادئ الإسلام، لأن الإسلام يقوم على ثلاثة أشياء، هي العدل والمساواة والشورى، وهذا ما يزيد من اعتزازنا بالقائد معمر القذافي، ونتمنى أن يحذو الرؤساء المسلمون حذوه، والعمل من أجل رفعة الإسلام والمسلمين.

محمد عمر

نيجيريا



مخطوطات إسلامية - تمبكتو

العلمية في العالم، حيث يضم آلاف المخطوطات التي لم تر النور بعد، وهو حالياً عبارة عن غرفة طينية مستطيلة تفتقر إلى أي شكل من أشكال حفظ المخطوطات القيمة، التي يحتويها والتي يزيد عمر معظمها عن الألف عام.

كل هذا وغيره الكثير، جعل تمبكتو في العصر الحديث محجه للأوروبيين ومحطًا لأطماعهم، فأخذت البعثات الأوروبية العلمية والتنصيرية تغزو تمبكتو منذ سنوات، وقد نجحت بتنصير وتهويد أعداد من أبنائها، باستخدام وسائل غاية في البساطة، حيث من المعلوم أن أكبر المشاكل التي تواجه تمبكتو هي التصحر، وزحف الصحراء السريع على المدينة أولاً، وشح المياه والأمطار ثانيا، فما كان من الأوروبيين إلا أن اجتاحوا المدينة بوسائل تمنع الزحف الصحراوي، ووسائل لاستخراج وتجميع المياه غاية في البساطة، وباستخدام مواد متوفرة في البيئة المحلية، ما جعلهم يمتلكون مفاتيح هذه المدينة الإسلامية لسنوات طويلة، وساعدهم في جهودهم التغريبية، قيام الاحتلال الفرنسي بنهب الكثير والكثير من تراثها العلمي والثقافي، على مدى سنوات الاحتلال.

لقد كانت تمبكتو ومملكة مالي، مركزًا حضاريًا هامًا ومحجًا للعلماء والفقهاء، وكان بلاط منسي موسى يضم نخبة العلماء والفقهاء في عصره، ووصل التقدم بهم حد أن أساطيل مملكة مالي، غزت المحيط

كنا مسكناهم في بريطانيا في مياهكم الإقليمية عندكم الحق في أن تحتجوا أما إذا كنتم أنتم في العراق، العراق أصبح ملككم وحتى المياه الإقليمية للعراق أصبحت مياهاً بريطانية. قالوا للإيرانيين ليس عندكم حق.. أنتم تمسكون بحارتنا في مياهنا الإقليمية. انظروا إلى أين وصلت الأمور. ودولة عربية يحتلونها ويعينون أمريكانياً حاكماً لها ولو استمر إلى عند الآن ممكن حضر قمة الرياض.. والحكام العرب يقبلون بذلك. ولو كان هذا الذي أسمه «البريمر» وإلا (اسمه إيه؟) الذي عينوه حاكماً للعراق لو كان موجوداً إلى الآن لكان حضر القمة يمثل العراق ولا يقولون لا.. من يقول لا.. قولوا من؟ سنستمر في التصعيد والتحدي للدفاع عن النفس، دفاعاً عن عقيدتنا، ودفاعاً عن كرامتنا، وعن وجودنا. ولتخرس هذه الأبواق وهذا الضعف، ولينته هذا الضعف وهذا الانحطاط الذي يبديه الحكام العرب والمسلمون أمام العدو. ومن حسن الحظ والحمد لله أن القيادة الآن لم تعد بيد الحكام ولم تعد القصور هي التي تحكم. الآن القيادة أصبحت للشارع.. الشارع هو الذي يحكم الآن.. الثائر هو الذي يحكم والمتمرد هو الذي يحكم.. حتى الإرهابي دعهم يسمونه إرهابياً هو الذي يحكم.الآن، كلهم من أكبر دولة إلى أصغر دولة مرعوبون من الإرهاب. والإرهابيون من هم؟ هم أفراد عاديون ليسوا حكاما.. ليست لديهم جيوش ولا تيجان ولا صولجانات.. أفراد عاديون ترتعد منهم أكبر دولة. هذا ليس معناه أننا نؤيد الإرهاب أو نؤيد شيئاً آخر. لكن معناه أن الذي يغير الأمور ويغير مجرى الأحداث هو الشارع، هو المواطن العادي الذي هو نحن، هذه


مسجد في تمبكتو

الأطلسي (بحر الظلمات) ووصلت إلى شواطئ أمريكا الشمالية، والعديد من الدراسات والشواهد الأثرية، تثبت أن حضارة مالي، وصلت إلى هناك قبل اكتشاف كولومبوس، وحتى قبل ادعاءات (الفايكنج) باكتشافها، ومن أهم الروايات التي استعملها كولومبوس، لتدعيم روايته حول إمكانية الوصول إلى جزر الهند الشرقية، عبر قطع المحيط الأطلسي، كانت روايات عدد من البحارة المسلمين الأفارقة، الذين وصل بعضهم تلك الجزر، وبعضهم رآها لكنه لم يصلها، لأنه في ذلك الوقت من العام، تكثر الأعشاب البحرية على سطح الماء، وتمنع السفن من الإبحار.

وكان في تمبكتو في تلك العصور، عدد كبير من المدارس وثلاثة مساجد رئيسة، بني أكبرها مهندس جاء خصيصًا لهذه الغاية من الأندلس، وجامعة كبيرة كانت من أهم المعاهد العلمية في عصرها، هي جامعة سنكوري.

أما تمبكتو الحديثة، فقد اجتمعت كما قلنا قرية طينية تائهة في قلب الصحراء، لا يمكن الوصول إليها إلا عبر القوافل البرية، وباستخدام القوارب عبر نهر النيجر، وحتى القوارب لا تصلها إلا أثناء موسم واحد من العام، لا تزيد مدته على شهرين، كما وتعاني المدينة الأمرين من زحف الصحراء عليها، وشح المياه والأمطار، حيث ينخفض معدل الهطول في البلاد عن 1,6٪. أما عن الفقر فحدث ولا حرج، حيث إن نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي في مالي، حوالي 827 دولارًا للعام، مما يعني أن الكثير من الأفراد لا يحصلون على أجزاء من هذا المبلغ فعليًا.

وكان من أول جهود جمعية الدعوة الإسلامية

تهنئ القائد وتهنئ إفريقيا

بهذه المناسبة تهنئ القائد وتهنئ إفريقيا بهذا الحدث المميز من كل الجوانب، فهو اجتماع للمسلمين من أصقاع الدنيا كافة على أرض إفريقيا، في حاضرة أغاديس بالصحراء، وهنا أود أن أؤكد أن القائد معمر القذافي، هو قائد الأمة وأنه دعانا لنجتمع وتكون هذه الأمة على كلمة واحدة في جميع شؤونها، فنحن كمسلمين كل واحد يقف في مكان مختلف ولكن كلنا نجتمع معه ونحس بأننا مسلمين، ونعرف بأننا أمة واحدة.

عبد الله محمد سعيدي
تنزانيا

العالمية، بعد ملتقى تمبكتو، أن جهزت حملة لدراسة أوضاع مركز أحمد بابا التمبكتي للمخطوطات، للعمل أولاً على ترميم المخطوطات الموجودة فيه، ثم إنشاء مركزين دوليين، يختصان بدراسة وترميم وحفظ المخطوطات الإسلامية القديمة، الأول في طرابلس، وسيكون مركزًا ضخمًا يهتم بجمع المخطوطات من كافة أرجاء العالم، والعناية بها، والثاني سيكون امتدادًا وتحسيناً لمركز أحمد بابا التمبكتي في تمبكتو، للعناية بهذا المركز الحضاري ومخطوطاته.

ثم تأتي بعد ذلك الجهود التنموية المختلفة، مثل تحسين وضع المطار الصغير، غير المجهز الذي يخدم المدينة، حتى يصبح قادرًا على استقبال الرحلات بشكل منتظم، ويكون حلقه وصل بين المدينة المفقودة

تعرفت على الإسلام من خلال القائد

جئت من المنطقة الشمالية (كامالي) بجمهورية غانا، والآن أشعر بالسرور، فمن خلال حديث الأخ القائد، تعرفت على الدين الإسلامي، وهو الدين الحقيقي الصحيح، و عرفت أن حمل الصليب كان خطأ، ولهذا أشعر الآن باطمئنان القلب، وكما شعرت بالسرور عندما أشهرت إسلامي أمام زعيم المسلمين وقائدهم.

عندنا أتباع كثيرون موجودون في مناطقنا وبلداننا، وعندما نرجع إلى مناطقنا سنبذل الجهد الكبير لكي نعرفهم بحقيقة الإسلام ورسالة الإسلام ودعوة الإسلام، ونتمنى أن يشهروا إسلامهم، كما سنبلغ عندما نرجع إلى بلدنا زملاءنا من الأمراء، وندعو لهم بالهداية لكي يدخل جميع الأمراء حولنا الدين الإسلامي، وإن شاء الله تعالى في السنة القادمة في مثل هذا الوقت ستجدون الكثير من الناس يشهرون إسلامهم أمام القائد.

بلقوره

جمهورية غانا

الجماهير.. هذه الناس العادية هي التي بيدها الحل والربط. نحن بيدنا الحل والربط.

التزمنا بميثاق تمبكتو

قلنا في المرة السابقة إننا التزمنا بميثاق تمبكتو، ومرت سنة ونحن ملتزمون، ولم يحصل إلا خرق بسيط جداً سأذكره لأصحابه على حدة فيما بعد. ينبغي أن نوضح أنه بعد تمبكتو ارتعدت فرائص بعض الحكام ولم يناموا الليل. قلنا يا إخواننا لا بأس ماذا عملنا في تمبكتو.. قالوا أنتم عملتم في تمبكتو شيئاً خطيراً. شيء خطيركيف؟. قالوا أنتم عملتم إمبراطورية صحراوية تمتد من بادية الشام إلى السنغال. نحن عملنا إمبراطورية؟ نحن عملنا دولة جديدة؟ نحن لم نعمل ذلك. نحن ماذا قلنا؟ قلنا إن كل دولة حسب حدودها الموجودة الآن يجب أن تُحترم. هل فينا أحد قال غيروا الحدود الموجودة.. أبداً.. ليبيا هي ليبيا الجزائر هي الجزائر السنغال هي السنغال الأردن هي الأردن موريتانيا هي موريتانيا السودان هو السودان، حسب الخرائط الموجودة الآن المعترف بها.. لم نقل نغيرها. لكن قلنا نحن سكان الصحراء وقبائل الصحراء المهمشة والتائهة في الصحراء والتي تحت أقدامها الذهب الأسود ولا تستفيد منه والتي عندها البترول والغاز ولا تستفيد منه.. والتي عندها البقرة وحليبها يشربه الآخرون من وراء البحر.. قلنا إننا يجب أن نعيش على قدم المساواة مع الناس في الشمال، والذي في المدينة والذي في الحضر، وأننا نريد الاستقرار لأنفسنا ونريد السلام والأمن. هل قلنا نريد حرباً؟ هل قلنا نريد قطع الطرق؟ هل قلنا نريد التهريب؟ هل قلنا نريد العنف؟. أبداً..

والعالم، ثم تحسين الأوضاع المعيشية والتعليمية للسكان، بإنشاء المدارس والمعاهد والمساجد والمشاريع التنموية المختلفة، لمواجهة حركات التنصير والتهويد التي اجتاحت المدينة، مستغلة فقر أهلها وضعف حالهم، هذا في مدينة كانت عاصمة لامبراطورية حكمت معظم إفريقيا، وكان اليهود ممنوعين من دخولها، وكما كان حكامها يعاقبون أي تاجر يتعامل مع اليهود، بمصادرة أمواله ومنعه من العمل فيها.

أغاديس :

أما أحدث هذه المحطات، فهي مدينة أغاديس في النيجر، الدولة المسلمة بامتياز، حيث تزيد نسبة المسلمين فيها عن 95٪. أما موقعها على مقاييس الفقر العالمية، فهو الموقع قبل الأخير أي أنه لا يوجد على وجه الأرض دولة أو فرداً أفقر من الدولة النيجرية والفرد النيجري، سوى دولة واحدة، وطوال الأعوام الخمسة الماضية، كانت النيجر تعاني مجاعة شديدة هي إحدى أسوء المجاعات في تاريخ العالم، حيث إن النيجر يجتمع فيها عدد من أكبر مسببات المجاعات في العالم، أولها: قلة تساقط الأمطار، حيث تقل نسبة الهطول عموماً عن 02.٪ سنويًا، عدا عن أن الأمطار انقطعت عن البلاد بشكل شبه تام، منذ شهر 8/2004م.

وثانيها: انتشار الجراد والآفات الزراعية، حيث عرفت النيجر مؤخرًا موجات من الجراد والآفات الزراعية، وصلت نسبة إتلافها للمزروعات في بعض المناطق إلى 100٪.

وثالثها: الرياح الصفراء أو الرياح الرملية، والتي يزيد منسوبها بانخفاض نسبة الهطول وحالة الجفاف العام، وعدا عن التأثير السلبي لهذه الرياح على المزروعات فإنها قاتلة للمواشي والبشر على حد سواء.

ومما يحز في النفس، أنه وبالرغم من معاناة النيجر المسلمة، إلا أن أول وأكثر من هب لمساعدتها، كانت المنظمات الدولية غير التابعة لدول عربية أو



القائد بيّن لنا الحقائق

الحمد لله أنا الآن أحد المهتدين، وأشكر والدنا القائد معمر القذافي، لأنه قام بإرسال مندوب للقرية لدعوتنا لدخول الإسلام، وبعد أن تعرفت على هذا الدين يسعدني أن اعتنق الإسلام، وقد حضرت وقمت بإشهار إسلامي أمام الزعيم القائد معمر القذافي، ولهذا أشعر بفرحة نطق الشهادتين أمامه، وأنا أشعر بأهمية ما بيّنه القائد من حقائق، للأسف الكثير من الناس لا يعرفونها.

عبد الجليل
زعيم قرية (لوكوها) التوغو

إسلامية، باستثناء بعض الجهود البسيطة لبعض الجهات والصناديق العربية والإسلامية، حيث أوشكت المجاعة أن تفتك بما يزيد على 800 ألف طفل نيجري، هم أشد ضحاياها معاناة، هذا بعد أن زاد عدد الوفيات من النساء والأطفال على 80 ألف حالة وفاة، ماتت جوعًا ومرضًا، حتى وصل الحال بالمواطن النيجري إلى استخدام حبوب الثخن، غذاءً رئيسًا لهم، ولمن لا يعرف حبوب الثخن، فهي نوع سيء من أعلاف الطيور، التي تستخدم لتغذية الطيور المنزلية الصغيرة، هذا عدا الأوبئة المتفشية، وعلى رأسها الحصبة والتهابات السحايا التي وصلت نسبتها حوالي 17,9٪.

والنيجر لمن لا يعرفها، دولة إسلامية تقع على الحدود الجنوبية لليبيا والجزائر، ويقدر عدد سكانها بـ11 مليون نسمة، بكثافة سكانية أقل من 10 نسمات لكل كيلومتر مربع، ونسبة المسلمين فيها حوالي 95٪، ونسبة من هم دون الخامسة عشر 45٪ من مجموع السكان، منهم أقل من 37٪ على مقاعد الدراسة، ومعدل دخل الفرد دون 150 دولارًا في العام، أي أقل من 40 سنتًا أمريكيًا يوميًا، وما يزيد على 80٪ من سكانها يصنفون كقرويين، وشعب النيجر يمتهن بالدرجة الأولى الزراعة، ومنها تعتاش البلاد، ويشكل أي وباء زراعي أو موسم جفاف، كارثة محققه لأهالي النيجر.

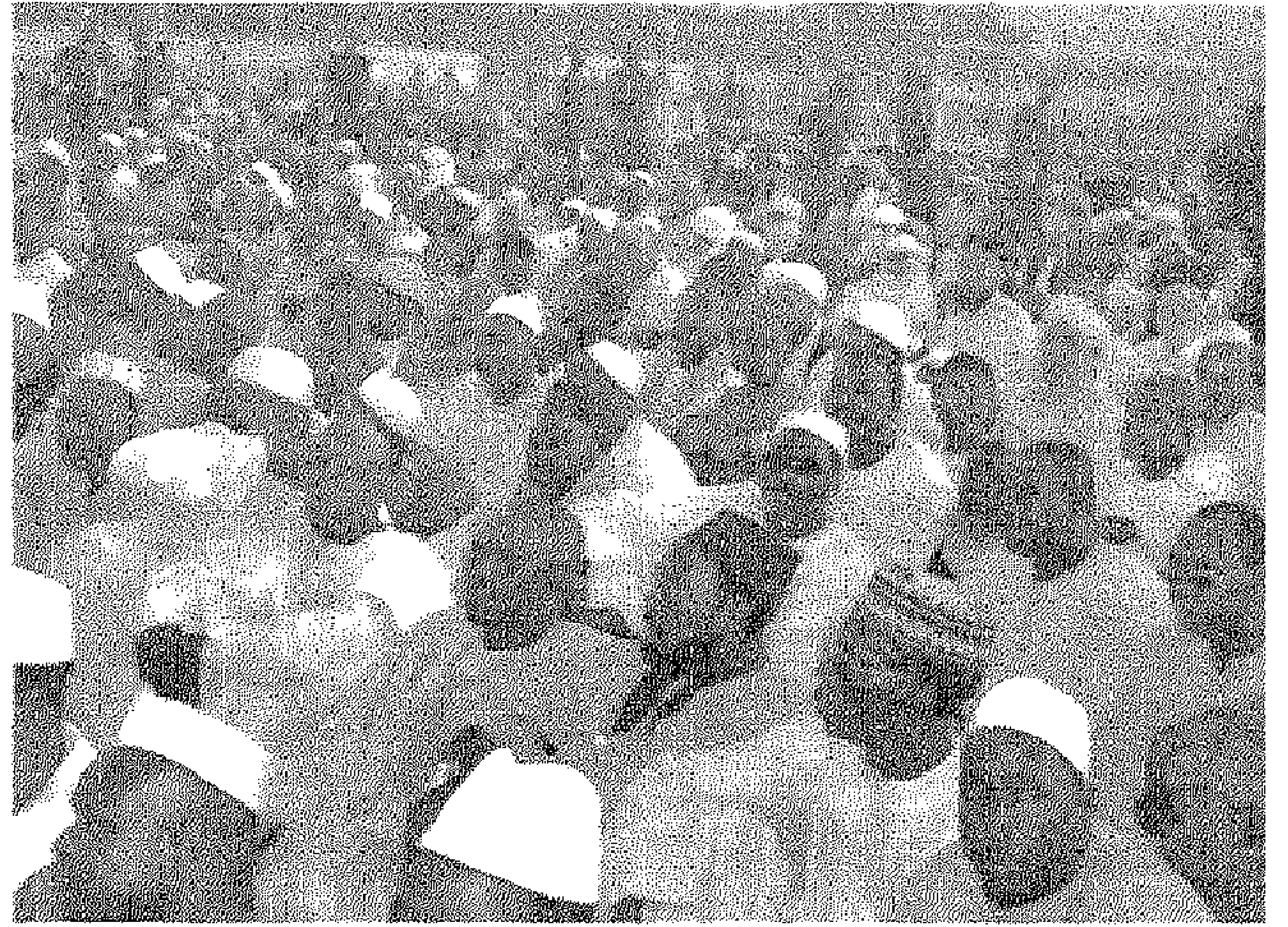
وفي النيجر حالياً عدد من المدارس القرآنية، أو ما يعرف بالكتاتيب، تضم حوالي 34٪ من صغار السن (من هم دون الخامسة عشر) وحوالي 19٪ منهم

نؤيد خطواتكم

نبارك ونؤيد خطواتكم الجبارة في إقامة الدولة الفاطمية الحديثة.

شباب وشيوخ الأشراف بمدينة قنا ومحافظة البحر الأحمر ومحافظة الدقهلية مصر

نحن ضد هذه الأشياء. إذاً لماذا يخاف الحكام؟. إذا كانوا يخافون من أننا يجب أن نتحرك بحرية، وتكون عندنا حصة في ثروة هذه الصحراء أو أن ثروة الصحراء تعود إلينا.. إذا كانوا خائفين من هذا عندهم حق. ولكن هذا معناه أنهم لا ينوون أن يعطونا نحن سكان الصحراء حقتا في الثروة على الأقل ثروة الصحراء.. نحن لا نريد ثروة البحر.. ليأخذوا ثروة البحر. نحن نريد ثروة الصحراء التي فيها الذهب وفيها البترول وفيها الغاز.. يعطوننا هذه الثروة. ولا تبغي سلاحاً ولا ثورةً ولا انفصالاً .. نحن ضد هذه الأشياء. كيف سنعمل انفصالاً إذا كنا نأتي لقبيلة مثلاً، هنا الآن وفود جاءت من الأردن من سوريا من العراق من الجزيرة.. سمعت كلمة (شمّر سوري، وشمّر أردني، وشمّر عراقي، وشمّر من الجزيرة، وشمّر حجازي وشمّر نجدي) معناها أن قبيلة (شمّر) هذه منتشرة في كل هذه البلدان. كيف نعمل انفصالاً لقبيلة (شمّر).. غير معقول.. فنحن متداخلون مع قبائل أخرى. نأتي لقبيلة الهوسا مثلاً، هذه 20 مليوناً.. يوجد هوسا في النيجر وهوسا في نيجيريا وهوسا في البلدان المجاورة للنيجر ولنيجيريا، هل معقول أن نقول الهوسا يستقلون ويعملون دولة؟. قبيلة الفولاني هذه تجدها في بوركينا فاسو، في السنغال في مالي في ساحل العاج في النيجر. كيف نلمّها ونعمل منها دولة؟ قبيلة الطوارق موجودة في ليبيا في الجزائر في النيجر في مالي وحتى في بوركينا فاسو كيف نجمعها ونعمل منها دولة. نحن لم نقل أبداً إن كل قبيلة نعمل منها دولة ولم نقل إن الصحراء نعمل منها دولة. نحن قلنا نحترم الحدود المعمولة الآن



يدرسون في المدارس الابتدائية والإعدادية النظامية، وليس في الدولة بكاملها إلا جامعتان: الأولى جامعة نيامي، في العاصمة، والثانية الجامعة الإسلامية في مدينة ساي.

وفي النيجر حوالي 10 لغات ولهجات محلية، لكن تبقى لغة الهوسا هي اللغة الأكثر انتشارًا إلى جانب العربية التي كانت اللغة الرسمية للأدباء والمثقفين، والتعاملات الدبلوماسية للدولة، حتى قام الاستعمار بحصر تأثيرها في المساجد والكتاتيب، لكن عادت الدولة لتنشيطها منذ الاستقلال عام 1960م.

أما أغاديس، فهي من أشهر المدن والحواضر الإسلامية العديدة في النيجر، حيث إن قربها من مدينة (تيجدا) بوابة النيجر الإسلامية، لعب دورًا هاماً في جعلها عاصمة إسلامية هامة، للإقليم الذي يحمل اسمها، وقد أسست المدينة في القرن الحادي عشر الميلادي، على يد قبائل الجوبيرا المسلمة، وكانت تحمل اسم (أغادا) حتى تحول الاسم إلى أغاديس، في عهد العرب الطوارق، وكانت المدينة ضخمة واسعة، يسكنها مئات آلاف البشر، وفيها أكثر من 150 مسجدًا، وعدد كبير من المدارس، ووصفها ابن بطوطة، والوزان، بأنها مدينة عامرة كثيرة المساجد، تنشط بها التجارة، وفيها أكثر من عشرين حيًا سكنيًا، وكانت مدينة حسنة التنظيم، بنيت وفق الطراز المعماري البربري، وبقيت أغاديس، على هذا الحال من الازدهار، حتى قامت قبائل (كيل أويون) بغزوها وتدميرها، وارتكاب المجازر ضد أهلها، حتى لم يبق من سكانها سوى سبعة آلاف

الإسلام رحمة للعالمين

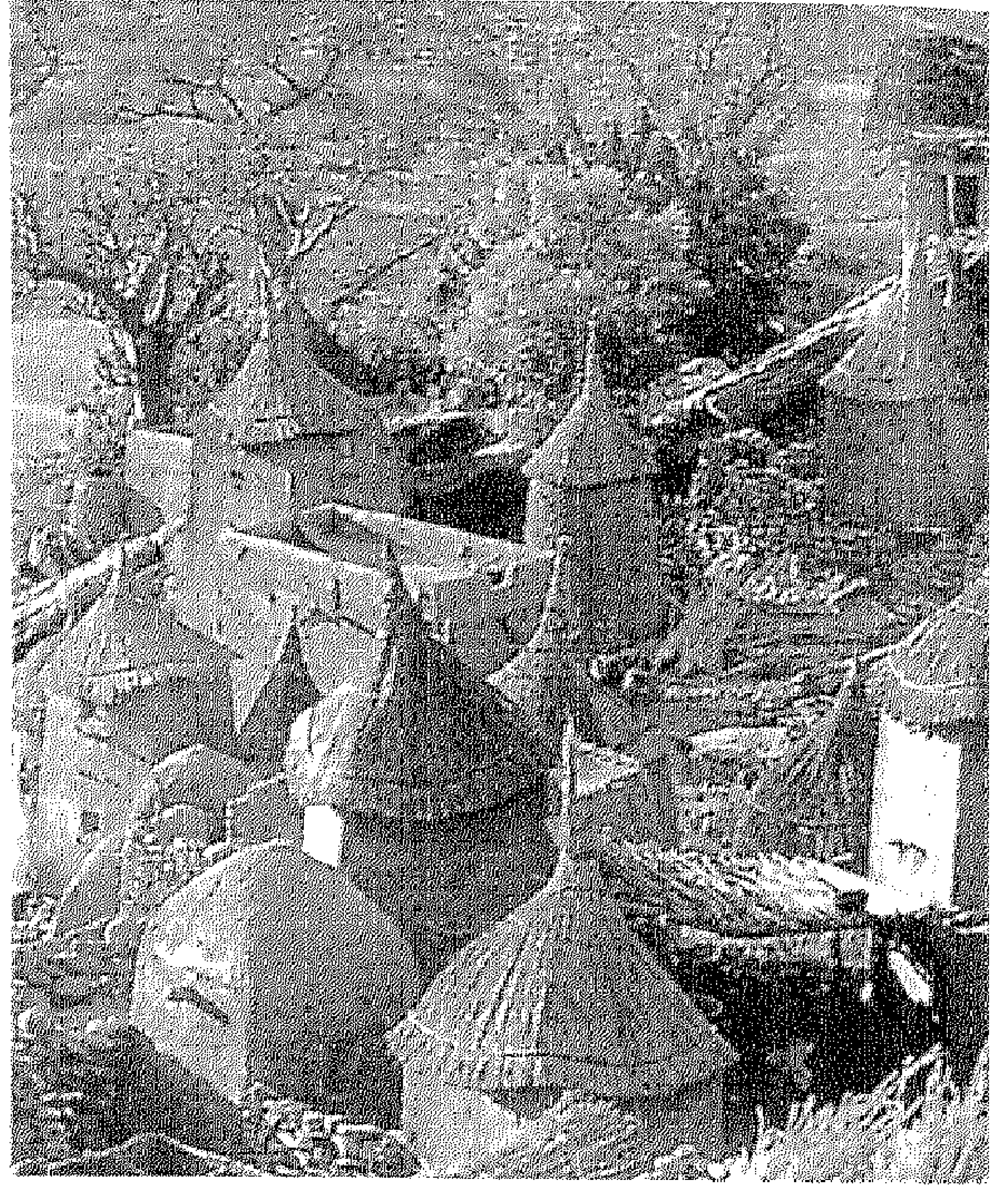
عندما علمت بأنه تمت الاستجابة لرغبتي في إشهار إسلامي أمام القائد، زاد فرحي واستبشرت خيراً، لأنني رأيت جهود القائد في دعم العمل الإنساني، ففي قريتنا تم حفر بئر لنا قبل أن أدخل السلام ونحن نستفيد منه، ولم يقل لنا أحد اعتنقوا الإسلام حتى نحفر لكم بئرا، وهذا موقف جعلني أفكر كثيرا، والحقيقة التي أدركتها أن الإسلام هو رحمة للعالمين، فهو يدعو معتنقيه إلى عدم التفرقة في أعمال الخير بين بني الإنسان، ونحن نتمنى أن تبنى لنا مدرسة في قريتنا.

وبعد أن دخلت الإسلام أدركت أنني كنت في الظلمات، أما اليوم فرجعت إلى نور الإسلام، ولهذا أقول مع القائد كيف يكون جميع أسماء أنبياء الله موجودين في القرآن الكريم، على عكس الأناجيل «الكتب» المسيحية، لذلك فإن ما قاله القائد هو حقيقة.

ونحن نشكر الأخ القائد وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجزيه الخير وأن يرفع مقامه إلى أعلى الدرجات، فلقد رأيته وهو يصلي بالناس ويعظهم وكأنه واحد منهم، والحقيقة أننا لم نعهد هذا من أحد.

صحيح الإسلام هو الدين الحق، وعند عودتي سأخبر جماعتي وأهلي بما رأيته حتى يدخلوا الإسلام، وأشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لمساعدتها للمسلمين ونشرهم للإسلام.

تاكوكولازا/ من قرية (لابي) في جنوب التوغو

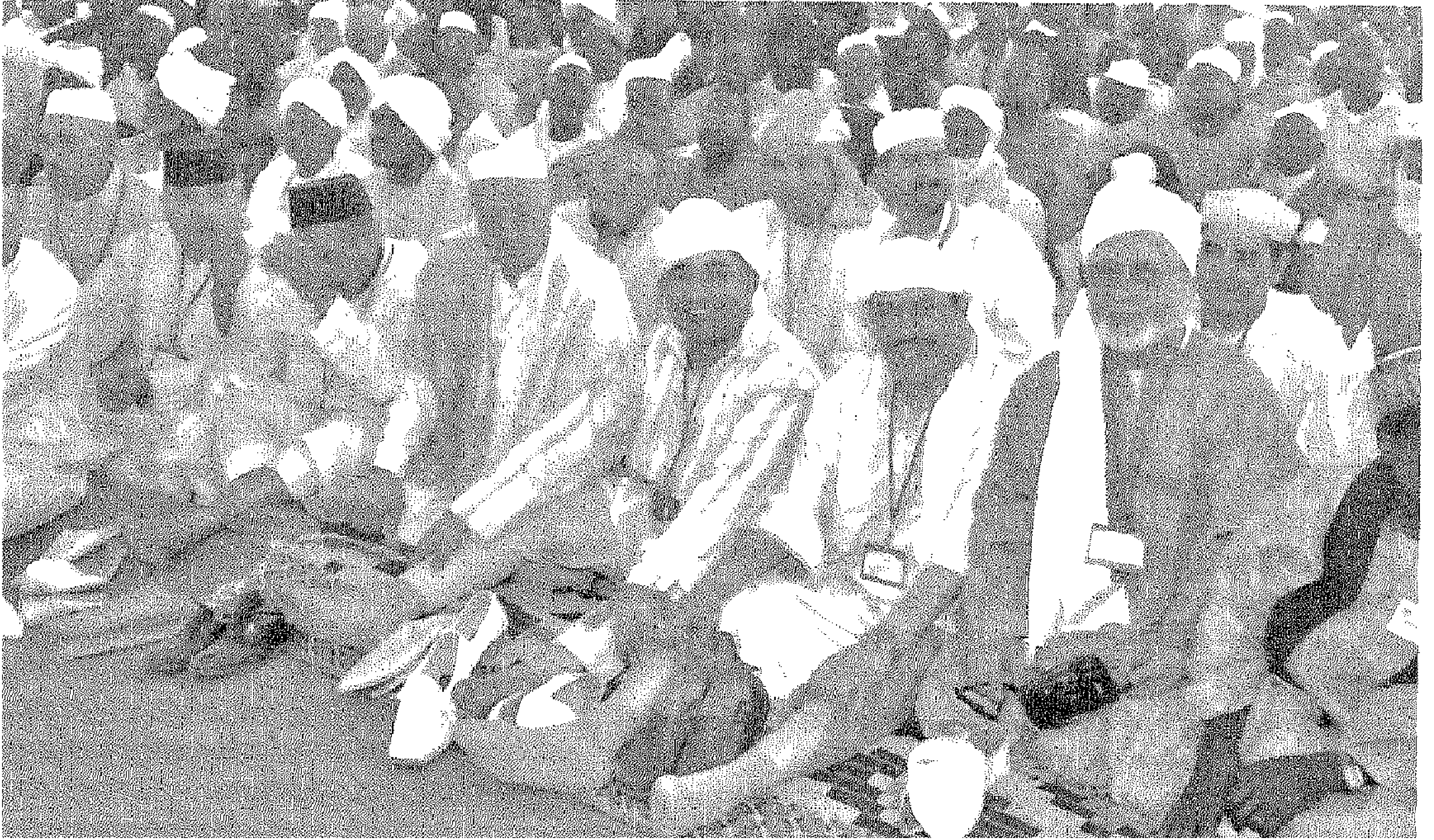


نسمة، ومن مساجدها سوى عشر.

أما أغاديس الحديثة، فهي لا تتجاوز قرية طينية واسعة المساحة، لا يوجد فيها أي شوارع معبدة، أو مبان حديثة، وليس بها سوى مدرسة كبيرة واحدة، تتبع لأحدى البعثات التبشيرية الفرنسية، وليس بها من الصناعات والحرف ما يذكر، سوى صناعة الحصر وطرق بدائية لإعادة استخدام الحديد، الناتج عن مخلفات السيارات والمباني القديمة، وليس في الإقليم كله، الذي هو أكبر أقاليم البلاد الخمسة عشر، والذي تبلغ مساحته عدة أضعاف مساحة الكثير من الدول العربية، سوى 124 مدرسة عربية، متواضعة، ومعهدين متوسطين، ويبلغ مجموع الطلاب في مختلف المراحل الدراسية، على مستوى الإقليم حوالي 3900 طالب، وهي نسبة منخفضة جدًا.

أما الآن، وبعد أن كانت أغاديس إحدى المحطات التنموية، لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية فقد بدأت بوادر الخير تهل عليها، فقبل موعد ذكرى المولد النبوي الشريف، لهذا العام بأشهر، قامت طواقم من جهات

«والقابعون خلفها يبقون فيها إلى يوم القيامة، لا تهمنا. نحن يهمنا أن نتحرك بحرية عبر الصحراء وإذا وجدوا أحداً منا يهرب السلاح أو العملة أو المخدرات أو البشر أو السلع، عندهم حق أن يمسكوه ويحاكموه حسب القانون. نحن قلنا نريد أن نعمل بحرية ولكن في وضح النهار. ونحن حسب (ميثاق تمبكتو) سنتبرأ من أي واحد يهرب أو يتسلل أو يتاجر في الممنوعات، ويتحايل على القانون. وإذا عمل أحد، من أي قبيلة من الصحراء، عملاً مثل هذا مخالفاً لميثاق تمبكتو، لا بد أنتم قيادات الصحراء هذه، هي التي تحاسبه وتتبرأ منه وتستهجنه استهجاناً اجتماعياً، وتوقع عليه أي عقوبات قبلية، لأننا لا نريد أن يسيء أحد لسمعة أبناء الصحراء وقبائل الصحراء. قلنا قبائل الصحراء عندها أخلاق، عندها قيم، عندها مبادئ، عندها تاريخ ،عندها كرامة لا تسمح لأبنائها بأن يكونوا مهربين أو حشاشين أو أن يكونوا متسللين أوأن يكونوا إرهابيين. قلنا هذا الكلام.. وهذا الكلام ليسمعه الحكام الذين خافوا. الآن عندما أريد أن ألتقي بالطوارق مثلاً، أو مثل ما هم يسمون القبيلة «تماجق».. عندما نلتقي بهم إذا كانوا من الجزائر نقول لهم يا سلام أنتم وطنيون جزائريون مرتاحون وإن شاء الله السلام للجزائر ووحدة الجزائر والأمن للجزائر ونحن نرى وضعكم تماماً، ما شاء الله ولا تعملوا أي حاجة تسيء للطوارق حتى يعتبروهم كأنهم أقلية من الأقليات. نأتي للطوراق الذين في ليبيا: أنتم ليبيون مرتاحون وبلدكم ما شاء الله. نأتي للطوراق الذين في النيجر: نفس الشيء.. نقول لهم أنتم مناطقكم في النيجر.. أنتم موجودون في



من أنحاء العالم اجتمعوا في أغاديس

ليبية متعددة، بتحسين أوضاع المدينة بشكل واضح، فشق طريق معبد، ونصبت أعمدة الإنارة، والإشارات الضوئية، ومدت شبكة كهرباء وإنارة، غطت المدينة بأكملها، بحيث قفزت قوة التيار الكهربائي في المدينة من 4، 2 كيلو فولت، إلى 3200 كيلو فولت، هذا عدا عن توسعة المطار وتحسينه وإنارته، بحيث أصبح قادرًا على استقبال طائرات البوينج الضخمة، وتجهيز وإنارة الملعب الرياضي للمدينة، وهذا كله ليس إلا غيضاً من فيض، ممّا تنتظره المدينة والدولة من خير عميم.

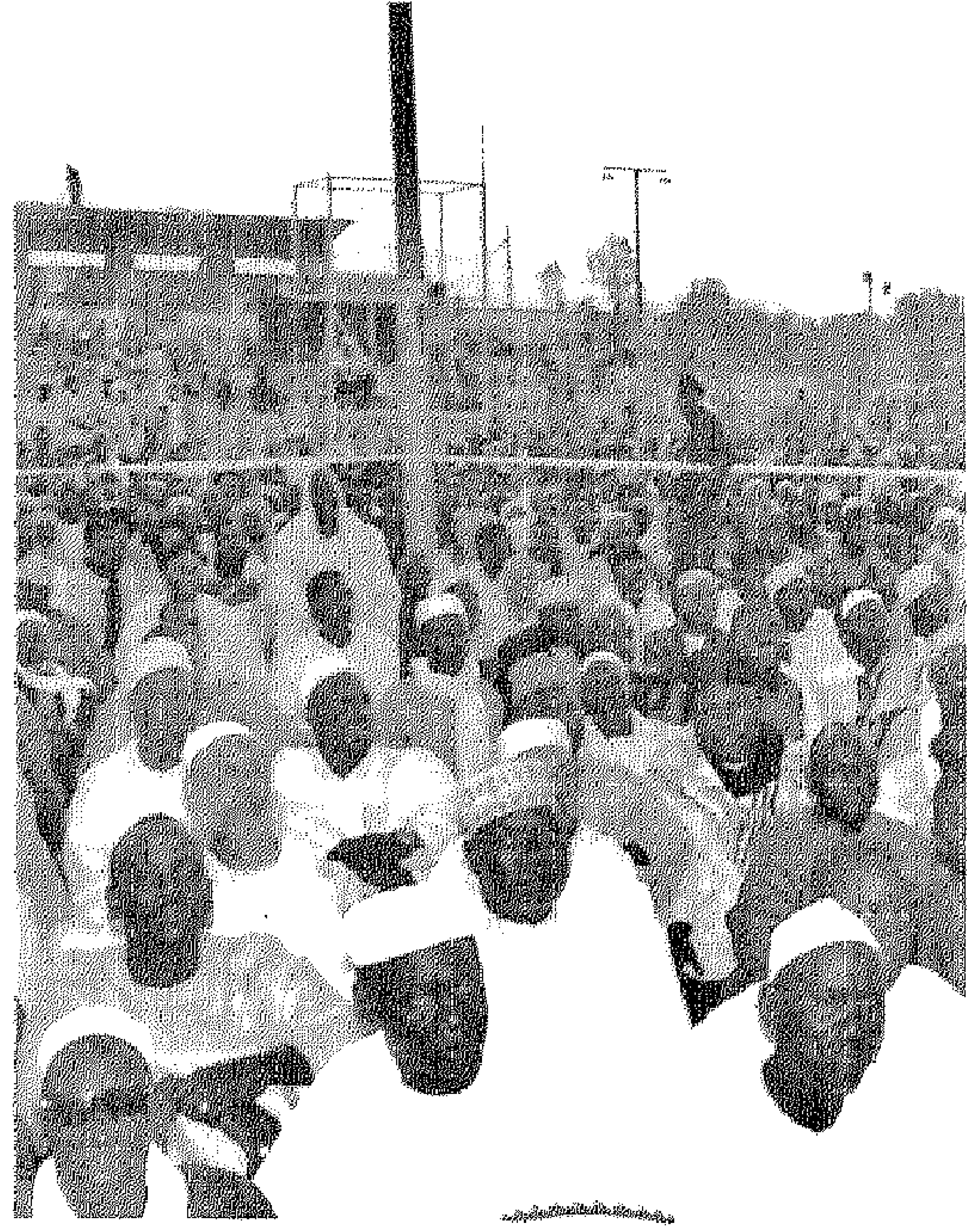
وفقكم الله

نود أن ننقل إليكم فرحتنا الكبرى بما سمعناه في خطابكم الرائع في النيجر الذي حضره عدد من رؤساء الدول والقبائل والعشائر والأشراف من أنحاء العالم، و فقكم الله لكل خير وسدد خطاكم وجعل لم شمل العالم الإسلامي على أيديكم.

الدكتور محمد حسين راغب الحسيني

نقيب الأشراف في سوريا

في ظل كل ما سبق، يجب ألا يطغى السرد التاريخي والتحليل السياسي، أو الثقافي على الواقع، الذي ينبئ صراحة عن دور كبير وجهود بذلتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، لإعلاء كلمة الله وأعمار أرضه، بصورة عجزت عنها الكثير من الجهات، حتى يكونوا أهلاً لاستخلاف الله -سبحانه وتعالى- لهم في أرضه، فمن كانو إلى تمبكتو، ومن بعدها أغاديس، ولا زال قطار الخير والبشر مندفعًا، عبر بقاع وحواضر إفريقيا المسلمة، مع الأخذ بعين الاعتبار، أنه كان يمكن للقيادة والجمعية أن تعقدا كل هذه الأنشطة، في أكبر العواصم، وضمن أرقى وسائل الراحة، لكن اختيرت هذه البقاع، لأهداف ليست بخافية على أحد، منها: إرسال رسالة واضحة، إلى دعاة التنصير أولاً، وإلى العالم الغربي ثانياً، أن إفريقيا المسلمة، ليست لقمة مستساغة لكم، تلوكونها كيف شئتم، بل هي أرض مسلمة وجزء عزيز من بلاد الإسلام، يبذل فداءً لها الغالي والنفيس، ومنها إشعار الإفريقي المسلم، أنه لا



يقف وحده في وجه هذا الطوفان الغاشم، من الاستعمار الجديد، وأن إخوته المسلمين، من الصين شرقًا، إلى أمريكا غربًا، ومن أستراليا جنوبًا، إلى كندا شمالاً، من كل لون ومذهب ومشرب، ومن كل مدرسة فكرية، يقفون إلى جانبه ويشعرون معه، كما ويشعر الفرد المسلم بمقدار ما يعانيه أخوه الإفريقي، من حاجة وعوز وضعف ومقارعة للمرض والفقر، وانعدام أدنى وأبسط مقومات الحياة، في كل يوم من حياته، فيعود إلى بلاده ليبذل كل جهد ممكن، ليساعد ويساند إخوته في كل مكان .

خطاب تاريخي

إن خطابكم التاريخي في النيجر ما هو إلا دليل على حرصكم الشديد لاعادة الحق المسلوب إلى أهله.. وفقكم الله وسدد خطاكم وجعل لم شمل أمة محمد على أيديكم.

رعد إسماعيل محمد الحسيني

ممثل السادة الأشراف في العراق

النيجر استقروا في النيجر.. نعمل مشاريع في النيجر ومثلكم مثل القبائل الأخرى الموجودة في النيجر ومثل القبائل الأخرى الموجودة في ليبيا ومثل القبائل الأخرى الموجودة في الجزائر. تأتي لمالي: نفس الشيء.. أنتم يا طوارق الموجودون في مالي مثلكم مثل بقية القبائل السنغاي والبرابيش والبنباري والفولاني والموسي.. كل هذه القبائل نقول لهم أنتم مثلكم مثلهم. لأننا لا نقدر أن نقول اعملوا دولة للطوارق وإلا فحتى البنباري اعملوا لهم دولة والموسي اعملوا لهم دولة والفولاني اعملوا لهم دولة واليروبو اعملوا لهم دولة والهوسا اعملوا لهم دولة والتبو دولة والقذاذفة دولة وورفلة دولة والفرجان دولة. هذا غير معقول.

وحدة الاقطار وليس فصل القبائل

نحن كقبائل موجودون هكذا في أقطار.. نحن نفكر في وحدة هذه الأقطار كلها وليس في فصل القبائل. وبالتالي دعوتنا من تمبكتو حتى الآن، لمصلحة النظام في الجزائر، لمصلحة النظام في مالي، لمصلحة النظام في النيجر، لمصلحة النظام الشعبي في ليبيا، لمصلحة النظام في مصر في الأردن في الجزيرة في الشام في السودان. لو مثلاً أن الرشايدة نقول لكم اعملوا دولة الرشايدة موجودون في إريتريا.. موجودون في السودان.. موجودون في الحجاز كيف تعمل دولة عبر البحر!. لكن إذا كان الرشايدة كلهم يريدون أن يعودوا للحجاز أرضهم هذا شيء ثان.. يعودون. إذا كان الطوارق كلهم يريدون أن يعودوا لليبيا يقولون هذه بلدنا.. تفضلوا أهلا وسهلاً يعودون. إذا كان التبو يريدون أن يعودوا،

خطاب أغاديس ومعطيات المستقبل

د. حسن الباش *



قبل عام وفي مدينة تمبكتو، ألقى القائد معمر القذافي خطابًا في ذكرى مولد الرسولﷺ، تناول فيه عددًا من القضايا الهامة والحساسة، أثارت لدى الكثيرين من المسلمين ردود فعل، خاصة فيما يتعلق بعالمية الإسلام، وانحراف أصحاب العقائد الأخرى عن الحقائق الدينية والتاريخية، وفيما يتعلق برؤية معمر القذافي المستقبلية، والتي ترتبط بوحدة المسلمين للنهوض من جديد في مواجهة التحديات المعاصرة.

تواصلاً وامتداداً لهذه الرؤية جاء خطاب أغاديس في النيجر في نفس المناسبة تناول القائد فيه القضايا الكبرى التي تعرض لها في العام الماضي، لكنه في لقائه مع زعماء القبائل، كانت له كلمة جامعة فاجأت الجميع بما حوته من أفكار، وبما تضمنته من رؤية للمستقبل؛ وحين نقرأ ما تناوله من أفكار، نجد أنفسنا أمام منهج فكري يتراكم كمًا ونوعًا، ليستكمل ما بدأ به منذ زمن بعيد، ولعلنا اليوم بحاجة إلى وقفة موضوعية مع ما طرح، لأن الأمور المتعلقة بالمنطقة والعالم، بلغت من التعقيد حدًا كبيرًا، وليس لحلها سوى أن نفكر بجدية فيما جاء بالخطاب .

---

* كاتب وأستاذ جامعي / سورية.

الاحتفال والتحدي

يرى الأخ القائد أن هذا الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ، يعبّر عن التحدي الإسلامي، لمن يريدون تشويه الإسلام، ونبيه محمد ﷺ وفي هذا الإطار يبدو أن هناك منهجين عالميين متناقضين، منهجنا الإسلامي والمنهج الغربي، فنحن نتمسك بثوابت الإيمان بالرسل جميعًا، بينما هم يعادون هذا الإيمان، ويتجاوزون حدودهم حين يحاولون الإساءة إلي النبي محمد ﷺ، إنهم لا يقبلون إسلامنا ولا قرآننا ولا نبينا، ويمارسون العنف والإرهاب ضدنا، وليس احتلال فلسطين والعراق وأفغانستان سوى دليل كبير على منهجهم العدائي الإرهابي، ويبرز هذا التحدي حين نرى أنهم يدرسون الكراهية والحقد، استنادًا على رؤيتهم العنصرية القومية، ونحن ندرس الحب والسلام استنادًا على ديننا المتسامح، ديننا الإنساني العالمي.

ولو كنا ندرس منهج العداء، لما آمنا بما أنزله الله علينا من تقدير وإيمان بالرسل جميعًا، بموسى وعيسى وإبراهيم وداود وسليمان، وغيرهم من أنبياء الله، وهنا لا بد من الوقوف عند مسألة فكرية غاية في الأهمية.

فنحن نجد طرفًا في هذا الكون وهم يجدون طرفًا آخر، وبمعنى من المعاني نقف أمام مقولة: ـ نحن والآخر ـ لنرى أن هناك منهجين متناقضين في العقيدة وفي الرؤية الإنسانية وفي آلية التعامل الإنساني.

حلول ناجحة

يسعدنا ويشرفنا أن نبارك خطابكم التاريخي بالنيجر، لما فيه من حلول ناجحة للأزمات التي تعاني منها أمتنا العظيمة في تاريخها المعاصر.

الدكتور/ محمد جاسم المشهداني

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

يقولون نحن نريد أن نعود لتشاد ونطلع من بلمة ونطلع من تجرهي وتروح مثلاً، أهلاً وسهلاً.. وإذا كان يقول: لا سآتي لليبيا أهلاً وسهلاً. الهوسا يقولون نحن سترجع لنيجيريا وننسحب من النيجر.. ويمكن مثلاً أن قبائل الموسي كلها تتجمع في بوركينا فاسو، والله أحرار، إذا كانوا يريدون أن يتجمعوا هناك. لكن لم نقل أبداً ينفصلون.. لم نقل اعملوا انفصالاً.. لم نقل اعملوا حرباً.. لم نقل اعملوا مشاكل. هم إما أنهم غير فاهمين الكلام الذي قلناه، أو أن الاستعمار يوحي لهم بهذا، أو أنهم لا يعرفون أن يقرءوا الأعمال التي نعملها.

نحمل السلاح في وجه الاستعمار

نحن نحمل السلاح في حالة واحدة، قلنا لكم عنها، نحمل السلاح في وجه الاستعمار وهي إذاً دخل الاستعمار إلى الصحراء.. قواعد استعمارية.. استعمار.. غزو سوف نقاتل. نحن قلنا إن المستعمر إذاً دخل الصحراء فإن رملها يصبح رمضاء وحجارتها تصبح جمراً وهواءها يصبح غازاً خانقاً للأعداء، وأنتم رأيتم ما يجري في الصحراء. إذاً جاء الاستعمار إلى الصحراء بأي شكل من الأشكال، في ذلك الوقت نقول لكم احملوا السلاح وقاتلوا من أجل استقلال الصحراء ومن أجل رد الاستعمار إلى ما وراء البحر. أما غير هذا فنحن لا نحمل السلاح أبداً ولا نخرب الحدود، لكن يجب أن نعبر الحدود بحرية بين ليبيا والجزائريين، الجزائر ومالي، بين مالي والنيجر، بين النيجر ونيجيريا، بين نيجيريا والكاميرون، بين الكاميرون وتشاد، بين تشاد والسودان، بين



منهج العداء والكراهية

ومن خلال المعطيات الواقعية نرى أنهم ما يزالون متمسكين بمنهج العداء والكراهية ومازلنا متمسكين بمنهج التسامح والانفتاح، وهم متمسكون بالحس الاستعماري، فإذا بهم يحتلون العراق وأفغانستان وفلسطين، إذًا، ما زالوا يتطاولون على الإسلام والمسلمين، لأن منهجهم هو منهج التربية العدائية الكارهة للآخرين؟.

الآثار الإسلامية المهددة بالزوال بحجة الوثنية:

وحين يتناول الأخ معمر القذافي مسألة التطاول على الإسلام والمسلمين، لا يتوقف عند مظاهر العداء الغربي، بل يتوسع ليتناول ما تقوم به بعض الأوساط، من طمس للآثار الإسلامية في مكة والمدينة والأماكن الإسلامية الأخرى. فهم يحاربون الاحتفال بمولد رسول البشرية محمد ﷺ، وهم يفتشون عن آثار الرسالة ليهدموها، والشواهد على ذلك كثيرة، فأين ما خلفه المسلمون الأوائل في زمن رسول الله ﷺ من سيوف وتروس ومواقع، أين معالم معركة بدر وأحد والخندق؟ أين المنازل والمساجد التي أمر النبي محمدﷺ ببنائها، حتى القبور أزالوها، حتى رسائل رسول اللهﷺ إلى ملوك ذاك العصر حاولوا إتلافها، وكل ذلك بحجة الوثنية. إن المقياس في الإيمان هو التمسك بعقيدة التوحيد، ولن يفكر الإنسان المؤمن بالتخلي عن هذا، وهذه الآثار ليست دليلاً على الإيمان، فهي بالمحصلة شاهدة على الحضارة، على التاريخ ووقائعه، وهي عبر ودروس وليست مقياسًا للوثنية أو الإيمان.

والحقيقة لو كانت هذه الآثار لدى الأوروبيين، لاحتفوا بها واحترموها وحافظوا عليها لأنها شواهد تاريخية وحضارية للأمة، لكن ضيق عقول أولئك البعض، ومنهجه المعادي للإسلام والمسلمين، دفعه

حكمة حكيم

نعاهدكم أن نكون خير داعم لصمودكم وتوجيهاتكم الحكيمة وخير نصير لتصديكم المشرف وخير داع ومناصر لتطلعاتكم المنشودة.

محمد منير الشويكي الحسيني

الأمين العام لنشر وتحقيق وتوثيق الأنساب/ سوريا

لإزالتها وإعلان الحرب عليها بحجة الوثنية، بينما هو غارق بالوثنية الحقيقية، من خلال ما يمارسه من أمور تناي الدين وتناي أبسط قواعد الاحترام للرسول محمدﷺ ولتاريخ المسلمين وحضارتهم وتراثهم.

إن هذا المنهج، يريد أن يضع الإسلام بين الحقيقة والخيال، يصبح الشك في دين الله سائدًا في العقول والنفوس، بدل أن ترسخ حقيقته وتنتشر دعوته، ومن خلال هذا الطرح نستطيع أن نرى طرفين معادين للإسلام، طرف غربي جاهل، وطرف متآمر يصبان في هدف واحد، وهو معاداة الإسلام والمسلمين ومحاربتهم بكل الوسائل الإعلامية والمذهبية الممقوتة.

عقيدة التوحيد

إن المؤمن الحقيقي لا تؤثر فيه تلك الآثار، ولا حتى الأصنام والأوثان، فالإيمان بعقيدة التوحيد أقوى من كل هذه الرموز؛ يوضح معمر القذافي:

إذا كنا مؤمنين فنحن لا نخاف من هذه الأشياء، حتى لو يأتون بمليون صنم « سنقول لهم هذه الآية:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [سورة النّجم ،الآية : 23]

إن الدين عند الله الإسلام، وكل ما عداه هو باطل. فأصحاب العقائد الأخرى هم على باطل وعليهم أن يتبعوا دين الإسلام، لأن محمدًا نبي للعالمين. وهو خاتم الرسل والأنبياء، الإسلام هو الدين الشمولي

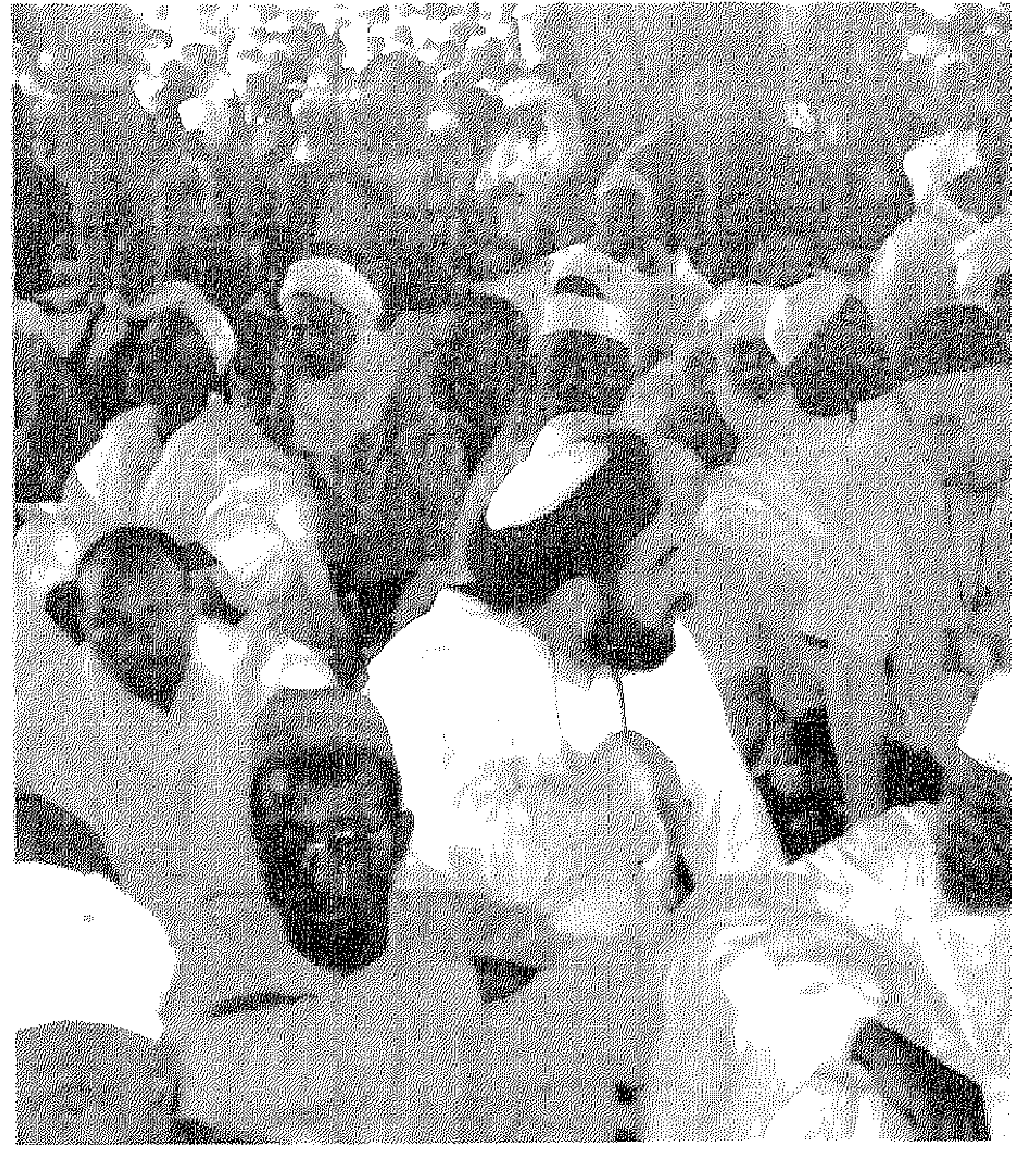
نقدر جهودكم

يسرني باسم مركز التنسيق الأعلى لمسلمي روسيا، أن نتقدم إليكم بأسمى آيات التقدير والعرفان، سائلين الله تبارك وتعالى أن يتقبل أعمالكم النبيلة، وجهودكم الطيبة المباركة التي تبذلونها لإعلاء كلمة الإسلام ووحدة المسلمين.

الشيخ نفيع الله عشيروف

رئيس مركز التنسيق الأعلى لمسلمي روسيا

الأردن ومصر، بين مصر وسوريا، وبين العراق وسوريا، يجب أن نعبر الحدود بحرية وبهوية شرعية وليس تسللاً، نحن لا نبيع المخدرات ولا نبيع السلع الممنوعة لكي نتسلل، لماذا نتسلل؟ لا يليق بنا أن نتسلل. ثم إن كل هذه البلدان داخلة في أحزاب وفي انتخابات نستطيع أن نأخذ حقنا بالديمقراطية، فالسلاح لم يأتِ بنتيجة لدارفور أبداً، فقد مات الآلاف بدون فائدة، ناس من دارفور جاءوا إلى الخرطوم، وهم موجودون أصلا في الخرطوم، ويقولون ينقصنا كذا، كذا، كذا، حسنا.. إن هذا لا ينقصكم أنتم فقط في دارفور، لأن حتى الخرطوم فيها شوارع ليس فيها كهرباء، عندهم نقص هنا ونقص هناك ونقص في البجا ونقص في الشرق عند الرشايدة وعند النوبة، وليس في الإمكان أكثر مما كان، هذه إمكانيات البلد تعالوا قسموها. سلطة الشعب تنهى الصراع، نعود ونقول: إنه عندما تكون السلطة شعبية.. مؤتمرات شعبية لجان شعبية.. الميزانية بين أيدي الناس.. القوانين تصنعها الناس، في هذه الحالة لن يكون هناك صراع. فالناس تصبح تعرف كم عندها قرش.. وتفضلوا تريدون أن تصرفوها في الكهرباء أو في الطرق أو في التعليم أو في الصحة، مثلما يجري في ليبيا، حيث دخل النفط موضوع بين أيدي الناس في المؤتمرات الشعبية.. 30 ألف كومونة فيها ثلاثة ملايين ليبي يقال لهم هذا دخل النفط، ها هو فوق الطاولة قسموه.. كم تريدون للصحة؟.. كم للزراعة؟ كم للصناعة؟. وبعدها كل واحد منكم يأخذ حصته ويعملها في الأشياء التي تنقصه.. كل واحد ومنطقته.. يقول ميزانيتي أريد أن أعملها كذا، أعملها كذا.. لا أحد له علاقة به.



الذي يحتاجه كل إنسان مهما كان لونه أو عرقه.

والعقائد السابقة كانت محدودة الدعوة، فالمسيحيون يعرفون، وكذلك المسلمون، أن المسيح ـ عليه السلام ـ بُعث لبني إسرائيل فقط، ليصحّح عقيدتهم التي انحرفوا عنها، فلماذا يكون الأفريقي والأوروبي والآسيوي مسيحيًا؟ إذا كان المسيح بُعث لبني إسرائيل فحسب، فليس مفروضًا أن يتبنى عقيدته الإفريقي أو غيره، أما الإسلام فقد جاء لكافة الناس،

دور ريادي

نحن المنتسبين لجمعية آل البيت بتشاد، نعبّر لكم عن مدى امتناننا وشكرنا لكم، حيث كنتم دائماً في مقدمة الرواد، شأنكم شأن العظماء، وجاء الدور الريادي الذي قمتم به، ألا وهو جمع آل البيت في بوتقة واحدة، منها يشع النور للعالم، ونحن على يقين طالما أنتم الراعي، فإن الصبح ليس بعيد.

السلطان كشلا محمد كاسر

الرئيس الشرفي لجمعية آل البيت بتشاد

ومن المفترض أن تتبنى البشرية كلها هذا الدين العالمي، لأن محمدًا ﷺ بُعث للناس كافة، رحمة لهم، ونبيًا يرشدهم إلى دين الحق.

ولعل من أخطر مظاهر المسيحية الغربية تلك الوثنية الفاقعة التي هم عليها، فهم يضعون صورة متخيلة للمسيح وأمه مريم ـ عليهما السلام ـ ويصلّون نحوهما، إذًا هذه هي الوثنية، التي يجب أن يبتعدوا عنها، لأن الله حذر منها، ولأن الأنبياء رفضوها وحاربوها، وعلى كافة أبناء البشرية أن يعودوا لرشدهم ويميزوا بين الوثنية والتوحيد ليدركوا أن الإسلام هو دين الجميع وليس غيره .

هذا التردي العربي

ويأتي خطاب القائد معمر القذافي، على شواهد من وقتنا المعاصر، كأدلة واضحة على سخف المنهج الغربي وتزويره للحقائق، فالبريطانيون والأمريكان قدموا من أقصى الأرض ليحتلوا العراق، ويدّعوا أن مياه الخليج وشط العرب، أصبحت مياهًا إقليمية لهم.

وردًا على هذا التردّي العربي، يؤكد القائد معمر القذافي، أن الحل الوحيد لهذا الواقع، هو إنهاء الضعف والانحطاط، وخلق روح التحدي للدفاع عن كرامتنا وكرامة أمتنا ووجودنا.

والواقع أن هذا التأكيد على روح التحدي والدفاع عن الكرامة، لا يأتي من فراغ فاليوم أصبح الشارع، شارع الجماهير، هو الذي يرعب أعداء الأمة، لأن قادة الشعوب نائمون، والذي يخيف الأعداء الجماهير، التي باتت تتسلح برؤية ناضجة واعية. ولنلاحظ اليوم، كيف يرتجف القادة والملوك وزعماء العالم الغربي، مما يُسمى الإرهاب، وهذا دليل على أن الناس العاديين إذا آمنوا بالتغيير ومارسوه، استطاعوا إيقاف هذا الاستهتار المستشري من قبل أعداء الأمة. ويذكر الزعيم القذافي، العالم الغربي، بما قاله في السنة الماضية في تمبكتو، من أننا مع السلام، ولكننا نحن أحرار في صحرائنا وسنعمل على وحدة الأمة. لكنهم

ارتعبوا وارتجفوا، وهذا الرعب الذي وقعوا فيه، يعود لكوننا نسعى إلى وحدة القبائل، وحدة أبناء الأمة وليس وحدة ملوكها ورؤسائها، وهذا هو الذي يرعبهم.

فكر معمر القذافي

والواقع أننا حين نعود إلى فكر معمر القذافي، منذ بداية ثورة الفاتح عام 1969 الإسلامية، نرى أنه فكر ينطلق إلى الوحدة بإيمان راسخ لا يتزعزع، وهذا ما أدى إلى خوف الغرب وغير الغرب، خاف الملوك على عروشهم، لأن القائد يريد وحدة الجماهير، وهي القادرة على الدفاع عن الأمة ووحدتها ودينها وحدودها وقيمها، لذلك راحوا يفسرون رحلاته الدعوية على أنها تهديد لمصالحهم ودولهم الإقليمية وحدودهم، فوحدة الشعوب تفتح الآفاق للتعاون والنهضة، وليست هي دعوة للتهديد وقلب الأنظمة والحكومات، والدعوة لنهضة هذه الشعوب هي دعوة كي تُحترم ولا تُهمش؛ الصحراء ثروة من الذهب الأسود وغيره، يجب أن توزع على أبناء الصحراء ولا يستأثر بها الحكام أو الشركات.

ويؤكد القائد ذلك بقوله: «قلنا إننا يجب أن نعيش على قدم المساواة مع الناس في الشمال، نحن يهمنا أن نتحرك بحرية عبر الصحراء» وليس معنى ذلك أننا نسعى إلى التخريب والتهريب، وميثاق تمبكتو ينص على التمسك بالأخلاق والكرامة والمبادئ الأساسية المستندة إلى الإسلام.

ونلاحظ أن القائد معمر القذافي، يركز على مسألة توزيع الثروة على جميع أبناء الشعوب والقبائل، هذه الثروة التي حُرموا منها، بل إن الغرب سلبهم إياها طوال عهود وعهود.

ولتتوضح الصورة أكثر، فإن هذه الدعوة هي دعوة وحدوية، يُراد منها وحدة الشعوب والأمة، وليس تمزيقها إلى دويلات قبلية، تقوم على مبدأ القبلية المنغلقة المنفصلة.

إن مبدأ وحدة القبائل ـ قبائل الصحراء ـ يمنع هذا لما تتحقق الجماهيرية.. لما يتحقق النظام الجماهيري.. سلطة الشعب.

من يعمق الانشطار في المنطقة؟

بمناسبة وجود الصحفيين رغم أن عددا كبيرا منهم غير معني لأنهم من خارج المنطقة. الوضع الموجود الآن من هذا البلد وشماله خاصة بالنسبة للناس الذين يفهمون التاريخ والناس المثقفين والسياسيين والمحللين ليس السطحيين وهذا الكلام موجه لهم. المنطقة الآن التي نحن فيها من المحيط الأطلسي إلى غاية الهلال الخصيب، تعيش الآن في أوضاع تشبه الوضع الذي كانت عليه في فترات تاريخية سابقة، من بينها الفترة التي شاخت فيها الإمبراطورية العباسية عندما تهلهلت وأصبحت غير قادرة على النهوض من الداخل، ولا تستطيع الدفاع ضد العدو الذي يأتيها من الخارج. المنطقة التي ذكرتها وكانت سائدة فيها الدولة العباسية، الآن وضعها يشبه تلك الحالة. يعني حكومات ضعيفة.. حكام ضعفاء ومترفون ومنعّمون وسكارى وغير مهتمين بأحوال الرعية في ذلك الوقت وكثر التشرذم في شمال إفريقيا وفي المشرق وقامت دويلات وحكام وقبائل وصراعات وثورات وزعماء ضد بعضهم، وقبائل ضد بعضها، وحركات ضد بعضها ومذاهب ضد بعضها. والمؤرخون والسياسيون والمحللون الذين يقرءون علم السياسة والعلوم السياسية.. أقصد الذين يقرءون العلوم السياسية وليس السياسيين الذين مثل الحكام الآن.. هذا ليس سياسة.. خريجو العلوم السياسية الذين يفهمون السياسة والذين يفهمون التاريخ ويفهمون علم

التمزق ويمنع الاقتتال، بينما يريد الاستعمار تمزيق هذه الوحدة، حتى يتسنى له احتلال الصحراء وامتصاص خيراتها وثرواتها، وهذا ما يحفزنا للدفاع عن صحرائنا وثرواتنا وهويتنا. ويضرب القائد مثلاً في تقسيم الثروة بما قامت وتقوم به الجماهيرية من خلال نظام شعبي جماهيري، يقسم الثروة ولا يستأثر بها طرف دون آخر، وهذا النظام الاجتماعي الاقتصادي، يضمن للجميع حقوقهم في النهضة والتقدم. وهذا ما يُفترض أن تقوم به الدول العربية والإسلامية، لأنه النظام الذي يضمن توزيع الثروة على كافة أبناء الشعب.

التاريخ يعيد نفسه

ولعل من أهم ما طرحه القائد معمر القذافي في هذا الخطاب، هو التماثل بين حالة التمزق والضعف التي تعيشها الأمة، وحالة التمزق التي عاشتها الأمة في أواخر العصر العباسي. «فالمنطقة الآن التي نحن فيها من المحيط الأطلسي إلى غاية الهلال الخصيب، تعيش الآن أوضاعًا تشبه الوضع الذي كانت عليه في فترات تاريخية سابقة، من بينها الفترة التي شاخت فيها الإمبراطورية العباسي».

فالأمة في تلك الفترة تمزقت، ولم تعد قادرة على الدفاع عن حدودها وهويتها، والحكام ضعفاء مترفون منعّمون، وغير مهتمين بأحوال الرعية، وهذا ما هو عليه الحال اليوم.

دويلات وقبائل متناحرة، وصراع مذهبي راح ضحيته الآلاف من أبناء الأمة، ولا بد من الإشارة هنا، إلى دور الاستعمار، في تفتيت أبناء الأمة، وخلق الفتن الطائفية والمذهبية.

ماذا نعني بالشيعة والسنة؟ في هذه الفقرة بالذات، يضع القائد يده على أخطر ما يحدث الآن في المنطقة، فالواقع أن الفتنة المذهبية، وصلت ذروتها ولا تجد لها حلاً، وقد حرص الاستعمار على تغذية هذا الصراع المذهبي، حتى سُفكت الدماء بين الشيعة والسنة.

وإذا تساءلنا هل نحن سنة أم شيعة أم مسلمون.

خطاب منسجم مع أسلوب العصر

جئنا بدعوة من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لنشارك في الاحتفالات الدينية بمناسبة المولد النبوي الشريف، التي تعقد على أرض النيجر الحبيبة، وجئنا على رأس وفد يرأسه نائب وزير التنمية والثروة الحيوانية بجمهورية سيريلانكا، ونحن مسرورون جداً للقاء الإخوة المسلمين في هذا التجمع الكبير، وكذلك نحن سررنا كثيرا بالاستماع لكلمة الأخ القائد معمر القذافي، الذي تحدث بوضوح عن الفرق بين المسيحية والإسلام، مبينا في خطاب دعوي منسجم مع أسلوب العصر، بأن رسول الله محمدﷺ، ليس بعده نبي وأن الوحي قد انقطع بوفاته ﷺ، فلا نبي بعده، ويأتي هذا الطرح المتقدم، ليدحض الإدعاءات الباطلة والدعوات المشبوهة، التي تظهر بين الفينة والأخرى في بعض أقطار العالم، والتي يزعم أصحابها، أن الرسول ﷺ، ليس خاتم النبيين، واعتقد أن رفضنا لتلك المزاعم المشبوهة التي لا تمت بأي صلة للإسلام، يحتاج منا جميعاً إلى تبيان الحقيقة بأن الرسول ﷺ، هو خاتم النبيين، وأنه لا يوجد نبي بعده، وهذه فرصة طيبة لتلتقي هذه الجموع على أرض النيجر الحبيبة، ولتستمع وفود المسلمين في كل بقاع الأرض لكلمة القائد المهمة، التي رسم لنا فيها خطوطاً عريضة عن النبوءة وعن ختم النبوءة وعن آخر المرسلين محمدﷺ، ونحن مسرورون جداً بأن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد أتاحت لنا هذه الفرصة.

قمر الزمان محمد

نائب وزير التنمية والثروة الحيوانية بجمهورية سيريلانكا



وهذا لمصلحة من؟! يأتي الجواب إن ذلك لمصلحة الاستعمار.

إن الشيعة كما نفهمها ليست مذهبًا وليست تعصبًا، نحن نفهم التشيع على أنه حب آل البيت، ومن منا لا يحب آل البيت، والشيعة لا تحدد بقومية أو بإقليم، فإيران مثلاً تتبع المذهب الشيعي. ولكن لا يعني أن الشيعة هي إيران. وإذا توسعنا أكثر، نقول: إن من يحب ويتبع الرسول محمدﷺ هو سنّي وأن من يحب آل البيت هو شيعي، ولكن ليس معنى التشيع الخروج عن سنة رسول اللهﷺ وليس معنى السنة معاداة آل البيت.

وعلى هذا المبدأ الذي نفهمه من التشيع فإننا نرفض المذهبية ونرفض التعصب، ونؤمن أن التشيع لا يتجاوز الحب لآل البيت ولا ينفي الحب لصحابة رسول اللهﷺ.

المفهوم الجديد للدولة الفاطمية

ويتلمس معمر القذافي، الخطر الناتج عن التفرق المذهبي، الذي قسّم الأمة اليوم إلى شيعة وسنة، ويخاطب الذين تورطوا في هذه المذهبية البغيضة، فيرى أن الشيعة ليست إيران وليست الفرس. فأول دولة شيعية قامت في إفريقيا وليس في إيران. فنحن عرب وشيعة نحب آل البيت، قبل غيرنا فالدولة الفاطمية قامت في شمال إفريقيا وصهرت كل القبائل المتنازعة في دولة واحدة دون أن تفرض مذهبًا على الناس.

الاجتماع يستطيعون أن يرجعوا للفترة التي كانت عليها هذه المنطقة في نهاية الدولة العباسية.

الموجود الآن هو انشطار لا بد أن نعترف به و نحتاج أن نعرف من يعمقه.

ربما يقوم بتعميقه الاستعمار عدو الإسلام عدو العرب عدو الفرس.. (الآخر) الذي يتكلمون عنه، الذي يقولون لنا اقبلوا بالآخر.. استوعبوا الآخر.. ولماذا هو لا يقبلنا ولماذا لا يستوعبنا.. لماذا هو لايستوعبنا نحن، فنحن الآخر بالنسبة له. هذا (الآخر) الذي يقولون لنا اقبلوه وحاوروه واستوعبوه لمصلحته وجود الانشطار أو هو وراء الانشطار الخطير الموجود الآن. الآن قسموا الإسلام إسلامين أصبح هناك إسلام شيعي وإسلام سني وهذه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان. متى قال لنا محمدﷺ جئتكم بإسلام شيعي وإسلام سني؟. هذه بدعة.. هذه بدعة أصبحت الآن حتى البيت الأبيض يعرفها ونستغرب أنه حتى الرئيس الأمريكي يتكلم عن السنة والشيعة وهو لا يعرف معنى السنة ولا الشيعة أبداً ولا يعرف حتى أن ينطقها. إذاً عندما نقول الشيعة الذين تشيعوا لـ «علي» في الحرب على الخلافة وبعد ذلك حتى نصل إلى الاثنى عشرية والإمام السابع ونصل إلى جعفر الصادق. هل يستطيع هو أن يذهب معنا بعد ذلك في هذا العمق؟. أنا أتيت للنتيجة وأقول في المقدمة ماذا ترتب عليه؟. لقد ترتب عليه أنهم بدأوا الآن يكتلون العرب ضد إيران وإيران ضد العرب وبعد ذلك شيعة ضد سنة وسنة ضد شيعة. نحن مسلمون أم شيعة وسنة!. وهذا لمصلحة من؟. هذا لمصلحة (الآخر) الذي نحكي عنه ، مصلحة العدو

ونحن ندعو إلى إقامة دولة فاطمية جديدة. بمعنى أنها دولة تقوم على حب آل البيت وليس معنى ذلك أن تكون الدولة مذهبية.

ويأتي ذلك في خطاب القائد الذي يوضح المسألة بدقة فيقول: «الدولة الفاطمية العصرية، بشرط أن تكون خالية من كل الصراعات المذهبية، ومن الإمامة ومن الحاكمية ومن السفسطة القديمة».

فهذا هو المفهوم الجديد للدولة الفاطمية، وليس كما يفهمه غلاة التطرف المذهبي، الذين اخترعوا مسألة الإمامة والحاكمية وهي ليست من الإسلام في شيء.

لقد تجاوز الزمن هذه المقولات، وما يقوله المتشيعون المذهبيون حول الإمامة، ليس مناسبًا لهذا الوقت وهذا العصر.

إن الخلاف بين علي ومعاوية، لم يكن خلافًا دينيًا ولا خلافًا مذهبيًا، إنما هو خلاف سياسي حول السلطة، والخلافة ليس لها علاقة بالدين.

إن الظروف التي عاشها الصحابة، وخاصة الظروف السياسية، ليست مثل ظروفنا، ولا نحاكم التاريخ ولا نحاكم أشخاصًا، فتلك أمة سلفت، عملوا باجتهاداتهم. إن أصابوا أو أخطئوا، أما نحن فلنا عصرنا ولنا تحدياتنا ولنا أسلوبنا المناسب مع هذا العصر المليء بالتحديات.

ونستشف من حديث القائد أن مقياس الشيعة والسنة، ليس هو المقياس الذي تقول به إيران أو السعودية أو غيرهما، فعندما يقول: «ها هي الأوراق قد اختلطت، ولكي نقضي على هذا الجدل واستغلال العدو لهذه الفُرقة، بين الشيعة والسنة، فإننا مطالبون بتوضيح الحقائق التي تقول: إن حب آل البيت، ليس معناه أن أكون مذهبيًا متعصبًا، وإذا كنت أحب رسول الله ﷺ ليس معناه أن أكون سنيًا متعصبًا.

فإذا كان الحكم اليوم بمقياس حب آل البيت، فآل البيت أولى الناس بالحكم، وإذا الحكم بالجدارة وبالفهم والديمقراطية فليسلموا السلطة للشعب، فليعملوا مؤتمرات شعبية، ولينهوا الملوك والحكومات، وليلغوا كل هذه النماذج القديمة، وليطبقوا قوله تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى، الآية: 38]

ندعو المسلمين للوقوف مع هذه الدعوة الصادقة

نشكركم كثيراً على إظهار الحقيقة أمام العالم بأن بعض الحكومات العربية لا تحترم النبي ﷺ ولا تحترم قبره الطاهر والبقعة المباركة، وهذه جريمة لا يجوز السكوت عنها ، ويجب أن يرفع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أصواتهم ضد مثل هذه الحكومات .

بارك الله فيك أيها القائد ونفع بك الأمة .

ونعلن نحن مجلس كبار العلماء لأهل السنة والجماعة في بنغلاديش، تأكيدنا للدعوة المباركة بشأن إقامة الدولة الفاطمية من جيد، فبعد أن استمعنا لخطابكم في أغاديس بمناسبة المولد النبوي الشريف وجدنا أن ما ورد فيه إنما نبع عن علمكم العميق بالشريعة الإسلامية، فنحن لا نؤمن أن هناك سنة وشيعة بل نؤمن بأن الأمة الإسلامية أمة واحدة، نبيها واحد، وكتابها واحد، والذين يؤيدون التفريق هم ليسوا مسلمين .

وقراركم قرار حق، ومبادرتكم مبادرة طيبة تستحق التأييد والتعاون.

وبناء عليه فإن مجلس العلماء يدعو المسلمين جميعاً للوقوف مع هذا القرار حتى ينفذ على أرض الواقع.

أبقاكم الله للمسلمين قائداً ونصيراً.

مولانا محمد احتشام الحق

رئيس شعبة الفتوى بمجلس كبار العلماء لأهل السنة والجماعة - بنغلاديش

ويتناول الزعيم القذافي، تلك الحجج الواهية للحكام العرب المعاصرين، الذين يقولون بأنهم يحكمون باسم الإسلام، والإسلام منهم بريء.

من أين لك أنت أن تحكم باسم الإسلام؟ فالذين يدّعون أنهم يحكمون باسم الإسلام، ليسوا أولى من آل البيت في الحكم، ولكن يبدو أن الحكام يستغلون الإسلام كي يثبتوا حكمهم وهم فاقدون للشرعية من كل الأبواب.

نحن اليوم متفقون، نقرأ القرآن حسب كل رواياته، ونأخذ بأيسر المذاهب، وأيسر الأمور بين المذاهب كلها، فلسنا متعصبين لمذهب على حساب مذهب، وما يحتاجه المسلمون اليوم هو أن يكونوا مسلمين فحسب، دون أي تعصب، فالصلوات معروفة، وكذلك الصوم، والحج والزكاة والشهادة، إذاً لماذا نختلف؟.

المسجد يوحّد ولا يفرّق

وتناول القائد ظاهرة الانقسام بين الشيعة والسنة، حتى في المسجد، فهذا مسجد للشيعة وهذا مسجد للسنة، وهذه من المظاهر الفاسدة، فالمسجد واحد موحّد، والإسلام لا يعرف سوى مسجد واحد لكل المسلمين، ليس هناك فرق بين مسجد وآخر، كل المساجد تتجه نحو قبلة واحدة، فليس هذا قبلته للشرق وذاك للغرب، الجميع يتجهون نحو البيت الحرام، ويركز في آخر فقرات الخطاب، على مسألة انصهار الجميع في دولة واحدة، فلا تمييز بين عربي وغيره، ولا تمييز بين القبائل، فالكل مطالب بالانصهار في دولة واحدة، تضمن حرية العبادة وحرية التفكير، وحرية الرأي، والاجتهاد، في آخر المطاف، نرى أن ما يطرحه الزعيم القذافي من أفكار، يصب في غايات وحدوية تصل إليها الأمة بكل قناعاتها.

إن هذه الأفكار تحفر مجراها في عقول أبناء المسلمين أينما كانوا، لأنها بالمحصلة تعبّر عن قناعاتهم الراسخة دون تعصب أو مذهبية.

مصلحة الاستعمار. فترة التشرذم التي تكلمت عنها وانهيار الإمبراطورية العباسية وشيخوختها هي مثل شيخوخة الأنظمة العربية والإسلامية الموجودة الآن. في بداية القرن العاشر الميلادي كان الوضع هكذا. في شمال إفريقيا على سبيل المثال هذه أمثلة فقط، الثورات التى تعرفون .. وكانت دويلات المدرارية والرسولية والأدارسة والأغالبة. وكانت هناك الخلافات المذهبية خوارج وسنة والخوارج ينقسمون والسنة انقسمت والشيعة انقسمت وكانت هناك خلافات إمامية وعنصرية. وكانت قبائل تقاتل بعضها قبائل زناتة وكتامة وصنهاجة وهى قبائل عربية بربرية يعني العرب البربر الذين جاءوا قبل عرب بني هلال كانوا يقاتلون بعضهم قتالاً شديداً.

الدولة الفاطمية والهُوية الواحدة

هذه القبائل العربية البربرية كانت تقاتل بعضها البعض في ذلك الوقت مثل هذا الوقت.. كانت تقاتل بعضها في شمال إفريقيا وفي هذه المنطقة كلها إلى غاية مصر والشام قتالاً شديداً مثل هذه الفترة. الدولة الفاطمية ورثت الدولة العباسية المنهارة، الذي حصل أن الدولة الفاطمية قامت في بداية القرن العاشر وكونت مظلة على شمال إفريقيا وانصهرت تحت لوائها كل هذه الخلافات القبلية والمذهبية والسياسية والعنصرية وأصبحوا كلهم هوية واحدة فاطمية ودامت 260 عاماً وامتدت إلى غاية المشرق العربي. وكانت القاهرة بعد المهدية هي عاصمة الدولة الفاطمية وورثت الدولة العباسية المنهارة التي أصبحت ضعيفة في ذلك

خطاب في مستوى الأحداث

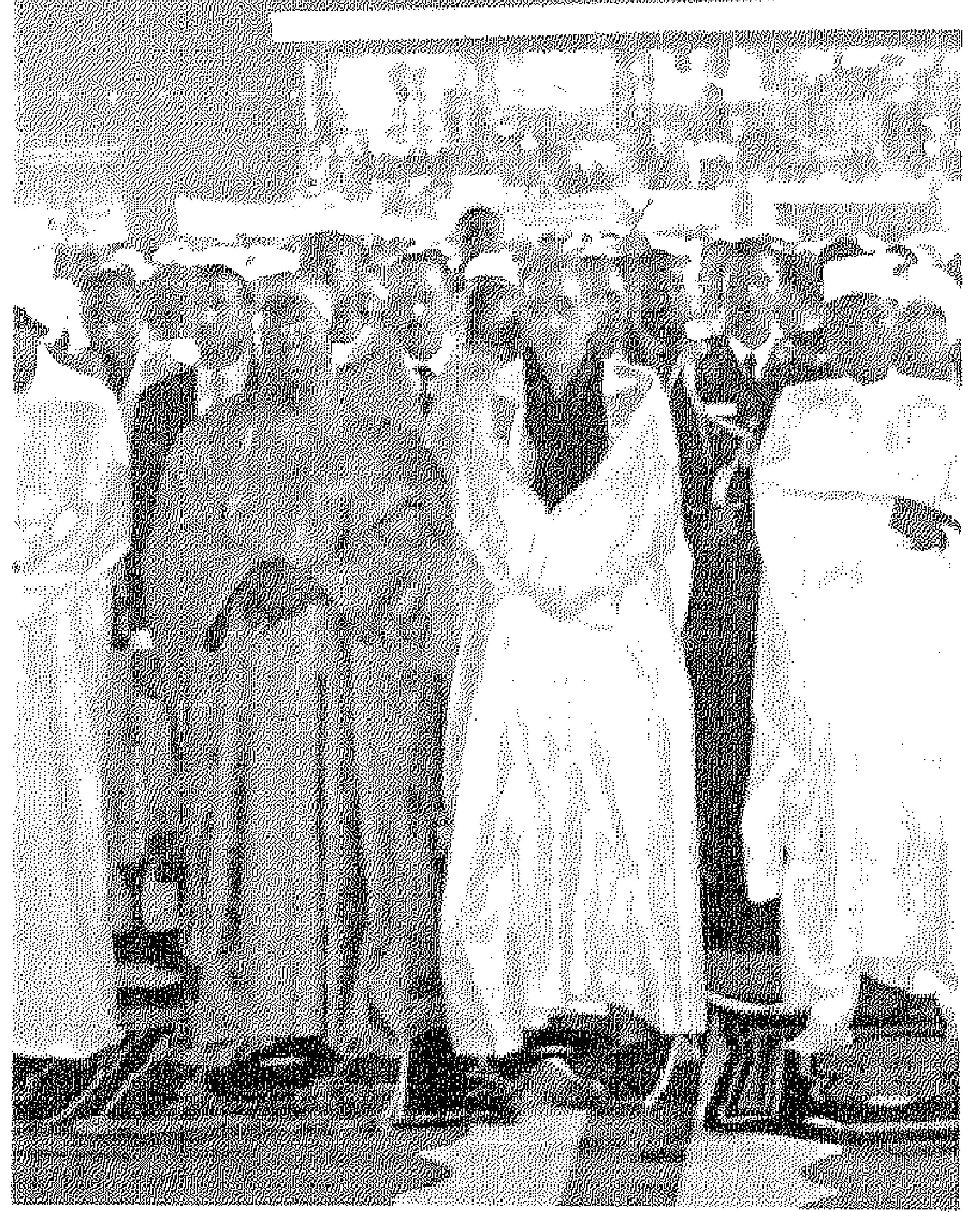
عمر لطفي العالم *

قبل ربع قرن تقريباً، صدر للمتصوفة الألمانية، أنماري شيمل، أحد أهم مؤلفاتها التي تربو على المائة تحت عنوان: (وأن محمداً رسول الله) . في هذا الكتاب القيم، أرادت المؤلفة أن تبرز المنزلة الفريدة التي يشغلها رسول الإسلام في قلوب المسلمين، ولما كانت الأستاذة (شيمل) قد أفنت عمرها في التعليم والتحصيل، متنقلة في الأقطار الإسلامية بشبه القارة الهندية، ووقفت كما شاركت بنفسها في طرق إحياء الشعائر والمناسبات الدينية، فضلاً عن قراءاتها المتعمقة في كتب التراث، فقد جاء كتابها بحق وثيقة عالمية نادرة، سلطت فيها الضوء على شخصية الرسول الأعظم، ومن لا ذ به من آل بيته، أمهات المؤمنين وأزواجه الغر الصالحين.

كتبت ـ وهذا هو اللافت ـ عن الحب النبوي ولكن بروح وروحانية العالمة الأنثى، فكان في رأيها حبا مدولا، أعني عالميا تذوب فيه الأقاليم والقوميات،



* كاتب وباحث / ليبيا .



وتنتفي المذاهب والطوائف، ويستوي العربي والتركي، الفارسي والكردي، والأسماعيلي والدرزي، نعم تفرقهم السياسة ولكن يجمع بينهم الحب المشترك لمحمد رسول الله، ولم تنس أن تنحى باللائمة على الغرب لأنه أدرك متأخراً جداً، طبيعة العلاقة الروحية بين النبي وأتباعه، لقد أحبوه، مع هذا فلم يتخذوا منه إلها ولم يعبدوه.

لقد تفاقمت الأزمة مذ جهل الغرب ما يكنه المسلمون لهذا النبي، من تعظيم وتبجيل، جمع بين الحب والولاء والوفاء والفداء.

إن معمر القذافي ليس مستشرقاً ولن يكون، مع هذا فقد ملك ـ ربما لأول مرة في تاريخ الثقافة القومية- حسَّ وملكة وجرأة النقد الذاتي، حين شخص ـ بأدائه المقنع وأسلوبه السهل الممتنع ـ حقيقة الداء، ووضع يده على جرح مزمن سال طويلا ولم يلتئم، لأنه كان صادقاً مع نفسه ومع الناس، ولم يكن مداهناً تابعاً أو مأجوراً.

من فرط حبه ولهفته وعشقه لنبيه، شهق الشاب المقدسي شهقة ثم مات، هكذا حدثنا المستشرق

الوقت ، ولم تستطع أن تقاوم حتى ثورات الجند والمرتزقة الذين كان حكام العباسيين يستعينون بهم، ولم يستطيعوا أن يقاوموا حتى نفوذهم فأصبحوا هم الحكام. فجاءت الدولة الفاطمية، قوة شابة جديدة، تنتسب طبعاً إلى فاطمة الزهراء وأسست الأزهر.. يعني إحدى القلاع التاريخية للدولة الفاطمية هي الأزهر واسم الأزهر الذي في مصر هو نسبة لفاطمة الزهراء بنت الرسول والدولة الفاطمية تنتسب لفاطمة الزهراء. وأسست القاهرة بدل الفسطاط وأصبحت عاصمة الدولة الفاطمية ودامت 260 عاماً. وظلت هذه المنطقة تنعم بالاستقرار 260 عاما. أقصد أن على الأقل أصبحت هوية واحدة. وسمحت هذه الدولة الفاطمية الفضفاضة بقيام الدويلات في الداخل واستقلال وارتياح.. ولم تعد كتامة ضد صنهاجة ولم تعد قبيلة «تهرت» ضد لا أعرف من نفوسة ولا وفلان ضد فلان، ولا هذه القبيلة ضد هذه القبيلة ولا هذا المذهب ضد هذا المذهب. أصبحت كلها فاطمية واستقرت الأمور. أول دولة شيعية قامت في شمال إفريقيا الآن يقولون لنا إن الشيعة في إيران وأن الشيعة معناها الفرس وأن السنة معناها العرب.. هذا كذب هذه مغالطة. والذين يقولون ذلك هم أناس جهلة لا يعرفون التاريخ. بالعكس إن أول دولة شيعية قامت في شمال إفريقيا. الدولة الفاطمية هي أول دولة شيعية استمرت 260 عاماً. ومتى قامت دولة شيعية في إيران. أبداً.. لا توجد دولة شيعية في إيران إطلاقاً. في شمال إفريقيا خذها من هذه المنطقة التي نحن فيها واذهب إلى أي مكان اسألهم عن عاداتهم وتقاليدهم

الانجليزي دانييل نورمان نقلاً عن أم الشهيد ضمن شهادات الحب النبوي وحب آل بيت الرسول، لعمرك أي تقاطع، أي مصادفة جمعت بين مسلم غيور يتحدث من خلال منظومته الفكرية وبين رجل من بلاد الضباب، اللهم غير الرؤية المتمحصة، والاستدلال الموضوعي، والرأي الثاقب الهادف.

أليس هذا - فدتك نفسي - هو مضمون الرسالة المدوية، بل قل الصوت العذب الشجي الذي بثته بالأمس القريب بقعة إفريقية سوداء نائية، حين كانت جوقات الطرب المذهبي البغيض تعزف على أوتار التشرذم والتمذهب والشقاق، باسم رص الصفوف والغيرة على الحمى والحمية ومهبط الوحي الأمين.

منذ القرن السابع عشر - لا أريد وقائع وأحداث السياسات التفتيتية - بل كيف شقت الفتنة المذهبية العمياء، أو أريد لها، الطريق من خلال الترويج لمذهبين، وكيف شوهت هذه الدعوات الباطلة صورة الإسلام الواحد ونكست بطريقة مأساوية راياته الظافرة.

لم يكذبنا القائد العربي الأفريقي المسلم صاحب الخطاب، الخبر حين تساءل: ماذا يفهم الغربي من كلمة سني وشيعي؟!

نعم ماذا يفهم، ونحن من لطخ أكرم ظاهرة لإسلام رجل كان شوكة في حلق الكنيسة.

قالوا له: إن شئت أن تأكل.. أن تعيش فقل: إن محمداً نبي كاذب، وإن قرآنه كتاب مزيف، قال: بل إن محمداً نبي صادق وإن قرآنه كتاب منزل، كان شاعراً وأديباً ألمانياً كبيراً، لقب بشهيد الأدب العربي لفرط تضحيته ودفاعه المستميت عن تاريخ الإسلام، ثم نُقل إلينا فجاءت أنه قد تشيع، كيف ذلك وقد قرأنا للتو أنه أهدى عروسه «كرستينا» باقة مترجمة من شعر الغزل

تذكير المسلمين بمسؤوليتهم

لقد كان هذا التجمع حدثاً تاريخياً حضارياً كبيراً لمناسبة عظيمة، مناسبة ذكرى مولد النبي ﷺ.

فإن كانت مناسبة مولد النبي ﷺ ودعوته إلى الحق قد غيرت وجه التاريخ ورفع القيم الإنسانية نحو السمو والكمال الإنساني، فلا شك أن الاحتفال بذكرى مولد هذا النبي هو أيضاً حدث تاريخي ومناسبة عظيمة وفرحة تتكرر سنوياً في قلوب المسلمين ووجدانهم وتذكرهم بأفضل إنسان وأكمل خلق في حياة الإنسانية.

إن هذه المناسبة تجدد شعور المسلمين بالمسؤولية التي هي مسؤولية كل مؤمن مخلص لدينه يريد الخير للبشرية كافة، كما كان هذا النبي رحمة للعالمين . هذا هو الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ احتفال الذكرى بالمسؤولية التي يجب أن يشعر بها كل مسلم، مسؤولية تصدر من قلب مؤمن مخلص إلى عامة الخلق ... مسؤولية تجعل المسلم يؤدي أمانته . هذه هي رسالة الإسلام ، هذه هي مبادئ الدين الحنيف، هذه هي تعاليم الرسول الكريم التي غيرت مجرى التاريخ، وأخرجت البشرية من الظلمات إلى نور الإيمان والعدل، وشعوراً بهذه المسؤولية التي ينبغي أن يشعر بها قلب المؤمن المخلص ، جاء خطاب الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، خطاباً يذكرنا بمسؤولية الإيمان، والمسؤولية التي بها ينبغي أن نغير وجه التاريخ - كما كان أول مرة - كلما فقدت الأمة والبشرية رشدها.

ومن هنا نرفع إلى الأخ القائد قائد القيادة الشعبية العالمية أسمى التحيات ، ونقول له : إن خطابكم كان أمانة منكم للأمة الإسلامية ، وخطاباً يذكر المسلمين بمسؤوليتهم .

بيزت بكيروف
مدير المركز الإسلامي بمالو - السويد

العربي ساوت عندها ألف خلخال ذهب؟! أُقحم المؤلف قلبه في معركة الجمل ودوامة علي ومعاوية وعائشة، لمن تكون الخلافة أولاً ولمن لا تكون.

من وقتها صُنف «يوهان.. رايكه» الذي انشرح صدره للإسلام الواحد شيعياً لمجرد أن صرح بأن «علياً كان بطلاً عظيماً من أبطال التاريخ!».

بسهولة بالغة يمكن لقارئ عادي أن يحدد تاريخ استعمال لفظ «التشيع» فهل لي بقارئ متخصص قد يدلني على موعد رسمي لتاريخ استخدام «مسلم سني»، وأن يوسع المصطلح الذي بات جارياً ومألوفاً على الألسن كما في المستندات الرسمية، من جهتي لا أعرف إلا تاريخا واحدا لظهور هذه النعرات ألا وهو عصر التفسخ وضعف السلطة المركزية، تماماً كما قال صاحب الخطاب المميز، فأي غرابة إن اختار «جوزيف فان إس» القرنين الهجريين الأول والثاني كي يكونا شاهديه على تاريخ ظهور الفكر الديني والفرق في المجتمع الإسلامي؟!

لا عجب ولا غرابة، فما أراده الإسلام أن يكون فترة ازدهار فكري وتلاقح حضاري، في صورة ترسانة فلسفية وتشريعية لمواجهة قضايا العصر ومتطلباته، تحول هذا المشروع الرائع الذي أنجز كتاباً ككتاب «الأم» للأسف إلى أداة رخيصة للقمع وكم الأفواه، لقد وقع الخلط المزري بين الدين والسياسة، وإن القلب لينفطر من عدد الرؤوس وأسماء أصحابها والتهم السخيفة التي أدت لحز رقابهم والإتيان بها من أقصى «الإمبراطورية» الإسلامية على أطباق هدية للحاكم، باختصار كانت تهمة «جبري، قدري، أروقي، خارجي» كافية لاقتلاع الرأس من بين الكتفين.

لقد ولدت مسلماً فمن ذا الذي سماني سنياً؟! إن من يزعم أنه شيعي هو سني رغم أنفه إن كانت هذه النسبة تعني حقاً الامتثال لسنة رسول الله، والسني شيعي حكماً إذا ادعى أنه الوحيد الذي يتمثل تعاليم

كلها عادات وتقاليد شيعية. الاحتفال بيوم عاشوراء.. والحزن يوم عاشوراء وذكرى عاشوراء وسيدنا علي.. والقصص المبالغ فيها جداً عن سيدنا علي، والتشيع لسيدنا علي ولا يعرفون (معاوية) فمن مصر إلى غاية المحيط الأطلسي غير موجود حتى واحد اسمه (معاوية).. كلهم أسماءهم علي وفاطمة وخديجة والحسن والحسين وما إليه.

الأحقية في الإمامة

إذا كانت الموجة هذه الأيام هي موجة الدين والأحقية في الإمامة وما هي الإمامة وهذه الأشياء ومن هو أحق بالإمامة؟ نقول أهل البيت هم أولى من كل الحكام الموجودين الآن الذين ليسوا من أهل البيت. وإذا كنا سنأتي للمرجعية الدينية ونرجع ويعملونها دينية.. أليسوا هم الآن قد ورطوا أنفسهم ؟ قالوا السنة ضد الشيعة والعرب ضد الفرس.. من قال بهذا؟. هذا أتى به الاحتلال الأجنبي والاستيطان الصهيوني. من أين جاء هذا؟. ما دام أنتم ورطتم أنفسكم شيعة وسنة إذن تفضلوا واسمعوا، الشيعة ليست إيران. الشيعة شمال إفريقيا.. انقلبت الطاولة.. اختلطت الأوراق من حيث لا تحتسبون.

نحن نعمل الدولة الفاطمية العصرية الثانية في شمال إفريقيا وهويتنا ستكون هوية فاطمية وننصهر فيها العرب والعرب البربر وتنصهر فيها الأحزاب وينصهر فيها اليمين واليسار والمتطرفون وأنصار العنف.. هذه كلها تصبح هوية واحدة. ينتهي الصراع حتى في شمال إفريقيا.. ينتهي الصراع في الجزائر وينتهي في السودان وينتهي الصراع في مصر وينتهي الصراع في الصحراء. إذا كان صراعاً

سيدنا محمد ﷺ. أما إذا كان حب آل البيت هو الفارق بين السني والشيعي فتالله لا يوجد على ظهر البسيطة مسلم واحد إلا ويذوب حباً بآل البيت، فإذا أجرى التقسيم على غير هذا الأساس، أعني على قاعدة طي الزمن والعودة بالتاريخ وبمليار مسلم 14 قرناً إلى الوراء، لنكون بانتظار ماذا ستتمخض عنه قرارات المجتمعين في سقيفة ساعدة والنظر في «دستوريتها» ثم إبقاء من هو .. وخلع من هو .. فهذا هو المستحيل بعينه.. وليكن بعدها فقه سني وآخر شيعي ... لا يهم، ولنتسلسل في ذلك من قمة الهرم حتى أخمص قدميه، شريطة أن يتم ذلك تحت مظلة الإسلام أو في ظل الإدارة الفاطمية.. رمزا وتعبيرا عن العباءة الفضفاضة التي تتسع للجميع، لقد كفل الإسلام حق الاجتهاد للجميع، ولا يبدو لي أن «المعلم» كان أحادياً أو جبهوياً في طرحه، ولا حاول شراء الأصوات أو استمالة الأعوان لنصرة فريق على آخر، بل سما بإسلامه وارتقى بعقيدته، ودق - حين صمت الجميع - ناقوس الخطر كي لاتقع الأمة مجدداً في مصيدة المذهبية، ولا تتكرر بالتالي معركة «الزاب الكبير»!

طرحكم انتصار للإسلام

من رحم المعاناة والألم، من لبنان الذي تحبه ويحبك، وأعطيته الكثير من فكرك ووقتك ودم شعبك، فهو صنو لفلسطين المحتلة وطريق لتحريرها، ومن الشعب اللبناني المجاهد الصامد في وجه العدو الصهيوني.

من لبنان المنتصر بوحدته والتفافه حول مقاومته.

أتيناك للصحراء في عمق إفريقيا التي تحب، ونحب نسمع خطابك وتوجيهك عبر الجماهيرية العظمى قلعة الشهداء والعظماء والثوار الطامحين، لرؤية وسماع من لا يخاف إلا الله ولا يخشى فيه لومة لائم ، ومثابة للعرب والمسلمين مع ثلة من العلماء والمفكرين الثوار المتألمين لمنحى الرجعية في أنظمة أمتنا العربية المتآمرين عليها، المتفقين مع الامبريالية لضرب لبنان ومقاومته خلال حرب الشهر السابع عام 2006 مسيحي.

الأخ القائد باعث الحركة الحضارية المعاصرة في الصحراء ، استمعنا لخطابك وسررنا، لأنك قائد تخاف على الأمة أن تزداد تشرذماً مذهبياً وطائفياً أكثر ما هي مشرذمة جغرافياً وعرقياً، لقد عانينا القهر العرقي أوائل القرن العشرين واليوم في القرن الواحد والعشرين تفرض الامبريالية الصهيونية قهراً مذهبياً وصراعاً عربياً إثنياً وانقلاباً حاداً على كل القيم والموازين، وتنصاع لها أنظمة تكفيرية غير عابئة بمصير الأمة ومتلاعبة بشعورها وانتمائها ووحدتها، وتعمل على تمزيق وتشتيت أبناء الأمة الواحدة ، لذلك كان طرحكم لإنشاء دولة فاطمية في الشمال الإفريقي، هو انتصار للإسلام بكل تجرد وشفافية ووضوح ، الإسلام دين الرسل والأنبياء، ودعوة كل العلماء والقادة أمثالكم حتى يسير العالم بنور سيدنا محمدﷺ وبنور التعاليم الربانية التي جاء بها، فلا للفكر المذهبي والعنصري الذي يطرح في شرق عالمنا العربي، وكذلك حديثكم عن إنجيل برنابا وما دخل الأناجيل من تحريف وتضليل لهو استمرار لدعوة الناس للإسلام، وإن المنصرين في إفريقيا لا مكان لهم إنما إفريقيا إسلامية وستبقى بجهودكم كذلك إن شاء الله، ودخول ملوك وسلاطين الإسلام وإعلان ذلك أمامكم لهو إشارة واضحة للأعباء التي على عاتقكم وإحياء الممالك الصحراوية الإسلامية ستكتب لكم في تاريخ الدعوة إلى الله، وإنكم حقاً قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية.

ولا يفوتني أن أقدم لكم باسمي واسم الوفود المشاركة من لبنان بخالص الشكر على استضافتكم لنا والرعاية التي حظينا بها، سدد الله خطاكم لما يحب ويرضى.

الشيخ عبد الناصر جبري
عميد فرع كلية الدعوة الإسلامية ـ لبنان

إن من يريد أن يكون قائداً ينبغي أن يقفز بفنه الدعوي فوق شحن القلوب وشحذ السيوف، أن لا يفرض من جانب واحد نظرية دينية تلزم المسلمين كلهم باتباعها لميزة تتصل بموقع جغرافي أو خصوصية تاريخية، بلى كان رسول الله ﷺ قرشياً، لكن الفقهاء أبوا أن يسلموا يوماً بأن تكون الخلافة في قريش وحدها، لا ولا التشريع الذي ادعاه أهل المدينة حقا مكتسباً لأنفسهم وفقهائهم دون بقية الأمصار، فأي قياس سوغ طمس كل أثر باق يمكن أن يملأ بغبطة بالغة أو ذكرى جميلة هباء الزمن؟ لا نعرف أن رسول الله أمر أو أن أحداً من أصحابه المقربين أوصى بأن تدمر أشياءه وتُمحى آثاره، أم هو القياس نفسه الذي جعل الأرض مسطحة بأكثر من دليل في كتاب الله برغم كرويتها التي لا يختلف بشأنها أعشيان!

القائلون بردة المسلمين وحدهم، والحمقى من ورائهم، هم الذين يخشون عودة هبل واللات ومناة، ولماذا الأصنام والأوثان وفي عالم الأحياء بحبوحة ممن زاحموا الشمس والقمر والحجر؟! يحكي (السير هنري لايارد) مؤلف كتاب «بابل ونينوى» أنه قابل صحفياً غربياً زار شبه جزيرة العرب والتقى بها شرطياً من جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودار بينهما الحوار:

السائل: نحن مثلكم أهل كتاب، نؤمن بموسى وعيسى، مع هذا فقد نقبنا في كل مكان، لماذا لا تسمحون بإجراء حفريات في بلدكم، لعل الناس يقولون بعدها : إن محمداً كان على حق؟

الشرطي: إن كنتم في شك من دينكم فلسنا في شك من دين محمدﷺ.

أجل، لسنا في شك من دين محمدﷺ .. وإذا كان الحال كذلك فممَّ الخوف على الإسلام؟ وعلام القلق من الأوثان ؟!

قبليا أو صراعاً مذهبياً أو صراعاً عنصرياً ينتهي لأننا أصبحنا فاطميين. حسنا: نحن عرب وشيعة.. ألم تقولوا لنا إن الشيعة هم الفرس. نحن في شمال إفريقيا عرب وشمال إفريقيا عربي مائة في المائة.. والذين نقول عنهم بربر هم العرب الأصليون الأقحاح.. كون أن فرنسا والاستعمار الغربي يقول لهم أنتم لستم عرباً فإن الذي يصدق هذا يتحمل مسؤوليته. شمال إفريقيا عربي وشيعي.. معناه انقلبت الآية. أنتم قلتم لنا إن الشيعة هم الفرس. لا كذب.. العرب شيعة، كيف؟. الدولة الفاطمية الشيعية قامت في شمال إفريقيا وليس في إيران.. ونحن نريد أن نبعثها من جديد ونوجه النداء من جديد لكل القوى في الدولة الفاطمية الأولى أن تبعث الدولة الفاطمية الثانية العصرية بشرط أن تكون خالية من كل الصراعات المذهبية ومن الإمامة ومن الحاكمية ومن السفسطة القديمة.. فهذه ليس وقتها أبداً. ولم يعد يهمنا أن جعفر الصادق أوصى لموسى الكاظم أو أوصى لإسماعيل بالإمامة أو بالوراثة من بعده.. هذا يهم جعفر الصادق وإسماعيل وموسى الكاظم وهؤلاء انتهوا والله يرحمهم. والآن من أحق بالخلافة: علي أو معاوية. صراع دنيوي على السلطة ثم إن الخلافة ليست لها علاقة بالدين فهذا صراع دنيوي على السلطة. لكن إذا كانوا يريدون أن يقرروا من يكون حاكماً بعد النبي، النبي ليس حاكماً فهو نبي فقط.. هذا نبي ومات لا ولد عنده ولا وريث ولا وصي ولا نائب نبي.. وإذا كانوا يقولون نحن العرب في المدينة أو في الجزيرة العربية عندنا نبي وكنا مستأنسين به وينزل عليه الوحي ومات ماذا نعمل؟.إذن نعمل أي

أغاديس:
انطباعات لن تغادر الذاكرة

د. حسن مصطفى *

مرة أخرى تخترق الصحراء قلوب أبناء الأمة، إلى بلاد المسلمين الواسعة، إلى بلاد تناساها المسلمون أو نسوها، فجاء من يكتشفها لنا ويقول هنا بلاد مسلمة غدر بها الاستعمار واستباح ثرواتها، وامتص دماء أبنائها.

أغاديس اليوم ... وبالأمس تمبكتو. مالي بالأمس ... واليوم في النيجر.

وغداً في بلد إفريقي مسلم جديد.

ما كنا لنعرف هذه البلاد ونتعرف على إخوة لنا في الدين لولا جهود القائد الثائر المسلم معمر القذافي.

فمن قلب أغاديس المدينة النيجرية المسلمة صدحت نداءات الله أكبر فاجتمع فيها مسلمون من كافة أرجاء الأرض يحيون أجمل وأغلى ذكرى على القلوب، ذكرى مولد رسول البشرية محمد ﷺ. بعد عناء السفر البعيد حطت الطائرة في هذه الأرض المسلمة وانطلقت المواكب متتالية حيث حطت فيها أقدام لم تطأها من قبل، الجميع يعيش حالة روحانية خاصة، فاليوم هو الثاني عشر من ربيع الأول يوم ولد الرسول الحبيب محمد ﷺ.

في ساحة غصت بالمسلمين التقى فيها الأبيض والأسود والأصفر والحنطي وكل الألوان والتقى فيها العربي بالأعجمي بالإفريقي بالإفرنجي وغيرهم. التقوا لهدف واحد ومحبة واحدة لا فرق بين هذا وذاك، فالكل عباد الله والكل ينتمون لهذا الدين العظيم ولهذا الرسول الكريم ﷺ.



ملتقى القبائل العربية في أغاديس

* كاتب وأستاذ جامعي فلسطيني/سوريا.

قالوا عن صحراء النيجر الكثير، قالوا عن شمسها ورمضائها وقلة مزروعاتها ومياهها، لكن الذي يرى أبناء الإسلام وهم يحركون شفاههم وقلوبهم بالصلاة على النبي العظيم محمد ﷺ، ينسى الشمس وينسى رمضاء الرمال الساخنة وينسى .. وينسى.. وإذا بكل شيء يتحول أجراً وثواباً ونعمة من الله على عباده المؤمنين . نعمة من الله حين هطل المطر على تلك المدينة، وعلى رمالها، فكانت الحرارة لا تقل عن الأربعين فإذا بها تهبط بأمر من الله لتصبح لطفاً ونعمة وهواء لطيفاً، تعجب الناس وأجمع أهل المدينة أن ما حدث غريب وهو لا يحدث في هذا الوقت من السنة، وكان الجميع يتذكرون أن المؤمنين المسلمين الذين قدموا من أصقاع الأرض ليحتفلوا بمولد النبي العظيم محمد ﷺ قد باركهم الله وأكرمهم بفضل بركة رسول الله ﷺ ومولده العظيم . أما المياه فكانت أوفر على الرغم من عدم برودتها ، وقد وفرت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية آلاف العبوات من المياه النقية الصافية، حتى لتجد الكثير منها في أيدي النساء والأطفال الذين تزدحم بهم الطرقات .

وفي ساحة هي ملعب كبير التقت جماهير المسلمين بالقائد معمر القذافي، انتظروه حتى أطل عليهم بلباسه المعهود البعيد عن البهرجات والزينات ليتحدث عن هذا المولد العظيم، عن هذه المناسبة العزيزة على قلوب كل المسلمين.

راح القائد يؤكد على أن النبي محمداً ﷺ الذي هو نبي للعالمين ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين والذي بعثه الله رحمة للناس كافة ولو كان أصحاب بقية العقائد يعقلون ويحبون الأنبياء فعلاً لآمنوا برسالة هذا النبي العظيم ﷺ .

كما أعاد القائد التأكيد على ما تناوله من قضايا هامة في خطاب تمبكتو العام الماضي من أن ما يُسمى الكتاب المقدس «التوراة + الإنجيل» هو محرفة كُتبت بعد موسى وعيسى عليهما السلام بمئات السنين، ولو كان هذا الكتاب صحيحاً لكان قد ورد فيه التبشير

واحد رمزاً.. خليفة مع أن خليفة غلط. ليس خليفة، فالنبي لا يخلفه أحد أبداً وموسى طلب من الله قائلاً: اعمل لي أخي هارون وزيراً.. وقبل منه، ولو أن الله لم يقبل لم يكن هارون وزيراً. قالوا نريد واحداً يحكم، على الأقل يكون حاكماً فعلاً.. قالوا «علي» يجب أن يكون هو أول واحد. إذا كان الاستناد إلى آل البيت وأقرب واحد لمحمد.. أقرب واحد للنبي فعلاً «علي» أحق. وإذا كان الاستناد لكبر السن أو للحكمة أو للثروة ممكن أبوبكر غني وصديق للنبي يكون أبوبكر غني، وعلي عمره 12 سنة لما بعث محمد رسولاً بينما أبوبكر وعثمان وعمر أعمارهم كبيرة ربما في الـ40 أو الـ50 وهؤلاء أكبر سناً من «علي» وقالوا يتولون هم بعد ذلك الخلافة.. هذا أيضا منطقي. لكن هذا شيء يخصهم هم في ذلك الوقت ليس لنا علاقة به الآن. العرب والمسلمون كلهم سنة وكلهم شيعة.

نحن سنة .. ونحن شيعة

لكن عاطفياً نحن كل العرب وكل المسلمين متعاطفون مع «علي».. معناها كل العرب شيعة. إذا كانت الشيعة هي التعاطف مع علي فكل العرب شيعة. أين العربي الذي هو ضد «علي»؟. لا يوجد. اعملوا استفتاء في كل العالم الإسلامي والعربي: قولوا لهم أنتم مع معاوية أم علي، يقولون لك مع علي. قولوا لهم: أنتم مع فاطمة الزهراء أو مع أي واحدة أخرى زوجة معاوية أو زوجة يزيد أو غيره، يقول لك لا.. أنا مع فاطمة الزهراء. معناه تشيع لآل البيت.. تشيع لفاطمة وتشيع لـ«علي». كل العرب.. كل المسلمين متشيعون لعلي. معناها إذا كان التشيع لـ علي هو الشيعة

الصريح بالرسول محمد ﷺ، فالقرآن يخبرنا أن المسيح عليه السلام بشّر بالنبي صراحة. لكن الذين كتبوا هذا الكتاب حرفوا أقوال المسيح عليه السلام وحرفوا عقيدته بل صنعوا عقيدة جديدة قالت بأن المسيح إله، وأن المسيح صُلب، وأنه لم يبشر برسول يأتي بعده اسمه أحمد ﷺ .

إن الدين عند الله الإسلام ولا دين غيره، وعلى أصحاب العقائد أن يتبعوا هذا الدين الحنيف، وأكد القائد على أن عصرنا هو عصر المعلومات، عصر العلم الذي يفرض التحقيق بمصداقية هذين الكتابين التوراة والإنجيل .

وركز القائد على عالمية الإسلام، بمقابل محدودية دعوة المسيح عليه السلام ، فالمسيح وبالنص القرآني وكذلك في مصادر المسيحية بعثه الله لبني إسرائيل فقط ، فكيف يمكن أن يكون الأفريقي مسيحياً أو الأوروبي والهندي والأمريكي طالما بُعث المسيح لقومه من بني إسرائيل ؟فمن الخطأ أن يكون غير بني إسرائيل مسيحيين، لقد أرسل الله الأنبياء جميعاً إلى أقوامهم، بينما بُعث رسول الله ﷺ إلى العالمين، إلى الناس كافة. ومن هنا فإن الرسالة الإسلامية رسالة عالمية إنسانية، وهي دعوة لكافة أبناء البشرية، لأن الله سبحانه ختم الأنبياء بنبوة محمد ﷺ وختم الرسالات برسالة الإسلام، فلا حجة لأحد أن يبقى مسيحياً أو يهودياً أو غير ذلك.

وحين ندرك ما وراء هذا الحديث نستطيع أن نفهم لماذا يُجن جنون البعض ؟.إن القائد معمر القذافي يدعو من وراء ذلك إلى العودة إلى الحق والحقيقة فلا يقبل عقل أن ترى إفريقيا واحداً يدين بعقيدة المسيحية، وكأني به يدعو من الآن إلى نفض غبار الوثنية المسيحية عن كافة أبناء إفريقيا..

ومن المعروف أن الاستعمار الغربي حين استعمر بلاد إفريقيا فرض على بعض سكانها العقيدة

جهود مخلصة لخدمة الدعوة

وفد مسلمي بلاد الشام، سورية قلب العروبة والإسلام، وقد شاركنا في الاحتفال الجماهيري الذي أقيم بمناسبة مولد النبي محمد ﷺ في مدينة أغاديس وسط الصحراء الإفريقية الكبرى يوم الجمعة 30-3-2007 مسيحي ، وشاركنا أيضاً بالصلاة الجامعة التي قمتم بإمامة الناس فيها في ذلك اليوم الأغر من تاريخ أمتنا الإسلامية، الذي حضره رؤساء دول السودان وتشاد والنيجر ومالي وموريتانيا، وأعضاء من هيئات ومؤسسات إسلامية من ست وتسعين دولة.

نرفع إليكم أسمى آيات الشكر والتقدير على ما تقدمونه وتبذلون من جهود واضحة الملامح والثمرات في خدمة الدعوة الإسلامية ، ونشر دين الله عز وجل في الآفاق، وتقديم المساعدات الإنسانية الصادقة في مجالات الإغاثة والصحة والتعليم، ملتزمين حقيقة قول الله تعالى :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية : 9]

ولقد تلقينا خطابكم التاريخي في ذلك الحشد ببالغ الاهتمام والإفادة .

وقد كان لإعلان عدد من الملوك والسلاطين في القارة الإفريقية، ومن ورائهم عدة ملايين من شعوبهم، إسلامهم على أياديكم المعطاءة ، بالغ الأثر في نفوس كل المتابعين لهذا الحدث التاريخي .

وهذا كله يذكرنا بالواجب الأعظم الذي تضطلعون القيام به ألا وهو واجب تبليغ الدعوة الإسلامية ، كما كان الخلفاء المسلمون يفعلون سابقاً .

ولذلك فإننا نسأل المولى عز وجل أن يوفقكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يجعل جهودكم الخالصة لوجهه الكريم، في ميزان حسناتكم إنه نعم المولى ونعم المجيب .

الوفد المشارك من سوريا

المسيحية الغربية، ولكن قدر إفريقيا وأبناء إفريقيا هو الإسلام وليس أي عقيدة مستوردة أو مفروضة .

لقد أوجز القائد كلامه واختصر، لكن لسان الحال يقول: إن لكل مقام مقالاً ولكل حادث حديثاً، وما قاله القائد في خطابه تناسب مع حدث الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، فهو قد أكد خاتمية النبوة ، وأكد احترام المسلمين لكافة الأنبياء، وأكد أن المسيح عليه السلام بعث لبني إسرائيل وأن لا شأن للإفريقي أو الأوروبي أو غيرهما بالمسيحية، وأكد على أن الرسول محمدا ﷺ هو النبي الإنساني العالمي الذي يجب إتباع رسالته .

ولعلنا نقف طويلاً مع مشاعرنا الدينية الإنسانية عندما اجتمع عدد من السلاطين من غانا وغيرها ليشهروا إسلامهم أمام جماهير المسلمين ولعل ما اعتدنا عليه في مثل هذه المواقف تلقين القائد القذافي الشهادتين لهؤلاء الذين انتموا إلى الإسلام، لقد كان موقفا مؤثراً جداً، وكنت ترى الكثير من المسلمين الضيوف وهم يتفاعلون مع هذا الحدث العظيم ويتذكرون كم أعد الله من نعم في الدنيا والآخرة لمن يهدي إنساناً للإسلام .

إننا حين نغادر تلك الصحراء نغادر الأرض ولكننا لا نستطيع أن نغادر أرواحنا ونفوسنا وعقولنا.

إن مثل هذه الأحداث تحفر دقائقها وأشخاصها في الذاكرة فهي دائمة التفاعل في العقل والنفس ، ونعتقد أن الإسلام الذي ربانا على حب الآخرين والسعي لإنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى يدفعنا كي نحذو حذو القائد المسلم معمر القذافي ونسعى بكل جهودنا العقلية والجسدية لهداية كل من نستطيع إرشاده لدين الله.

تلك انطباعات لا بد منها بعد مواكبة هذا الحدث، من المفترض ومن الوفاء أن تنطق بها ألسنتنا وأن تكتب أقلامنا وتنشر صحافتنا.

إنه أقل الوفاء لمن أعاد الأمل في صحوة الأمة وعودة الناس جميعاً إلى دين الله الإسلام.

إذن نحن كلنا شيعة.. هذه حقيقة.. هذه ثقافتنا. إذا كانت السنة هي أنك تؤمن بمحمد وبسنته، والأشياء التي سنها محمد تأخذ بها، فالإيرانيون سنة. هل قال لكم الإيرانيون: نحن ضد محمد؟. هم يقولون محمد ﷺ هو نبينا. وهل تأخذون بسنته؟. يقولون طبعا نحن على سنته. إذن أنتم سنة نعم.. صحيح. ويأتون لنا هنا نحن العرب المسلمين في شمال إفريقيا يقولون: أنتم تحبون علياً، نقول نعم نحب عليًا.. هل تحبون علياً أم معاوية نقول: نحن نحب علياً. إذن أنتم شيعة. الإيرانيون سنة ونحن الذين في شمال إفريقيا شيعة، إذن ها هي الأوراق قد اختلطت. ولكي نقضي على هذا الجدل، واستغلال العدو لهذه الفرقة بين الشيعة والسنة، والحكام العرب الآن يطبلون لإرضاء الأمريكان وإرضاء الاحتلال، بالدعوة إلى كره إيران، لأن إيران تعمل قنبلة ذرية، وأن إيران كذا والفرس كذا، وذلك لكي يشطروا الإسلام. وعندما تسألهم: لماذا تكرهون إيران؟ يقولون: لأنها شيعة. لا لا.. نحن في شمال إفريقيا الدولة الفاطمية العصرية الجديدة. ها نحن شيعة.. حسناً الشيعة انتقلت الآن من إيران وأصبحت في شمال إفريقيا. يجب أن تقام الدولة الفاطمية الثانية نحن شيعة في شمال إفريقيا لكن عندما تسألنا عن سُنة النبي نقول: كيف لا نطبق سنة النبي.سنة النبي نحن نتقيد بها. إذن أنتم سنة. نعم صحيح نحن سنة لأننا نطبق سنة النبي ونحن شيعة لأننا متشيعون لـ«علي». إذن انتهى الخلاف. لكن السفسطة والهرطقة التي كانت موجودة في ذلك الوقت لن تعود في الدولة الفاطمية التي ندعو إليها مرة ثانية إذا

حدث تاريخي بكل المقاييس

سيسي سليمان *

يجد الباحث لدى تصفحه للكتب التاريخية المهتمة بالقضايا الإفريقية كماً هائلاً من الرحلات التي دونها المؤرخون والجغرافيون العرب المسلمون، أمثال البكري وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم، كما أنه يعثر بالمقابل على أنواع أخرى من الكتابات التي وضعتها أياد استعمارية استشراقية تنصيرية، وإذا حاولنا دراسة تقريبية بين الأهداف التي دفعت أولئك المستشرقين إلى التغلغل في القارة الإفريقية يتضح أنها لم تكن تستهدف إلا وضع آليات مباشرة للهيمنة على القارة، الأمر الذي أدى إلى التوقف المفاجئ لاستمرار تطور القارة.

ومن هنا شكلت رحلات القائد معمر القذافي عاملاً مهماً للنهوض بهذه القارة وتأتي تظاهرة أغاديس الإسلامية الكبرى، لتعزز مسيرة النهوض



* باحث / غينيا كوناكري.

بالمجتمعات الإفريقية وتضيف للانجازات نجاحات جديدة، وتقدم قراءة واعية بالمستقبل والتحديات بقدر ما هي مغايرة لما يحاول أن يرسمه الغرب لهذه القارة.

فقد تميزت رحلات الأخ القائد باللقاء المباشر بالحشود المستقبلة من جميع أنحاء العالم بالدفوف والترحاب بأب من طراز الآباء الذين سهروا وضحوا من أجل تحرير القارة الأفريقية من السيطرة الأجنبية، وكأخ بار ينشر رسالة المحبة والسلام الحقيقي وكابن نذر نفسه في تطوير واستمرار التنمية الحضارية والثقافية والاقتصادية للقارة، ولعل مما يزيد من أهمية هذه التظاهرات الإسلامية الكبرى أنها تأتي رداً عمليا على أولئك المستشرقين المستعمرين المنصرين بتنكرهم وتحايلهم على الشعوب الإفريقية، الأمر الذي جعل الشعوب الإفريقية في ملاحقة مستمرة لكل تحركات أولئك المشبوهين في مراحل توغلهم التاريخي في القارة والتي هدفوا من خلالها إلى:

1 - الدافع الاستعماري

إن الرحلات التي نظمتها المراكز العلمية الجغرافية - على حد قول المؤسسين - كانت من أجل تحقيق أهداف استعمارية واستنزافية لثروات القارة واستلاب حضارتها، لأن الرغبات الأوروبية الجامحة كانت لا تسكن دون الوصول إلى ذلك، فكان من نتاج التوغل الأوروبي هذه الأمور: تكوين مستعمرات من نوعين: مستعمرات سكنية بغرض الإقامة الدائمة فيها، ومستعمرات سكنية بغرض الإقامة للأغراض الاستثمارية.

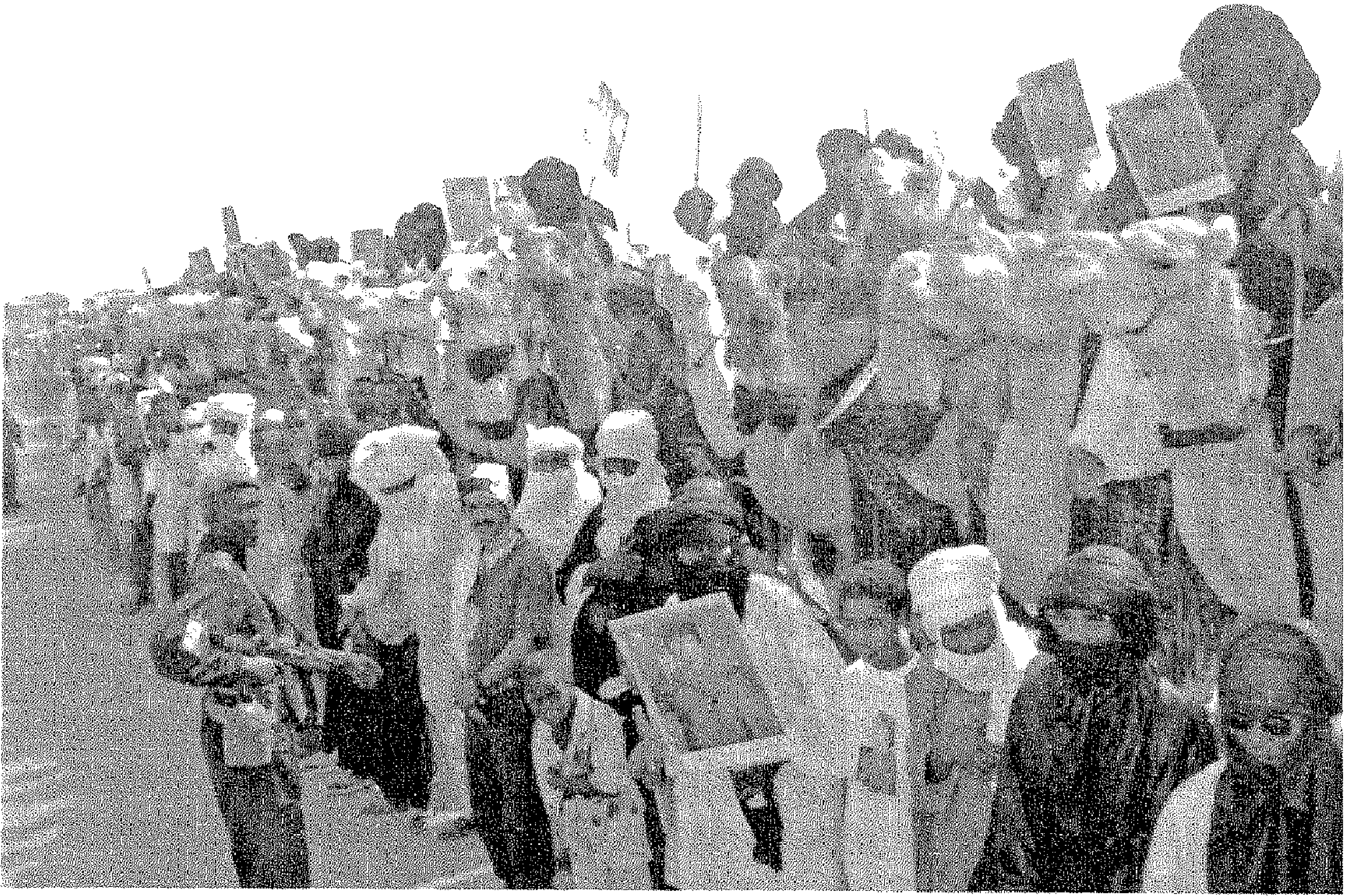
2 - الدافع الديني التنصيري:

يأتي الدافع الديني في طليعة سائر الدوافع، وذلك لما كان منتهى الصراع بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس نهاية الدولة الإسلامية، فانصبت مطامع الأسبان والبرتغال بهدف تطويق القارة وعرقلة

قامت.. إذا وجدت. كل الناس وكل القوة الفاعلة في شمال أفريقيا ستؤيد هذه الفكرة. ولن يكون هناك اتحاد مغرب عربي ولا غير عربي ولن يعود هذا ضد هذا وحرب بين هذا وذاك وحدود أية حدود.. لا يهمنا . دولة فاطمية: ابق مصريا وليبيا وجزائريا وتونسيا وموريتانيا ونيجريا وماليا.. إلى آخره.. وابق في السودان.. في الهلال الخصيب في الأردن لكن الهوية هي الهوية الفاطمية. هنا كل واحد من الذين يتاجرون في هذه القضية بأن الشيعة هم إيران وأن العرب هم السنة سيسقط في يده ويتبين أن الإيرانيين يطبقون سنة النبي إذن سنة.. وأن العرب في شمال إفريقيا متشيعون لـ«علي».. إذن شيعة ويعملون دولة فاطمية نسبة لآل البيت.

الحكم بين الدين والسياسة

إن كان التحكم والحكم لآل البيت إذن لأحد أولى من الدولة الفاطمية التي تنتسب لفاطمة الزهراء. وإن كان الحكم بالجدارة وبالفهم وبالديمقراطية فليسلموا السلطة للشعب.. اعملوا مؤتمرات شعبية واعملوا لجاناً شعبية وانهوا الحكومات وانهوا الملوك وانهوا الرؤساء والغوا كل هذه النماذج القديمة ويصبح أمرهم شورى بينهم. ما إذا كنتم تريدون أن تعملوا حكاماً وتستغلوا الإسلام»، كل واحد يستغل الإسلام.. إذا كنتم أدخلتم الإسلام في السياسة، إذن آل البيت أولى منكم كلكم يامن تستغلون الإسلام. من أين لك أنت أن تحكم باسم الإسلام؟ إذا كنت تريد أن تحكم باسم الإسلام، فإن آل البيت أفضل.. آل البيت أولى. وإذا كنت تقول دعوا الدين، ونحن نريد أن نحكم حسب الكفاءة أو حسب



الأنسياب الإسلامي فيها، والاتصال بملك الحبشة - آنذاك - المسيحي للاشتراك في حركة التطويق، كما أن ذلك الاندفاع كان مؤيدا بتبريك البابوية، بَيْدَ أن تصدي مصر المملوكية أرجأ ذلك التفزع الأوروبي.

3 - الدوافع الاقتصادية

من أكبر أهداف الأوروبيين توفير المواد الخام الرخيصة والأسواق الاستثمارية، لأن الثورة الصناعية التي كانت في ازدهار في أوروبا، تستدعي وجود أسواق لبيع الفائض من الإنتاج وتوفير الأيدي العاملة لسكان المدن الصناعية الذين غادروا مزارعهم التي تكسبهم المواد الغذائية، وإلحاح حاجتهم إلى المواد الخام التي لم تكن في مقدور الدول الأوروبية توفيرها.

4 - الدوافع الإستراتيجية والاستشراقية

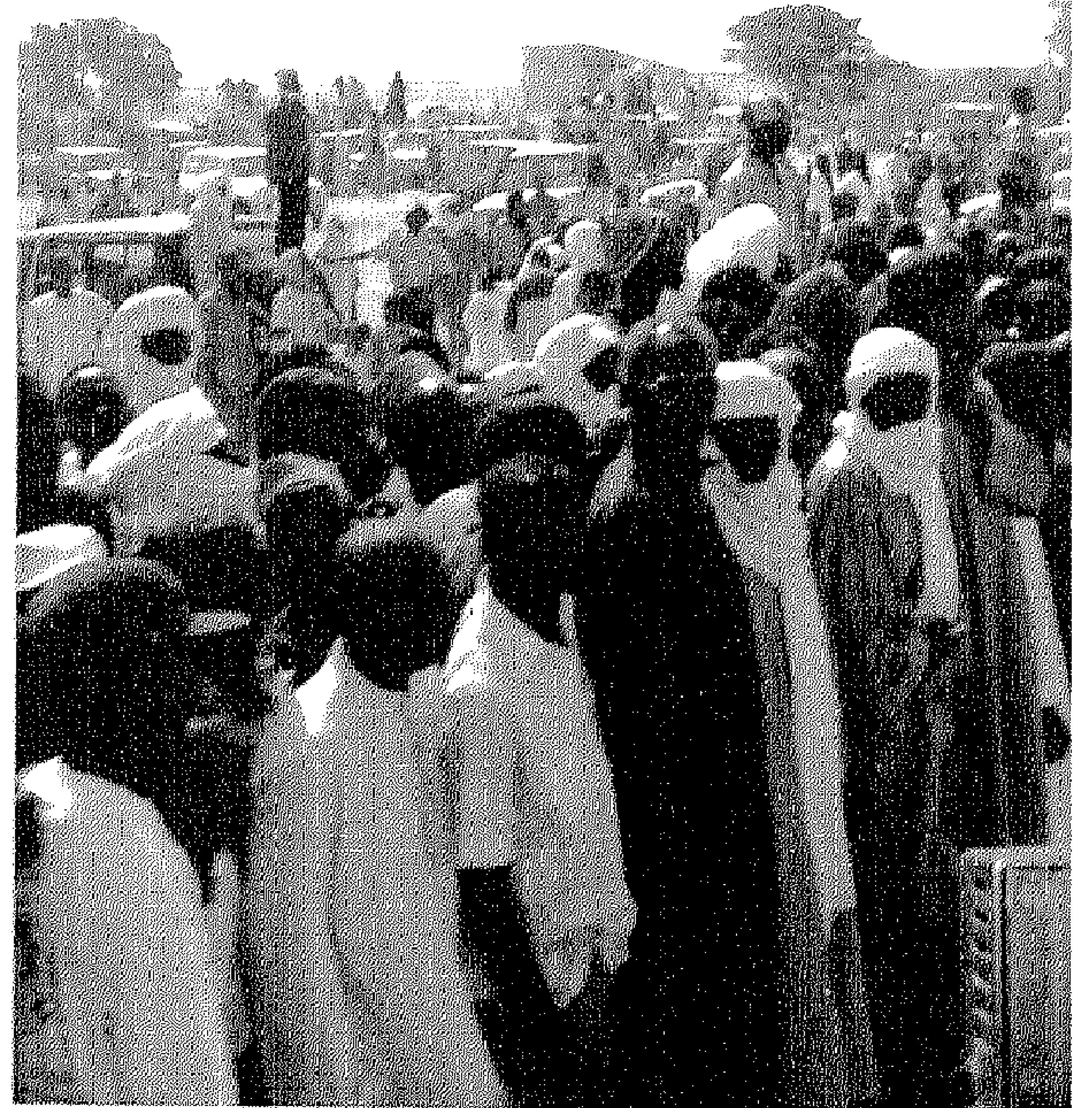
مما كان يتوهمه بعض الأوروبيين أن من واجبهم الحضاري الأخذ بأيدي الأفارقة وتغيير نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتدوين تاريخهم بالطريقة التي تحلو لهم، فقامت نخبة من الباحثين لتنفيذ تلك المهمة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: رينه كاييه الفرنسي، وهنري بارث الألماني، ومونغو بارك، الذين اتجهوا إلى مدينة تمبكتو خاصة، وتمكن بعضهم من وضع خريطة وهمية للمدينة ورسم منارات للعلم والعبادة فيها.

ومن هنا جاءت رحلة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية إلى أغاديس تحدياً لكل تلكم الرحلات القديمة التي نظمت تحت عنوان الاستكشاف تارة، وإثراء العلوم الجغرافية تارة أخرى، وتميزت على جميعها بحجمها التاريخي الحضاري وأهدافها الدعوية الكبيرة، وإذا ركزنا على الجانب التاريخي الحضاري، نستطيع تصنيف هذه الرحلة من حيث الدوافع والغايات المنجزة التي حفزت الأخ القائد إلى الرحلة التاريخية الفريدة من نوعها إلى مدينة

أغاديس التاريخية على النحو الآتي:

1 ـ إعادة توثيق العلاقات العربية الإفريقية التي فككها التغلغل الأوروبي الاستعماري في القرن الخامس عشر المسيحي، بدءاً باحتلال البرتغال لسبته بالمغرب، وصولا إلى عام 1900 مسيحي حيث تمت خلال ذلك السيطرة على أجزاء إفريقيا، من أجل تنفيذ المخططات الاستعمارية.

2 ـ تمتين الروابط العربية الإفريقية، وتتجلى مظاهر ذلك بدءا من الدور العربي النضالي للأفارقة الذي يتصاعد في نهاية الستينات من أجل مضاعفة العمل المساند لهم عن طريق الدعم المادي والمعنوي لحركات التحرر في موزمبيق وزمبابوي وأنجولا وجنوب إفريقيا، وعدم مساندة الحركات الانفصالية التي كانت القوى الصهيونية بدأت الاعتراف بها ومساندتها كمحاولة انفصال الجنوب الشرقي في نيجيريا باسم «بيافرا» في أواسط العام 1967 مسيحي، وقد أصبح هذا التعاون العربي الإفريقي، أكثر إلحاحاً منذ بروز



الانتخابات.. فإن هذا شيء آخر لا تدخل فيه الإسلام.

نتوجه إلى أعمدة الدولة الفاطمية

وأنا متأكد أن هذه الدعوة، لإحياء الدولة الفاطمية الثانية، ستنهي هذا الجدل وتقطع الطريق على العدو، وتسحب البساط، من تحت أقدام كل المزايدين على هذه الأمة، والمتاجرين في قضاياها؛ ستجد من يتبناها. أولها نتوجه للأزهر، الذي هو أحد أعمدة الدولة الفاطمية وإلى المهدية، وحتى القيروان، وإلى كل المؤسسات المعروف عنها أنها كانت من أعمدة الدولة الفاطمية أو إرث الدولة الفاطمية. لا علاقة لنا بأي خلاف، أما حكاية أن هذا مذهب إسماعيلي، نسبة لإسماعيل بن جعفر الصادق، وأن هذه الاثني عشرية، نسبة لموسى الكاظم، وأن هذه الزيدية.. هذه كلها نحن ليست لنا علاقة بها. ليس هناك شيء يتناقض مع شيء أبداً، كأن تقرأ القرآن على رواية «نافع» أو على رواية أخرى.. أو تمارس العبادات حسب ماشرحها لك مالك، فأنت حر.. أو حسب ماشرحها إباض، أو حسب ما شرحها حنبل، حر.. أو حسب الشافعي، حر.. حرية تامة. إن الدولة الفاطمية أعطت الحرية لهؤلاء الناس، كل واحد يمارس عبادته بحرية تامة.. واحد شافعي، واحد مالكي، واحد إسماعيلي واحد خوارج. والكلام الذي يقال عن أن الدولة الفاطمية كانت ضد المذهب المالكي، إذا كان موجوداً في ذلك الوقت، فهو قضية فقهاء، لكن ليست قضية جمهور، ولا قضية عامة الناس،



النـفـط وتصـديـره، إذ أنـه أدى منـذ عـام 1975 مسيحي إلى تدفق معونات مادية كبيرة نحو إفريقيا، وكان من عوامل دفع العلاقات للأمام توفر العوامل المنشطة لها وهو قيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969 مسيحي، وتأسيس تجمع دول الساحل والصحراء (س.ص) 1969 مسيحي، وقـيـام الاتحاد الأفـريـقـي الـعـظـيـم في 9ـ9ـ1999مسيحي.

3ـ خدمة قضايا التنمية والاستقرار والاستقلال الذاتي للقارة، والتضامن الصادق مع شعوبها، والتي تظهر علاماتها واضحة

في المشاريع الاستثمارية التي يتابعها الأخ القائد في كافة الأراضي الإفريقية، وتمثل أحد نماذجها في انطلاق مشروع إعادة حفر قناة كابارا في تمبكتو، العمل الذي أشاد به خلال زيارته لمدينة تمبكتو وأعطى إشارة البدء الفوري في تنفيذه.

أما على الصعيد الدعوي فيمكن إجمال الغايات الكبرى فيما يأتي :

1 ـ توحيد الصف الإسلامي في مواجهة التحديات التي تزداد حدتها للأمة الإسلامية ولمقدساتها، والتصدي بالسبل الحضارية المنطقية المناسبة لها.

2 ـ تعظيم الشعائر الدينية التي تعد واجباً دينياً على جميع المسلمين

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾
[سورة الحج، الآية: 32]

3 ـ تأسيس منهجي لخطاب دعوي إسلامي يواكب العصر بكافة مستجداته وتحدياته، تتحقق عبره أهداف الخطاب الدعوي الإسلامي الأصيل الذي يعيد روح الأمل لدى المسلم.

4 ـ النداء إلى رسم خطة عملية يكون فيها العون على إيجاد منهج حواري ديني صادق، تشترك فيه

الأمم في تعايش أخوي خال من كل أصناف الاستهزاء والاستهانة والتلاعب بمقدسات الأمم.

5 ـ الدعوة إلى الشراكة في وضع أو تصحيح المناهج الدراسية، بدءاً بتصحيح الكتب الدينية المحرفة، والتحذير من محاولة الاستهزاء بتحريف أو تعديل نقطة من القرآن الكريم عند المسلمين، لأن ذلك يعد محاولة للتلاعب به بعدما ضمن البارئ سبحانه وتعالى حفظه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

[سورة الحجر، الآية: 9]

6 ـ التذكير بالأخطار التي تداهم العالم الإسلامي من محاولة تأجيج روح الطائفية والحزبية المتنكرة، وذلك بتقسيم المسلمين إلى سنيين تارة وشيعيين تارة أخرى، أو إلى قوميات مغايرة تماما للقومية العربية، واعتبار تلك الهوة مصيدة رابحة في تخويف كل الأطراف عن أخرياتها.



وقد مرت في وقتها، لكن الآن نحن متفقون، عندنا عشر روايات للقرآن، نحن أحرار، يمكننا أن نقرأ القرآن بهذه الرواية أو بتلك الرواية. وعندنا أيسر المذاهب، وتقدرهنا في هذا المكان، في النيجر، أن نطبق المذهب المالكي. وإذا وجدت المذهب الحنبلي أيسر، نطبقه في قضية معينة، وإذا وجدت أن الشافعي أيسر نأخذ بالشافعي.. أي أيسر المذاهب. ثم إن كل هذه المذاهب هي بدع، في الحقيقة.. هذه كلها بدع وكلها اجتهادات، وكلها جاءت في عصر مشكوك في كل شيء فيه. الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّن، والله يقول لاتتشيعوا ولا تتحزبوا.. هذه كلها موجودة في القرآن. والصلوات الخمس معروفة، والنوافل معروفة، والصوم معروف، والحج معروف، وأركانه معروفة، والزكاة معروفة، والشهادة معروفة، وأركان الإسلام الخمسة معروفة وغيرها. إذن لماذا نختلف؟ على أي شيء نختلف؟ قال له: والله أنت شيعي:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الجنّ، الآية: 18]

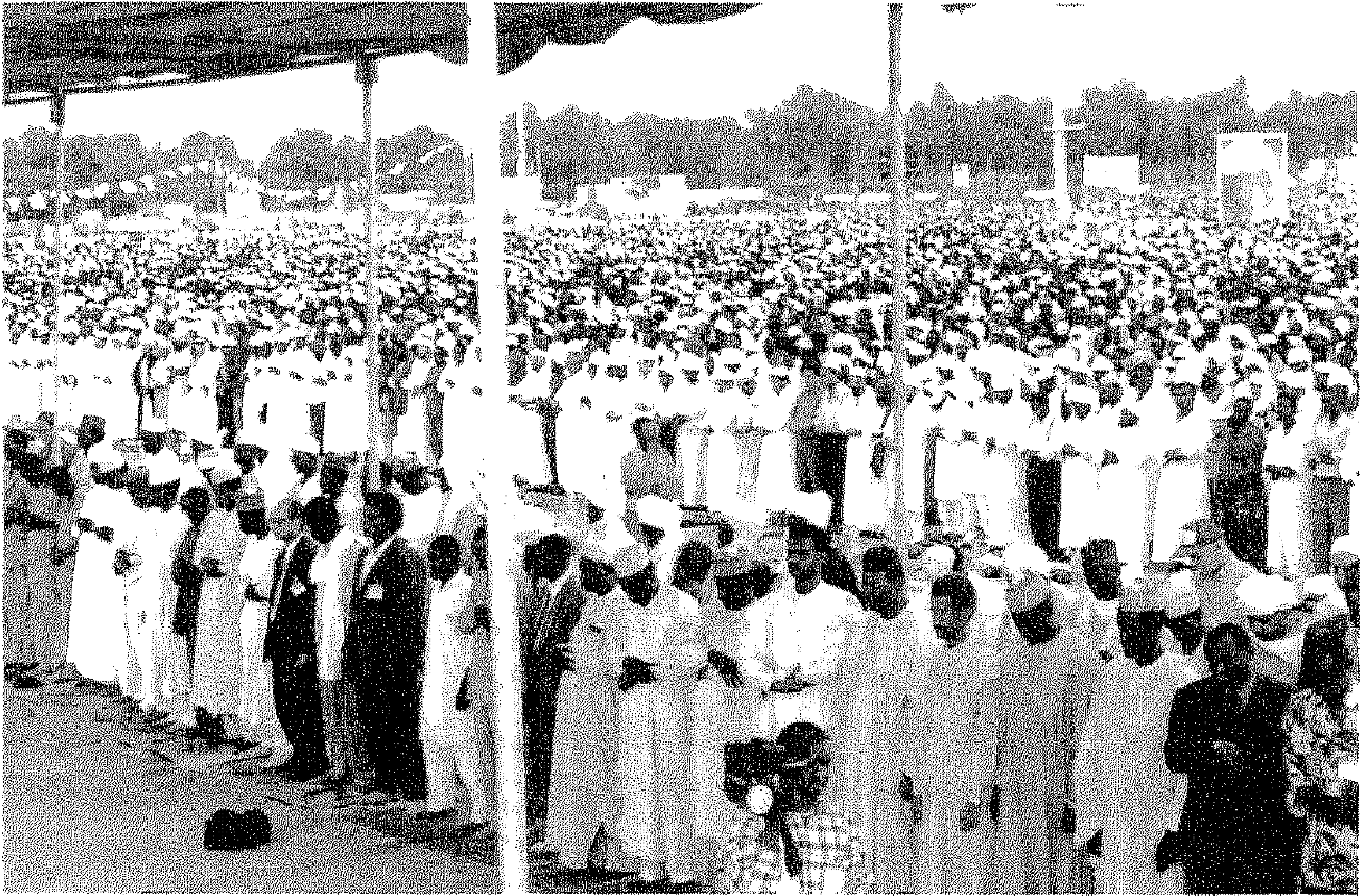
كيف نجد مسجداً يقولون إنه مسجد شيعي وآخر مسجد سني من قال بهذا ؟ هل كان في وقت الرسول يوجد مسجد للشيعة ومسجد للسنة، من أين جاءت هذه البدعة؟ أعوذ بالله!

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [سورة الجنّ، الآية: 18]

هذه كلها مساجد لله.. كيف تقول هذا مسجد شيعي وذاك سني؟. ما الفرق بين المسجد الشيعي والسني، هل واحد قبلته يمين وواحد قبلته يسار، أليسوا متوجهين كلهم

دور رائد يخدم قضايا المسلمين

الشيخ أحمد الوافي *



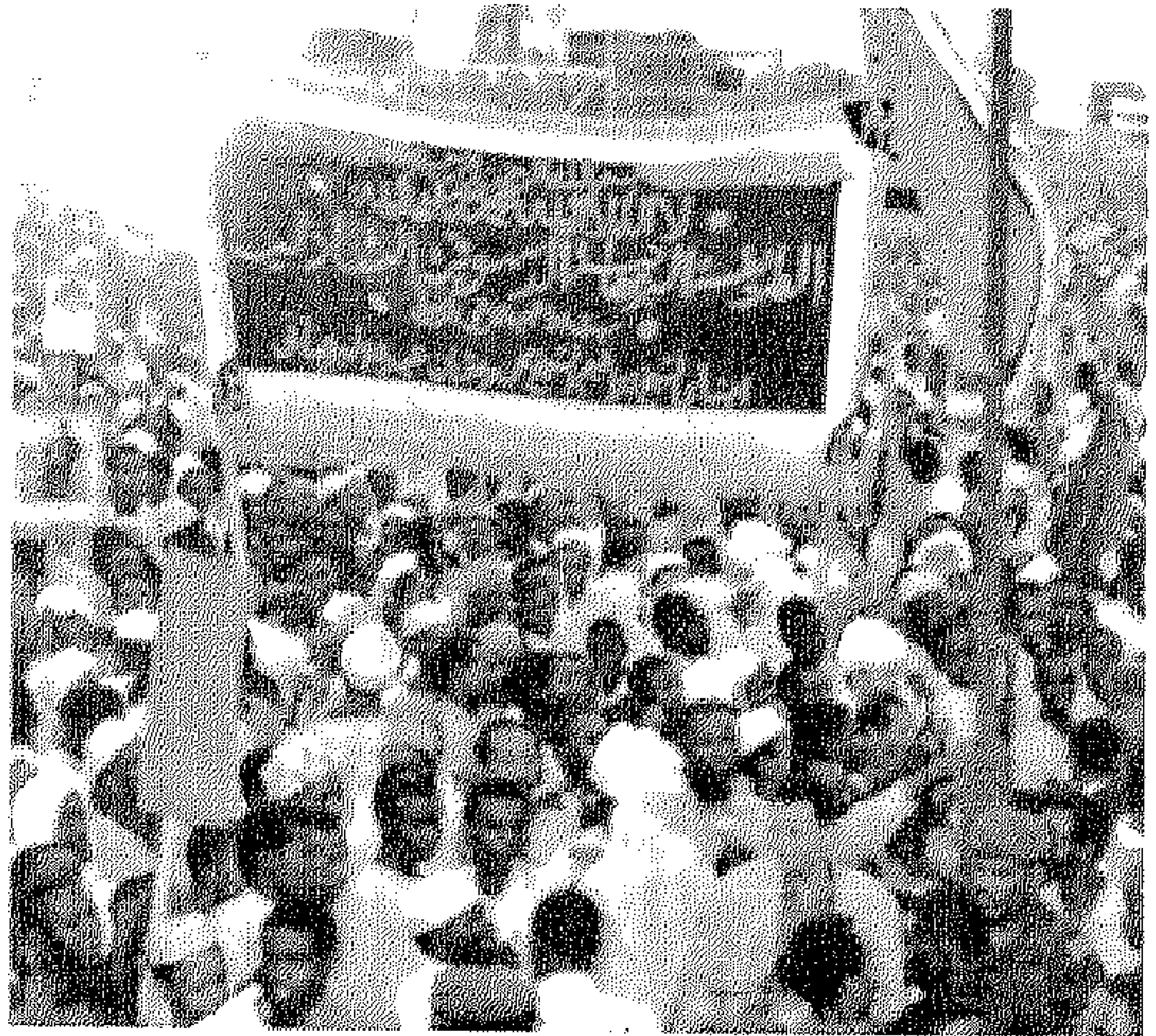
أعبر عن اعتزازي بالجهود المخلصة، التي يقوم بها الأخ معمر القذافي، من أجل خدمة الإسلام والمسلمين في أرجاء المعمورة قاطبة، وتحقيق وحدتهم والمحافظة على هويتهم الإسلامية، وأثني على الدور الإنساني الذي تضطلع به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، في الجوانب كافة الإنسانية والفكرية والثقافية والإغاثية، وعملها المتواصل لترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم والتواصل بين أبناء البشرية.

لقد حضرت التظاهرة الإسلامية الكبرى الثانية، احتفالاً بذكرى مولد خاتم أنبياء الله محمد ﷺ، وإمامة الأخ قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، في صلاتي المغرب والعشاء لآلاف جموع المسلمين، الذين تقاطروا من أنحاء العالم أجمع، على مدينة

* رئيس منتدى الفكر والحوار / موريتانيا.

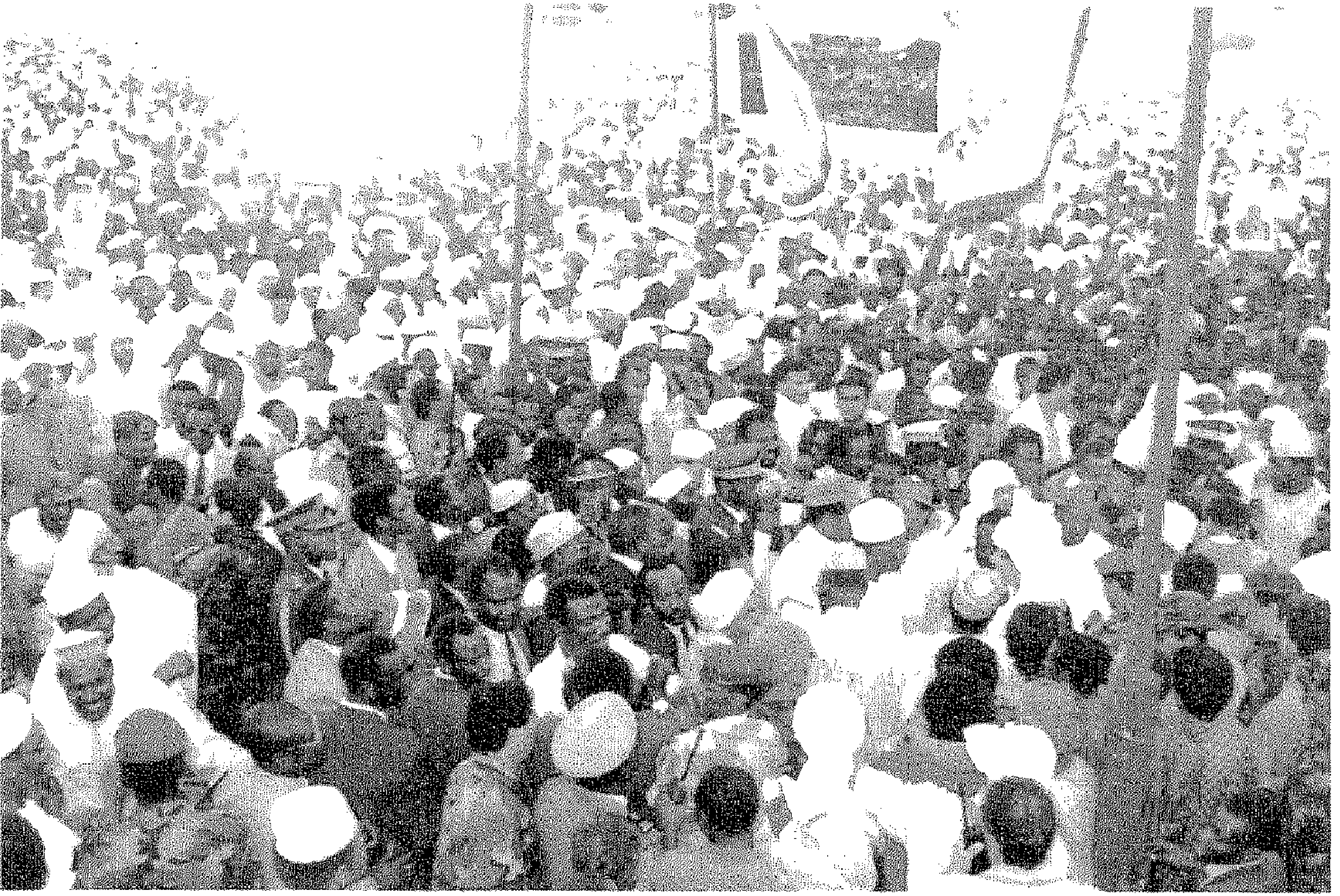
أغاديس ، ولا شك في أن هذا حدث كبير وعظيم، يحيي ويرسخ من جديد معاني هذه المناسبة العظيمة.

لا شك في أن هذا التحدي الذي نواجهه نحن المسلمين اليوم، هدفه القضاء على الأمة من داخلها، بإدارة النزاعات الداخلية، وتحريك القمقم داخل الأمة، وتفجير الصراعات بين الطوائف والمذاهب، فهذا السيل يكاد يجرفنا، لكن القائد يتصدى اليوم لهذا السيل الجارف، حتى لا يدمر ما بقى من وجودنا. وفي اعتقادنا فإن هذا الدور يأتي في وقته المناسب، حيث نفاجأ بالحصار من كل جانب، كان الحصار على الجماهيرية، وكان حصاراً خانقاً، واستطاع القائد أن يفك هذا الخناق وأن يفك هذا الحصار بقوة، واليوم





نحو البيت الحرام؟. وبالمناسبة فإن الحرمين ليسا هما الحرمان اللذان نقولهما الآن.. الحرمان هما مكة والقدس، هذان هما الحرمان. هذه الجدلية التي كانت موجودة في ذلك الوقت نحن في غنى عنها ولن نبحثها أبداً. شيء جديد تنصهر فيه كل القوميات والقبليات نحن سنبعث شيئاً واحداً هو هوية فاطمية لكي تنصهر فيها كل الإشكاليات الموجودة في شمال إفريقيا: أنت من أين؟. عربي أو غير عربي.. أنت أمازيغي.. عربي أو غير عربي.. نعم عربي.. لا غير، أنت ماذا أباضي.. أنت لست أباضياً.. أنت مالكي.. أنت متطرف.. أنت أصولي.. أنت سلفي.. بالعنف بالقوة وأنت من أين أنت طارقي.. وأنت شاعمبي.. وأنت لا أعرف ماذا.. وأنت عربي.. أنت لست عربياً. كل هذه الصراعات تنتهي وتصبح الهوية هي الهوية الفاطمية.. لا يهم أنك تكون أمازيغياً من القبائل الأمازيغية المنقرضة القديمة، العربية القديمة من العرب البائدة، ولا يهم أنك تكون من العرب البربر الذين جاءوا في منتصف القرن الحادي عشر. ولا يهم أنك تكون حتى قادماً من جهة أخرى. ولا يهم أن يكون لونك أسود أو أبيض أو أحمر أو أصفر. ولا يهم أنك تتكلم بأي لهجة من اللهجات وكلها هي لهجات عربية إنسانية قديمة كلها. هذه كلها لم تعد تهم. المهم أنت فاطمي وهذا يكفي. نعم هذه أفضل لنا من مسألة أين أنت.. تونسي.. وأنت ليبي إبرز لي هويتك وأنت من أين، أنا جزائري وأنت نيجري وأنت مالي وأنت مصري. لا داعي لـ «أنت من أين». خلينا فاطميين. الحكام

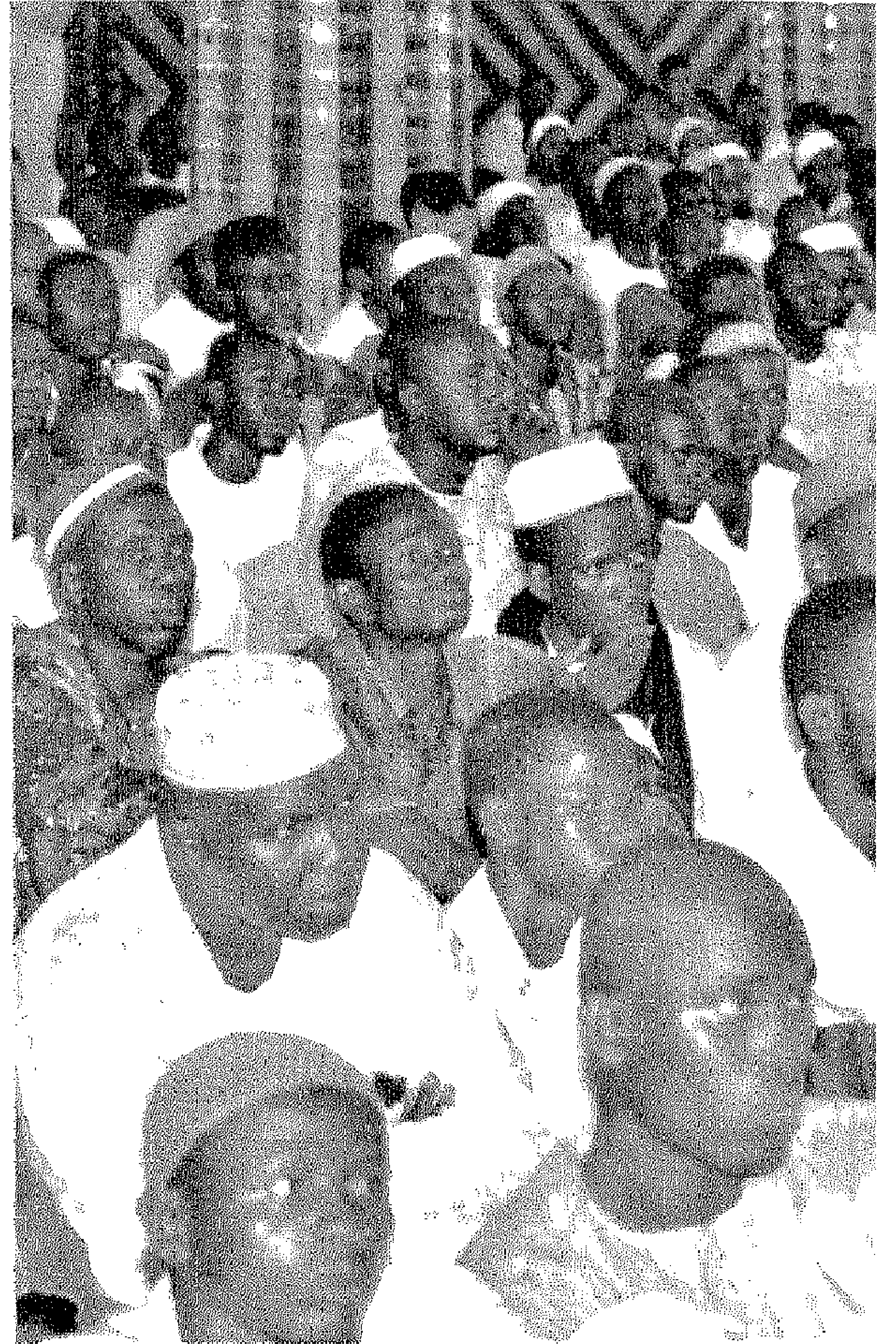




الحصار يضيق الخناق على الأمة الإسلامية بكاملها، ولم يعد على الجماهيرية وحدها، ولا بد من عمل جبار لكي يفك الحصار. هذا هو الذي يقوم به القائد في هذه اللقاءات لترسيخ وتقوية الجبهة الداخلية لنا كعرب ومسلمين، في إفريقيا أولاً ومع العالم الآخر ثانياً. اليوم نشق هذا التحدي من داخل أصعب المناطق، وهي المناطق الصحراوية عبر الصحراء الكبرى، اليوم القائد يخترق الصحراء من داخلها، ويفجرها قوة هائلة من تحت أقدام المحتل، والذين يطمعون في خيراتها ويستغلونها، القائد يفجر هذه القمقم لكي تتفجر عليهم وتتحرك هذه الفعاليات، سواء كانت قبائل أو مرجعيات أو كانت شخصيات، وأعتقد بأن هذه اللقاءات هي لقاءات كان لها صدى كبيراً، وهذا الدور الذي يقوم به القائد، نحن ما كنا نعرف بعضنا اليوم لولا القائد، ونحن فعلاً وضعنا أمام الواقع بمرارته، أيضاً القائد استطاع أن يحرك الجذور التاريخية التي تجمعنا، فتصحيح المفاهيم عن الإسلام وعن نشأته، وتصحيح المفاهيم عن ميلاد الرسول ﷺ، ودوره في تصحيح نظرتنا عن الرسل الآخرين وتعلقنا بهم، وتصحيح المفاهيم لدى الآخر، أعتقد أن هذا الدور هو دور رائد يخدم قضايا الإسلام والمسلمين.

وهنا لا بد أن أشيد بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، التي تضطلع بالعديد من البرامج والأنشطة الإنسانية، خدمة لقضايا الإسلام والمسلمين في العالم.

أنا نفسي ابن الصحراء، وقد رأيت بأم عيني ما تقوم به الجمعية في هذه المنطقة التي كنا فيها (منطقة أغاديس) بالنيجر في الصحراء، رأيتها قبل ذلك في تمبكتو وكيف يتحرك الجميع، وكيف يتلقى الجميع الثقافة من منبعها الأصيل، ورأيت رجال الجمعية كيف يتحركون في هذه الأرض مع الناس، ويعلمونهم أمور دينهم، ويطلعونهم على الثقافة وعلى العلم ينهلون مباشرة منه. ولا يخفى الدور الإنساني الذي تقوم به في إغاثة الناس وفي مساعدتهم، وفي التواصل فيما بينهم وفي مكافحة أفكار التفرقة وأفكار التشويه، وربط العلاقات بين الشعوب، وأعتقد أن هذا الدور الذي تقوم به الجمعية هو دور كبير جداً وستكون له آثار كبيرة على المستقبل المنظور.

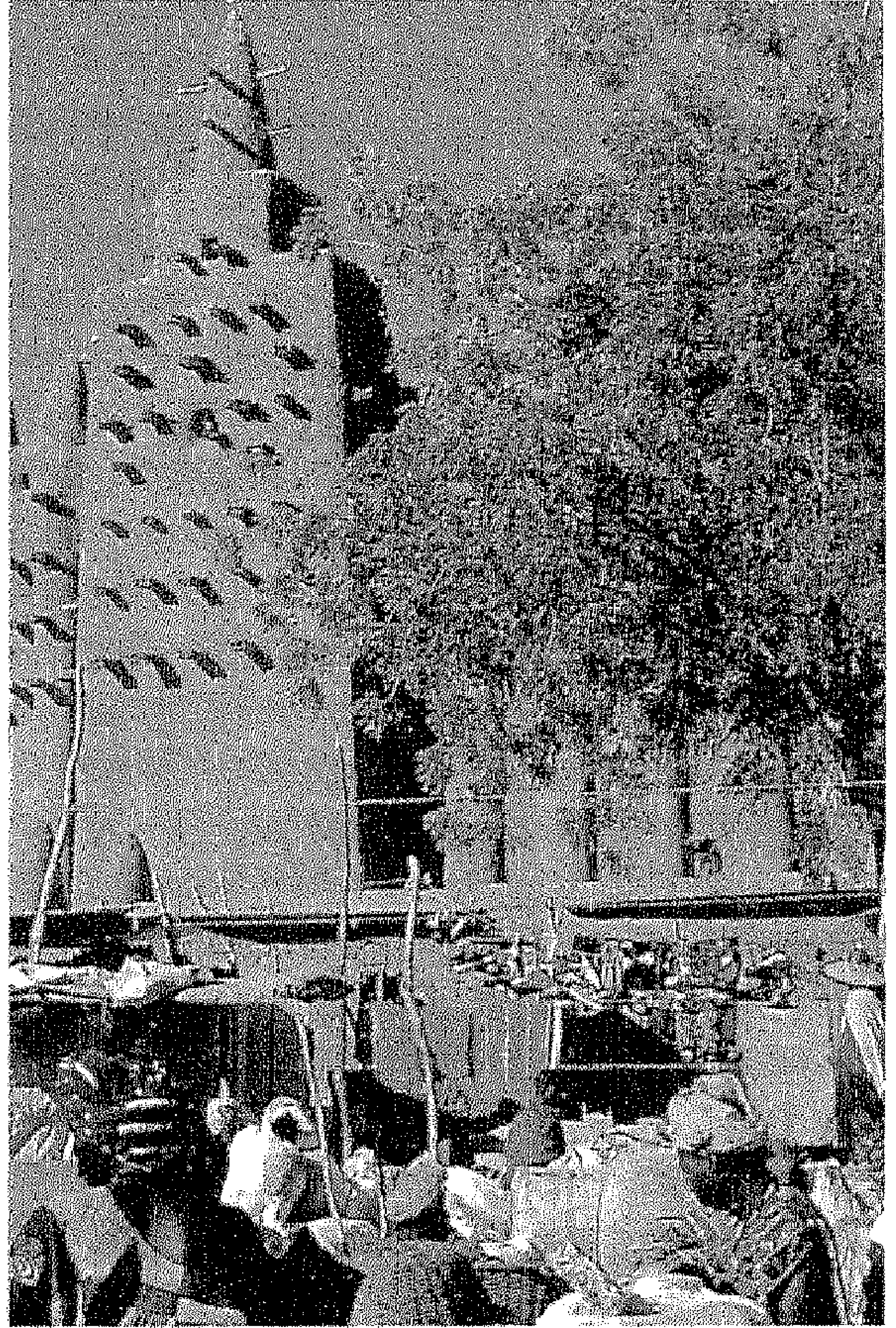


سيبقون يرفضون هذه الأشياء، وسوف ترون ردة فعلهم، لكننا نحن سنرتاح. هويتنا فاطمية الإسلام تريدون أن تدمروه، تقولون شيعة في إيران وسنة عند العرب لا.. الدولة الشيعية هي التي قامت في شمال إفريقيا. الدولة الفاطمية هذه هي الدولة الشيعية في التاريخ. إذن متى قامت الدولة الشيعية في إيران؟. نحن نشكر إخواننا الفرس الذين تشيعوا لأهل البيت وتشيعوا لـ«علي».. نشكرهم لأنهم انضموا لأهل البيت فهذا شيء عظيم. وأنا مستغرب أن ناسا من آل البيت مثل ما في الأردن مثلاً يكونون ضد الشيعة. ما معنى الشيعة؟ هي التشيع لآل البيت.. معناها نتشيع لك أنت الذي في الأردن.. أنا متشيع لك عندما أكون شيعياً في إيران. انظر كيف أنهم « ركبوها في بعضها » وجندونا ضد بعضنا. هذه الدعوة لإقامة الدولة الفاطمية الثانية سيؤيدها الإسماعيليون والزيديون والنزاريون والدروز والعلويون، وكل هذه الحركات التي كانت تتبع الدولة الفاطمية، وأنا متأكد أن لها وجوداً حتى في المشرق. هذه هوية أفضل لنا تجمع كل هذه القوميات وهذه القبليات والعصبيات وهذه المذهبيات وتنصهر كلها في بوتقة واحدة.

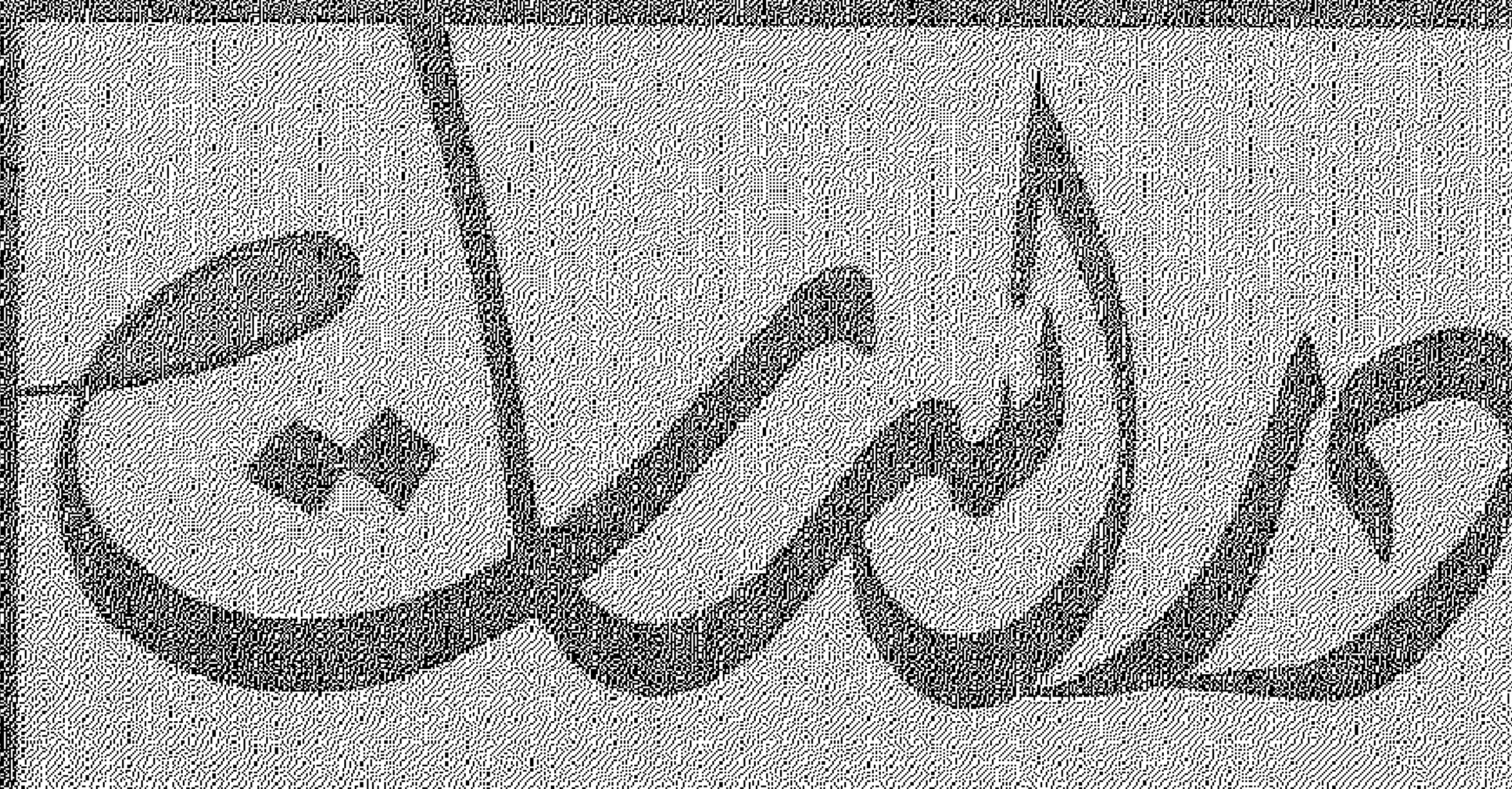
وفقنا الله

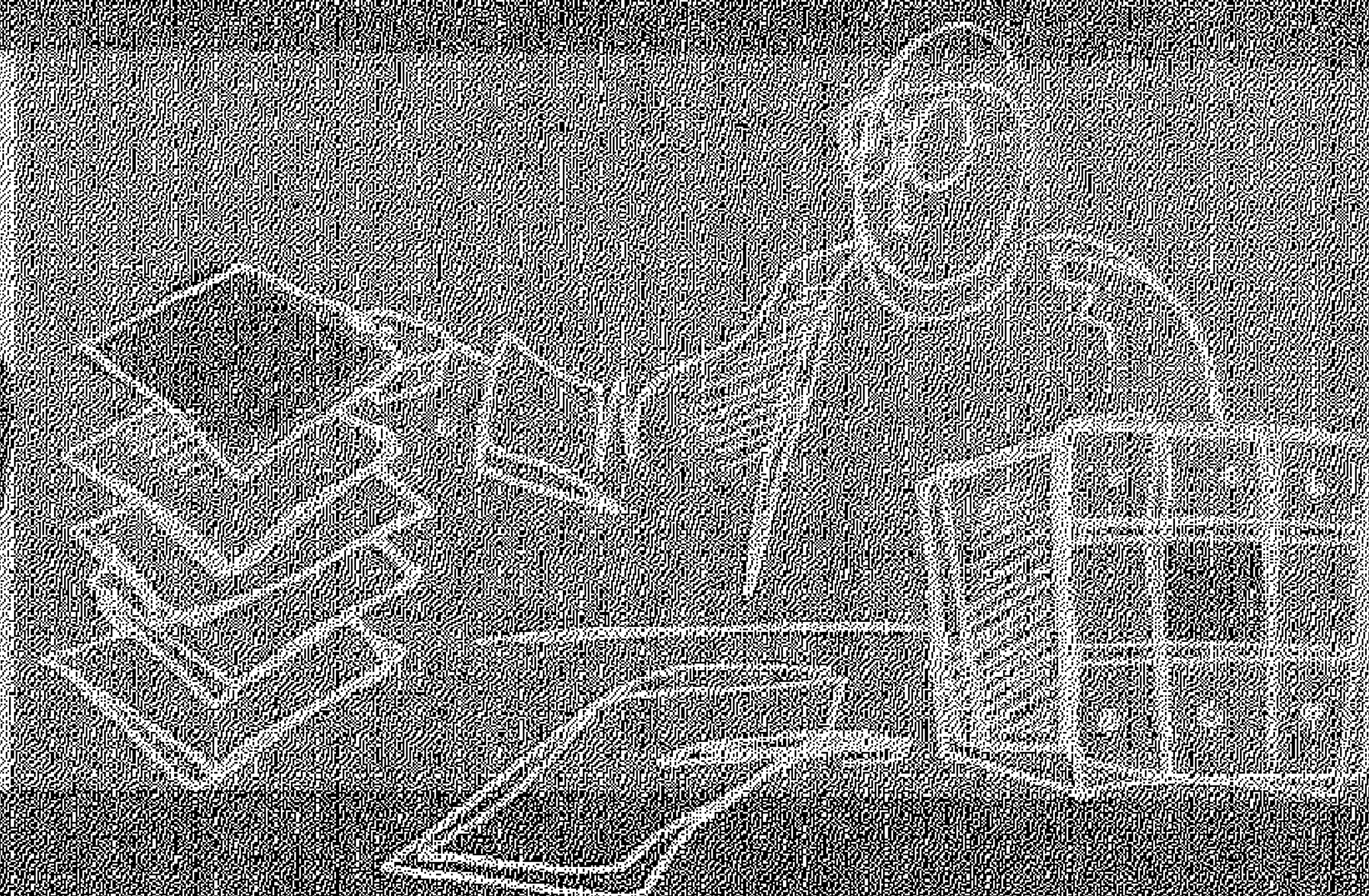
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





من جانب آخر، فإنه لا يغيب عن بالنا، أن العالم الإسلامي يتعرض لحملة استعمارية متعددة المنطلقات والوسائل، لكن ـ للأسف الشديد ـ يجب أن نعترف بأن الدور الذي نقوم به دور متواضع، ويجب أن نعترف بأننا مقصرون، ولا يجب أن ندافع عن أنفسنا بأننا نقول إننا نعمل الكثير، لا.. نحن مقصرون، وعلينا أن نعمل أكثر، علينا أن نعمل بما نستطيع، كل في موقعه. إننا نشعر بالتقصير ويجب أن نقول ذلك ونعترف به، لكن لقاءنا مع إخوتنا في هذه المناسبات، الذين يأتون من جميع بقاع العالم، نحن اليوم نواجه حالة نادرة، إنه مؤتمر بين الشعوب العربية والإسلامية، من أقصى سيبيريا إلى أقاصي جنوب إفريقيا، إلى أمريكا إلى بنغلاديش إلى إندونيسيا، اليوم نحن وجدنا أنفسنا في بحر بشري يتحرك. دون شك، نقوم وقمنا، واستطعنا تبليغ ما فهمناه من الرسالة، وما أدركناه منها وما سندركه، وهكذا سنستمر في تبليغ ما استطعنا أن نستوعبه من الرسالة العالمية التي أتينا من أجلها.





- هل تتعارض نظرية داروين مع القرآن الكريم..؟

د. البشير أحمد الجطلاوي

أ. إسماعيل محمد الهمالي

- مظاهر الهجوم على اللغة العربية في إفريقيا الغربية

د. عبد الرحيم شنت ثاني

هل تتعارض نظرية داروين مع القرآن الكريم..؟

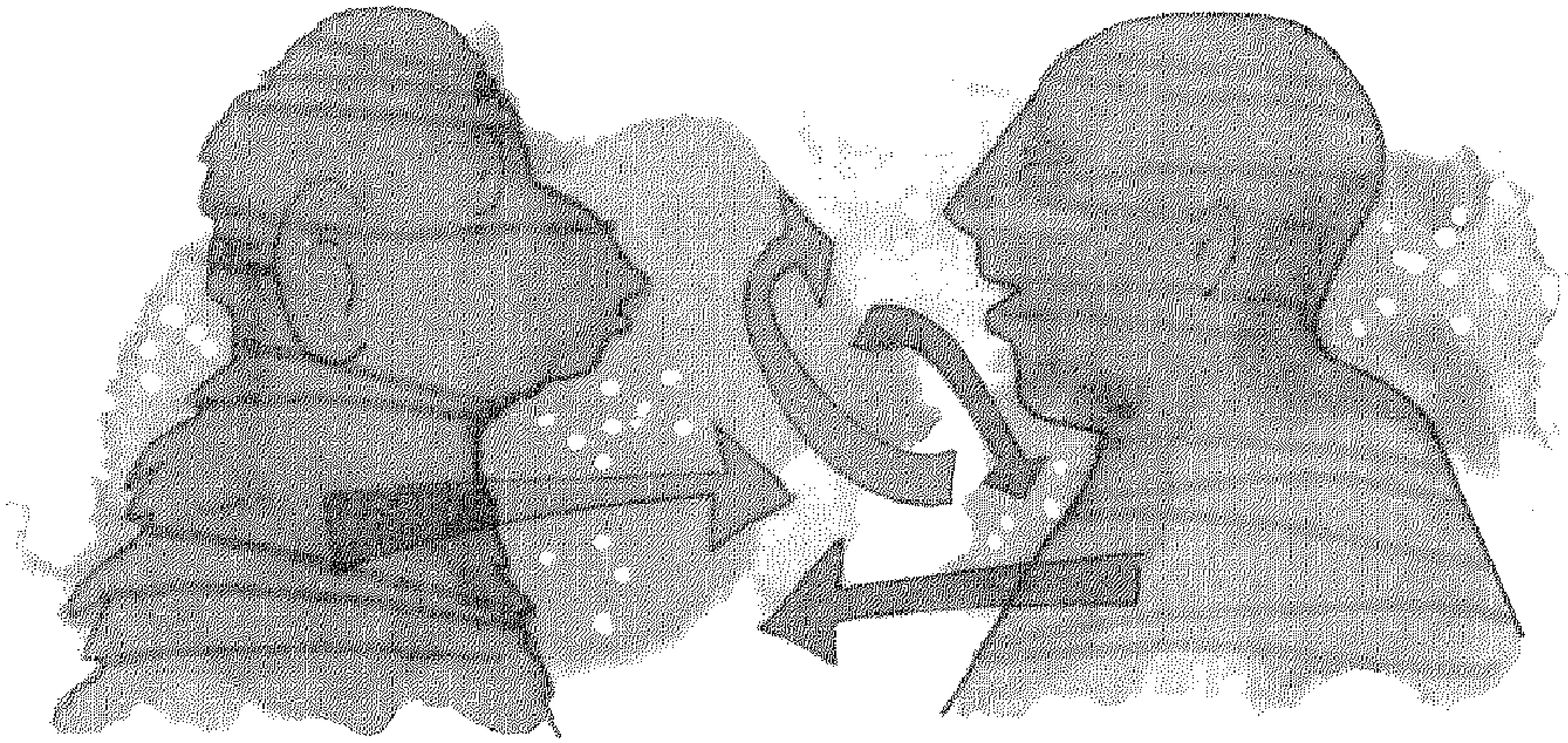
د. البشير أحمد الجطلاوي*
أ. إسماعيل محمد الهمالي**

فتح القرآن الكريم، باب العلم والمعرفة على مصراعيه، أمام الإنسان لينهل منه، وشدد على تعلم العلوم بأنواعها المختلفة، حتى بلغ عدد الآيات التي اتصلت بالعلوم، ما يزيد عن 750 آية، وذكرت كلمة العلم في القرآن الكريم 38 مرة ومرادفتها ذكرت مئات المرات، وعلى الرغم من هذا العدد الكبير من الآيات، التي تتعلق بفروع العلوم المختلفة، إضافة إلى أهمية هذه العلوم (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، والأحياء، والفلك) في تفسير وفهم الآيات، التي تتناول الظواهر الطبيعية، والسُنن التي سنها الله، لتسيير كونه ومخلوقاته، وبالتالي في إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، لم تحض هذه العلوم ولا الآيات التي تتناولها باهتمام علماء المسلمين، اللهم إلاَّ بعض المحاولات المتواضعة، والتي لم ترق إلى مستوى أهمية الموضوع، وخصوصاً إذا ما قورن بما يبذله المسلمون من اهتمام، بالعلوم الدينية، التي لا يزيد عدد الآيات التي تناولتها عن 150 آية.

علوم الأحياء بصفة عامة، وعلم الحيوان بصفة خاصة، والذي تميز بمكانة متميزة في القرآن الكريم، حيث أطلقت أسماء بعض الحيوانات، على بعض سور القرآن الكريم، على سبيل المثال لا الحصر، سورة البقرة، سورة النحل، سورة النمل، سورة العنكبوت، وسورة الفيل، والعاديات، وكذلك سورة الأنعام، إن هذه الأسماء ما اختيرت إلا لورودها في آيات هذه السور، وما ذُكرت في هذه السور إلا لحكم، بعضها يعرفها الإنسان، وبعضها لم يعرفه، وربما لن يعرفه، وذكر الله كثيراً من الحيوانات، كالإبل والبعوض والذباب، في كثير من الآيات، في مواقع مختلفة من القرآن الكريم، حيث ضربت كأمثلة للتدليل على قدرة الخالق، إن هذا العلم برغم أهميته، في التدليل على قدرة الخالق - عز وجل -، قد أهمل تماماً من قبل علماء المسلمين، سواء في صدر الإسلام، أو في الوقت الحاضر.

علم التطور البيولوجي والنشوء (Evolution)، هو أحد فروع علم الحيوان، وكان في السابق - في عصر داروين -، مع مجموعة علوم أخرى، علم البيئة Ecology، وعلم سلوك الحيوان Animal Behaviour، وعلم تصنيف الحيوان Systematic

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا.
** باحث وأستاذ جامعي / ليبيا .



zoology، وعلم الجغرافيا الحيوية (Biogeograpy)، يُشكل ما يُعرف بعلم التاريخ الطبيعي، وإن هذا العلم يقوم أساساً على نظرية داروين، والدراسات التي قامت عليها، ويهدف إلى تفسير الاختلافات بين الكائنات الحية، وكيفية نشوء وتشكل المجاميع الحيوانية.

إن حظ هذا العلم من اهتمام المسلمين، كان أسوأ من حظوظ فروع علم الحيوان الأخرى، نتيجة لموقف المسلمين المتشدد حيال نظرية داروين، لاعتقاد معظم المسلمين، أنها تتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم.

في السطور التالية، سنسلط الضوء على هذه النقطة، حيث نتناول نشوء وتطور الإنسان من وجهة النظر العلمية، وكذلك من وجهة النظر الدينية، كما وردت في القرآن الكريم، وللإلمام بالموضوع سيتم استعراض أساسيات علم التطور ونظرية داروين، وكذلك استعراض الآيات التي تتناول النشوء والخلق والتطور، مع التركيز على الآيات التي تتعلق بأصل الإنسان، لا ندعي الإجابة عن السؤال عنوان هذه الدراسة، بل سيكون تناولنا له أقرب إلى عرض الموضوع بشكل علمي، للتنبيه إلى أهميته، ولإفساح الطريق أمام الآراء الأُخرى، مع محاولة التقريب بين وجهتي النظر العلمية والدينية.

العلاقة بين العلم والقرآن الكريم

الحقيقة في رأينا المتواضع، هي أنه لا تعارض بين العلم والقرآن، وهناك شبه إجماع بين علماء المسلمين، على إمكانية تفسير القرآن تفسيراً علمياً، وإذا ما وُجد تعارض بين ما جاء في القرآن الكريم، وبين بعض النتائج أو النظريات العلمية، فما علينا إلا إعادة النظر في فهم أو تفسير الآيات، محل الخلاف والتدقيق، والتأكد من صحة النتائج العلمية المقصودة، حتى تتجلى الحقيقة، وعادة ما يكون قصوراً في فهم وتفسير بعض الآيات، وهذا ليس طعناً في المفسرين الأجلاء، أو إنقاصاً من مكانتهم، وإنما هو أمر له مبرراته، والتي جُلها ترجع إلى طبيعة وخصائص القرآن نفسه، تتضح هذه المبررات، عند ربط عدة حقائق وردت في القرآن، والنظر إليها من زاوية أوسع، وأول هذه الحقائق، هي: أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وهنا في هذا المقام، يهمنا الزمان بالدرجة الأولى، والحقيقة الثانية، هي: أن القرآن الكريم كتاب محفوظ، أي غير قابل للتغيير أو

التحريف، وعند التمعن في هاتين الحقيقتين، نجد أن القرآن الكريم، لا يخضع للنواميس والسُنن التي تسيّر الكون، لأنه أحد معجزات الرسول الكريم ﷺ، والتي مفادها أن مقومات البقاء، تغير الأشياء حتى تتكيف وتتأقلم مع الظروف، التي من صفتها التغير الدائم، وبما أن العلم يتقدم بشكل مستمر، فإن فهم وتفسير الآيات بحاجة للتجديد من وقت إلى آخر، ليتمشى مع الاكتشافات العلمية الجديدة، ولهذا حث الله المسلمين على قراءة القرآن باستمرار، حتى الذين يحفظونه عن ظهر قلب، لإعادة فهم وتفسير القرآن، في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، وبهذا يكون صالحاً لكل زمان ومكان، دون أن يلحق به أي تغيير، إضافة إلى أن دراسة وتفسير القرآن الكريم، تقتصر على المسلمين فقط، وهم لا يستخدمون الوسائل العلمية الحديثة في دراستهم له، في المقابل نجد أعداداً كبيرة، ممن يدرسون العلوم المختلفة، ويستخدمون أرقى وأحدث التقنيات، التي جعلت العالم اليوم، عالم اللا مجهول، ومن المؤكد أن المجموعة الأكثر عدداً، والأكثر استخداماً للتقنية، سوف تكون نتائجها أكثر دقة، مقارنة بالمجموعة الأخرى، مع أنه لا مانع من حدوث بعض الأخطاء، في النتائج العلمية.

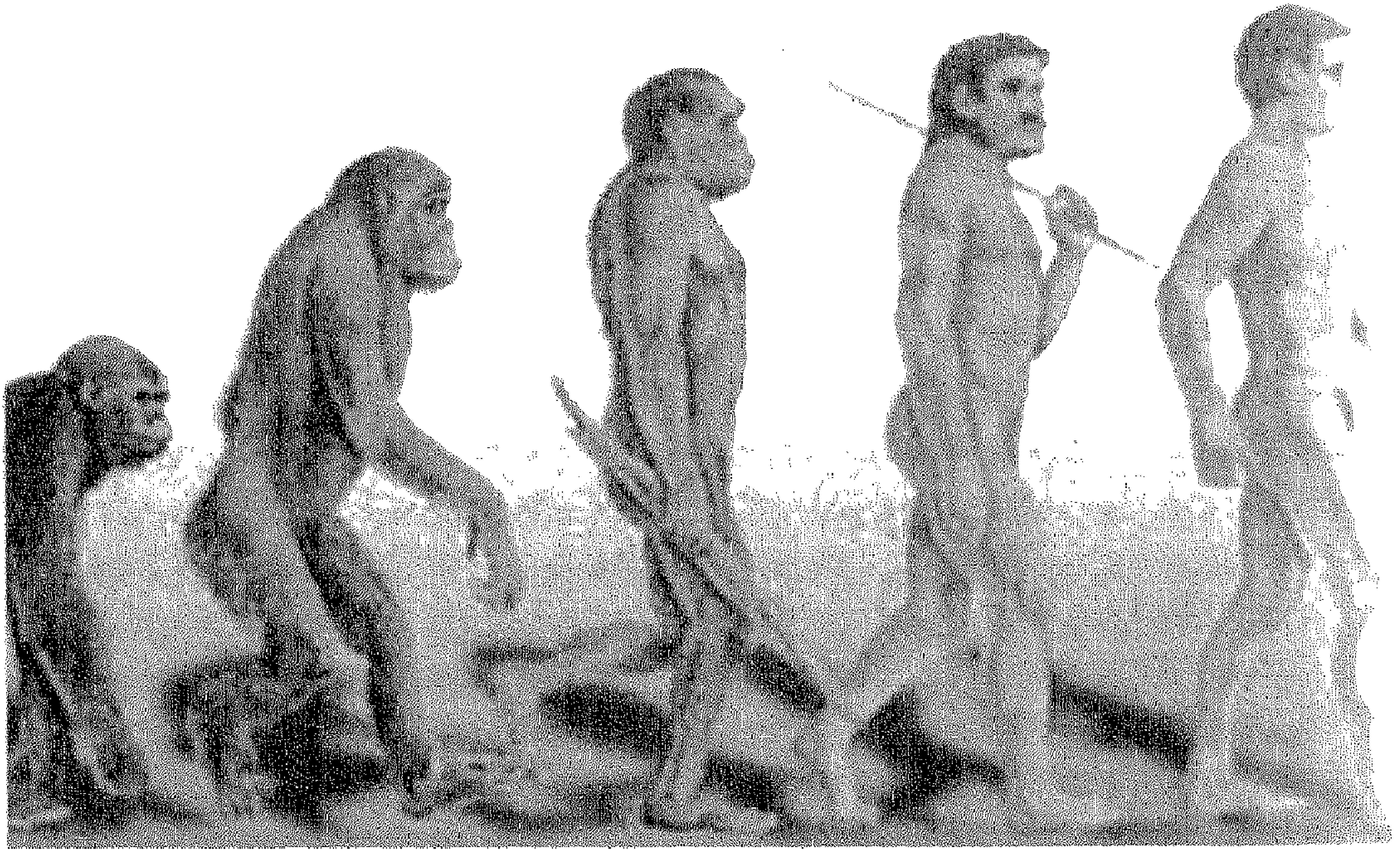
علم التطور الذي تشكل نظرية داروين عموده الفقري، أحد هذه العلوم، التي يفترض أن لا تتعارض، مع ما جاء في القرآن الكريم، إذاً ما علينا القيام به، هو الفهم الصحيح لنظرية داروين، وعلم التطور، وفهم ما جاء في القرآن الكريم، وتفسيره التفسير العلمي الصحيح، وسوف نصل إن شاء الله، إلى الحقيقة في كيفية بداية الحياة، وأصل الإنسان، والتي تعتبر هي نقطة الخلاف الجوهرية، بين النظرية وما جاء في القرآن الكريم.



نظرية داروين والتحريف الذي لحق بها

نظرية داروين، والتي تعرف أيضاً بنظرية الانتقاء

الطبيعي (Natural Selection)، هي نظرية بيولوجية، أي تخص علوم الأحياء، وتُدرّس في معظم أقسام علم الحيوان، وعلم الأحياء في كليات العلوم في أنحاء العالم المختلفة، مفادها أن الاختلاف بين أنواع الكائنات الحية، يرجع إلى الاختلاف في الظروف البيئية، التي تعيش فيها هذه الكائنات، والأفراد والأنواع الأكثر تلاؤماً مع البيئة، هي الأكثر نجاحاً من تلك غير القادرة على التكيف، فتخلف نسلاً وأحفاداً أكثر، بآلية تسمى الانتقاء الطبيعي، وهذه باختصار نظرية التطور، التي وضعها «تشارلز داروين»، وقرأ نصها أمام مجموعة من علماء الأحياء، في اجتماع جمعية لينيوس (Linnaeus Society) العلمية، في لندن سنة 1858، ولم يتطرق داروين إلى الإنسان وحياته الاجتماعية، إلا على أساس كونه نوعًا من أنواع الكائنات الحية، أما ما يُسمى بنظرية داروين الاجتماعية، والتي تُدّرس في مقرر علم أصل الإنسان (Anthropology) في بعض أقسام علم الاجتماع، في الحقيقة ما هي إلا نسخة محرّفة لهذه النظرية، ولا تمُت إلى تشارلز داروين بصلة، وقد تم وضعها من علماء ملحدين ماركسيين، من أمثال «اسبنسر، وهيجل، ونيتشه، وكونت، فحرّف هؤلاء العلماء نظرية داروين، لخدمة أفكارهم وآرائهم، التي تدعو إلى الإلحاد والشرك بالله، أما تشارلز داروين، فقد كان عالماً بيولوجياً متواضعاً مؤمناً بالله، ودائماً يتحاشى الخوض في موضوع أصل الإنسان، وحتى عندما يُثار هذا الموضوع، فإنه يشعر بالخجل، أما النظرية الدارونية الجديدة (neo-Darwinism)، فهي امتداد وتفصيل محكم لنظرية داروين، بعد ظهور الأدلة المعاصرة، مثل الحفريات، وبعد أن تم فهم نظرية داروين، في ضوء التقنيات العلمية الحديثة، ومنها إعادة اكتشاف قوانين (مندل) في الوراثة، في عام 1905، أي أنها عبارة عن شرح لنظرية داروين الأصلية، إن صح التعبير، في ضوء المتغيرات العلمية والتقنية الحديثة، ونرى أن هذا أمرًا مقبولاً في الاكتشافات



النظرية، فنظرية النسبية لاينشتاين، لم يتم فهمها بالصورة الصحيحة حتى يومنا هذا.

ومن المغالطات التي استطاع الملحدون (الذين لا يؤمنون بوجود الله)، إلصاقها بنظرية داروين، هي العشوائية لإضفاء صفة الإلحاد، وإنكار وجود الله على النظرية، على الرغم من أن ورود كلمة انتقاء، أو انتخاب (هو عكس العشوائية) صراحة في النظرية والانتخاب الطبيعي، هو الآلية التي تم على أساسها وضع النظرية، وفي الحقيقة لا يوجد ما يشير إلى العشوائية في نظرية داروين لا من قريب ولا من بعيد، ويتم الانتقاء على كافة المستويات في العالم الحي، من أدنى مستوى فيه وهو الجزئي (molecule) إلى أعلى مستوياته، وهو العشيرة (population) مروراً بالحيوانات المنوية والأفراد، ومن الأشياء التي أساءت إلى نظرية داروين، استخدامها من علماء الاجتماع المتشددين، في إثبات تفوق الجنس البشري الأبيض، على الأجناس البشرية الأخرى، ليتيح لهم استعبادهم وسلب خيراتهم، واستخدموها أيضاً في تبرير التحريض، على التخلص من الأفراد المرضى، أو المعاقين في مجتمعاتهم، للمحافظة على العرق النقي، وهذا لا وجود له في النظرية.

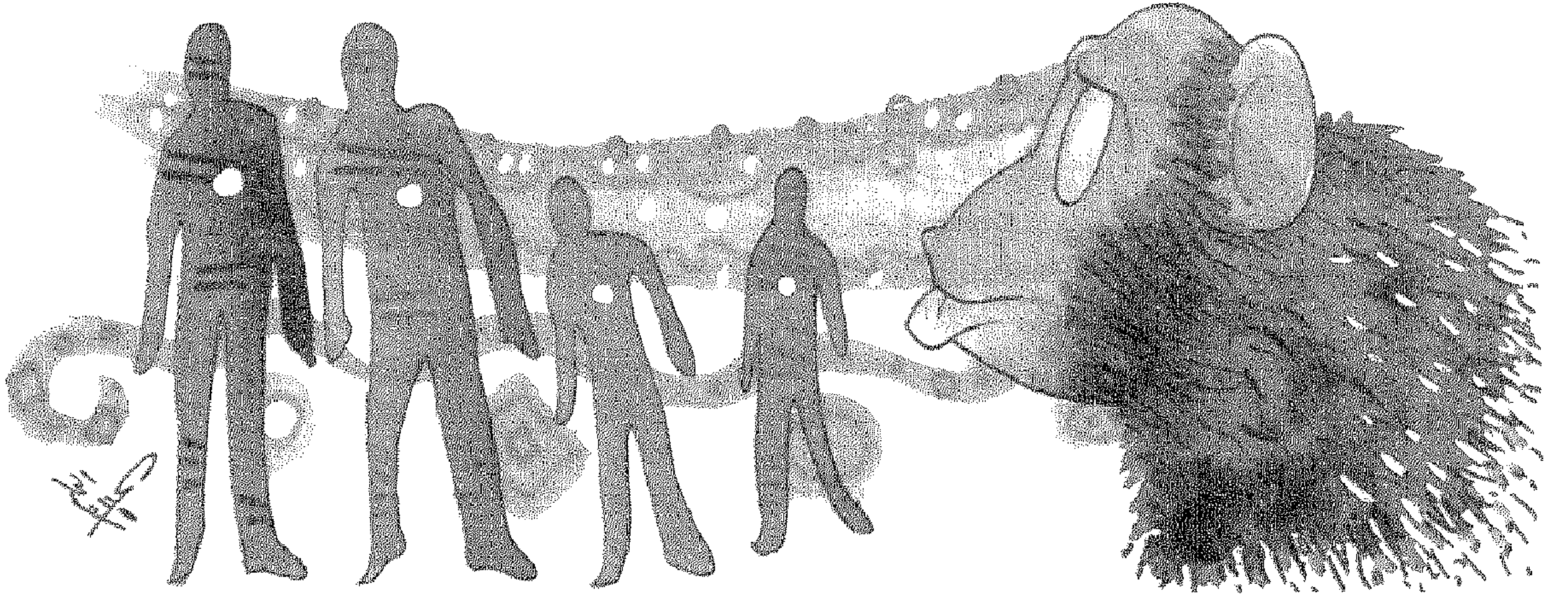
تشارلز داروين، كان عالماً بيولوجياً متواضعاً مؤمناً بالله.



موقف المسلمين من نظرية داروين والآثار المترتبة عليه

لم تحظ هذه النظرية بالدراسة الكافية، من قبل علماء بيولوجيين مسلمين، المتخصصين في علم التاريخ الطبيعي، وأن الدراسات التي تناولت هذه النظرية، تمت من قبل أناس غير متخصصين، أو متخصصين في مجالات أخرى، كعلم الاجتماع، والفلسفة، والعلوم الدينية، وحتى الدراسات التي أنجزت، لم يرجع كاتبوها إلى ما كتبه داروين مباشرة، بل رجعوا إلى كتابات بعض الداروينيين المتشددين، مثل أرنست هيجل وسبنسر، الأمر الذي أوقع الكثير منهم في الخطأ، ونسبوا الكثير من الأقوال إلى داروين، وهو في الحقيقية منها براء، ربما يرجع ابتعاد المسلمين عن دراسة آراء داروين، وأفكاره إلى حساسية الموضوع، الذي مرده إلى التعارض الظاهر، في نظر بعض المسلمين، بين نظرية داروين وما جاء في القرآن الكريم حول أصل الإنسان، مما أدى إلى قلة، أو بالأصح إلى انعدام وجود المسلمين المتخصصين في هذا العلم، مما ترتب عنه غياب الفهم الصحيح، والتحليل العميق لنظرية داروين، وعلم التطور البيولوجي بصفة عامة، وبالتالي صعب عليهم التمييز، بين ما كتبه داروين، وبين ما أحدثه الملحدون من تحريف، فضعفت ردودهم وحججهم وبراهينهم، أمام حجج وبراهين محرفي هذه النظرية، ونتيجة لغياب الفهم الصحيح لنظرية داروين، صارت هذه النظرية، في اعتقاد المسلمين - سواء المتعلمين، أو غير المتعلمين والمتخصصين وغير المتخصصين - تنحصر في نقطتين: النقطة الأولى: هي أن الإنسان أصله قرد، والثانية: هي أن النظرية خطأ، لأنها تتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم، والاعتقاد بصحتها يتعارض مع وجود الله، وهذا كفر به جلت قدرته، وبات شبه إجماع على أن كل من أراد أن يتطرق إلى علم التطور ونظرية داروين، سوف يصل إلى هذه النتيجة، سواء بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، حتى صار الذين يرون صحة نظرية داروين في تفسير تطور الكائنات الحية، لا يستطيعون الإفصاح عن رأيهم، بصحة نظرية داروين.

الموقف المتشدد تجاه علم التطور ونظرية داروين، والذي وصل عند بعض المسلمين إلى درجة رفض التطور من الأساس، أدى إلى عدم إطلاع المسلمين على



حقيقة نظرية التطور، وهذا بدوره أدى إلى إغفال - عن غير قصد - دعوة القرآن الكريم الصريحة والمتكررة للمسلمين، وحثهم على التفكر والتأمل في النشوء والتطور، وهذا الموقف ترتب عليه عدم فهم، وعدم تفسير الآيات الكثيرة التي تتناول هذا الموضوع، التفسير الصحيح، حتى صار موقف المسلمين، يختلف عن موقف الإسلام، وما جاء في القرآن الكريم، حول هذا الموضوع.

ليس المسلمون فقط من يعارض هذه النظرية، بل نجد أيضاً أن المسيحيين واليهود يرفضون هذه النظرية، وربما للأسباب نفسها، وللمسلمين فرصة أفضل من غيرهم، لدراسة هذه المشكلة، وإيجاد الحلول لها، بفضل ما أتاحه الإسلام من حرية في طلب العلم، والتشجيع عليه، في مقابل موقف الكنيسة الرافض حيال الكثير من المسائل العلمية، وخصوصاً في العصور الوسطى، ربما يرجع موقف الكنيسة المتشدد إلى تجربتها الفاشلة في مجال تفسير الإنجيل تفسيراً علمياً، فاقتبست كثيراً من آراء علماء ذلك الوقت، التي ثبت خطؤها بعد ذلك، وفي جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، يجري الآن الترويج لنظرية تسمى نظرية الخلق الذكي، أو التصميم الذكي، لتحل محل نظرية داروين، ولم تتضح أساسيات هذه النظرية بعد، وربما ترجع إلى جذور نظرية قديمة، تسمى نظرية الخلق الخاص (Special Creation)، والتي تنص على أن الحياة نشأت على الأرض بواسطة مخلوقات خارقة، في زمن محدد.

تطابق فكرة النشوء في كل من القرآن الكريم، وعلم التطور

ورد ذكر النشوء في القرآن الكريم صريحاً، في شكل كلمة النشأة مرات، وفي صورة مرادفة، في شكل بداية الخلق مرة واحدة، وكما هو معلوم حث الله - سبحانه وتعالى - المسلمين على تحصيل العلوم بصفة عامة، كما حثهم على التأمل والتفكر والتمعن، ودراسة علم النشوء بصفة خاصة، قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 20]

وبالتمعن في هذه الآية، يمكن الوصول إلى عدة مضامين أهمها:

1 ـ هناك نشأتان، النشأة الأولى (بداية الخلق) فقط، التي يحث الله عباده على التأمل فيها، واكتشاف أسرارها.

2 ـ النشأة الأولى يستطيع الإنسان إدراكها بعقله، أي أنها خاضعة للسُنن (القوانين التي وضعها الله) التي سنها الله، لتسيير كونه وخلقه فيه، مثل سُنة الشمس تشرق من المشرق، وتغرب في المغرب، بدليل أنه حث الإنسان على التأمل فيها:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآية: 62]

3 ـ هناك دليل موجود على سطح الأرض، يدل على بداية الخلق، وربما هو ما يُعرف اليوم في الوسط العلمي، بعلم التوزيع الجغرافي للكائنات الحية (Biogeography)، وهو يعتبر دليلاً من الأدلة على حدوث التطور، وهو الدليل الذي قاد داروين، إلى ابتكار نظريته، إن هذا الدليل لا يستطيع الإنسان اكتشافه إلا بالترحال في الأرض، وفي هذا تطابق واضح بين ما قام به العالم داروين، في رحلته العلمية حول العالم، بين عامي (1831-1836م) والتي أثرت في وجهة نظره، وغيّرت أفكاره من معارض لفكرة تغير الأنواع، أي التطور قبل الرحلة إلى مؤيد، وبشدة لهذه الفكرة بعدها، وبين ما تدعو إليه الآية الكريمة، وكأن داروين استجاب إلى ما تدعو إليه الآية الكريمة، فقام برحلة حول العالم، لاكتشاف بداية الخلق، وبعد عشر سنوات، قام العالم الفرد والاس (Wallace)، برحلة مشابهة لرحلة داروين، وتوصل إلى الاستنتاج نفسه، وبشكل مستقل عن داروين، وهذا تأكيد لما توصل إليه داروين، وما تدعو إليه الآية.

4 ـ هناك فترة زمنية بين النشأة الأولى، والنشأة الثانية، بدليل استخدام حرف العطف، (ثم) التي تفيد التراخي مع الترتيب، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى هنا، هو: ماذا حدث للكائنات الحية بما فيها الإنسان، خلال هذه الفترة؟ هل ظل شكلها وتركيب أجسامها ثابت، ولم يطرأ عليه أي تغيير، من النشأة الأولى حتى النشأة الثانية؟ أم تعرض لبعض التغيير حتى تأقلم وتكيف مع الظروف البيئية المتغيرة؟ أي هل حدث له تطور خلال هذه الفترة..؟.

هل استجاب داروين لقوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

5 ـ لم يحث الله الإنسان على التأمل في النشأة الثانية، ربما لأنه إذا تم فهم النشأة الأولى، فلم يكن صعباً عليه فهم النشأة الثانية، أو ربما تكون النشأة الثانية: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية: 47] غير قابلة للإدراك، بواسطة العقل والحواس، والإمكانيات البشرية، أي أنها معجزة لا تخضع للقوانين، التي سنّها الله، وهذا هو المرجح، بدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الذي جاء بعد ذكر النشأة الثانية.

نشوء (بداية خلق) الإنسان في القرآن الكريم

ورد ذكر النشوء في القرآن الكريم في شكل شمولي، أي دون تخصيص، وهذا يشمل جميع أنواع النشوء التي تمت على سطح الأرض، سواء تلك التي حدثت للكائنات الحية: (الجراثيم والميكروبات والنباتات والحيوانات والإنسان)، أو تلك التي حدثت في المواد غير الحية (الجماد) بما فيها الأرض نفسها، وورد النشوء أيضاً في شكل تخصيص، وهذا التخصيص مقتصر على الإنسان فقط دون سائر

الكائنات الأخرى، وورد في صورة مرادف، وهو بداية خلق الإنسان، وجدير بالذكر هنا أن هناك فرقًا بين (بداية الخلق) أي: النشوء، وبين (الخلق) والتي تعني لغوياً: الإبداع.

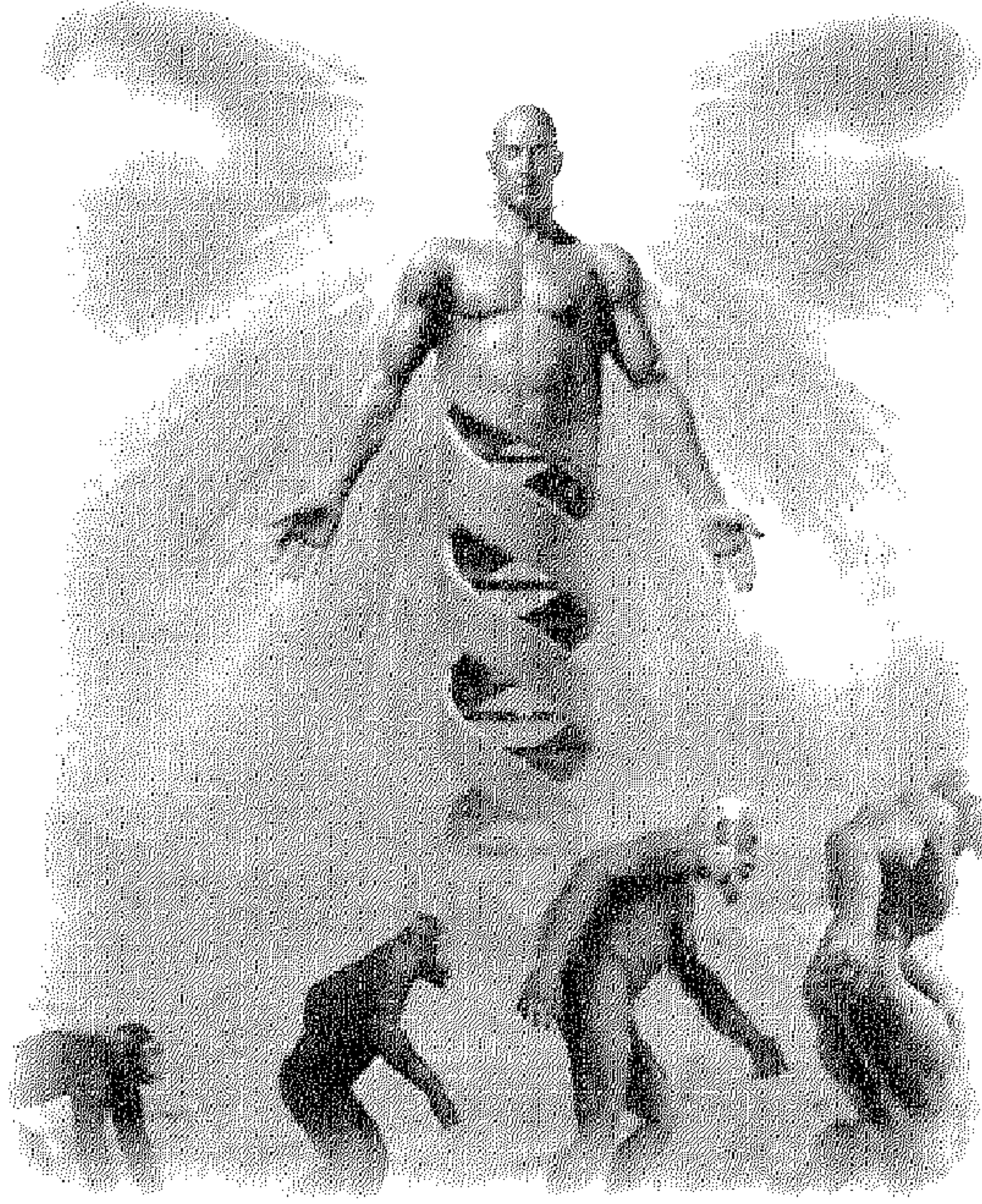
التخصيص والتأكيد على نشوء الإنسان يحتمل عدة معانٍ لتفسيره، فربما يكون هذا التخصيص إشارة إلى أن بداية خلق الإنسان تختلف عن بداية خلق الكائنات الحية الأخرى، ولأي سبب من الأسباب لا تخضع للنواميس والسُنن التي يخضع لها نشوء الكائنات الأخرى، وبهذا تكون حالة استثنائية، وربما يكون هذا التخصيص إشارة إلى أن نشوء الإنسان أصعب إدراكاً، مقارنة بنشوء الكائنات الأخرى، وهذا مرده إلى أن الإنسان أرقى الكائنات ـ أكده القرآن في أكثر من آية ـ وأكثرها تعقيداً، وإذا توصل الإنسان إلى معرفة أصل الكائنات الحية، والآلية التي تم بها، فما عليه إلا الاجتهاد لمعرفة أصل الإنسان، وإذا توصل الإنسان إلى معرفة كيفية نشوء الإنسان فلم يعد من الصعب عليه التوصل إلى معرفة نشوء الكائنات الأخرى، للتيسير على علماء المسلمين ورحمة بهم ذكر الله أن نشأة الإنسان الأولى كانت من الطين:

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ) (السجدة-7)

لم يذكر نشأة الكائنات الحية الأخرى، وهذا ربما راجع لعلم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأزلي بصعوبة إدراك الحواس البشرية هذا الأمر، ولتخفيف الاستغراب وتذكير الإنسان بأنه في أحسن صورة في الوقت الحاضر، وكذلك بقية الكائنات الحية والأشياء غير الحية في أحسن صورها التي أرادها الله، فسبق ذكر النشأة بأن الله أحسن خلق كل شيء فوضعه في صورته المُثلى التي يجب أن يكون عليها وليس البشر فقط.

الإنسان خلق على مراحل

هناك فرق بين بداية الخلق أي النشوء وبين الخلق



في حد ذاته، الذي يعني إبداع الشيء على غير مثال سابق له، وبعد أن ذكر الله المادة الأولية التي نشأ منها الإنسان ترك معرفة كيفية خلقه (كيفية إبداع الله في صنعه) إلى اجتهاد الإنسان بما منحه الله من عقل وحواس، ووردت مادة خلق في القرآن الكريم بعدة صيغ: فجاءت بصيغة المصدر: (خلق) 80 مرة، وهي تتناول الخلق بصفة عامة. وبصيغة الفعل الماضي مضافاً إلى نون العظمة: (خلقنا) 31 مرة. وبصيغة: (خلقكم) 18 مرة، وهي تتناول خلق الإنسان. وبصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار (يخلق) 13 مرة. وبصيغة (خلقناكم) 8 مرات، وبصيغة اسم الفاعل (خالق) 7 مرات، منها ما يتناول الخلق بصفة عامة ومنها ما يتناول خلق الإنسان، و6 مرات بصيغة: (خلقه)، و5 مرات بصيغة: (خلقوا).

وجاء في القرآن الكريم أن الله خلق الإنسان من عدة مواد مختلفة، منها (التراب):

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [سورة الحج، الآية: 5]

و(الحمإ المسنون):

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر، الآية: 26]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر، الآية: 28]

و(الصلصال الذي يشبه الفخار):

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [سورة الرحمن، الآية: 14]

و(الماء الدافق):

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❁ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ❁ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [سورة الطارق، الآيات: 5-7]

والماء:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 54]

يتبين من الآيات السابقة أن خلق الإنسان تم على مراحل مختلفة، أي أطوار:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح، الآية: 14]

وأن كل مادة من هذه المواد تشكل بداية مرحلة من مراحل الخلق هذه، وفي كل مرحلة يبدع الله في خلق الإنسان، والإبداع لا يكون إلا في صورة جديدة مخالفة للصورة التي كان عليها في السابق وإذا كان المخلوق يشبه أو على الهيئة السابقة فلم يكن إبداعاً ولهذا استعمل الله لفظ (خلق) في كل المراحل، وهذه المراحل هي مراحل لاحقة تأتي بعد بداية الخلق والتي كما ذكرنا سابقاً كانت من الطين، والخلق على مراحل يعني ضمنياً: التطور.

الخلق على مراحل يعني التطور

يستخدم مصطلح (خلق أو تخليق) (Synthetic) في علوم الأحياء، ويُعرّف على أنه، تكوين أو إنتاج مادة غير موجودة من قبل، سواء في جسم الإنسان أو أي كائن حي آخر، وكيميائياً يُعرف على أنه، إنتاج أو تصنيع مادة عن طريق تفاعلات كيميائية معينة، ولغوياً (الخلق) كما ذكرنا سابقاً، هو إبداع الشيء دون سابق له، أما التطور في الوسط العلمي فله عدة تعريفات حسب المستوى الذي يحدث عنده، ومن هذه التعريفات: أي تغير يُحسّن من حالة الكائن الحي ويُورث من جيل إلى آخر، ويعرّف أيضاً بأنه انتاج أنواع جديدة أكثر ملاءمة للظروف البيئية السائدة في تلك الفترة من أنواع كانت موجودة في السابق، ولغوياً التطور يعني الاختلاف (القاموس المحيط)، وفي الوسط العلمي توجد علاقة وطيدة بين التطور والاختلاف، حيث يقوم التطور أساساً على الاختلاف في المادة الوراثية وينتج عنه اختلاف في الشكل الخارجي وما يترتب عليه من تغييرات.

على العموم لم يرد في القرآن الكريم ما ينص صراحة على أن الإنسان تطور (أو يتطور) أو خلق على مراحل، ولم ترد مادة طّور في هذا السياق في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في شكل كلمة (أطواراً) وهذا لا يعني أن الإنسان لا يتطور.

ورد ذكر النشوء في القرآن الكريم في شكل شمولي، أي دون تخصيص.

أدلة القرآن الضمنية على حدوث التطور في الإنسان

إن خلق الإنسان على مراحل، ليس انتقاصاً من قدرة الذات الإلهية، في عدم قدرة الله على خلق الإنسان في مرحلة واحدة، وربما يكون خلق الإنسان على مراحل كما خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، والأيام هنا مقصود بها مراحل أو خطوات وليس الأيام التي نعرفها.

ويمكن إدراك حدوث تطور الإنسان في كثير من الآيات القرآنية كما في الآية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ❁ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ❁ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

[سورة المؤمنون، الآيات: 12-14]

وكلمة السلالة لغوياً لها معان كثيرة، منها ما يسلت من شيء ما، ويُفصل عنه (القاموس المحيط للفيروزابادي)، وتعني أيضاً ما يحرك في الخفاء، والخفاء قد يتعلق بالشيء ذاته، وقد يتعلق بالحركة، وقد يكون كلاهما خفياً، والشيء يكون خفيا حين يكون مفرطاً في الصغر أو مفرطاً في الشفافية أو في العتامة، أو مفرطاً في البعد، أو حين يختفي وراء غيره أو في ثناياه، والحركة تكون خفية حينما تكون مفرطة في السرعة، أو مفرطة في البطء، وتعني أيضاً سمكة، وفي لغة العلم، السلالة تعني النسل الذي ينتجه الكائن الحي طوال فترة حياته، ولا تستخدم للجماد لأنه ليس للجماد نسل، والطين من هذه الجوامد التي ليس لها نسل، ولهذا يمكن تفسير الآية على أن الله خلق الإنسان من سلالة أو نسل الكائنات الحية التي خلقها الله من طين.

ذكر الله تعالى أنه خلق الإنسان أولاً، ثم بعد ذلك صوّره:

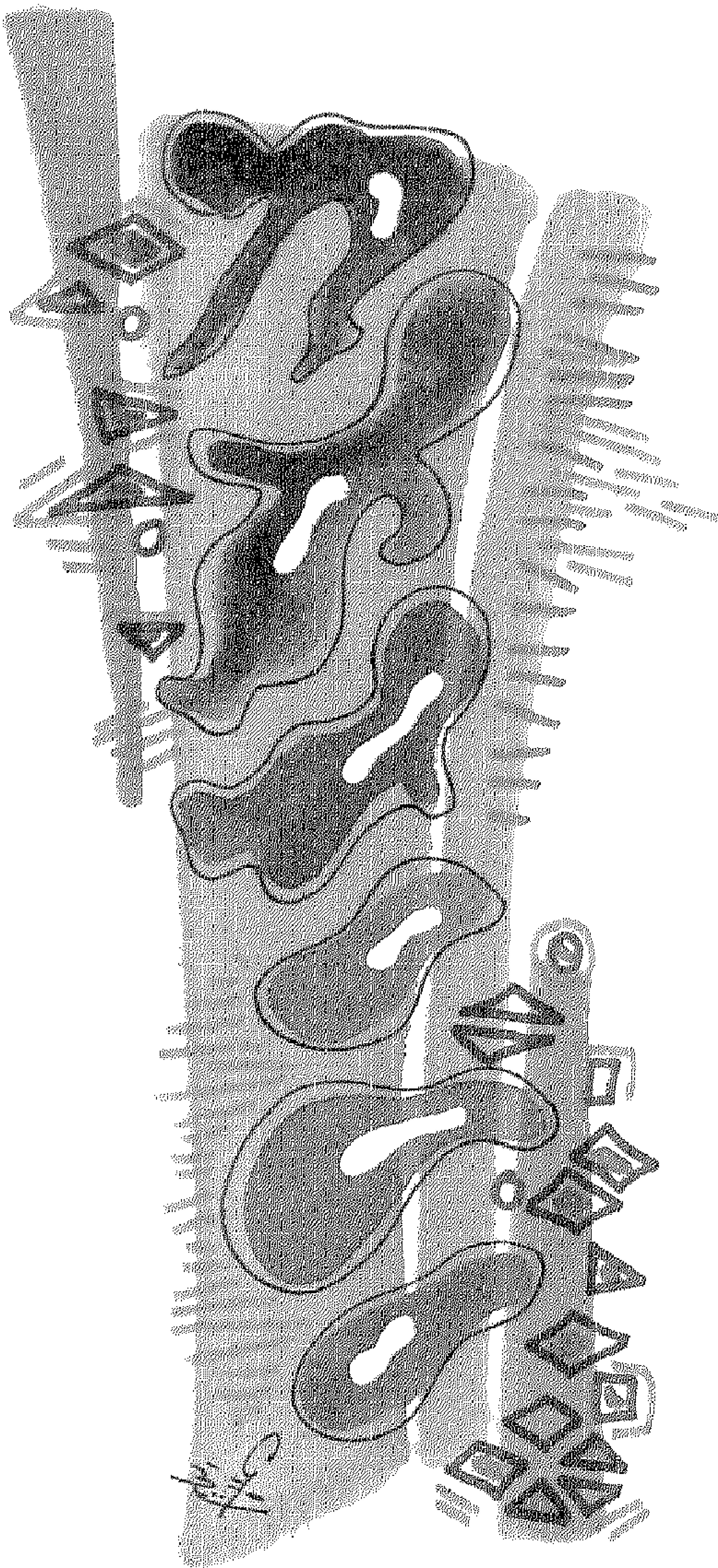
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 11]

وهكذا يتضح أن الإنسان عند بداية خلقه لم يكن على الصورة التي هو عليها في الوقت الحاضر، بل كان في المراحل الأولى مخلوقاً بسيطاً، ولم يكن في هذه المراحل يُسمى إنساناً:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: 1]

و

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [سورة مريم، الآية: 67]



ووصل إلى هذه الصورة التي هو عليها في الوقت الحاضر بعد فترة زمنية بدليل استخدام حرف العطف (ثم)، وهذا يتفق مع علم التطور، وأكد الله عز وجل على هذا، فذكر ثلاث مراحل لتطور الإنسان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار، الآيتان: 6-7]

وهذه تتضمن إشارة واضحة إلى أن الإنسان وصل إلى هذه الصورة التي هو عليها الآن على مراحل، وأن الإنسان بعد عملية خلقه مباشرة وهي المرحلة الأولى لم يكن مستوياً، بل حدث الإستواء أي تحرير الأيدي من الأرض وانتصاب القامة بعد مرحلة الخلق، وهذه المرحلة الثانية، وأن الإنسان بعد عملية الإستواء لم يكن معتدلاً بل حدث الإعتدال بعد أن استوى الإنسان، وهذه مرحلة ثالثة، وبهذا الخصوص ذكر (الشيخ الكبيسي) أن مراحل خلق الإنسان بدأت بخلقه بشراً حيواناً فأطلق يديه من الأرض، وهذا يتطابق مع ما يُعرف في الوسط العلمي بأشباه البشر ape.(apean) تعني قردًا، وmang تعني إنسانًا، والترجمة الدقيقة للمصطلح هي القرد الإنسان، وهي مخلوقات لها بعض صفات القرود وبعض صفات الإنسان، وقد عُثر على الكثير من الحفريات لهذه المخلوقات في مناطق مختلفة من الكرة الأرضية، والذي بفضلها بات التاريخ التطوري للإنسان أكثر وضوحاً، ولم يعد مجال للشك في صحة هذه الأدلة (14-15).

بعد أن وصل الإنسان إلى هيئة معينة أصبح مهيئًا ليخلف الله في الأرض، ويحمل الأمانة، فكرمه الله ونفخ فيه من روحه من دون سائر الكائنات الأخرى فجعلته النفخة إنساناً، ولم يكن يُسمى إنساناً كما ذكرنا سابقاً، فجعلته النفخة في أجمل صورة، وأبهى خلقة وجعلته أعظم مخلوق خلقه الله عز وجل، ويبدو أن النفخة في البداية قد تمت في فرد واحد فقط، فخلق منها أبو البشر سيدنا آدم - عليه السلام، أما بالنسبة لخلق حواء - أم البشر أجمعين - فربما تكون خلقت بالطريقة نفسها التي خلق بها آدم مع الفارق في الزمن أي بتكرار النفخة.

وفي الختام، الموضوع يحتاج جهوداً كبيرة من ذوي الاختصاص، سواء من علماء التفسير الأجلاء والأطباء وعلماء الأحياء، وطالما هناك حياة فهناك علوم مستمرة ومتغيرة، وما ينطبق على العلوم ينطبق على علم التفسير، لأنه أحد هذه العلوم، ولهذا فإن جميع الروايات والفرضيات والنظريات العلمية الخاصة بتاريخ الحياة ليست قطعية، وطالما بقينا موضوعيين في بحثنا عن الحقيقة فإنها تبقى كذلك.

هل تعرضت نظرية تشارلز داروين للتحريف خصوصاً من قبل الملحدين لخدمة أغراض غير الغرض الذي أعدت من أجله.

ونختم هذه المقالة بما ذكره تشارلز داروين في الفقرة الأخيرة من كتابه (أصل الأنواع): ثمة عظمة بلا حدود في هذه الرؤية للحياة بقواها المتعددة، وهي التي ترجع في أصولها إلى صنعة الخالق الذي أنشأها في شكل أو عدة أشكال على هذا الكوكب - الماضي في دورانه حسب ما تقتضي الجاذبية - من بداية غاية في البساطة، أشكال لا حصر لها ولا حدود لروعتها الأخاذة المدهشة وجدت وما تزال تتطور (16).

الخلاصة:

تبين الآيات القرآنية التي تم تناولها في هذه الدراسة أن الإنسان لم يخلق على الهيئة التي هو عليها

في الوقت الحاضر، بل مر بمراحل مختلفة حتى وصل إلى هذه الصورة، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يتم خلقه، أي إبداعه على غير سابق له من قبل المولى - عز وجل - على هيئة أفضل من الهيئة التي كان عليها، حتى وصل إلى الهيئة التي هو عليها في الوقت الحاضر، ولا شك أن هذه المراحل استغرقت الكثير من الوقت، مراحل الخلق المختلفة هذه، هو ما يُعرف في الوسط العلمي بالتطور الحيوي، وهذا ما صاغه عالم التاريخ الطبيعي تشارلز داروين بشكل موسع ليشمل كل أنواع الكائنات الحية في نظرية عُرفت بنظرية (التطور الحيوي) أو نظرية (الانتقاء الطبيعي) والتي خلصت إلى أن الإنسان أرقى أنواع الكائنات الحية وهذا ما أكده القرآن الكريم أكثر من مرة.

إن هذه النظرية تعرضت إلى الكثير من التحريف خصوصاً من قبل الملحدين لخدمة أغراض غير الغرض الذي أُعدت من أجله، ألا وهو تفسير الاختلاف بين الكائنات الحية وكيفية نشوء المجاميع الحيوانية، الأمر أثار حفيظة المسلمين وأهل الكتاب من يهود ومسيحيين، فاتخذوا مواقف متشددة حياله.

المراجع:

1 - درنيقة، م.أ(دون تاريخ) القرآن والعلم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

2 - غنيم، ك.أ (دون تاريخ) المعارضون للإعجاز العلمي في القرآن والسُنة، مناقشة الآراء ودحض الحجج، موضوع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة، www.55a.net

3 - جارمن، ك(1983) تطور الحياة، مكتبة الثقافة العلمية الميسرة، معهد الإنماء العربي- بيروت - (ترجمة ب.أ. الشرقاوي).

4 - Green, N.P.O., Stout, G. W., Taylor (1994) Biological Science 1&2, Cambridge niv. press, Cambridge

5 - السمالوطي، ن(2006) قراءة في موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقررات الدراسية في الغرب، مجلة التواصل، 9 - 87،68.

6 - يحيى، هـ (2003) التضحية عند الحيوان، مؤسسة الرسالة، بيروت.

7 - الحوالي،س.ع (دون تاريخ) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة.

8 - السباعي،ع.ج.(دون تاريخ) مجلة الوعي الإسلامي،456.

9 - عبدالحميد، ن(2006) أثناء تعليقها على شريط وثائقي بعنوان «عائلة تمشي على أربع» أذيع في فضائية العربية يوم الخميس الموافق 18-5-2006، ونصه موجود في موقع الفضائية على شبكة المعلومات الدولية.

10 - Ruse, M. (2004) Can a Darwinian be Christian?: the univ. relationship between science and religion. Cambridge press, Cambridge، (هل بإمكان الدارويني أن يكون مسيحياً..؟ العلاقة بين العلم والدين).

11 - حسب النبي، م (1995) الزمن بين العلم والقرآن، مجلة الإصلاح، العدد325.

12 - طيرة، ع.م (دون تاريخ) خلق الإنسان من طين في ضوء القرآن الكريم.

13 - الكبيسي، أ. (2006) لقاء حول موضوع بعنوان «عائلة تمشي على أربع» أذيع في فضائية العربية يوم الخميس الموافق 2006/5/18، ونصه موجود في موقع الفضائية على شبكة المعلومات الدولية.

14 - Futuyma, D. (1986) Evolutiounary biology. Senauer Associates, INC Publishers, Sunderland.

15 - المصري، ع. م (2002) النشوء والتطور في الكائنات الحية، منشأة المعارف، الإسكندرية.

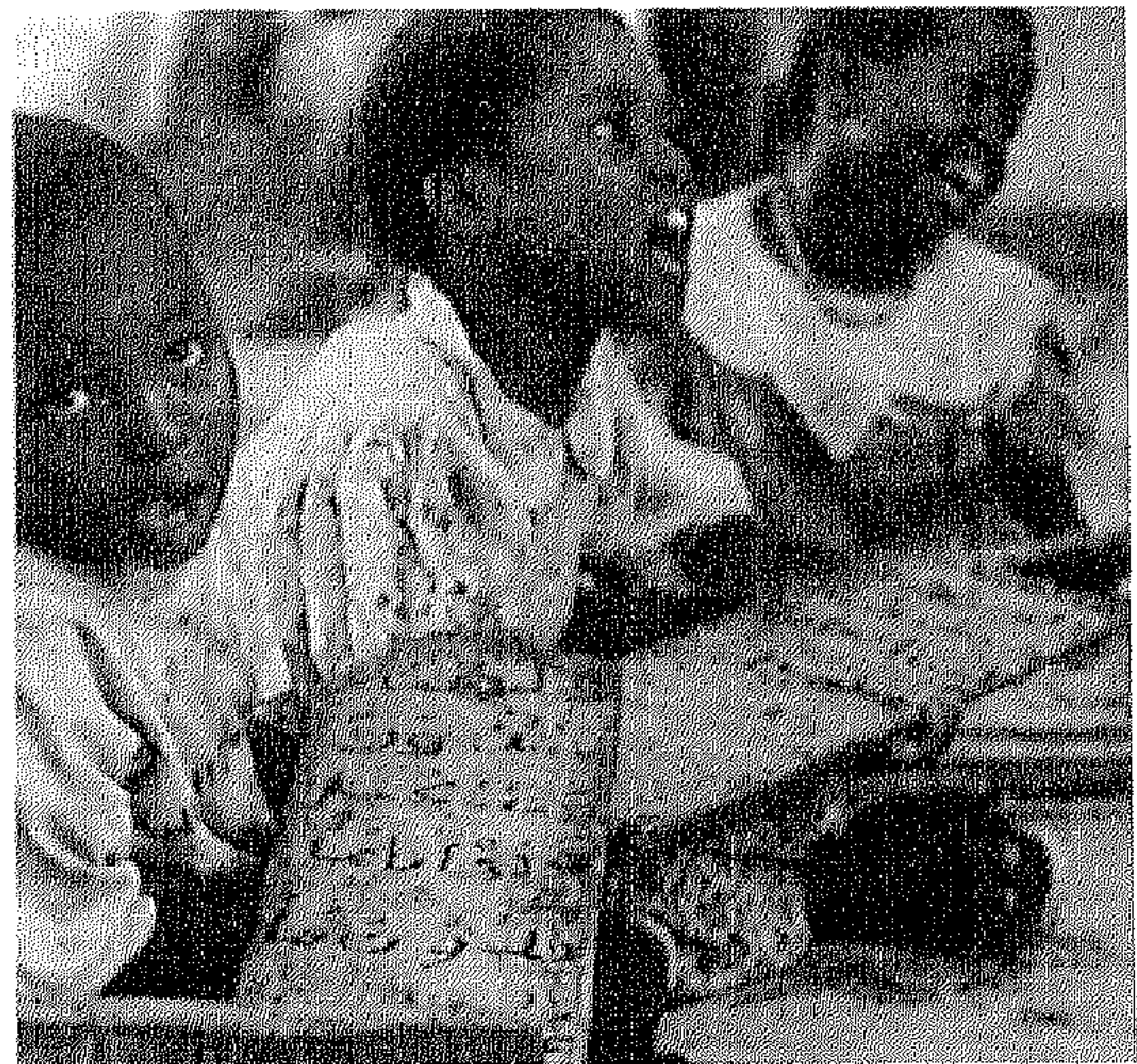
16 - Darwin, C. (1859) The origin of the species by means of natural selection. Penguin Books, Harmondsworth (reprint 1968).

يشكر الباحثان كلاً من: د. سليمان مختار إسماعيل، استاذ اللغة العربية على المراجعة اللغوية والملاحظات القيمة على مسودة هذه المادة، وكذلك د. عبدالوهاب الصلابي، أستاذ الفيزياء، وأ. محمد علي، لملاحظاتهما القيمة حول الموضوع.

مظاهر الهجوم على اللغة العربية في إفريقيا الغربية

د. عبد الرحيم شئت ثاني*

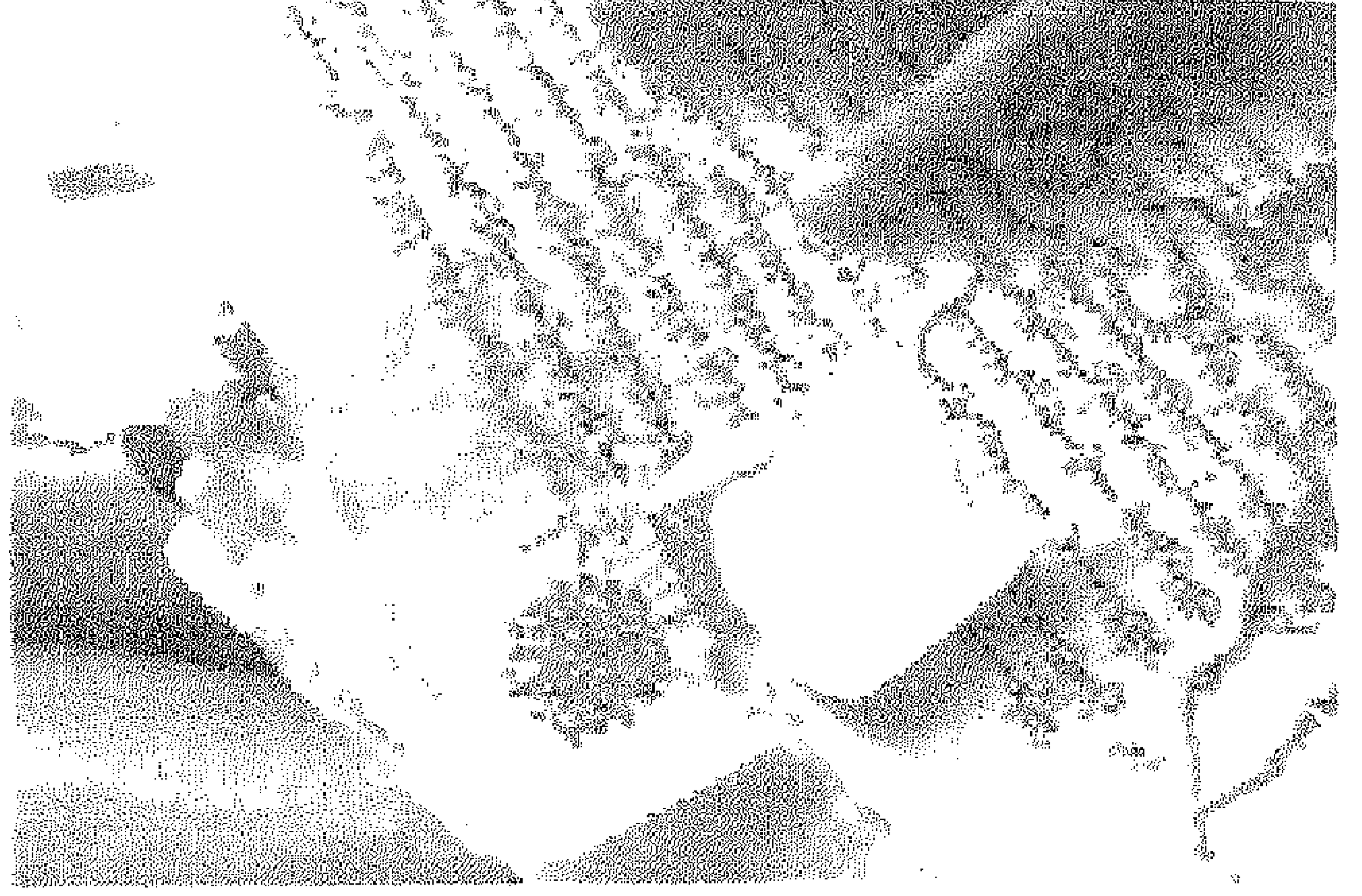
كان الاتصال بالحضارة العربية الإسلامية أول اتصال حضاري خارجي عرفته الشعوب الإفريقية، فكانت اللغة العربية أول لغة أجنبية تحتك باللغات الإفريقية، وتتعايش معها. ولم تلبث أن فرضت العربية نفسها على هذه اللغات، بسبب ما تتمتع به من ثروة لغوية، وتراث تليد، وثقافة واسعة، وحضارة عريقة، فاتخذها الأفارقة لغة السياسة والإدارة والثقافة والحضارة. وهكذا انتشرت اللغة العربية بين عدة شعوب إفريقية، وكتب بها الأفارقة مراسلاتهم، وألّفوا بها كتبهم، وأسهموا في الفكر العربي والثقافة الإسلامية. كما قامت المؤسسات العلمية في إفريقيا لغة، وثقافة، وحرفًا، في إطار الحضارة العربية الإسلامية، لفترة تربو على ثمانية قرون؛ حتى شاءت الأقدار أن تطالها الأيدي المعادية للإسلام، والناقمة على كل ما له صلة به، فكان الزحف الاستعماري في نهاية القرن التاسع عشر؛ وقد بذل المستعمرون جهودًا مضنية للقضاء على وجود هذه اللغة في إفريقيا، وخاضوا في سبيلها معارك عدوانية دامية، حققوا في أغلبها انتصارات ظالمة باغية، أدت إلى طمس كثير من معالم اللغة العربية في القارة الإفريقية.



اللغة العربية قبل الحقبة الاستعمارية وخلالها

أدرك المستعمر أن اللغة العربية وصلتها بالإسلام هي رمز قوة الأمة الإسلامية ووحدتها في إفريقيا، وأن حفاظ الأفارقة عليها يعد حفاظًا على الشخصية الإسلامية المتميزة، وكيانها المستقل، وحماية لتقاليدها، وأعرافها، وطبائعها النفسية والسلوكية، بل إن بقاء هذا الدين قويًا فيها، مرتهن بحياة هذه اللغة، ومتسقًا مع مستويات ازدهارها وضعفها.

* باحث وأستاذ جامعي / النيجر.



لـذا، حـرص المسـتـعـمـر الـغـاشـم، فـور احـتـلال الأراضي الإفريقية، على العمل من أجل القضاء على اللغة العربية، حتى يقطع الصلة بين الأفارقة وبين الأمة الإسلامية، ويقضي على الروابط الثقافية التي تربط الأهالي والأجيال المتعاقبة ويفكك الوحدة الإفريقية، ويشتت كلمة الأفارقة، بالقضاء على وسيلة التواصل بينهم.

ولكن اللغة العربية التي كانت تحمل بالنسبة لسكان المنطقة بمن فيهم غير المسلمين سجلاً تاريخيًا ضافيًا، يتصف بالحيوية، سواء قبل الحقبة الاستعمارية أو في أوج قوتها، وتمثل مصدرًا تاريخيًا فريدًا استعصت على المستعمر، إذ كانت اللغة الحية الوحيدة المكتوبة، التي كانت تعرفها المنطقة أيام حلَّ بها الاستعمار، كما كانت لغة السياسة والإدارة، ولغة الاقتصاد، حتى لغير المسلمين. وذلك لأن ازدهار الحضارة الإفريقية، وبداية العصر الذهبي لتاريخ إفريقيا، كان بمجيء الإسلام ولغته العربية، يقول جولي الفرنسي: «إنه بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لإفريقيا السوداء»(1). إذ بمجيء الثقافة العربية الإسلامية إلى إفريقيا، برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في تلك القارة، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة، التي خطت بالحياة في إفريقيا عامة، وغربيها خاصة.

وبحكم المركز المتميز الذي كانت تحتله اللغة العربية في المنطقة في تلك الفترة، فقد اتخذها المستعمر في بداية احتلاله لغة الإدارة والسياسة، من أجل تثبيت أركان وجوده، مع وضع خطة محكمة للقضاء عليها تدريجيًا.

ولم يلبث أن بدأ الصراع بين اللغتين: العربية الإسلامية، والأوروبية الاستعمارية في القارة الإفريقية، وكانت اللغة محل التنازع، لكونها وسيلة نقل الثقافة؛ فوضع المستعمر مخططات قوية ومحكمة للقضاء على هذه اللغة، تتمثل في الآتي:

المخطط الأول: تجريد اللغة العربية من رداء القدسية: أدرك المستعمر أن الأفارقة يضفون على العربية قدسية الدين الإسلامي، وأن هذه القدسية تنطلق من كونها لغة القرآن العظيم، الذي هو منهاج حياتهم، وقوام وجودهم، وأن لا سبيل لهم إلى العلم بالقرآن والعمل به، إلا بتعلم اللغة العربية؛ فكانت الخطوة الأولى التي قام بها الإستعمار الغربي تتمثل في تخريب هذه اللغة وتشويه صورتها في عيونهم وعقولهم، وفي ذلك ما يضمن للمستعمر الفوز عليهم بأقل الخسائر وأرخص التكاليف؛ فاللغة العربية حين تفقد قدسيتها، فإن أهميتها الدينية تزول، ومن ثم تسير إلى ما سارت إليه اللغات البائدة. وقد غفل من حارب اللغة العربية عن حماية الله عز وجل لها بالقرآن الكريم، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

[سورة الحجر، الآية:9]

المخطط الثاني: حرق وتدمير المصادر العربية في الحضارة والثقافة الإفريقتين:

وجد المستعمر أن كثيرًا من الكتاب الأفارقة المسلمين كتبوا كتبًا كثيرة باللغة العربية عن

1ـ دياب، أحمد إبراهيم، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ص: 26-27.

مجتمعاتهم وممالكهم، فأدرك أن هذه الكتابات تمثل الروافد التي ستزود الجيل الصاعد بثقافة أسلافهم، ومن ثم عمد إلى تدمير هذه المصادر، حيث قام المبشرون بحرق ما وجدوه من هذه المؤلفات، ثم أكمل الاستعمار ما تبقى، حتى يقطع الصلة بين هذه الشعوب واللغة العربية، ومن ثم يؤكد ما تردد في كتاباتهم المختلفة أن إفريقيا لم تدخل في مسرح التاريخ إلا بفضل التدخل الأوروبي[2].

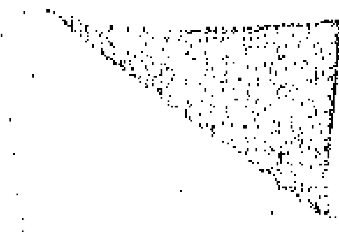
المخطط الثالث: فرض حصار ثقافي شامل على المنطقة وقطع جميع سبل الروافد الثقافية عنها؛ فقد سدَّ الاستعمار جميع القنوات التي تمد الحركة الثقافية في المنطقة بما تحتاج إليه من مصادر؛ وخصوصًا قنوات شمال إفريقيا التي كانت منفذًا رئيسًا للثقافة العربية الإسلامية إلى المنطقة، لوعيه التام بالدور الهام والحيوي، الذي تلعبه قنوات التواصل الممتدة بين دول شمال إفريقيا ومنطقة غربي القارة، في ترسيخ الثقافة العربية فيها، ومن ثم نقلها إلى منطقة وسط القارة وجنوبيها. يقول الدكتور عبدالله عبدالرزاق: «كانت الموجة الاستعمارية تتركز في المقام الأول على المسلمين في شمال القارة، باعتبارهم الحصن الحصين، والدرع المتين الذي يدافع عن الإسلام وعن المسلمين[3].

المخطط الرابع: فتح مكاتب المراقبة بإشراف اليهود

فتح المستعمر مكاتب لمراقبة كل المطبوعات الواردة إلى المنطقة، وكان الذين يشرفون على جهاز المراقبة غالبًا من اليهود؛ وفي خطوة موازية كانت مكاتب المراقبة تعطي تصريحات ورخصًا لإدخال الكتب، التي تحمل أفكارًا مضادة للإسلام ومخالفة لتعاليمه، وتنادي بمناصرة المستعمر، والخضوع لأوامره، من أجل ترويج ما تقدمه من أفكار وآراء تتعارض مع المبادئ الإسلامية في مواجهة الخط الإسلامي الأصيل، الذي يرفض الخضوع للهيمنة الخارجية، تلك الهيمنة التي تحمل في نظر مسلمي المنطقة، طابع الكفر، وتريد فرضه عليهم بالقوة[4].

المخطط الخامس: القضاء على المؤسسات والمجالس العلمية والثقافية التي كانت قائمة وتؤدي دورًا فكريًا واجتماعيًا متميزًا، بما تخرجه من الأئمة والقضاة والمثقفين، وقد سلك المستعمر في سبيل تنفيذ هذه الخطة التخريبية الخطوات الآتية:

أصبح المجال الثقافي في هذا العصر، أقوى وأسرع وسيلة فرض هيمنة لغة على أخرى



أولاً: الحد من انتشار العربية، بمحاربة أعلامها والتضييق عليهم، وممارسة ضغوط نفسية ومادية ضدهم، من أجل جعل المستوى العلمي يتجه نحو الانحدار تمهيدًا للقضاء عليها، إضافة إلى سد المنافذ العلمية والمصادر الثقافية، التي تغذي الحياة الثقافية الإسلامية في المنطقة، وكذلك تضييق الخناق على المؤسسات العربية والإسلامية، حيث يرفض أحيانًا منح الرخص للراغبين في فتح المدارس العربية.

ثانيًا: محاولة تحديد حركة الابتعاث تمهيدًا لإيقافها نهائيًا[5]، وقد وضع المستعمر قيودًا وشروطًا قاسية على الشباب الذين يرغبون في مواصلة دراستهم في البلاد العربية والإسلامية، ولم يسمح بخروجهم، إلا بعد أن يطمئن لضعف عقيدة المترشح وانحرافه الديني، بل إنه كثيرًا ما يستولي على المنح، ويحجزها حتى تنتهي صلاحيتها، أو يرسل أبناء الأسر المسيحية، إذا كانت الجهة المعنية لا تشترط الإسلام في المترشح.

2 ـ دياب، المرجع السابق، ص:29.

3 ـ إبراهيم، عبدالله عبدالرزاق، المسلمون والاستعمار الأوروبي إفريقيا، ص:10.

4 ـ سيلا، عبدالقادر، المسلمون في السنغال، ص:90.

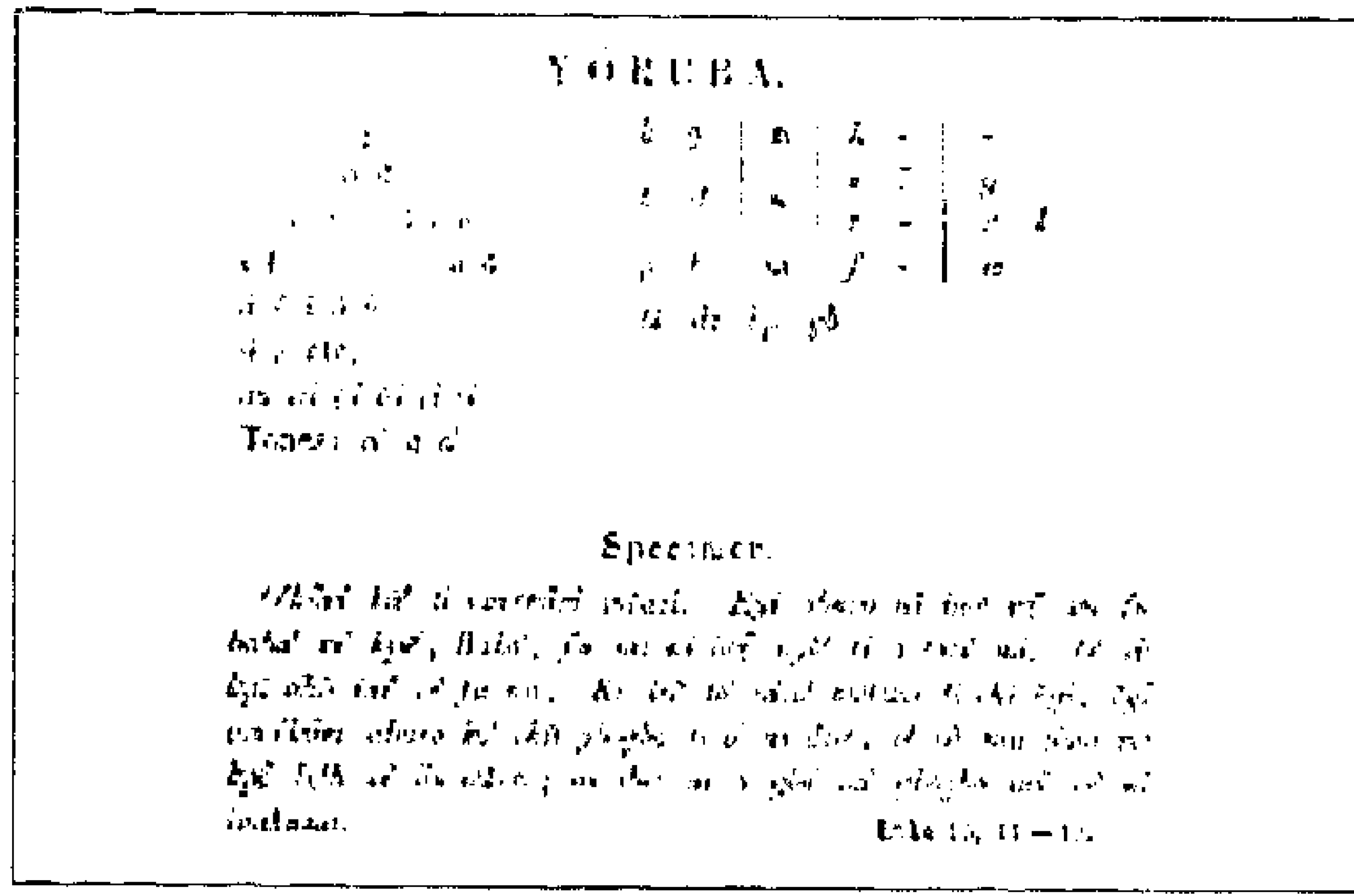
5 ـ جارا، الحسن الفاروق، المجاعة الفكرية في إفريقيا، مجلة البيان، العدد 141، سبتمبر 1999 مسيحي.

ثالثًا: السعي الجادّ إلى جعل المدارس الاستعمارية، التي كانت ذات مضمون تنصيري صرف، تحل محل المؤسسات الإسلامية الثقافية، لأنه كان يشعر تجاه هذه الأخيرة بقلق كبير، من جراء نفوذها الاجتماعي، ودورها في خلق الوعي الجماهيري، وصقل الرؤية الوطنية التي تنادي بالمقاومة ورفض الهيمنة الخارجية، وفي هذا الإطار جاءت فكرة تأسيس المدارس المزدوجة، التي تدرس فيها المواد العربية إلى جانب المواد الفرنسية، وتكون السيطرة الكاملة للمواد الفرنسية.

ولقد كان لهذه المدارس، أثر سيئ على مستقبل الثقافة العربية في المنطقة؛ يستنتج ذلك من الإستراتيجية التي تم رسمها، والأهداف التي سعت إلى تحقيقها، فعندما بدأت المدرسة الفرنسية تأخذ طابعها النهائي في إفريقيا الغربية. كان في تلك البلاد عدد كبير من المدارس العربية، التي تأسست في الماضي، وبعضها كان له شهرة كبيرة وقديمة مثل مدرستي: تمبكتو - وجنى، اللتين بلغتا مرتبة الجامعات في أيام «الأسكيين» على الخصوص؛ ولم يكن من صالح الاستعمار الفرنسي إغلاق تلك المدارس، التي أنشئت لها فروعًا في عديد الجهات، كما لم يكن من صالحه أبدًا تركها تؤدي دورها كما كانت تعمل في الماضي[6]؛ فقد قام بتغيير برنامج هذه المدارس فلم تعد ترقى إلى مستوى الجامعات الإسلامية، وإنما تحولت إلى مجرد مدارس فرنسية عربية، يسيطر فيها اللسان الفرنسي والعلوم الفرنسية على اللغة العربية، والثقافة الإسلامية.

رابعاً: تهميش أصحاب الثقافة العربية والإسلامية ليبقوا في حالة مادية متدنية داخل مجتمعهم، وذلك لتخفيف الحماس في نفوس الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية، وهذا واضح ومشاهد في جميع دول المنطقة.

وقد تكاملت هذه المخططات مع مخططات



محاولات فرض اللغات الأجنبية بالمدارس الإفريقية

تدميرية أخرى، أدت بمجموعها إلى انحسار في مساحة اللغة العربية في الساحة الثقافية الإفريقية، لصالح اللغات الأخرى، وأصبحت متأخرة عن اللغات الأجنبية، وبالتالي تفشت الأمية، وانتشرت بين صفوف المسلمين، مقارنة مع الأقليات المسيحية التي فتحت لها المدارس التنصيرية أبوابها، في حين تم تدمير المؤسسات التعليمية الإسلامية، أو تفريغها من محتواها.

وهكذا، فقد الإفريقيُّ شخصيته الثقافية التاريخية، وأصبح مغتربًا عن منابع حضارته (ثقافته الإسلامية ولغته العربية)، بل أصبح الأفارقة يصنعون بأيديهم وأموالهم «اغترابًا ثقافيًا» في سعيهم لنشر اللغات الأوروبية، ويبتعدون عن جذورهم الحضارية؛ كما أصبحت اللغات الأوروبية اليوم في إفريقيا، أكثر انتشارًا بين جيل ما بعد الاستقلال من الإفريقيين، منها قبل الاستقلال، كما أن اللغات الإفريقية التي ظلت قرونًا طويلة تكتب بالحرف العربي، أصبحت كلها الآن تكتب بالحرف اللاتيني، وذلك لقطع كل صلة باللغة والثقافة الإسلامية، وهذه المعركة الثقافية لا تزال مستمرة، حيث يخطط المتفرنسون لأن يكتبوا بالحرف اللاتيني، اللغات المحلية التي لم تكن مكتوبة أصلاً، خوفًا من أن يجرء أهلها على كتابتها بالحرف العربي، نظرًا لأن أكثر هذه اللغات تختزن آلافًا من الكلمات العربية[7].

---

6 ـ زبادية، عبدالقادر، العلاقات العربية الإفريقية، دراسة تاريخية ص:433، وما بعدها.

7 ـ دياب، أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص:12-21.

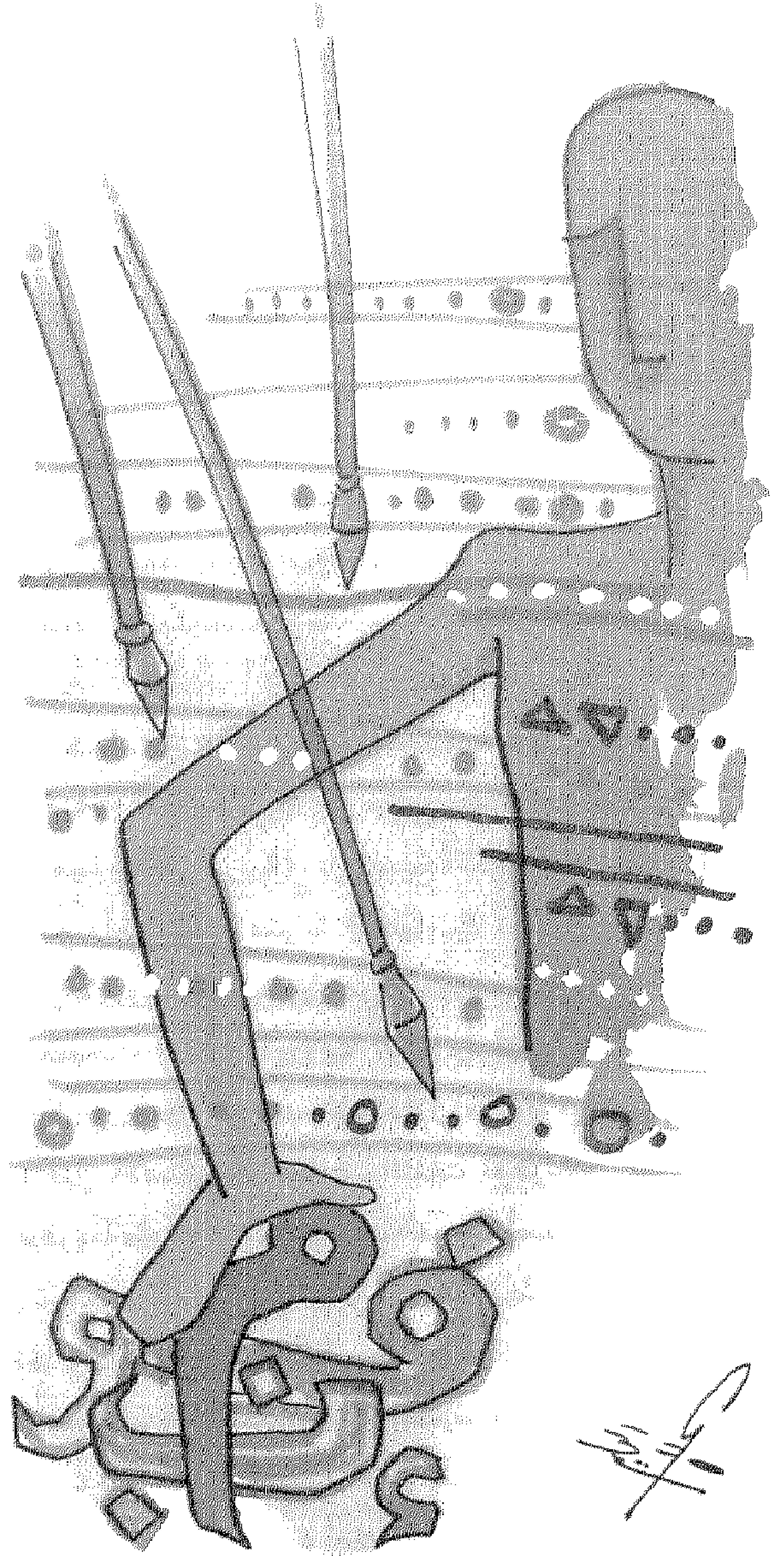
عالمية اللغة العربية وخصائصها

إن وضع آلية لإحياء لغة وتطويرها وتفعيلها في أية بقعة من الأرض، يعد ضربًا من الوهم ما لم تكن تلك اللغة تتمتع بخصائص لغوية وسمات لسانية تجعلها قادرة على مواكبة مستجدات العصور المتعاقبة، ومواجهة كل التحديات والصراعات اللغوية. وتتركز هذه الخصائص والسمات في عنصرين اثنين:

1 ـ عالمية اللغة.

2 ـ خصائصها اللغوية.

أما عالمية اللغة العربية فلا شك أنها تكتسب عالميتها بالدرجة الأولى من كونها لغة دين عالمي، وهو الدين الإسلامي، تلك العالمية التي ضمنت لها القدرة على مواكبة مستجدات العصور المتعاقبة، وإذا أضيف إلى ذلك مكانتها في المسرح الدولي، حيث تعدّ اللغة الرسمية لأكثر من ثلاثمائة مليون انسان، بالإضافة إلى كونها لغة عقيدة أكثر من مليار مسلم، تصبح أعرق لغة تتوفر لها خصائص القدم وسمات الحداثة. كما أن اللغة العربية لغة عمل ولغة رسمية للجمعية العامة للأمم المتحدة اعتمدت في عام 1973 مسيحي، بموجب قرار الجمعية العامة 3190 (د ـ 28) 1973/12/18 مسيحي، ثم تساوت مع باقي اللغات في سنة 1979 مسيحي، بموجب قرار الجمعية العامة 226/34، 20/12/1979 مسيحي، وأصبحت من بين لغات العمل واللغات الرسمية للهيئات الفرعية للجمعية في عام 1980 مسيحي، إلى جانب اللغات الخمس الأخرى، الأسبانية، والإنجليزية، والروسية، والصينية، والفرنسية، وحق لها أن تحتل هذه المكانة باعتبارها لغة حية، أثبتت على مر العصور والدهور أنها قادرة على التكيف والاستيعاب، لما لها من حضارة عريقة، وتراث تليد، ولما لأهلها من أهمية اقتصادية وسياسية في العصر الحديث.



أما خصائصها اللغوية: فإن اللغة العربية تتمتع في ذاتها ببناء قوي محكم، ومادة غزيرة، فهي رحبة الصدر ومطواعة، استطاعت أن تتغلب على لغات شعوب كثيرة في فجر الإسلام، لأن المسلمين لم يفرضوا

لغتهم ويتشددوا في ذلك في البلاد التي فتحوها، ولم يكن لهم من الوسائل العسكرية أو العلمية الحديثة ما يمكنهم من نشر لغتهم كما فعل الاستعمار في العصر الحديث، بَيْدَ أنهم يملكون لغة مرنة مطواعة، يعضدها دين ذا قدسية وتقدير في وجدان الشعوب المسلمة، وكان ذلك دافعًا روحيًا للشعوب الداخلة في الإسلام لتعلم هذه اللغة والاقبال عليها والحماس لنشرها.

وتعدّ اللغة العربية من أسهل اللغات تعلُّمًا، إذا طُوّع تعليمُها لتتماشى مع مقتضيات العصر، من حيث التبسيط والتيسير والترغيب، وتطوير أساليب تعليمها للعرب أنفسهم وغير العرب، إذ يكفي فيها حفظ قواعد أساسية في النحو والصرف وتطبيقها لفهمها والتحدث بها، وهذا أهون من حفظ كل كلمة وكيف تكتب وكف تنطق، وكل فعل من الأفعال الشاذة الكثيرة وكيف يصرّف في الإنجليزية، وحفظ كل قواعد الإعراب وكيف تعرب الألفاظ الشاذة في الفرنسية. هذا إلى جانب ما تتمتع به من قواعد ثابتة لا استثناء فيها، في الكتابة والقراءة. على نقيض بعض اللغات الأخرى مثل الانجليزية والفرنسية التي يختلف فيها أحيانًا النطق والكتابة مما يمثل صعوبة في تعليمها.

وتتميز اللغة العربية، علاوة على ذلك، بسمات لغوية ولسانية كثيرة، تؤهلها لاستيعاب كل تطورات ومستجدات العصور المتعاقبة، كالاشتقاق الصغير والكبير والأكبر، والنحت، وكثرة أوزان الأفعال والأسماء، واستعمالات الحروف، وتعدد الصيغ لمفرد كلمة واحدة، وتعدد صيغ جمع مئات الكلمات، وغيرها.

وسائل إحياء اللغة العربية وتطويرها

إن السبيل إلى إحياء اللغة العربية وتطويرها في إفريقيا الغربية وغيرها، أن ترجع هذه الأمة إلى ربها، وتسترجع شخصيتها، وتستعيد سلطانها وهيبتها، وتُعيد النظر في أوضاع لغتها، مناهج وكتبًا ومعلّمين،



كتب ومخطوطات إسلامية نادرة في الخزائن الإفريقية

ويؤدي الإعلام أمانته، ويحرص كل مسلم أن يكون قويًا أمينًا، عندئذ تقوى اللغة العربية وتصبح قادرة على كبح جماح أعدائها، ومواجهة كل التحديات.

أما في إفريقيا الغربية ـ على وجه الخصوص ـ فإن العمل على إحياء اللغة العربية فيها، لم يبدأ من فراغ، بل إنه يجد قاعدة صلبة راسخة وأرضًا خصبة غنية، لم تتأثر رغم كل العواصف والتحديات، فالثقافة العربية الإسلامية لها قدسية عظيمة، في وجدان سكان المنطقة وفي ممارستهم، تتمثل في آلاف الخلاوي، والمدارس القرآنية والإسلامية المنتشرة في كل مكان، إلى جانب تراث فكري إفريقي عربي عريق، امتد لأكثر من ثمانية قرون، وهو تراث حرمت منه الأجيال التي نشأت في ظل الاستعمار وبعده. وبالتالي سيكون العمل على إحياء الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا الغربية، فرصة ذهبية لتوعية الجيل الجديد، ومنحه حق الاتصال بتراث أجداده الذي حجب عنه، والذي دأب الاستعمار على ترويج المفتريات حوله، وإقناع الأفارقة بأن لا تراث لهم ولا حضارة ولا تاريخ قبل القرن التاسع عشر.

وثمّة آليات ووسائل إجرائية وعملية من شأنها ـ إن أحسن توجيهها والإفادة منها ـ أن تعجّل بإحياء اللغة العربية، وتضمن لها الاستقرار والديمومة. وتتمثّل هذه الآليات في تفعيل وتطوير المجالات الآتية:

أولاً: المجال الديني:

إن اللسان العربي شعار الإسلام ولغة القرآن وأهله، وإن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها تتميز، لكنّ العربية هي وحدها لغة الدين، وأيّ دين؟ إنه الإسلام الذي أكمله الله وارتضاه:

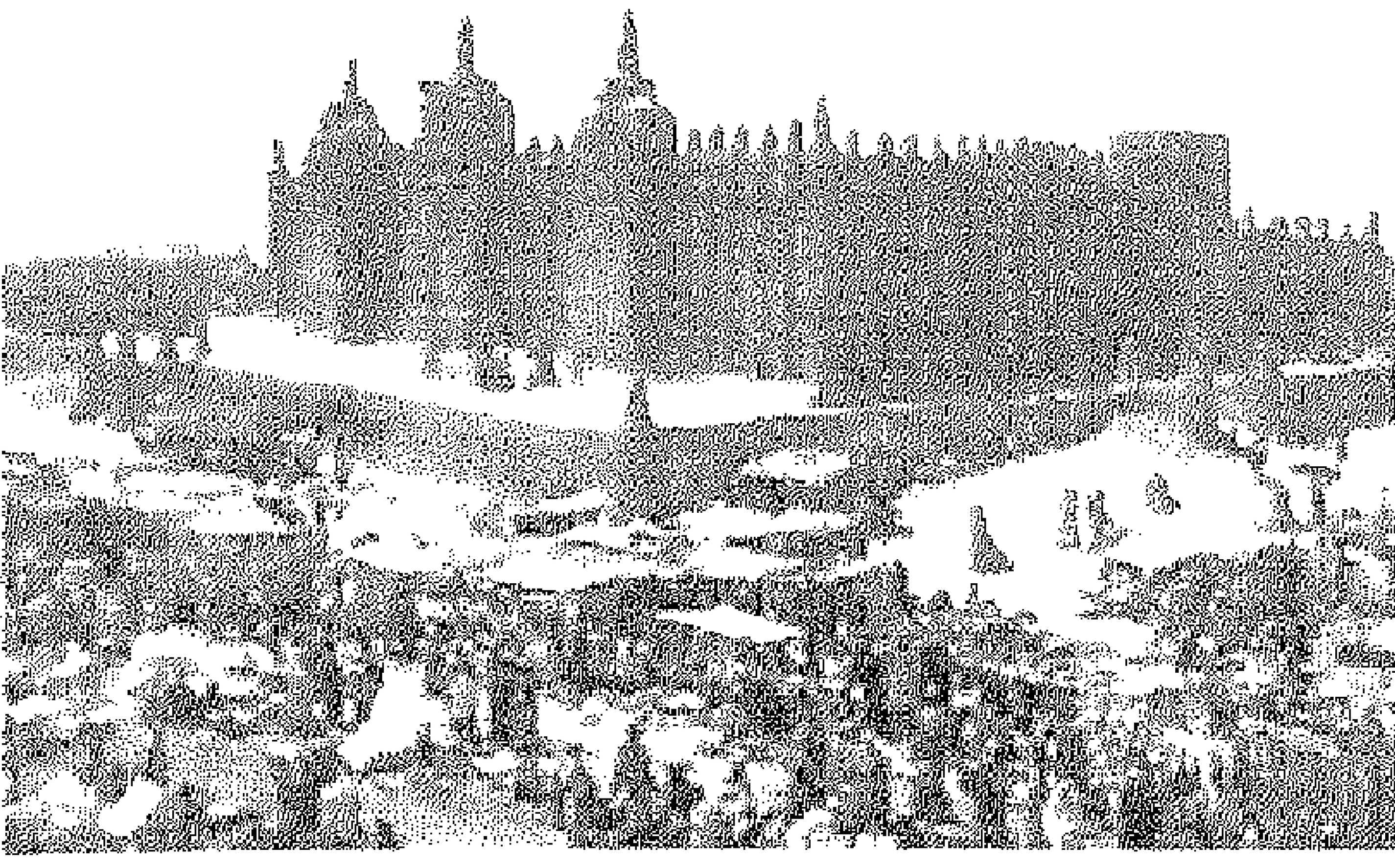
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: 85]

والأفارقة يؤمنون بثنائية مطلقة بين اللغة العربية والإسلام، ويضفون على العربية قدسية الإسلام، ويرون أن من ينكر عليهم الاهتمام بالعربية كمن ينكر عليهم كونهم مسلمين، لأن القرآن الذي هو مصدر تشريع المسلمين، ومنهاج حياتهم، وميزان دينهم ودنياهم وآخرتهم، عربي اللسان، فأجدر بالعربية التي أنزل بها أن تكون من أكبر همومهم.

وتاريخ الإسلام في منطقة إفريقيا الغربية، يؤكد أن مكانة اللغة العربية فيها مرتبطة بمكانة الإسلام، لأن الأفارقة يدركون أنّ معرفة حقيقة هذا الدين، والإلمام بأصوله وفروعه، والوقوف على أحكامه، لا تكون دقيقة وصائبة إلا بالوقوف على أصول هذا الدين في لغته الأصلية التي هي العربية. ولن يكتب نجاح لأية محاولة في تطوير اللغة العربية في المنطقة، حتى تتخذ من الإسلام منطلقها، ومن هديه وتعاليمه منهجها. لأن جميع لغات الشعوب المسلمة في المنطقة، تختزن آلاف مفردات إسلامية، بل إن كثيرًا من العوام وحتى بسطاء المثقفين، لا يتقبلون وجود فرق بين ما هو عربي وما هو إسلامي، لأن العربية عندهم ترادف الإسلام.

ثانيًا: المجال التاريخي:

تعد اللغة العربية أقدم لغة أجنبية إلى مناطق دول الساحل الإفريقي، فقد ثبت أن عقبة بن نافع ـ رضي الله عنه ـ قد دخل هذه المناطق في وقت مبكر، وتوغل



جانب من المراكز الإسلامية الحضارية في إفريقيا

فيها، وتابع الفتوحات الإسلامية نحو الجنوب حتى وصل مدينة كاوار في منطقة أغادس بالنيجر اليوم وفتحها، كما فتح الواحات الأخرى الواقعة جنوب الصحراء، فبعض أفراد الجيش الذين كانوا معه، رجع واستوطن وتزوج وتصاهر مع السكان الأصليين وانصهر فيهم[8]. وقد أثبت المؤرخون أن اللغة العربية كانت لغة التدوين والكتابة في إفريقيا، قبل الزحف الاستعماري؛ يقول «ديفدسن»: إن وهب بن منبه هو أول من دوّن تاريخ منطقة جنوب الصحراء سنة 738 مسيحي، وكان تدوينه باللغة العربية[9]. وذكر الأسقف جونسن في كتابه (تاريخ اليوربا) أن اليوربا قبل وصول الإنجليز سجلوا أفكارهم بالحروف العربية[10]. وفي القرن الخامس الهجري تم إنشاء مدينة تمبكتو التي كانت مركزًا هامًا للثقافة العربية والإسلامية إبَّان مملكة مالي، وجاء إليها العلماء من أنحاء العالم الإسلامي[11]. ونظرة في هذا التاريخ تجعلنا نجزم بأن منطقة الإفريقية الغربية تزخر بتراث عربي ضخم في اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ينتظر من يحييه وينفض عنه الغبار، ولا شك أن في إحياء هذا التراث ربطًا للأفارقة بأسلافهم، وتقريبهم من مصادر ثقافاتهم وحضاراتهم الأصيلة، وتوعية الجيل الجديد بالعوامل والأسس التي حققت لأجدادهم الاستقلالية والحرية الحقيقية.

---

8 ـ أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي، 1146.

9 ـ A.B. Fafunwa P. 55.

10 ـ Samuel Johson: The History of Yoruba, Britain, Love and Bydone limited, 1921, P.4.

11 ـ تاريخ إفريقيا، ص:635.

ثالثًا: المجال الثقافي:

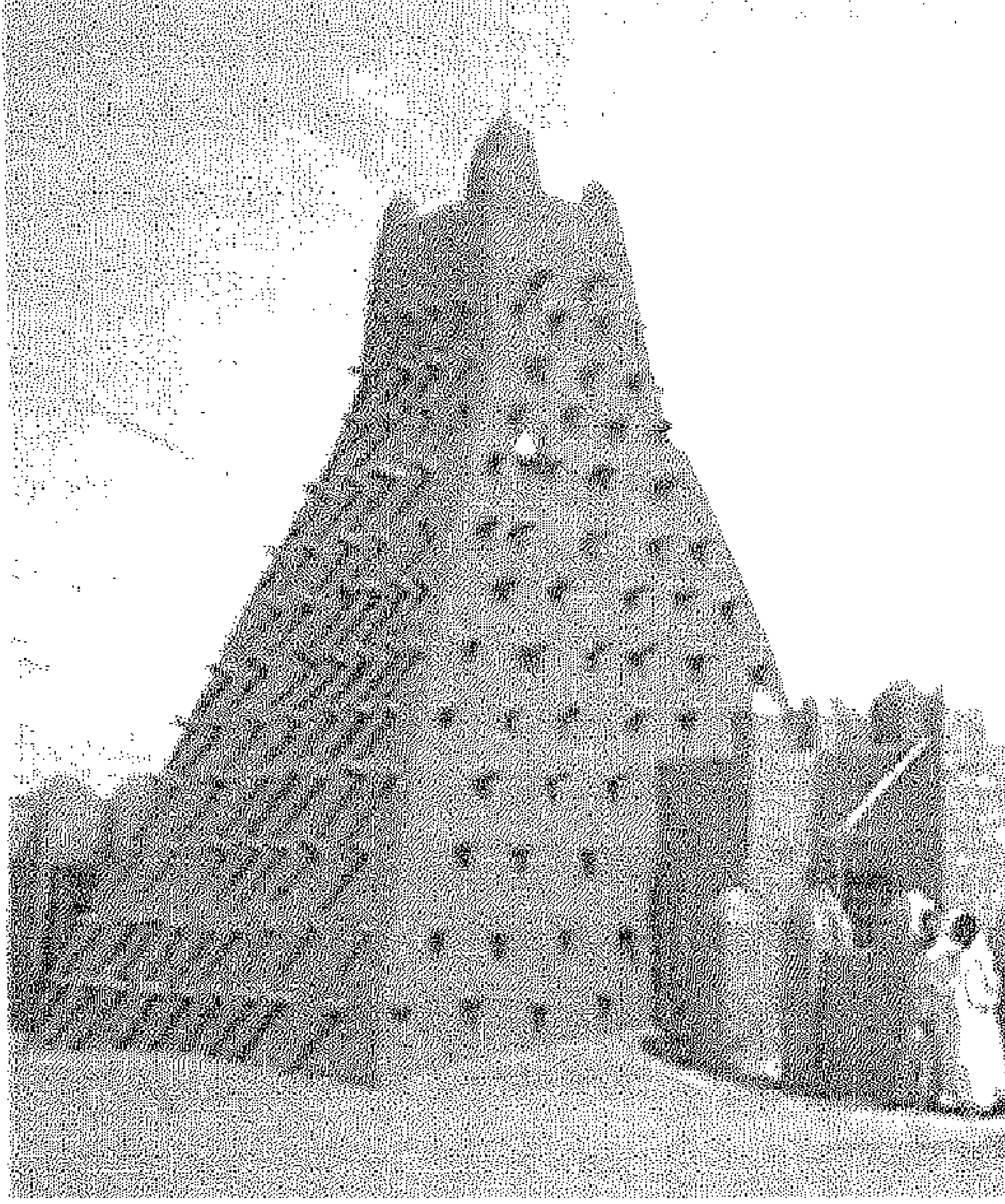
أصبح المجال الثقافي في هذا العصر، أقوى وأسرع وسيلة لفرض هيمنة لغة على أخرى، شريطة أن تسير هذه الجهود الثقافية تحت مظلة سلطة سياسية واعية وهادفة، تدعمها وتشرف على أعمالها؛ ولإرساء وجود الثقافة العربية في إفريقيا الغربية، يتحتم على الأمة العربية والإسلامية، تكثيف الجهود الثقافية على أساس من التكافل والتكامل، لتوفير الأمور الآتية:

1 ـ تكوين المنابر أو الروابط الثقافية العربية ذات الطابع الحضاري والسياسي والإعلامي لتنافس الكومنولث، والفرنكفونية (❖)، ورابطة التبادل الثقافي بين الأفارقة والأمريكيين الأفارقة.

2 ـ إنشاء المراكز الثقافية في جميع الدول الإفريقية، وتكون هذه المراكز مزودة بالوسائل التعليمية الحديثة، وطاقات بشرية ذات كفاءات لغوية وتربوية عالية، وتنظم فيها دورات تأهيلية في اللغة العربية، وتقام فيها مسابقات ثقافية عربية، ويُشجّع المتفوقون، وتعرض مسلسلات وأشرطة «أفلام» عربية، وتنظم مواسم ثقافية يشارك فيها جميع أطياف المجتمع.

ولضمان نجاح هذه المراكز يجب تكثيف الجهود، وحشد الطاقات، لإنشاء مركز ثقافي موحد وعام لجميع الدول الإفريقية، ويهتم هذا المركز جديًّا وعمليًّا بنشر الثقافة العربية، وذلك بعد دراسة ميدانية دقيقة لحاجات ومطالب الشعوب الإفريقية، بالاعتماد على ذوي الخبرة والاختصاص، وعقد تعاون علمي كامل وشامل مع كافة المؤسسات المعنية بالمجال الثقافي والعلمي وغيره.

3 ـ إنشاء منظمات غير حكومية تعمل في مجال التربية والتعليم والتدريب المهني، وتركز على اللغات واللهجات المحلية، للحد من النفوذ الفرنسي أو الإنجليزي. وفي ذلك ربط الدعم الاقتصادي والتنموي بالمصالح الثقافية.



من رموز مملكة مالي القديمة

4 ـ مساهمة الدول العربية والإسلامية الفعلية والحقيقية، في التنمية الثقافية والعلمية في إفريقيا، وذلك بتبني مشاريع تعليمية، وإنشاء مؤسسات ثقافية خاصة بها، تكون واضحة المعالم والاختصاص، وكذلك مضاعفة المنح الدراسية إلى الجامعات العربية والإسلامية، وفتح أبواب جميع التخصصات العلمية وغيرها أمام الطلاب دون قيد أو شرط، مع وضع آليات علمية لاختيار الطلاب، وتوفير مناخ اجتماعي، وثقافي، ومعرفي، يسمح للأفارقة بالاطلاع على الثروات المعرفية والثقافة العربية، مع ضرورة العمل الجاد لتوفير جو علمي وعملي مناسب، لمن يتخرجون من هذه الجامعات، حتى يتمكنوا من تطبيق ونشر ما تعلموه في مجتمعاتهم.

(❖) تجمعان أو رابطتان، أقامتهما كل من: بريطانيا وفرنسا، قبل منتصف القرن الماضي، على أساس لغوي وثقافي وتربوي وسياسي وقانوني واقتصادي، بهدف أن يحتفظا بنفوذهما الثقافي وسيطرتهما السياسية، على الدول التي كانت خاضعة لاستعمارهما، وقد كوّنتا له عدة أجهزة ووكالات، تقوم على تنفيذ أهدافه، التي ترعى مصالحهما في تلك الدول وهي من كل القارات، والتي يزيد عددها في كل منهما على خمسين عضوًا. «التحرير».

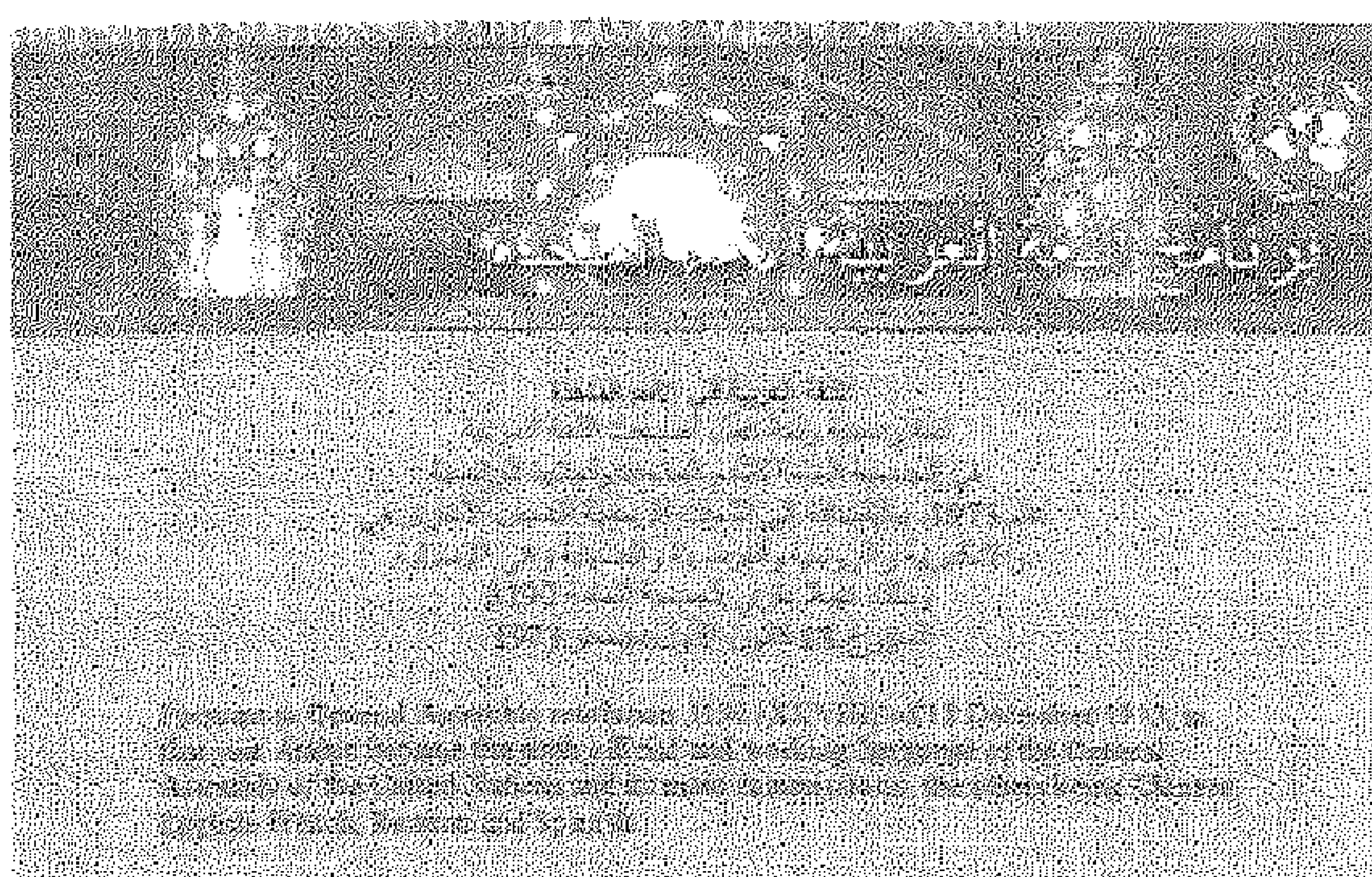
رابعًا: المجال الإعلامي

آن الأوان للأمة العربية والإسلامية أن تضاعف جهودها في تصدير الثقافة العربية إلى إفريقيا، وتنمي التواصل الإعلامي العربي وتطوره، إذ أصبحت العولمة الإعلامية أقوى وسيلة لفرض اللغات والثقافات على الشعوب، فعلى الأمة العربية أن لا تبقى متفرجة، بل عليها أن تفعّل طاقاتها في هذا المجال، وذلك من خلال:

1 - إنشاء محطات إذاعية تبث باللغة العربية، ودعم البرامج العربية في المحطات غير العربية: ففي ظل التطور الإعلامي الذي تشهده الدول الإفريقية، انتشرت ظاهرة فتح المحطات الإذاعية بشكل رهيب، حيث بلغ عدد المحطات في دولة كـ «بنين» ما يناهز العشرين محطة، تبث كلها باللغة الفرنسية، وتعمل على نشر ثقافتها، وإذا أردنا للعربية حياة في المنطقة فلا بد لها من محطات تزاحم هذه القنوات.

2 - نشر الجرائد والصحف باللغة العربية: تزايد عدد حملة الشهادات العربية والإسلامية في الدول الإفريقية، وصار عدد الطلاب يعد بالآلاف، وظلت دراستهم محصورة على جدران الفصول الدراسية، وليس لهم أدنى اتصال بالأحداث الجارية في بلدانهم، فضلاً عن العالم الخارجي، لفقدان الصحف التي تنطق باللغة التي يجيدونها.

3 - تحديث الفنون الشعبية، كالأغاني التراثية «الفولكلورية»، والمسرحيات، ذات المضامين الثقافية العربية والإسلامية، ونشر المسلسلات والأشرطة «الأفلام» العربية، وإحلال المصطلحات العربية محل المصطلحات الغربية، لما لهذه الوسيلة من أثر كبير في توعية الشباب وتبصيرهم بالثقافة العربية والإسلامية، وجذب اهتماماتهم إليها، وإثبات قدرتها على منافسة الحضارات الغربية الحديثة، بل أسبقيتها عليها، هذا إلى جانب دورها في تثبيت المعتقدات الدينية وتنمية الثروات اللغوية.



خامسًا: المجال اللغوي:

لعل هذا المجال يعد من أقوى المجالات وأكثرها تعقيدًا، لأن نجاح بقية المجالات رهين بنجاحه، ولأنه يشتمل على عناصر، تتطلب دراسات عميقة وفاحصة، من ذوي الاختصاص والخبرة في المجال اللغوي. ولكي نحظى بتطوير فاعل ومؤثر للغة العربية في إفريقيا، يجب علينا تفعيل العناصر اللغوية الآتية:

1 - تأكيد عالمية اللغة العربية وقدرتها على استيعاب جميع شؤون الحياة، ومواكبة كل التطورات. والعمل على إحيائها بين أهلها وتحسين وضعها الداخلي. لأن اللغة العربية لها وضعٌ مقلق ومزعج إلى أبعد الحدود؛ والدليل واضح ماثل لكل ذي بصر وبصيرة؛ فطلابنا يعانون ضعفًا مزريًا في هذه اللغة، فخريجو الجامعات ضعاف في اللغة العربية، ولا فرق في ذلك بين خريجي أقسام اللغة العربية ومعاهدها، وبين غيرهم، والأغلاط اللغوية في الكتب والصحف متفشية. وهذا الضعف ليس في أساسيات اللغة العربية ومهاراتها - فقط - بل يمتد إلى معارفها وثقافاتها المتصلة بها.

2 - تأكيد دور اللغة العربية في توحيد الأمم، وذلك لأن لكل أمة شعارًا، «واللسان العربي شعار الإسلام وأهله»، وما ذاك إلا لارتباطه بأهم مقدسات المسلمين، وهما: الكتاب والسُّنة، بالإضافة إلى أن أغلب ما كتب في العلوم الإسلامية كان باللغة العربية، وهذا كاف في توحيد الأمة الإسلامية كلها حول اللغة العربية، وأن يصبح من واجبات جميع المسلمين اليوم العمل على نشرها،

والمحافظة عليها، والدفاع عنها، كما فعله الأسلاف حين نشروا اللغة العربية مع نشرهم للإسلام.

3 ـ تأصيل هوية الأفارقة اللغوية، للغة العربية: يقول طه حسين: «إن اللغة العربية ليست ملكًا لرجال الدين يُؤْمَنُون وحدهم عليها، ويقومون وحدهم دونها، ولكنها ملكٌ للذين يتكلمونها جميعًا، وكلُّ فردٍ من هؤلاء الناس حرٌّ في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك...»[12].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: «إن اللغة رابطة من روابط الجنس وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة، بجعل لغة هذا الدين العام، لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به... فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان، بل هي لغة المسلمين كافة ولغة شعوب أخرى من غير العرب، وطوائف من العرب غير المسلمين، ولم يكن أحد من العرب في النسب، يفرق بين سيبويه الفارسي النسب، وأستاذه الخليل العربي، في فضلهما واجتهادهما في خدمة اللغة، ولا بين البخاري الفارسي، وأستاذه أحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهوية العربيين، في خدمة السنة، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الأمة ولا خلفها، أن يأبى تفضيل كثير من الأعاجم في النسب، على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب، فيما امتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته»[13].

4 ـ زيادة الاهتمام باللغة العربية:

إن اللغة العربية قد تعرضت منذ الحقبة الاستعمارية لعداوة شرسة عملت على استئصالها والقضاء عليها، قال تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف، الآية:8]



الطفولة والبيئة واللغة المتوارثة

وقال:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾
[سورة التوبة، الآية:32]

فقد حفظ الله اللغة العربية بحفظ كتابه، وفشلت جميع المؤامرات والمكائد، وصمدت مدارس اللغة العربية بصمود العلماء المسلمين، الذين كان تعلقهم بدينهم شديدًا، إلا أن ما تعرضت له هذه المدارس من مضايقات واضطهادات خلف آثارًا سلبية في فاعليتها، وفي مكانتها الثقافية والحضارية، وقلل من شأنها في نفوس الناس بسبب وضعها المزري. والآن ـ وبفضل الله ومنّه على الأمة المسلمة ـ فإن بوادر استعادة القوة والحيوية في هذه المدارس قد أقبلت، إذ أخذت تستعيد استقلاليتها، وبدأت تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي، نتيجة الصحوة الإسلامية التي هبت رياحها اللواقح على الشعوب الإفريقية، فهذه المدارس ـ كما سيأتي ـ تعيش الآن فترة نقاهة صعبة، ترفع أصواتها عالية، تستغيث بالنفوس الحية والضمائر الواعية، لتنقذها، وتأخذ بيدها، نحو الرقي والنهضة؛ فالاهتمام باللغة العربية والثقافة الإسلامية في دول إفريقيا الغربية، يجب أن يدخل ضمن أولويات الأمة الإسلامية، لأن هذه المنطقة تملك أساسًا متينًا، وجذورًا راسخة وصلبة، في العربية والإسلام، تنتظر

12 ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، علم التربية، 290.

13 ـ رضا، رشيد، الخلافة، ص:100.

من يقوم بتنشيطها وإحيائها، بعد دراسة علمية دقيقة لها.

5 - وضع سياسة لغوية واضحة المعالم للتعامل مع الصراع اللغوي:

إن الدول الإفريقية تقبع تحت جماح صراع لغوي عنيف، لأن الصراع إنما ينشأ من تجاوز أو معايشة لغتين واحتكاكهما ببعضهما، وسواء أكانت اللغتان لأمتين مختلفتين أو أمة واحدة، وتزداد فاعلية هذا الصراع وحدّته عندما تكون أمة من الأمم لها أطماع في أمة أخرى، كما هو الحال في هذه المنطقة؛ التي تتصارع فيها لغات كثيرة، كلها تسعى لفرض هيمنتها، وتوفر أصحاب كل لغة جميع الإمكانات المتاحة لها لإرساء دعائم ثقافتها، وإن كانت الغلبة حتى اللحظة للغة المستعمر.

لذا، يتحتم على الثقافة العربية - إن أرادت أن تضع لنفسها مواطئ أقدام راسخة في المنطقة - ، أن تسوس لنفسها سياسة ذكية وصائبة لمواجهة هذا الصراع العنيف، فالرومان مثلاً استطاعت لغتهم اللاتينية أن تنتصر على اللغات الأصلية في فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وغيرها، مع قلة الرومان المغيرين على هذه البلاد بالنسبة لسكانها، بسبب المنهجية والعلمية التي تتمتع بها لغتهم. وفي العصر الحديث عندما انتشر الغزو الأوروبي لأطراف الأرض كوّنت دول أوروبا كتلاً بشرية في مناطق هجرتها، وكثر أفرادها مع قوة سيطرتها، فنجم عن استعمار الإنجليز لأمريكا الشمالية واستراليا، وبعض نواح في جنوب أفريقيا، انتشار اللغة الإنجليزية في هذه الأرجاء الواسعة؛ كما نجم عن استعمار الإسبان في أمريكا الجنوبية، أن كانت الأسبانية لغة معظم دول أمريكا الوسطى، وأمريكا الجنوبية، وغيرها.

وإذا كان هذا الصراع السابق مرتبطًا بالصراع السياسي، وكانت ظروفه تختلف عن صراع آخر، أقل جرأة ووسائل - كتغلب اللغة العربية بفضل انتشار الإسلام، على كثير من لغات الشعوب الآسيوية، وعلى لغة الأقباط، ولغة البربر في أفريقيا - فإن هذا لا ينكر خطورة الصراع اللغوي، الذي قد تحدثه عوامل أخرى غير سياسية أو حربية.

ولا شك أن الظروف مواتية للغة العربية في أن تكون الغلبة لها، وتفرض هيمنتها المطلقة على جميع اللغات المتصارعة معها، لما تتمتع به من خصائص قوية ومحكمة، وتاريخ عريق في المنطقة. وسينجم عن هذه الغلبة - إن أحسن التعامل مع الصراع - حلول اللغة العربية محل جميع اللغات المتصارعة معها، لأن شخصية الأمة صاحبة اللغة المغلوبة تذوب تدريجيًا في الأمة الغالبة، وتصبح بعد أن كانت لها مقوماتها وخصائصها وهي على لغتها الأصلية، تصبح مندمجة في أمة أخرى، وقد فقدت ما كانت تحمله في ذاكرتها من الأفكار والمعتقدات وسائر المعاني المختلفة، وتراها بعد ذلك بمنظار فكر اللغة العربية، الذي لا شك يغايرها في كل شيء.

السليقة لا تعدو أن تكون مرحلة لا شعورية في تكلم اللغة، وعندها يؤدي المتكلم اللغة بصورة آلية دون تكلف أو تعمد في عناصر الكلام، ولا علاقة لها بما أرضعته أمه، إذ لا وراثة في السليقة.

وهذه النتيجة من شأنها أن تقلع جذور الاستعمار، وتستأصل رموزها، وتكسر شوكتها، فتنشأ أجيال جديدة لا تعرف إلا الثقافة العربية والإسلامية، فيسهل احتواء هذه الأجيال ويتيسر التحكم في توجيهها.

6 - اتخاذ الازدواجية اللغوية وسيلة بناء وتطوير لا أداة هدم للثقافة العربية:

إن الازدواجية اللغوية أو الثنائية اللغوية حقيقة لا مفر منها في غرب إفريقيا، لأنها منطقة مترامية الأطرف، استعمرتها في العصر الحديث دول مختلفة، فبعض دولها يتميز بالثقافة الإنجليزية، وأغلبها متشبع من الثقافة الفرنسية، ولا سبيل لإحياء اللغة العربية فيها إلا بازدواجها مع لغة من هاتين، رغم أن الازدواجية ربما تحدث صراعًا خطيرًا قد يؤدي إلى الانفصام الثقافي أو الانسلاخ الثقافي، وخصوصًا إذا



كان بين اللغتين صراع وتناقض في القيم الثقافية التي يتضمنها كل منهما بالضرورة، فالعربية تحتفظ بقيم الحرية المسؤولة وقيم الألوهية، في حين أن الإنجليزية أو الفرنسية ترعى قيم الإباحية والإلحاد. فما الحل؟

أ - العمل على تحقيق التوازن في الإجادة والإتقان للغتين، بأن نحقق الثنائية اللغوية الجامعة، بحيث يتمتع الدارسون بقدر كبير من الرسوخ والتفوق في اللغتين، وأن نسعى إلى إعطاء اللغة العربية حق السيادة.

ب - أن تكون الازدواجية وظيفة، نستغلها لبناء أصالة لغوية، ونتخذها جسرًا لإرساء قدم اللغة العربية في المنطقة.

ج - دعم المدارس ذات الصبغة الإزدواجية، لأن الذي نلمسه بوضوح أن الإنكليز والفرنسيين يحاولون أن يجعلوا لغتهم لغة التعليم أينما حلوا، فلا بد من جعل اللغة العربية تزاحم هاتين اللغتين، ولكن يجب أن تكون هذه المدارس المزدوجة في إطار هدف سام نابع من هويتها وجذورها، ويحكمها نظام علمي دقيق ومتين، لا يسمح لها بالانفلات؛ وأن تتوفر لها العناصر القادرة المدربّة: تدريسًا وتوجيهًا وإدارة.

7 - دعم مشاريع الترجمة، ووضع آلية علمية دقيقة لسياسة الترجمة:

لأن الترجمة أحسن وسيلة لاستغلال اللغة أداة للبناء والتفاهم، وسبيلاً إلى الوحدة وربما الوئام، فهي كفيلة بأن تكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة تسترها عنا اللغة، بشرط أن تركز الترجمة، فيما تنقلها من تراث إفريقي، على نقل المعارف الإنسانية، والعلوم النافعة التي تخدم خطة إحياء اللغة العربية وتطويرها، كما تنقل إلى اللغات الإفريقية الثقافة العربية والعلوم النافعة. ولضمان نجاح هذه المهمة يجب أن ننهج فيها المنهج التالي:

أ - أن تكون الترجمات من العربية إلى لغات أخرى أو العكس، يضطلع بها أهل اللغة المنقول إليها، لأنهم أقدر من غيرهم على ذلك، لامتلاكهم ناصية لغتهم، ولمعرفتهم بحقائق وخلفيات فكرية، واجتماعية، وتقليدية، قلما يعرفها غيرهم، إلا في حالات نادرة جدًا، وهذه المشكلة مطروحة أيضًا بالنسبة للترجمة الفورية في الاجتماعات والمؤتمرات الدولية.

ب - ضرورة استغلال جهود المترجمين في مؤسسات الترجمة المشهورة في العالم، وخصوصًا أقسام

الترجمة في الأمم المتحدة، لأنها تضم عناصر من المستعمر الفرنسي والمستعمر الإنجليزي، ما يجعل في أعمالهم إثراء وفائدة إن أحسن استغلالها.

ج ـ دعم مشاريع المعاجم الثنائية اللغوية، وذلك بالعمل على وضع خطة لصناعة هذه المعاجم، سواء المعاجم المخصصة لفهم اللغة العربية، أو المعاجم المخصصة للتعبير بتلك اللغة، لأن المعجم الواحد لا يستطيع أن يخدم هذين الهدفين في آن واحد، ولا بد من وجود معجمين مختلفين، أحدهما لمساعدة القارئ على فهم لغة الهدف، والآخر لإعانته على التعبير بها، والفرق بينهما في الشكل والمضمون، فإذا كانت اللغة العربية هي لغة الهدف في دولة فرنسية، فالأول يكون فرنسي عربي، ويشتمل على أكبر عدد ممكن من المفردات فقط، والآخر يكون عربي ـ فرنسي، ويشتمل على مداخل ذات طبيعة إنتاجية عامة، ومتبوعة بمعلومات صرفية ونحوية ودلالية مفصلة.

8 . تشجيع دراسة اللغات الإفريقية، ودعم كتابة هذه اللغات بالحرف العربي الذي به كتبها أسلافهم، لأن أغلب هذه اللغات تختزن آلاف الكلمات العربية، ما يجعلها وسيلة سهلة وميسرة لدراسة اللغة العربية، بالتركيز أولاً على الكلمات المشتركة بين هذه اللغات والعربية، فيسهل على الدارسين التعامل معها، واستيعاب مدلولاتها، ثم التعرف على مواطن الاختلاف بينها، على أن يبدأ التركيز على الكلمات التي لم يجر فيها أي تغيير يذكر في شكلها ودلالتها، ثم هكذا بالتدرج حتى تصل الدراسة إلى الكلمات غير المشتركة. ولا شك أن الدارس سيشعر بالارتياح، ويتشجع للتعليم إذ أحس في الوهلة الأولى بقدرته على فهم واستيعاب اللغة موضوع الدراسة.

سادسًا: المجال التربوي:

إذا كنت من محبي اللغة العربية، ومن الذين يجعلونها همهم في الليل والنهار؛ فلا شك في أن همك سيزداد، وشعورك بالقلق سيتضاعف، وأنت ترى حال هذه اللغة العظيمة، وقد انحدرت في هذا العصر على ألسنة المتحدثين بها وأقلامهم إلى مستوى لا يسر. تُرى ما الذي أدّى بهذه اللغة إلى أن وصل حالها إلى أن لا تواجه طالبًا ولا دارسًا إلا شاكيًا من تعلُّمها على مدرسيها؟!

فنحلل المشكلة في إفريقيا الغربية إلى عناصرها لمعرفة الحل. وهذه العناصر تتمثل في أمرين اثنين:

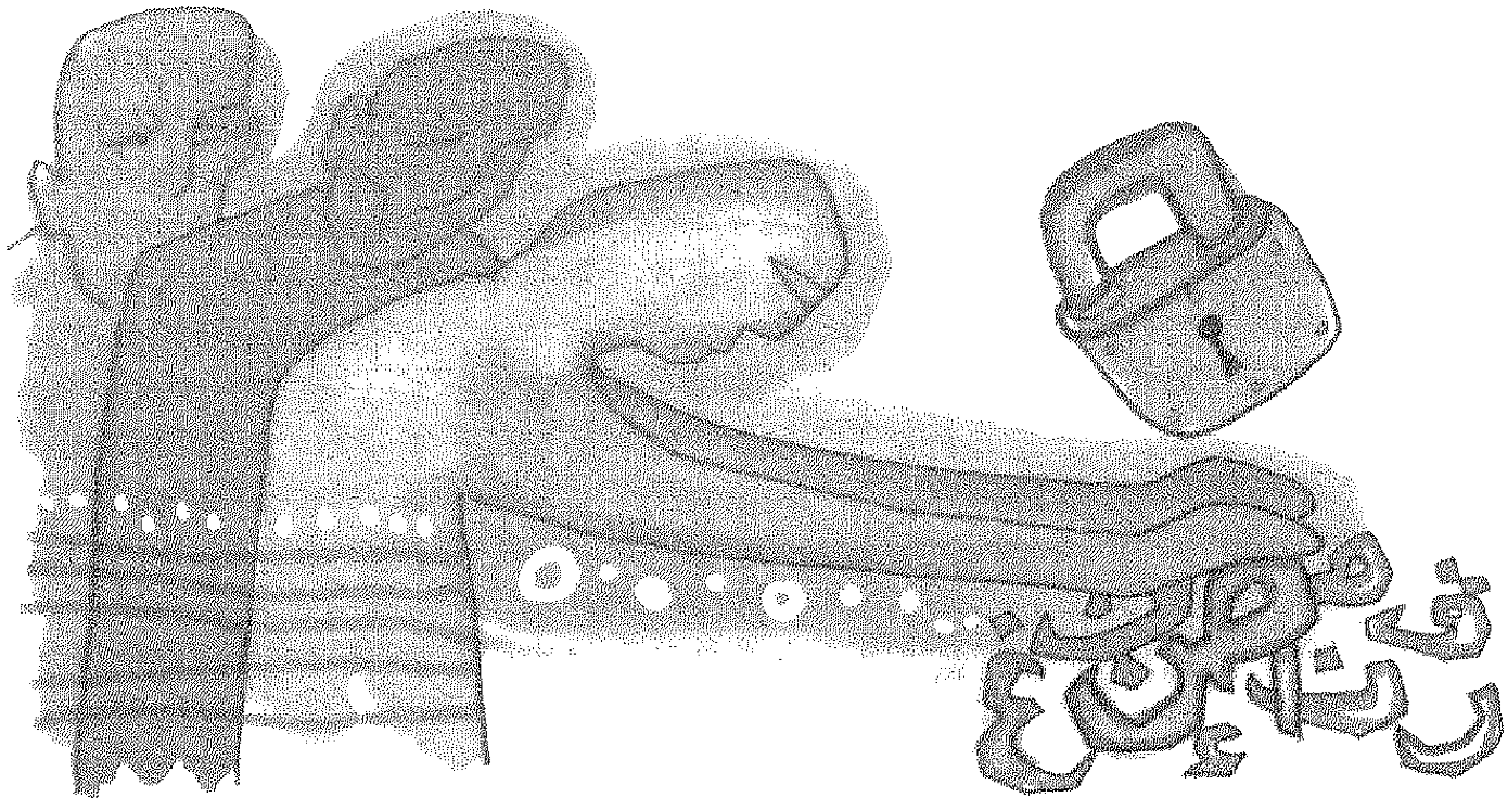
1 . وضع الدراسات العربية ومكانتها لدى السلطات الحاكمة.

2 ـ عناصر التربية الثلاثة: المدرّس، والمنهج، والطالب.

وكل عيب في هذه العناصر يساهم بقدر ما، في المشكلة.

أولاً: مكانة الدراسات العربية لدى السلطات الحاكمة في إفريقيا الغربية:

إن المدارس العربية الإسلامية في الغالب غير معترف بها حكوميًا في كثير من دول غرب إفريقيا وأن المتخرج من المدارس الإعدادية العربية والإسلامية لا يستطيع أن يلتحق بالمدارس الحكومية الثانوية، وقس على ذلك بقية المراحل. بل إن المتخرج من المدارس العربية والإسلامية لا يُقبل للعمل في القطاعات الحكومية المختلفة، وخاصة إذا كان لا يتقن اللغة الرسمية للبلد، ولم يتعلم الثقافة العصرية، وذلك لأن مناهج غالبية المدارس العربية والإسلامية لا تهتم بتدريس مواد العلوم والرياضيات، وإن درست فهي تدرس بشكل بدائي لا يتجاوز إعطاء صورة أولية عنها للطلاب، دون أن يكون لها أدنى أثر في مستواهم العلمي. ونتيجة لهذا اتسعت الهوة بين هذه المدارس وبين المؤسسات الرسمية. وانعكس ذلك سلبًا على رواد هذه المدارس، وعلى مواردها التمويلية، لأنها إن فرضت رسومًا خلت فصولها من الطلاب. وهكذا، أصبحت المدارس العربية والإسلامية في أغلب الأحوال وقفًا على الفقراء والمساكين، الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية، أو عجزوا عن المواصلة



هناك لضعف مستواهم العلمي، فيلتحقون بالمدارس العربية والإسلامية، لأن الرسوم منخفضة، والنجاح مضمون في أغلب الأحيان.

فما الحل ودساتير هذه الدول كلها، تسمح بفتح مدارس أهلية ذات طابع ديني، وتعترف بها رسميًا إن ضمنت في مناهجها المواد التي تقررها وزارة التربية، وأهلت طلابها لمستوى ينافسون به أقرانهم في البلاد؟. الحل يكمن في حمل السلطات الحاكمة على فتح الأبواب أمام الدراسات العربية، شريطة أن نعمل على وضع طرائق وأساليب لتعليم اللغة العربية تتماشى مع مقتضيات العصر.

ثانيًا: المناهج الدراسية:

تعتمد المدارس العربية والإسلامية في إفريقيا الغربية - في أغلب الأحوال - على المناهج المقررة في الدول العربية، ومن هنا تنشأ المشكلة المنهجية، لأن تلك المناهج وضعت لتتناسب مع العقلية العربية والخلفية الفكرية الاجتماعية للطلاب، وصيغت بأسلوب يلبي حاجات الطلاب العرب، ومن ثم فإن نقل هذه الكتب إلى بيئة اجتماعية وفكرية مختلفة تمامًا، ووضعها في أيدي مدرسين غير مدربين على العملية التعليمية، وغير قادرين على تحقيق انسجام بين هذه المناهج وبيئة الطلاب، سوف يؤثر حتمًا على مستوى التعليم، خاصة أن كثيرًا من تلك الكتب ألفت لمعالجة بعض الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية والفكرية قد لا يعرفها الطلاب في البيئة الإفريقية.

وهكذا تضم المناهج التعليمية في تلك المدرسة مجموعة متداخلة وغير متجانسة من المقررات المبعثرة التي قد لا يربطها رابط. ومن جانب آخر، فإن معظم المدارس العربية والإسلامية تعاني من ندرة حادة في الكتب المقررة، إذ لا تكاد تجد في أغلبها إلا نسخة واحدة منها: يصرف للمدرس، وأحيانًا تكون مصورة. وهذا التشتت في المناهج، وفقدان الوسائل التعليمية في حوزة الطلاب، لا ينتج منه إلا ضعف في المستوى العلمي والثقافي لدى الطلاب.

ولا شك أن مهمة إعداد المناهج، وتوفير الكتب والمقررات الملائمة، لكل بيئة اجتماعية وفكرية، يراد منها أن تتعلم لغة أجنبية، لمهمة شاقة وعويصة، تحتاج إلى تكثيف الجهود وحشد الطاقات البشرية والمادية والعلمية، لتصميم منهج علمي دقيق، يأخذ بالاعتبار حقائق بيئات الأفارقة، وخلفياتهم الثقافية، مع دراسة حاجات ومطالب الدارسين.

ثالثًا: المدرسون:

تعاني المدارس العربية والإسلامية في إفريقيا من قلة المدرسين الأكفاء تربويًا وعلميًا... فبعض هذه المدارس تعتمد على مدرسين يحملون الشهادة الإعدادية لتدريس الطلاب في المرحلة الابتدائية، ومدرسين يحملون الشهادة الثانوية للتدريس في المرحلة الإعدادية، لأن أولئك أقل تكلفة من الناحية المالية، وعلى أحسن الأحوال فهم يعتمدون على خريجي الجامعات العربية لتدريس جميع المواد لجميع المراحل، بما في ذلك المواد العلمية كالعلوم والرياضيات، دون أي اعتبار للتخصص.

ونتيجة لضعف المستوى العلمي للمدرسين، أصبحوا يلتزمون بطريقة الترجمة، ونقل المعلومة إلى لغة الطلاب المحلية، ومن ثم تحفيظهم إياها حفظًا مجردًا، دون أدنى اهتمام بالمحتوى العلمي الشرعي أو التجريبي.

فتحت المدارس العربية والإسلامية أبوابها للفقراء والمساكين الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية.

أما مشكلة المدرسين فإن حلها أهون نسبيًا إذا ما قورنت بمشكلة المناهج، إذ يكفي إعدادهم إعدادًا كافيًا ومنتجًا، وذلك بإنشاء معاهد المعلمين للغة العربية والدراسات الإسلامية في الدول الإفريقية، والقيام بتحديث الأسس المعول بها في العالم العربي في معاهد المعلمين وفي الجامعات من أجل تخريج المعلم، وإقامة نظام تعليمي يشعر معلم اللغة العربية بقيمته وأثره، على أن يكون اختياره وإعداده وتوجيهه لهذه المهمة في وقت مبكر، وعدم إشغاله بدراسة أو تدريس معلومات تصرفه عن المهمة الرئيسة التي صرف إليها.

رابعًا: الطلبة:

أما الطلب فإن مشكلتهم أعمق وأكثر تعقيدًا، فالهوة متسعة بين اللغة التي يتعلمونها والمجتمع الذي يعيشون فيه، فكل ما حولهم ناطق بلغة غير اللغة التي يدرسونها: المدرسون (بمن فيهم مدرسو العربية)، والبيت، والمذياع «الراديو»، والتلفاز «التلفزيون»، والشارع... فكيف يستطيع هذا الطالب أن يسبح ضد التيار، ويتقن لغة مهملة ومنكرة في مجتمعه؟!، وكيف يقتنع بفائدة ما يتعلمه، وهو لا يجد له تطبيقًا معقولاً على ألسنة المتعلمين؟! وهنا تأتي ضرورة العناية بالمجالات الثقافية واللغوية، حتى يجد الطلبة جهات تشاركهم معلوماتهم ولغاتهم التي يدرسونها.

وفي الختام، فإن اللسان العربي يأتي في مقدمة اللغات التي تملك الإمكانات التي تؤهلها لتكون لغة رائدة في إفريقيا الغربية، إذا استعادت الأمة العربية والإسلامية مجدها وقوتها، وأعادت نفسها إلى صدارة الأمم بكل جدارة، لأن الثقافة العربية الإسلامية هي نواة الحضارة الإفريقية، ومنطلق عصرها الذهبي، فهي القادرة على لملمة جميع الثقافات الإفريقية دون جهد كبير. هذا إلى جانب ما تتمتع به إفريقيا حاليًا، من كوادر وكفاءات عالية، وحملة الشهادات الجامعية العليا في شتى مجالات الثقافة العربية والإسلامية، وتساندهم شعوب توارثت بكل أطيافها الإعجاب والتقدير لكل ما له صلة بالإسلام، ولم تتأثر بالعواصف، والتيارات المعادية، التي حاولت زعزعة هذا المبدأ، بل بقيت صلبة راسخة ثابتة، فهذه العوامل تجعل إفريقيا مهيئة جاهزة للتفاعل مع كل المبادرات التي تعيد لها أيام مجدها وازدهارها.

فعلى الأمة العربية والإسلامية أن تهب لاغتنام هذه الفرصة النفيسة، وتوحد جهودها، وتحشد طاقاتها في جميع المجالات، لتحيي لإفريقيا تراثها التليد، وحضاراتها المفقودة، وتسترد لها مجدها، ووحدتها، التي حققتها على أيدي سلف الأمة العربية والإسلامية، أيام شرّف الله إفريقيا بحلولهم بأراضيها.





الإنسان المسلم والواقع



الإنسان المسلم والواقع *

الشيخ الداعية / زين العابدين الجفري **

1 الحمد لله الذي يصطفي من يشاء من عباده، ليكونوا أدلة للخلق على مراده، والصلاة والسلام على مفتاح باب الدلالة على الله، والسبب الأعظم في نيل رضوانه ووداده، سيدنا محمدﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سلك على ذلكم المسلك القويم..

وبعد، فإني أسأل الله عز وجل، أن يبارك لنا ولكم في هذه السويعة التي إن تجلى عليها الحق باسمه النافع، سَرَتْ آثار نفعها إلى سائر ساعات حياتنا حتى نلقاه، وسَرَتْ آثار نفعها إلى سائر الأماكن في شرق الأرض وغربها ؛ إذ أن كل جهد في خدمة هذا الدين عند الله عزيز، وعلى قدر توفيق الله للعبد في تصحيح النية وصدق الوجهة إليه، يبارك في كل إصغاء أو كلمة تصدر رغبة في خدمة هذا الدين.

في بداية هذه المذاكرة في ما بيننا، أودّ أن أذكّر نفسي وأذكركم، بأن لا يغيب عنا استشعار عظمة الساعة التي نحن فيها، والمكان الذي نجلس فيه، فنحن وإياكم الآن في مجلس، أخبر الصادق المصدوق أنه يذكر في العالم الأعلى، وأن ذكرنا لله وتذاكرنا في الله مذكور من قبل الله في حضرة الله. ولكن.. ما صلة هذا الأمر في الحديث عن دعوة في واقع، أشار إليه الكثيرون أنه (واقع زمن أكلة القصعة)!!. وإذا أردنا أن نتكلم بإيجابية نقول: إنه واقع زمن إبراز حفظ الله لهذا الدين. وهذه الكلية علامة من العلامات في هذا العصر.

الصلة بين أن أذكّر نفسي وأن أذكّر من حضر، بعظمة الساعة التي نجلس فيها الآن، وبين واقعٍ يموج فيه العالم من أقصى شرقه إلى أقصى غربه؛ إن بداية تغيير الواقع شيء يحدث في نفس الإنسان، يحمل الإنسان على الواقع الذي يحيط به، يتخلص فيها من تطرفين يعانيهما العالم اليوم: تطرف التغييب عن الواقع والعيش في تقوقع بعيد عنه، وتطرف الاستسلام للواقع والخضوع له، والتعامل على وصف التبعية له. والناس اليوم يعيشون في غالب أحوالهم أحد هذين التطرفين، إما غيبوبة عن الواقع، وإما استسلام للواقع. والذي يمكن أن يتغلب على هذين الأمرين ليعيش ميزان التعامل، على أساس التفاعل مع الواقع وتفعيله وتحسينه؛ هم أرباب الصلة أو أصحاب الصلة،

---

* محاضرة ألقيت بكلية الدعوة الإسلامية / طرابلس، في شهر الحرث 1473 من وفاة الرسول ﷺ نوفمبر (2005م).

** داعية / اليمن.



بمعنى المعاملة مع الله الذي يغير الواقع، ومعنى أن نعيش مع الله هو أن يعيش الواحد منا فقه نفسه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة فصلت، الآية: 53]

صلة شهود الآيات في الآفاق لتبيين الحق لا تتم إلا بمعرفة النفس.

صلة الآفاق بالحق

والحديث عن الواقع حديث عن الآفاق، ولا يمكن أن يتبين لنا في الآفاق معنى صلة الآفاق بالحق، إلا إذا فقهنا معنى الآيات في أنفسنا، مع فقهنا للآيات في الوجود. أنت إنسان، ومعنى أنك إنسان، أن الله قد ركبك من جسد وعقل ونفس وقلب وروح، وبقدر فهمك لمكوناتك تستطيع أن تفعّلها، وبقدر تفعيلك لمكوناتك تستطيع أن تؤثر في هذا الوجود الذي يحيط بك، وبمعنى أبسط وأوضح، هناك اليوم في العالم تفعيل لمكونين للإنسان فحسب، وإخضاع للتالي. أما التفعيل الأول فمكون النفس، حيث العالم اليوم يعيش تأجيج الشهوات، تأجيج المطامع، تأجيج الصراعات، تأجيج ما يسمى عند علماء التربية بالعناصر البهيمية والسُّبُعية في الإنسان، العالم اليوم يُأجج فيه عنصر البهيمية من الشهوة، فتُربّى أجيالٌ على أن تكون أهدافها منحصرة على الطعام والشراب واللباس والنكاح والتكاثر في ذلك، وعنصر (السبوعية) فتربى الأجيال أيضاً على أن تكون أهدافها منحصرة في المغالبة كما يحصل بين السباع في الغاب، فيكون الدافع للإنسان حب التسلط والتجبر والنزاع والحقد والبغضاء. هذان العنصران من طبيعة النفس البشرية ـ التي لم تزكّى ولم تهذّب ـ يفعلان في الوجود العنصر النفسي الذي يتبعه العنصر الجسدي.

أما العنصر الثاني الذي يفعل اليوم هو العقل، فنحن في عالمٍ يعمل العقل فيه على أشده، لكن بجزئية صغيرة، وهي إصلاح الشؤون المتعلقة برغبات النفس فحسب، فصار عند البشرية تقدم في حضارة معاصرة نستطيع أن نسميها (حضارة الخدمات): مكبر الصوت، آلة التصوير، مكيف الهواء، الإضاءة، النقل عبر الأثير، وسائل الاتصالات أو ما يسمى بالثورة المعلوماتية. حضارة الخدمات هذه هي نتاج لعمل من قبل أحد مكونات الإنسان وهو العقل، ولكن في مساحة صغيرة وهي مساحة خدمة مطالب النفس البهيمية



والسبوعية فقط، ولهذا أثمر هذا الحال، من تفعيل مكون العقل ومكون النفس وخدمة للجسد في الإنسان؛ أن يعيش العالم اليوم هذا الاضطراب الذي ترونه وتسمعونه، ويعيش العالم التداعي على القصعة، قال ﷺ فيما صح عنه من حديث: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أومن قلة نحن يا رسول الله؟ (عددنا قليل بين الأمم حتى تطمع فينا؟) قال لا، إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينزع الله هيبتكم من قلوب عدوكم، ويلقي في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) أكلة القصعة اليوم لماذا تداعوا علينا نحن فقط؟، قائل يقول: لأنه لدينا الثروة التي يحتاج إليها العالم اليوم في تسيير حضارته الخدماتية (البترول، المعادن...إلخ) هذا سبب وجيه، لكنه أيضاً غير كاف، لأنه يوجد شيء من الثروات بأماكن أخرى، وإن كانت أرض المسلمين هي أكثر الأراضي في الأرض امتلاكاً للثروة، ولكن الثروة توجد أيضاً وبكميات غير قليلة في كثير من أجزائنا نحن، هنا سر، ويجب أن نلتفت إليه، إن الله عز وجل لما اصطفى المسلمين لهذا الدين الخالص العظيم، جبل القلوب على الالتفات - قبل قلوب العالم كله على قابيلة الالتفات - إلى المكان والزمان والعنصر الذي نزل فيه هذا الدين، وربما جعل وجود الثروات في هذه الأماكن نوعاً من أنواع لفت الأنظار إلى هذه الأماكن، لحكمة لو أدركناها لكانت مفتاحا لحل إشكالنا مع العالم اليوم، وأنتم يامن تتهيئون لخدمة الدعوة أكثر الناس اختصاصاً لهذه الحكمة.

اللبنة مفتاح لسر عظيم

الله عز وجل خلق هذا العالم لعبادته، وأوحي إلى الرسل، وأنزل الكتب، وتوالت حتى جاء الإسلام امتداداً وتتميماً لهذه الأديان، وجاء الحبيب ﷺ وهو سيد المرسلين، لكنه لما عبَّر عن مهمته عبر عنها بتعبير اللبنة، قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل بيت اكتمل بناؤه إلا موضع لبنه، فأخذ الناس يطوفون بالبيت وينظرون إليه ويقولون ما أجمله! ما أحسنه! ما



أكمله! لولا موضع اللبنة، فأنا اللبنة)، قوله ﷺ أنا اللبنة فيه مفتاح لسر عظيم، ربما يكون المدخل لحل مشكلات أمتنا، هو سيد الأولين والآخرين، هو صفوة الله من خلقه، هو إمام الغر المحجلين، هو من هو ﷺ، ولكنه قال أنا اللبنة، وفي طيات ذلك تنبيه إلى أمور لا تتسع هذه المحاضرة لبسطها، ولكن أمرين من هذه الأمور هما محل النظر في فهم هذه الحكمة:

الأمر الأول: أننا امتداد للعالم الذي سبقنا ولسنا انفصال عن هذا العالم أو ضدية لهذا العالم، ومعنى النسخ في الإسلام ليس إنهاء الصلة بمن سبق وإنما تتميم الكمال لمن سبق، فنحن استمرار لصلة السماء بالأرض، وهذا وجه صلة بيننا وبين العالم.

الأمر الآخر في قوله ﷺ(أنا اللبنة)؛ أي أن مهمتنا (كأمة) أصلها البناء وليس الهدم، وأن الهدم استثناء يجري العمل به عند وجود ما يعرقل البناء، بحيث لا يمكن التعامل معه إلا بالهدم، غير أن الأصل هو البناء، فنحن صلة بمن كان قبلنا، صلة بالعالم الذي أوجده الله، ونحن بناء في هذا العالم، هذا سر، وهو أننا أصحاب رسالة للعالم، ومن أجله - فيما أفهم - جعل الله العالم مهتماً بنا، وأوجد حاجات العالم الحسية عندنا (النفط والمعادن والمواد الخام... الخ)، والحضارات القديمة. فالحاجات الحسية للعالم عندنا، وكذلك الحاجات التاريخية المعنوية، كل حضارة موجودة عندنا في الشرق، أي في وسط العالم، جعل الله هذين الأمرين عندنا ليشعر العالم بحاجته إلينا، غير أن المشكلة هي أن العالم مع شعوره بحاجته إلينا لم يقابل بشعورنا بما عندنا، وما يمكن أن نعطيه للعالم، فأقبل العالم علينا، هذا أقبل للمادة، وهذا أقبل للحضارة، ونحن غير متهيئين وغير مستشعرين للحكمة التي جعل الله حاجة العالم فيها إلينا، وهي أن نقوم بدور البلاغ عن الله لهذا العالم، أن نربط العالم بخالق العالم، أن ننبه العالم إلى أن هذا الوجود خلق لحكمة، وأن نحيي للعالم معنى إنسانيته.

لو سألت إخوتي من طلاب هذه الكلية المباركة سؤالاً، وأنتظر جواباً من بعضهم: ما هي مشكلة العالم اليوم؟ لا أقول مشكلة المسلمين، نعم نحن كمسلمين في أولوياتنا إصلاح ذاتنا، ولكن ليست مهمتنا إصلاح ذاتنا، إحدى الوسائل لأداء مهمتنا هي إصلاح ذاتنا،

مهمتنا إصلاح العالم، الإلتقاء بالعالم، نحن أمة عالمية، فإذا سألنا اليوم سؤالاً، وأود أن أسمع من الشباب: ما هي مشكلة العالم اليوم؟ من عنده جواب مختصر؟ من عنده نقطة؟.

كنت قبل شهرين في كينيا، وذهبت إلى منطقة بين (لاما) وبين (مالندي) اسمها (كنقوني)، وذهبنا إلى قرية بعد كنقوني إلى الداخل، هذه القرية لا يوجد فيها كهرباء ولا ماء، وأهلها يعيشون في (عشش.. أو العرائش الإفريقية المعروفة)، لا توجد بها بيوت، المبنى الوحيد فيها مدرسة ومسجد، جزى الله خيراً من قام بذلك، وفيها أستاذ مبارك من أهل البلاد يدرس عند قبائل الأورمو، دخلت هذه المنطقة التي لا يوجد فيها كهرباء، وجلست في المسجد، وشيخ المسجد أو شيخ المدرسة الذي يعلم فيها ـ جزاه الله خيراً ـ إسمه الأستاذ شامي، استأذن أن يعرض بعض من الطلاب شيئاً مما حفظوه، فقرأ بعضهم آيات من كتاب الله، وأنشد بعضهم قصيدة في مدح الحبيب المصطفى ﷺ، ثم بعد ذلك قام أحدهم وألقى كلمة باللغة العربية الفصيحة حتى إنه استخدم عبارة قال فيها: ولا ينبغي أن يتكلم في حضرتكم بَيْد أن الامتثال للأمر خير سلوك الأدب، قلت لهم (بَيْدَ) هذه نسيها العرب الآن!!.

وعندما انتهوا قدمت سؤالاً للطلاب، طلاب مدرسة بسيطة في مكان لاتوجد فيه كهرباء، أحد الأجوبة أبكاني، هزني هذا السؤال، سألت الطالب وقلت له: لماذا أنتم هنا؟ فقال: نطلب العلم، فقلت: ولماذا تطلبون العلم؟ فقال أحد الطلاب لنعمل به ولنعلمه للناس، نبلغه للناس، فقلت: أين تريد أن تبلغ؟ فقال في كينيا وفي الصومال في أمريكا وفي العالم.

الذي أريد أن أصل إليه هو أن الطالب الذي يعيش في قرية في إفريقيا، في قرية ليس فيها مبان حسية من الطوب والحجارة والإسمنت، لا يوجد فيها كهرباء، لم تصل إليها ما يعبر عنه اليوم بخيرات الحضارة الحديثة، وهو ـ في هذا المكان ـ يفكر في أن عنده مهمة، أن الذين يسكنون في ناطحات سحاب هو بحاجة إليها، هو الذي نحتاج إليه اليوم يا شباب، الذي يدرك أن عنده شيء العالم اليوم بحاجة إليه هو الذي يمكن أن يكون مفتاحا ليس لحل مشكلة العالم مع المسلمين بل لحل مشاكل العالم. من العجز أن ينحصر تفكيري وتفكيرك في قضية أن بيننا وبين العالم مشكلة ونحن عاجزون عن حل هذه المشكلة، إذا ستعيش وهدفك الأعلى أن تحل مشكلتك مع العالم، وإذا ما رضي أن يتفاهم معك العالم بالطيب فستقاتله.. هذه القضية فقط!؟ وفي الأصل ليست بينك وبين العالم مشكلة، الأصل أنت جئت لتحل مشكلات العالم، الأصل أنك جئت صاحب رسالة هدى ونور، والعالم اليوم يحتاج إليها. وأشير هنا إلى أن آخر إحصائية وقفت عليها تقول: إن نحو سبعين أمريكياً يدخلون الإسلام يومياً، هؤلاء الذين يسجلون رسمياً في المراكز الإسلامية يومياً يدخلون إلى الإسلام، عدد المسلمين في الغرب الذي ننظر إليه على أنه المشكلة الكبرى بيننا وبين العالم، عدد المسلمين يتراوح بين 17 و25 مليون مسلم في الغرب، عدد المساجد في بريطانيا وحدها يقارب 3000 مسجد. ونحن لدينا تقصير كبير في البحث والدراسات في العالم الإسلامي، ميزانية الدول العربية مجتمعة في البحث والدراسات تصل إلى 3٪ من ميزانية إسرائيل في البحث والدراسات، في سنة 1987 هناك كانت إحصائية وصلت إلى رئيسة وزراء بريطانيا تفيد بأن نحواً من 86 كنيسة تحولت إلى مساجد في بريطانيا. وأحد الأساتذة الأفاضل يقول إن جمعية الدعوة كان لها دور في ذلك، هذه الأرقام هي شيء بسيط.

الناس اليوم يعيشون في غالب أحوالهم أحد تطرفين: إما غيبوبة عن الواقع، وإما استسلام للواقع.





ما هي أزمة المسلمين اليوم؟

أيها الشباب الدعاة: نحن اليوم في أزمة، واسمحوا لي أن أسأل سؤالاً آخر: ما هي أزمة المسلمين اليوم؟ كنا نسأل عن أزمة العالم، لكن لنتبين الأمر ما هي مشكلتنا اليوم؟ وأين تكمن؟ ومن هم السبب في إشكالياتنا اليوم كأمة؟. سؤال ثالث أخير أسألكم إياه: من هم السبب في هذه المشكلة؟ وبدون تحرج. هل أحد لديه كلام ثانٍ غير العلماء والحكام؟

هل تعرفون هذه الأسئلة الثلاثة؟ أريد أن أربط بين الأسئلة الثلاثة هذه، والإجابات التي جاءت عنها.

السؤال الأول: ما هي مشكلة العالم؟ كان الجواب حاجتهم للقيم الإنسانية، كان الجواب الفراغ الروحي، كان الجواب طغيان المادة، كان الجواب الفصل بين العقيدة والحياة، كان الجواب عدم التكامل في الإنسان، كان الجواب انقطاع العلاقة بين الإنسان وربه...

السؤال الثاني: ما هي مشكلة الأمة؟ قال عدم الاتفاق، قال ضياع الهوية، حب التغرب، قال كثرة الكلام وقلة العمل، قال ترك الكتاب والسُّنة، قال لم نعرف من نحن.

السؤال الثالث: من هم سبب المشكلة؟ قال العلماء، قال الحكام، قال العيب فينا، قال كلنا.

ما هو الترابط بين هذا وذاك؟

نبدأ من السؤال الأخير. من السبب؟ هناك مثل أو قصة ضربتها في عدد من المحاضرات، بعضها ربما في التلفزة، وكررتها مراراً، لكن مادمنا فتحنا الموضوع فسأعيدها: مرّ أحدهم في الطريق فوجد مجموعة من الناس يتكلمون عن مشاكل الأمة، فسأل: من السبب؟ فقال أحدهم الحكام، كما سمعنا الآن، لماذا الحكام؟ قال هؤلاء خانوا الأمانة ولم يؤدوها، وصاروا يخدمون الغرب، ويهمهم أنفسهم ومصالحهم، ولم يحكموا بالكتاب والسُّنة، ولائحة انتقاد الحكام معروفة، فسأل الحاضرون: هل صحيح كلامه؟ فقام أحدهم وقال لا، العلماء هم المشكلة، لماذا؟ قال هؤلاء داهنوا الحكام وما عملوا بعلمهم، وهمهم الدنيا والمكانة بين الناس والشهرة، وما أدوا الواجب ولا عملوا ولا فعلوا، فالذي سمعهم يتكلمون هكذا طرح سؤالاً يقول: ما رأيكم في التجار؟ أليسوا سبباً في المشكلة؟ نعم التجار من أجل مصالحهم المالية باعوا الدين وباعوا البلاد وخانوا

ورفعوا الأسعار وأضعفوا اقتصاد الأمة. والموظفون؟ قال الموظفون ما عندهم أمانة، الموظف تأتي إليه دون رشوة فلا (يُمشّي) العمل، والموظف تأتي له يقول لك إذهب للثاني، والثاني يقول إذهب للثالث. قال وما رأيك في العمال والمزارعين؟ قال أين المزارعون؟، المزارعون لو كانوا يقومون بما ينبغي القيام به لما كنا نستورد القمح من الخارج، المزارعون لم يؤدوا الدور المناط بهم، وكذلك العمال والمهنيون ما عندهم أمانة، ولو غبت عن أحدهم قليلاً فستجده خرب ما أردت أن يصلحه!!

هل تسمحون لي أن أسأل سؤالا هو: من بقي؟ الحكام والعلماء والتجار والموظفون والعمال والمهنيون والمزارعون... كلهم السبب في مشكلة الأمة. تعالوا ندخل معا إلى الجانب الاجتماعي..

أكررها أيضاً: ما رأيك في الأقارب؟ قال الأقارب أهل فتنة ومشاكل، وهذه فلانة عملت سحراً لفلان، والأقارب الشر جاءنا منهم. الجيران؟ قال الجيران نيران، ابن الجيران ينظر إلى بناتنا وما يستحي، والآخر أعلى بيته فوق بيتنا...

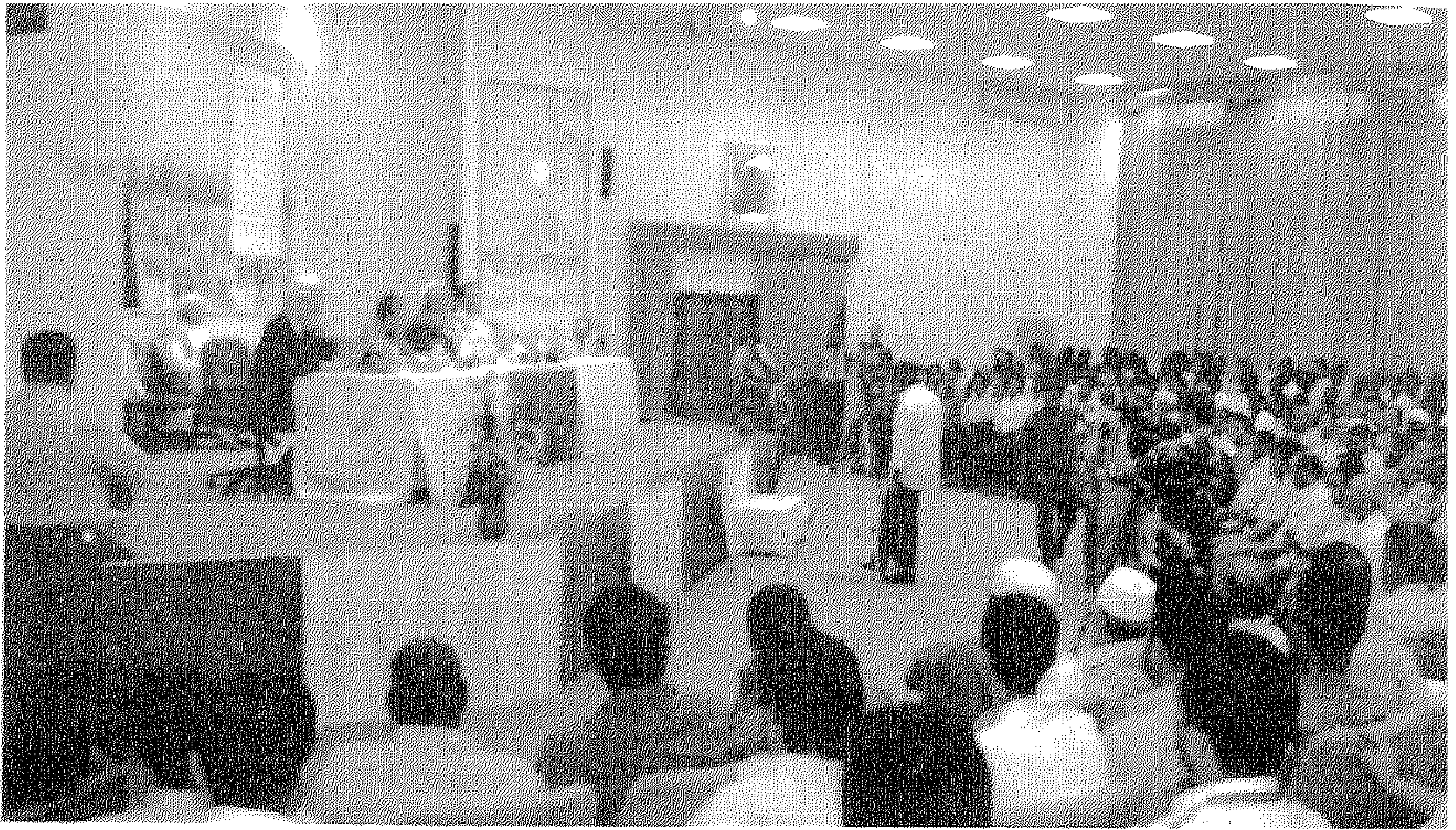
ندخل إلى البيت.. الأمة كلها ضاعت، وكل الأمة سبب المشاكل، ما بقي إلا بيتك أنت، ما رأيك في زوجتك؟ قال حريم آخر زمان، كل يوم تريد ثوبا وتريد الذهاب ولا يقنعها شيء، نذهب للزوجة، رجال آخر زمن، عيونه زائغة، ما رأيك في الآباء؟ الآباء لا يهتمون بنا ولا يجلسون معنا، ما رأيكم في الأبناء يا آباء؟ قال أبناء آخر زمان.. عقوق ولا يسمعون الكلام ولا يعرفون الأدب. من بقي؟ أنت، الأمة كلها سبب في ضياع الأمة إلا أنت. إذاً نحن نتكلم عن البداية، من هذا المكان ينبغي أن نفقه أن البداية أنت لحل مشكلات العالم، إن تكلمنا عن مشكلة عدم الاتفاق بين المسلمين فطبّق مشاكل عدم الاتفاق في نفسك مع بيئتك، وعندما تختلف مع زميل لك في الكلية أو يحصل سوء تفاهم بينك وبين أستاذ من الأساتذة، أو عامل النظافة، أو سائق التاكسي الذي تركبه (الأجرة)، أو المكان الذي تذهب إليه لتأخذ معاملة من المعاملات وحصل عدم اتفاق بينك وبين أحد هؤلاء ؛ فكيف تتصرف؟، تفهم لماذا الأمة لا تتفق اليوم، عندما تتكلم عن مشكلة ضياع الهوية.. ما هي هويتك أنت؟؟

من أنت؟ وما هي مهمتك؟

إخوتي.. مللنا من الشعارات التي هي مجرد شعارات، مللنا من النوح واللوم، نحن نقول إن الإسلام هو الحل، نقول الإسلام صالح لكل زمان ومكان، لكن ما هي الهوية التي تعيشها ضمن هذه الشعارات؟ من أنت؟ ما هو فهمك ومكوناتك؟ وما هو دور عقلك ودور جسدك؟ ودور نفسك؟ ودور قلبك؟ ودور روحك في هذا الوجود؟ من أنت وما هي مهمتك؟ إذا لم تفقه هذا التكامل في تكوينك وتركيبك فلن تفقه التكامل في دورك، ولن تفقه التكامل في مجتمعك، ولن تفقه التكامل في أمتك!! ولن تفقه أنك وريث للبنته ﷺ التي يكتمل بها بناء العالم.

نحن امتداد للعالم الذي سبقنا ولسنا انفصالا عن هذا العالم أو ضدية له.

إذا نظرنا إلى كثرة الكلام وقلة العمل، وربما أكثرت الكلام عليكم اليوم، وأعيدها عليكم: ما نسبة الكلام إلى العمل في يومي وليلتي؟ ما هي قدرتي على الاستماع؟ ما هي قدرتي على القراءة؟ ما نسبة قراءتي واستماعي إلى نسبة كلامي في اليوم والليلة؟ لا أعني في المحاضرات، ففي المحاضرات مستمع، ولا أعني في الاختبارات، ففي الاختبارات قارئ، لكن في تكوينك أنت، في شخصيتك أنت، ما هي نسبة حب الاستماع والمطالعة فيك لغير الشهادة ولغير المحاضرة؟ إذا وجدت فراغاً من الوقت في إجازة تقضيها في وقت



تقضيه مع أهلك ؛ فهل تشعر بأنه من المهم أن يكون وقتا لتقرأ فيه؟

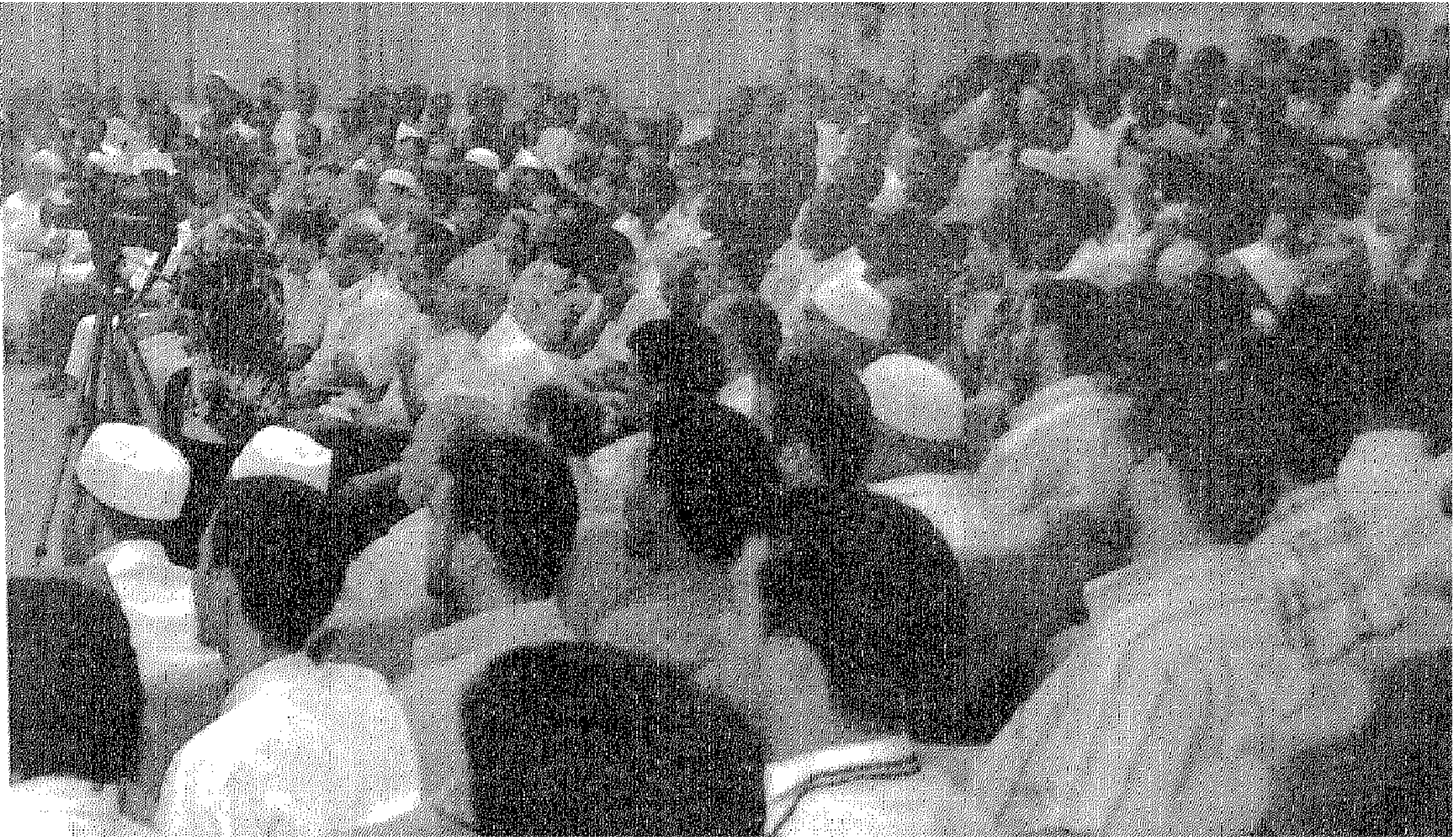
الذين يسافرون إلى الخارج يلاحظون شيئاً مهماً، فعندما نذهب إلى الغرب، وأيضاً إلى الشرق الذي تقدم في الحضارة الخدماتية؛ نجد أنهم لما شعروا بقيمة الوقت والحاجة إلى الاستزادة دائماً تجد أحدهم في القطار وفي الطائرة وفي الحافلة أو الباص يجلس ومعه كتاب، ما يخرج إلا والكتاب معه، لماذا؟ لأنه يشعر بأنه بحاجة إلى الاستزادة، ما هي حاجتي إلى الاستزادة اليوم؟ شعوري بأني محتاج أن أفهم أكثر، أتعلم أكثر، أستزيد أكثر، الشهادة لا تعني العلم، الرتبة الوظيفية العلمية لا تعني العلم، هناك ربما المشائخ والدكاترة والأساتذة يوافقونني، هناك بعض المشائخ الذين في القرى النائية التي ربما لا توجد فيها الوسائل الموجودة الآن، ولم يدخلوا مدرسة قط، فضلاً عن جامعة، فضلاً عن دراسات عليا، لو جلست مع أحدهم فستجد أنك مهما بلغت من الدرجة الأكاديمية أو الوظيفة العلمية ؛ تشعر بأنك تلميذ بين يديه، فحب الاستزادة موجود في نفسه، وهذا له ارتباط بما نتكلم عنه.

النقش على معالم واضحة

إذا تكلمنا عن إشكالية ترك الكتاب والسُّنة والإعراض عنهما والأخذ بهما ؛ فينبغي أن نفقه ما مقصودنا بالكتاب والسُّنة، النقش على معالم واضحة بصلتنا بالكتاب والسُّنة، الكتاب والسُّنة هما المرجع الأعظم لنا، هل هي صلة عقلية فقط؟ بمعنى أن عقلي يقرأ ويفهم ويأخذ ما قاله العلماء، أو صلة عقلية وجسدية فقط؟ جسد يقوم ويعمل ويطبق، أين صلة النفس بكتاب الله وسُّنته رسوله ﷺ؟ هل توافقونني يا إخوتي الشباب أن هذه هي إحدى المشاكل الصميمية لنا في ميدان إعداد الدعاة في خدمة الدعوة؟! صلتنا بالكتاب والسنة من وجهة مكون النفس فينا:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾
[سورة الشمس، الآيات: 7-10]

لو قرأنا كلام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب (الإحياء) ورأينا ما يتكلم به وينطق به ويشكوا به مرارة من العلوم الدنيا، أي العلوم الشرعية، الذين أخذوها للدنيا، أو مالت بهم الدنيا، وكيف لعبت بهم ؛ لفقهنا عظمة الحاجة إلى صلتنا بالكتاب



والسُّنة، لتكتمل صلتنا بالكتاب والسُّنة كعقول، وكأجساد تطبق ما تفهمه العقول .

من الممكن أن تحفظ وأن تقرأ وأن تبلغ رتبة الإفتاء، بل من الممكن أن تبلغ رتبة الاجتهاد إذا تكاملت فيك أدوات الاجتهاد ؛ لكن إن لم يكن ذلك مبنياً على معنى صلتك لخدمة هذا الدين، ولم يكن مبنياً على تزكية نفسك ؛ فعلمك وبالٌ عليك وعلى الأمة!! وكم عانت الأمة ممن انتسبوا إلى العلم فباعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل!!. ليست المسألة مجرد امتثال جسدي لأوامر الكتاب والسُّنة، جسد يركع ويسجد، جسد يمتنع عن الطعام ثم يأكل الطعام، جسد ينفق المال... الخ. ليست المسألة مجرد الامتثال الجسدي الآلي لكلام الكتاب والسُّنة دون الصلة بالمقصد من وراء ذلك.

إذاً نحن بحاجة إلى صلة بالكتاب والسُّنة يشعر فيها ومن خلالها بالمعنى الذي كان يجعل رجلا مثل (عكرمة) إذا أخذ القرآن بكى قبل أن يقرأ ما فيه، يمسك المصحف وينظر إليه ويرتج قلبه، ويقول: كلام ربي، كلام ربي، كلام ربي. وربما يغشى عليه خوفاً أو رجاءً أو شوقاً قبل أن يتأمل ما في الكتاب من آيات، هذا المعنى الذي استقر في نفس هذا الإمام نحن اليوم بحاجة إليه إذا أردنا أن نأخذ الكتاب والسُّنة ، بحاجة إلى أن نعيش هذا المعنى، أن يشعر الواحد منا بذوق صلته بالله، أن يشعر بذوق الشوق إلى الله، أن يفهم أحدنا اليوم ارتباط وضع الأمة في فلسطين والعراق وأفغانستان والبلقان والصومال... وفي مشارق الأرض ومغاربها ؛ أن يفهم أحدنا اليوم صلة وضع الأمة المرير، بتذوق روحه لمعنى الصلة بالله، والشوق إلى الله.

هل توجد صلة واضحة في ذهن واحد منا بين تغيير واقع الأمة، وبين أن تبيت أنت ليلة، وقلبك مشتاق، وروحك مشتاق إلى الله؟ إن لم تتضح تلك الصلة، وأراها غائبة اليوم عن كثير من أذهاننا، حيث الكل منا يقتنع بالإجمال أن حال الأمة لن يصلح إلا إذا صححت صلتها بالله، هل أحد عنده اعتراض على ذلك؟ كلنا مجمعون، وأعتقد أننا جميعا نجمع على أن مشكلة الأمة هي انفصال صلتها عن الله، لكن أين وضوح هذا المعنى عندما نقول للذي لديه حرقة على حال الأمة أيقظ معنى الشوق إلى الله في قلبك، عندما

نقول للمحترق من تحول المسلمين إلى أديان أخرى في بعض الأحيان ؛ نقول له أيقظ معنى الشوق إلى الله في قلبك.

أنتم المفتاح

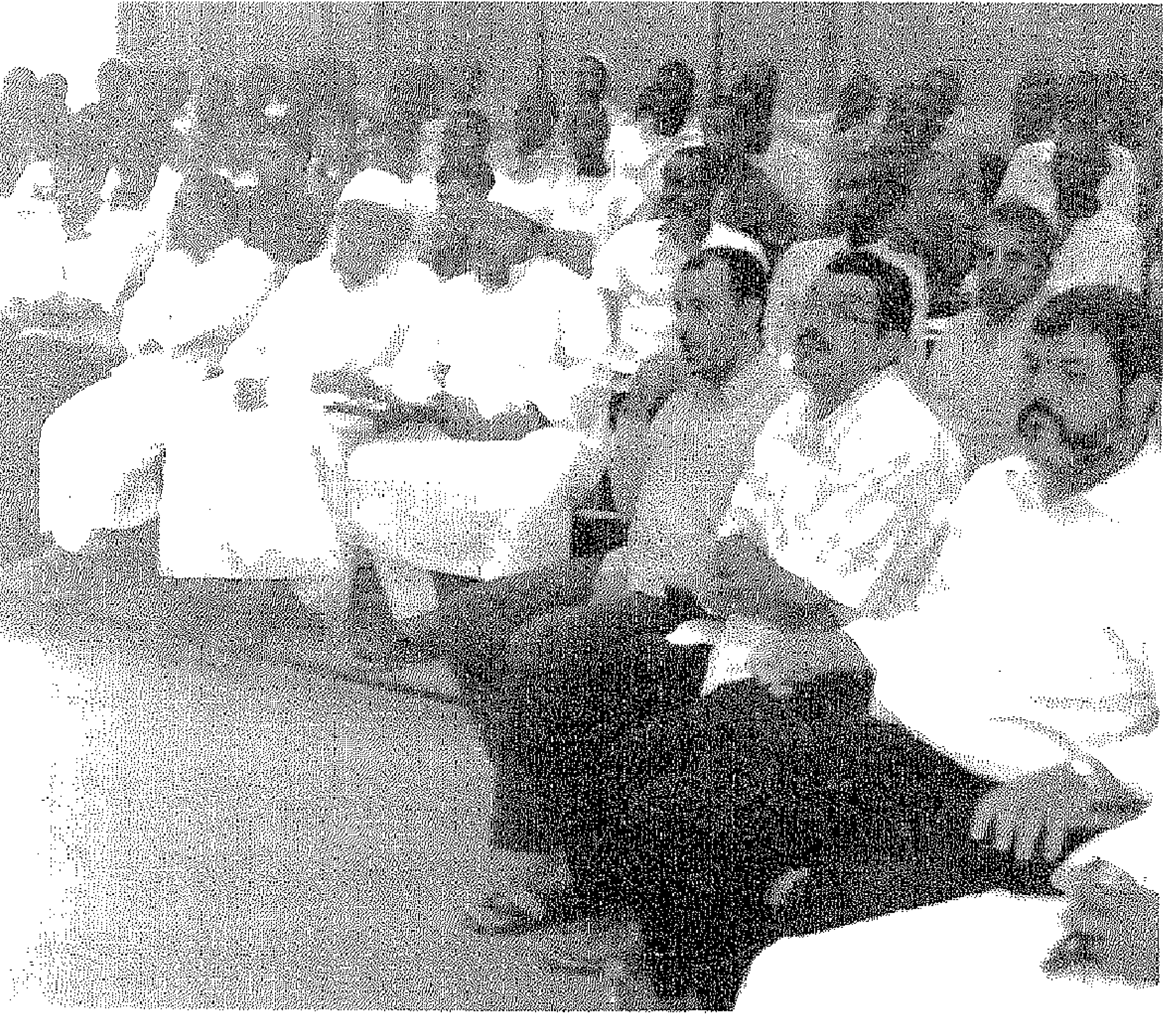
ولندخل الآن إلى خاتمة الكلام وهو مشكلات العالم. أنتم الذين أوقفتم أوقاتكم لله، أنتم محسوبون اليوم على الله، أي محسوبون على خدمة دين الله، آمل في طلبة الطب وطلبة الهندسة وطلبة القانون وطلبة التاريخ وطلبة علم الاجتماع... وكل هؤلاء، نحن بحاجة إليهم أن يكونوا في خدمة الله، لكن المفتاح أنتم، أنتم فقط، أنتم المفتاح ليلفت نظر طالب الطب وطالب الهندسة وطالب التاريخ وطالب الاجتماع وطالب القانون وطالب اللغات، يلفت نظره إلى مهمته، أنتم المفتاح، عندما يكون طالب في كلية الدعوة أو كليات الشرعية أو كليات الدعوة أو الإسلامية ؛ عندما يكون هذا الطالب في حال تأهب لينال الإرث عن الحبيب ﷺ، والإرث لعقله معلومات، ولجسده أفعال، لكن أيضاً لنفسه تزكيه، صلة الواحد منا بالآداب النبوية، مرتبطة بالحال مع الله سبحانه وتعالى.

وهنا دعوني أسأل: متى كانت آخر مرة تذكر أحدكم فيها صلته بربه فبكى حباً؟ ربما أحدنا بكى تقريباً خوفاً من الله وهذا عظيم، ربما بكى أحدنا حياء وهذا عظيم، ربما بكى أحدنا طمعاً في الجنة وهذا عظيم، لكن سؤالي محدد بدقة أكثر: من منا - يا شباب - بكى شوقاً إلى الله؟ من شدة حبه إلى ربه أبكاه الحب، شوقه إلى الله حركه، هيجه، من منا اشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ؟ ليس ليقص المرء أو ليعيش في عالم من الخيالات أو الغيبوبة.. لا، من اشتاق قلبه إلى أن يرى نبيه، لا يوجد إنسان يحب إنسانا لا يشتاق إلى رؤيته، ولا يوجد مؤمن يكمن إيمانه لم يبلغ حب رسول الله منه أنه فاض على حبه لنفسه، لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من نفسه.

هذا مدخل يترتب عليه أن الواحد منا يعيش لذوق هذه الصلة. إذا آوى إلى فراشه مرتبطاً بالأدب النبوي، تائباً إلى الله عز وجل، متطهراً، ومن يحرص على أن يبعثه الله في أحب الأوقات إليه، يستيقظ آخر الليل يقوم ويقول يا رب اهدني لخدمة دينك، كان بعض مشائخنا يقول: طالب العلم الذي ليس له وقت مع الله في الليل أنفض يدك منه، وكان بعض مشائخنا يقول: طالب العلم الذي لا يثقل عليه أن تفوته التكبيرة الأولى خلف الإمام في الصلاة في الجماعة أنفض يدك منه، وكان بعض مشائخنا يقول: طالب العلم الذي لا يشعر بالحسرة في فوات سُنة أو أدب من سنن وآداب النبوة لا يرجى له أن ينفع الأمة، هذا ليس من التشديد أو التقنيط، وهذا دافع إلى أن نلتفت بأنظارنا إلى هذا الأمر العظيم، صلتنا بتقويم أنفسنا من خلال ما نتعلم، ومن خلال ما نأخذ، وأن لا نجعل مشاكل الواقع تعطلنا عن أن نعمل، تعطلنا عن أن ننتج، عن أن نقوم

ما هي مشكلتنا اليوم؟
وأين تكمن؟
ومن هم السبب
في إشكالياتنا اليوم
كأمة؟





من أنت؟ وما هي مهمتك؟ إذا لم تفقه هذا التكامل في تكوينك وتركيبك فلن تفقه التكامل في دورك، ولن تفقه التكامل في مجتمعك، ولن تفقه التكامل في أمتك!!

بشيء، مشاكل الواقع مريرة، كما أنها عظيمة وخطيرة، لكن مفتاحها يبدأ بأن نكون حقيقة الدعاة، أو دعاة حقيقيين. اليوم بلدانكم بحاجة إليكم، وأكرر العالم محتاج إليكم، أنت يا من جاء من أدغال إفريقيا، إن الذين يعيشون في ناطحات سحاب بحاجة إلى المعنى الذي جئت تتعلمه في هذا المكان المبارك، هم بحاجة إلى أن تحيي فيهم أمراً هم بحاجة إليه، لكن لا يتأتى أن تؤدي هذا الدور قبل أن يحيا فيك أنك، سلوكك، نظرك. طالب العلم، كيف يعد نفسه مهيئاً بأن يكون عالماً، عاملاً مجدداً للأمة، من يستسهل أن ينظر إلى الحرام؟ والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس المرجوم، من تركها من مخافة الله أبدلها الله بها إيماناً يجد حلاوته في قلبه، من يرى في نفسه أنه بحاجة إلى حل مشاكل النفس، أن يغض البصر.

ويجب أن لا يغيب عن بالنا أننا لا نعد عدة لنتجبر في الأرض، أو لنكون جبارين في الأرض، ليست مهمتنا أن نخضع الأرض، ومن على الأرض، مهمتنا أن نعبد قلوب أهل الأرض لله، وإذا فقهنا الفرق بين مهمة نظرنا فيها مقصور على السيطرة إلى مهمة من قال الله له لست عليهم بمسيطر، مهمتك هداية للقلوب، هذه أول هذه لبنة، أو هذه خطوة، إذا خطوناها كبداية ونحن في هذه الكلية المباركة فستكون بداية لخطوات أخرى تكتمل وتتكامل وتتسع حتى يظهر وعد الله سبحانه وتعالى.

والذي أحب أن أختم به هذه المحاضرة هو قولهﷺ: (زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها وإن ديني - وفي رواية مُلكي - سيصل إلى ما زوي لي منها. فوالذي نفس محمد بيده لن يبقى على وجه الأرض بيت شعر أو مدر أو حجر إلاّ دخله ديني بعز عزيز أو بذل ذليل)

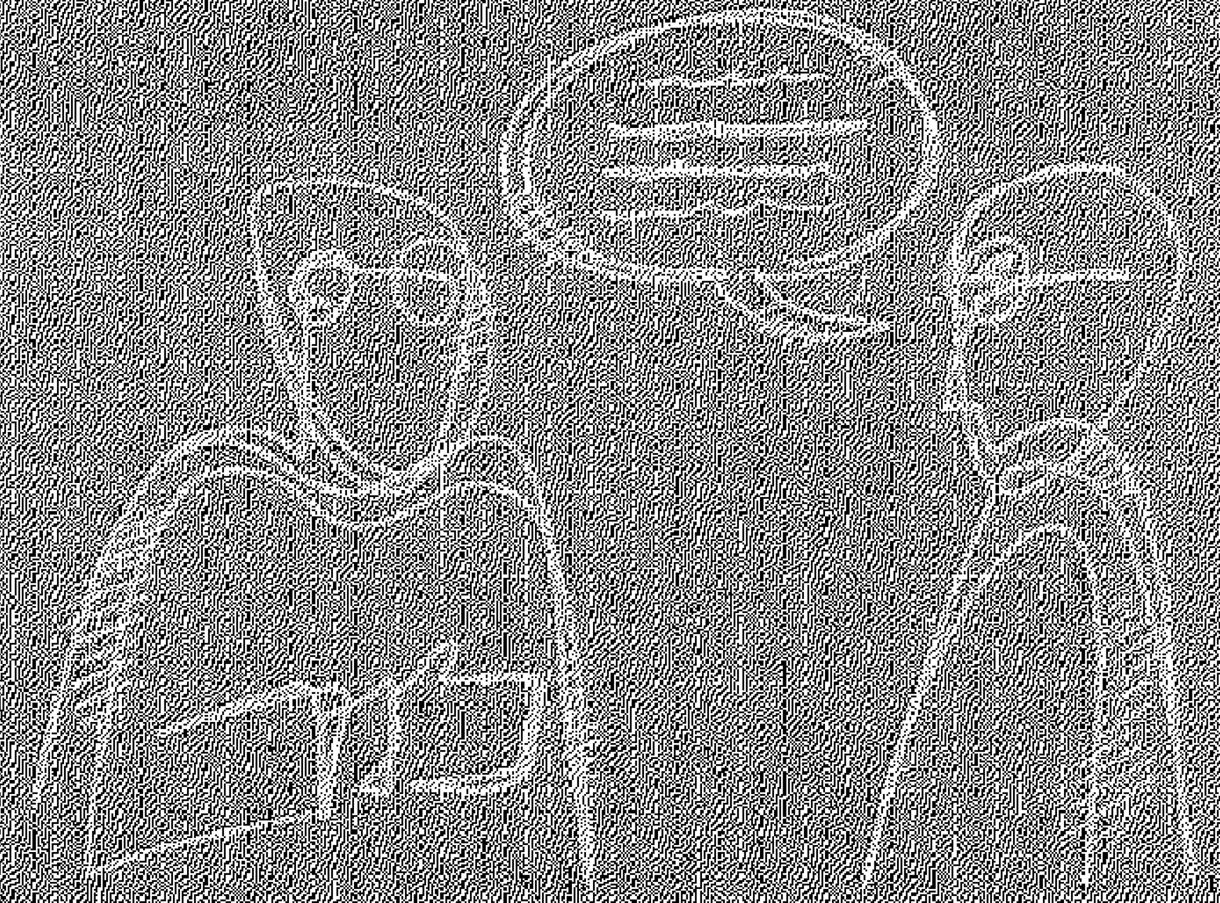
فانظروا.. ولينظر كل منكم: هل انتشار الدين اليوم بعزه أو بذله؟ من أخذ المعنى بكماله وبهمته وبصدقه فسيكون انتشار الدين بعزه، ومن أغفل الأمر فسيكون انتشار الدين بذله.

أسأل الله أن يعزنا بهذا الدين، وأن يذيقنا لذة الذلة بين يديه حتى يعتقنا من التذلل لخلقه..

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..





جسر التواصل.. وجزر السلام

وزير العدل الإيطالي

د. كليمنتي ماستيلا:

من الشرق ينبعث النور

جسر التواصل.. وجزر السلام

وزير العدل الإيطالي

د. كليمنتي ماستيلا:

من الشرق ينبعث النور

حاوره: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل*
قامت بالترجمة: آمال المغربي**

يكون الحوار مغرياً حين يتم مع أوروبي يلامس - وبشكل واضح وجلي - خطوط التماس الحضارية والثقافية والسياسية بين الشمال والجنوب، بين الشرق والغرب، بين الإسلام والمسيحية.. ويزداد الحوار إغراءً حين يكون مع سياسي، مثقف، تشكل بلاده أولى نقاط هذا الالتماس جغرافياً وحضارياً ودينياً.

وتتعدد الألوان الجاذبة في مكونات شخصية الدكتور (كليمنتي ماستيلا) باعتباره خبيراً بكل أنواع الحوارات، حيث عمل بالصحافة الإيطالية فترة من الزمن، وكان مسؤولاً عن قسم الإعلام والنشر بالحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي، وهي خبرة مكنته ولا شك من إدراك ما يرمي إليه محاوره، وكونه وزيراً للعدل في الحكومة الإيطالية اليوم، يضعه في موقف أكثر حرصاً، خاصة حين يقترب الحوار من خطوط التماس التي قد تشكل تعارضا بين ما هو سياسي وماهو ثقافي.



كليمنتي ماستيلا

* كاتب وصحفي وأستاذ جامعي / ليبيا
** مترجمة/ ليبيا.
الصور/ عبد الباسط بن غزال

لكن الدكتور (كليمنتي) مع كل ذلك وغيره لم يكن منغلقا في حواري معه، الذي جرى بطرابلس، صحيح أنه تحدث باعتباره مثقفاً أحياناً وبصفته سياسياً أحياناً أخرى، وبين الثقافة والسياسة التقاء وافتراق، فمن تفرقهم الثقافة ربما تجمعهم السياسة، ومن تفرقهم السياسة ربما تجمعهم وتوحدهم الثقافة، كما أن هناك مكونين آخرين ضمن مكونات هذه الشخصية المتعددة المواهب، أولهما دراسة الدكتور (كليمنتي) للأدب الإيطالي، والثاني انتماؤه للجنوب الإيطالي حيث ولد وعاش في بيئة ريفية، من هنا، فإن الحوار معه جاء أوسع بكثير من الحوار مع سياسي آخر، فدراسته الآداب الإيطالية منحته بلا شك مساحة أوسع لرؤية القضايا بمنظار إنساني، أما انتماؤه للجنوب فيعني تاريخيا وجغرافيا وثقافيا أنه قريب جدا من خطوط التماس الحضارية، بين الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط وشاطئه الجنوبي..

المنابع والمصادر الحضارية

إيطاليا مهد الحضارة الرومانية، التي لا تزال آثارها بادية للعيان على شواطئ البحر المتوسط، إيطاليا اللغة اللاتينية الأم، لعدد من اللغات المعاصرة، إيطاليا دافنشي ومايكل انجلو وميكيافيللي، إيطاليا الفاتيكان، إيطاليا الممتدة في عمق البحر المتوسط، إيطاليا النائمة في جنوب الشمال والأقرب إلى شمال الجنوب؛ أثرت وتأثرت، طفت وغرقت، اتسعت وضاقت، من بين أهم النوافذ التي يمكن من خلالها أن نلمس البصمات الحضارية بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب؛ **يقول السيد كليمنتي عن ذلك:** نحن نشاطر سويا قيمنا الجوهرية، لأننا ورثنا الحركة الثقافية في القرن الرابع عشر بنفس التوجه المنبثق عن الحركة الأدبية والعلمية والفلسفية التي ظهرت في إيطاليا في القرن الرابع عشر لتنتشر لاحقاً في القارة الأوروبية، وأيضا القيم التي تعتمد على نفس الثروات الروحانية، ثقافاتنا وحضاراتنا تتغذى من المنابع والمصادر نفسها، وهذا ما يجعلها قريبة من بعضها، ويعتبر الأمر المهم والذي يميزها عن بعضها البعض.

الإسلاموفوبيا
رؤية للمزيد من الانقسام

كلماته تلك عن المنابع والمصادر المشتركة كانت مدخلا مشجعا للاقتراب أكثر من أهم القضايا المثارة على الساحة الأوروبية، وكنت حين التقيته وحاورته أستعد للمشاركة في ندوة عن دور وسائل الإعلام في إيضاح خطورة (الإسلاموفوبيا: مرض الخوف من الإسلام أو الخوف المرضي من الإسلام)، تنظمها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في مدينة حلب الشهباء باعتبارها عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2006 مسيحي. سألته ما الذي يمكن أن يقوله حول هذه المشكلة باعتباره من المثقفين والسياسيين في إيطاليا أولا وفي أوروبا ثانياً، وكونه على اتصال مباشر بالإسلام والمسلمين من خلال موقعه ومن خلال التفاعل الحضاري بين ضفتي البحر المتوسط، **قال السيد كليمنتي:** بشكل شخصي، وعلى المستوى الثقافي فإنني ضد أولئك الذين يسيرون في هذا الاتجاه، أعني الذين ينظرون إلى الإسلام نظرة ترتبط فقط بالتطرف، وتقتصر على هذا الفهم، قطعا تنبثق من هذه النظرة رؤية تستحوذ على البعض حيال العالم الإسلامي، وذلك ربما يكون من أجل أهداف شخصية،

د. كليمنتي: أنا ضد الذين ينظرون إلى الإسلام نظرة ترتبط بالتطرف.

ومن شأن التطرف والنظر إلى الإسلام من هذه الزاوية أن ينقلنا إلى مزيد من الانقسام، وإلى مزيد من المنازعات، وعدم القبول المتبادل، كما أن كل ذلك من شأنه أن يؤدي بنا إلى انعدام احترام الإنسان أخيه الإنسان.

وقال: من عدم الاحترام المتبادل تولد فكرة غير صحيحة لدى البعض الذين يرفضون الحوار والسلم، وهؤلاء موجودون في مجتمعاتنا الغربية، إن بعض تلك التوجهات المعادية للتعايش موجودة في ثقافتنا الغربية أيضا.. نحن نطالب دائما بإزالة الجدران الفاصلة.. العنف يقابله عنف، العنف الثقافي يقابله عنف ثقافي آخر، عندما يرتفع جدار هنا سيرتفع جدار هناك، عدم القبول ورفض التعايش يقابله رفض التعايش وعدم القبول، وهذا بالطبع سيكون على حساب جهود ذوي النوايا الحسنة..

الحرية الشخصية تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين. هنالك نقاط عديدة من شأنها أن تساعد على تفادي التعارض والنزاع



❖ **قلت متسائلاً: وماذا يتوجب علينا فعله إزاء هذا البعض؟**

قال: عندما يحاول البعض تغيير أو تحريف المبادئ الدينية الحقيقية والمقدسة سواء في المسيحية أو الإسلام فإن علينا أن نضع ذلك البعض في الإطار الصحيح، حتى نستطيع أن نخطو خطوة إلى الأمام، يسود بيننا الاحترام العميق، والقبول المتبادل بعيوبنا ومحاسننا، لأننا ينبغي أن ندرك أنه بإمكاننا أن نتعايش بسلام.

وفي إشارة منه إلى (الجسر) الذي اختارته مجلة (التواصل) رمزاً للتواصل دون إقصاء أو منع، قال **الدكتور كليمنتي وهو يمعن النظر في الشعار المذكور:** علينا أن نبني معاً عن طريق وبمساعدة هذا الجسر الذي ربما يشير إلى أكبر بكثير مما نقوم به، إنه رمز حقيقي واقعي يمس ضمائرنا التي ينبغي أن تكون حرة مرتبطة بروح الدين الإسلامي أو المسيحي، وبعد أن نعبر هذا الجسر يجب أن ننطلق وتنبثق جزر السلام..

حاولت أن أقترب أكثر من قضية تقض مضاجع الجميع، ورأيت أن يكون المدخل لطرحها سياسياً، قضية اختلطت فيها السياسة بالثقافة.

قلت: الاتحاد الأوروبي فضاء يسعى إلى تحديد ملامحه كمنظومة جديدة تسوده مصطلحات مثل تعدد الثقافات والأعراق، كيف يا ترى تحللون ما بات متداولاً إعلامياً وسياسياً وثقافيا، أعني: (الإسلام والغرب)، هل تنظرون إلى الإسلام باعتباره (آخر) بالنسبة للغرب؟ هل من الصواب أن نضع (الإسلام) في مواجهة (الغرب) جغرافيا وثقافياً؟

... عندما نتصور أن إله إبراهيم والمسيح ومحمدﷺ هو الإله نفسه..

أدركت أن الدكتور كليمنتي اختار حين أجاب عن تساؤلي هذا أن يكون سياسياً فقال: أوروبا تاريخياً تعتبر منطقة ذات كثافة مسيحية، وأعتقد أن من بين الجوانب الإيجابية المنبثقة عن العولمة أن على الذين يدينون بعقائد مختلفة أن يحترموا عقائدهم من خلال احترامهم عقائد غيرهم، ولهم أن يمارسوا عقائدهم، ويفرضوا احترام الغير لهم حتى لا يتولد هاجس أو شك بأن ديانتنا أفضل من الديانة الأخرى، ينبغي ألا تكون هناك فكرة مسبقة بالتفوق لا من الناحية الدينية ولا من الناحية الثقافية، ولكن عندما نتصور أن إله (إبراهيم والمسيح ومحمدﷺ) هو الإله نفسه فإن الإشكاليات والمشاكل ستزول حتما، إن رؤية الإله الواحد من زوايا متعددة ينبغي ألا تحول دون توحدنا معاً.. لأننا حين نحاط بالسلام فإنه بإمكاننا أن ننظر



ماستيلا وجسر (التواصل)

بهدوء أكثر إلى المشاكل المحيطة بنا، والتي ربما تكون مجرد مشاكل اجتماعية أو اقتصادية أو مالية ناتجة عن قصور في معدلات التطور هنا أوهناك، وفي كل الأحوال من الممكن توحيد الشعوب والحضارات، وهذا ما علينا أن نقوم به، هذه هي مهمتنا الكبرى والتاريخية، إنها مهمة ثقافية ودينية، علينا أن نصنع ما من شأنه أن يقبل تعدد الثقافات والأعراق..

قلت: سألتك عن (الإسلام والغرب)، وقد أدركت أبعاد ما ترمي إليه، لكننا لا يمكن بأي حال أن نغض النظر عن ذلك، فمن الشرق ظهرت كل الرسالات السماوية التي بشر بها الأنبياء أمثال: (إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم السلام، وهذا أمر لا يمكن تجاوزه أو تجاهله..

قاطعني قائلاً: «نعم، من الشرق تشرق الشمس وينبعث النور»، أحسست أنه اختزل في جمل قصيرة أشياء كثيرة، ولذا حاولت أن أستثير فيه الإعلامي والسياسي فقلت: ثمة مشكلة إعلامية في ما يعرف بـ(الغرب)، حيث إنه في الوقت الذي ترتفع فيه أصوات تدعوا إلى الحوار والتفاهم والتعارف والتواصل ترتفع أصوات هنا وأصوات هناك، وتحت مظلة ما يعرف بـ(حرية الرأي وحرية التعبير) وتسوق مصطلحات وآراء سلبية من شأنها أن تلحق الأذى والإساءة بحضارات وعقائد وشعوب عبر مؤسسات رسمية أحيانا.. صحيح أن الجميع يرحب بـ(حرية الرأي)، لكنها لا يمكن أن تعتبر حرية حين تلحق الأذى والإساءة بالآخرين، إن حرية شخص لا ينبغي لها أن تنال من حرية غيره..

التربية عن طريق الثقافة واحترام القيم

التقط الدكتور كليمنتي الفكرة، وقال بوضوح: إنني أتفق معك تماماً في أن الحرية الشخصية تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين، وهناك نقاط عديدة من

من السيرة الذاتية

- من مواليد مدينة شيبالوني ـ بلدية بينا فينتو بجنوب إيطاليا بتاريخ 1947/7/5، وعمل عميداً لهذه البلدية من عام 1987 حتى عام 1992 ثم عام 2003.
- يحمل دكتوراه في الآداب الإيطالية، وعمل بالصحافة الإيطالية.
- يشغل حالياً أمين عام حزب أوديور (UDEUR) حزب الاتحاد الديمقراطي الأوروبي.
- كان عضواً بالحزب الديمقراطي المسيحي.
- تم انتخابه لعضوية مجلس النواب عام 1976 وأعيد انتخابه عام 1979 وكان مسؤولاً عن قسم الإعلام والنشر بالحزب الديمقراطي المسيحي.
- عمل وكيلاً لوزارة الدفاع في حكومة جوليو أندريوتي (الحكومة السادسة والسابعة) كما عمل عضواً بلجنة الشؤون الدستورية في الحكومة الثامنة والتاسعة، وعمل عضواً بلجنة الشؤون الثقافية في الحكومة العاشرة، وفي عام 1992 (الحكومة العاشرة) تم انتخابه عضواً بمجلس النواب واختير لعضوية لجنة الدفاع.
- عام 1994 تم انتخابه لعضوية مجلس النواب، وتولى منصب وزير العمل في حكومة سلفيو برلسكوني.
- عام 1995 عمل عضواً بلجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب.
- عام 1996 ـ 1998 تم انتخابه لعضوية مجلس النواب، عمل نائباً لرئيس مجلس النواب وعضواً بلجنة الدفاع.
- عام 1999 ـ 2004 عضواً بالبرلمان الأوروبي.
- عام 2002 أعيد انتخابه لعضوية مجلس النواب، وعمل نائباً لرئيس المجلس.
- في انتخابات شهر الطير 2006 تم انتخابه عضواً بمجلس الشيوخ.
- عين وزيراً للعدل بتاريخ 2006/5/17.



شأنها أن تساعد على تفادي التعارض والنزاع.. على المدى البعيد لا بد من أن تكون هناك تربية عن طريق الثقافة، عن طريق الأسرة، عن طريق احترام القيم، ولابد أن يكون هناك فاصل بين حرية التعبير المسموح بها وبين الإساءة، هناك حاجة ماسة إلى الحكمة، وأحيانا إلى القوانين..

لابد لي من القول، إن لدينا في أوروبا قوم غير متسامحين، للأسف هناك متطرفون، وهناك متطرفون أيضا بين الذين حولنا، علينا جميعا أن نضع حدا للتطرف، وأن نعمل للاستفادة بكل الطرق من الذين يعيشون بيننا، نستفيد من معارفهم، إنهم يعيشون بيننا باعتبارهم شعوبا لها ثقافاتها وعاداتها..

إذا توفرت الفرص فإنني أعتقد أنه بالإمكان عزل كل من يريد أن يرعب الآخرين، وعزل من يتسبب في إشعال النار، ومن يتسبب في إلحاق الضرر بالآخرين، إن الذين يحاولون إضرام النار لا يحترمون القوانين ويرتكبون الجرائم، وهؤلاء لابد من عزلهم.. أنا هنا لا أدعو إلى الطمس أو الضغط أو الإقصاء، ولكنني أدعو إلى احترام كل من يحترم التعبير وحرية الثقافة، أحترم الحرية، ولكنني ضد الإساءة تحت مظلة الحرية وباسمها..

للدكتور كليمنتي مشاعر واضحة حيال الإسلام والمسلمين، يعلنها دونما تردد، ليس من قبيل العمل السياسي، ولكن من باب آخر، قال: أود أن أتوجه بالتقدير والاحترام إلى كل المسلمين، وهم الأكثر عددا في العالم، والذين يعيشون في حقيقة الأمر مع الإسلام انطلاقا من الاعتدال والتسامح في منظور ورؤية تعتمد على قبول الآخر بكل ما بوسعه، ولتغذية الحوار بيننا



من لقاءات الحوار التي نظمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

وتعزيزه يجب علينا أن نحسن المعرفة المتبادلة لثقافاتنا وحضاراتنا..

يخيل إليّ أنه حاول أن يفصح أكثر عن ما يراه بوضوح حيال القضايا المعاصرة، خاصة ما تعيشه الشعوب المسلمة من إحباط، وهو يرى أن هذه الأوضاع كانت مسؤولة نسبياً عن الأوضاع المقلقة، ولذا قال: الشعوب المسلمة استطاعت أن تنسجم مع الحداثة، وللأسف ـ كما تعلمون ـ فإن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدناها في السنوات الأخيرة والإحباطات ومظاهر مشكلة التهميش الاجتماعي أدت إلى ظهور حركات متطرفة تستخدم الإسلام لأغراض ممارسة العنف، ولكن نحن جميعا نعلم جيدا أن لا صلة للإسلام بالتطرف..

لن نقبل أبدا بميلاد جدار جديد

ويبدو أن الدكتور كليمنتي وجد في كلمات (ليوحنا بولس الثاني) ما يسند رأيه، ولذا أوردها كدليل على ما ذهب إليه، قال: وما ذهبت إليه هو ما قاله البابا يوحنا بولس الثاني منذ عشر سنوات مضت، في مدينة أسيسي بإيطاليا «الديانات لم تبرر على الإطلاق الكراهية والعنف، والسبيل لتجاوز الشك والصراعات هو الحوار، الحوار لا يضعف هُوية أحد، ولكن يدفع كل رجل وامرأة لرؤية ما هو أفضل في الآخر، حيث لا يضيع شيء بالحوار، وكل شيء يكون ممكناً».

علينا ألا نتجرأ ونبالغ في إصدار الأحكام، كما يجب أن ندين التطرف، وأن نتصدى لكل أولئك الذين يشرعون اللجوء إلى العنف ويحاولون بناء حدود اصطناعية بين الإسلام والغرب..

إيطاليا وأوروبا بأكملها لا تقبل، ولن تقبل أبدا بميلاد جدار جديد، لأن العالم قد عانى بما فيه الكفاية من تقسيمات الماضي، نحن نرفض بشدة



ماستيلا يطلع على إحدى طبعات صحيفة (الدعوة الإسلامية)

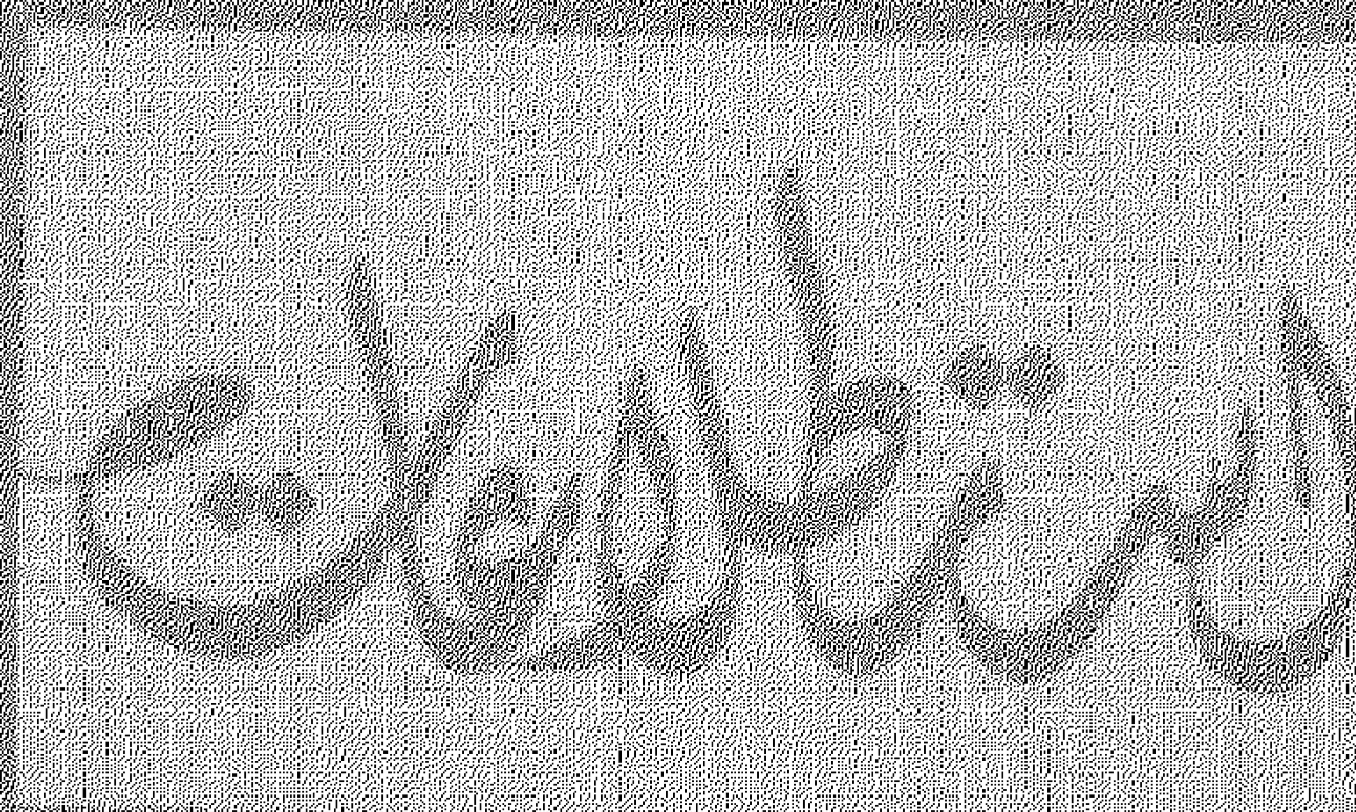
فكرة أن الصدام بين ثقافاتنا ودياناتنا أمر لا يمكن تفاديه، ذلك لأننا على قناعة تامة بأن دفع وتشجيع الحوار سيساهم في عزل التطرف وتثبيت السلام والتطور والاستقرار..

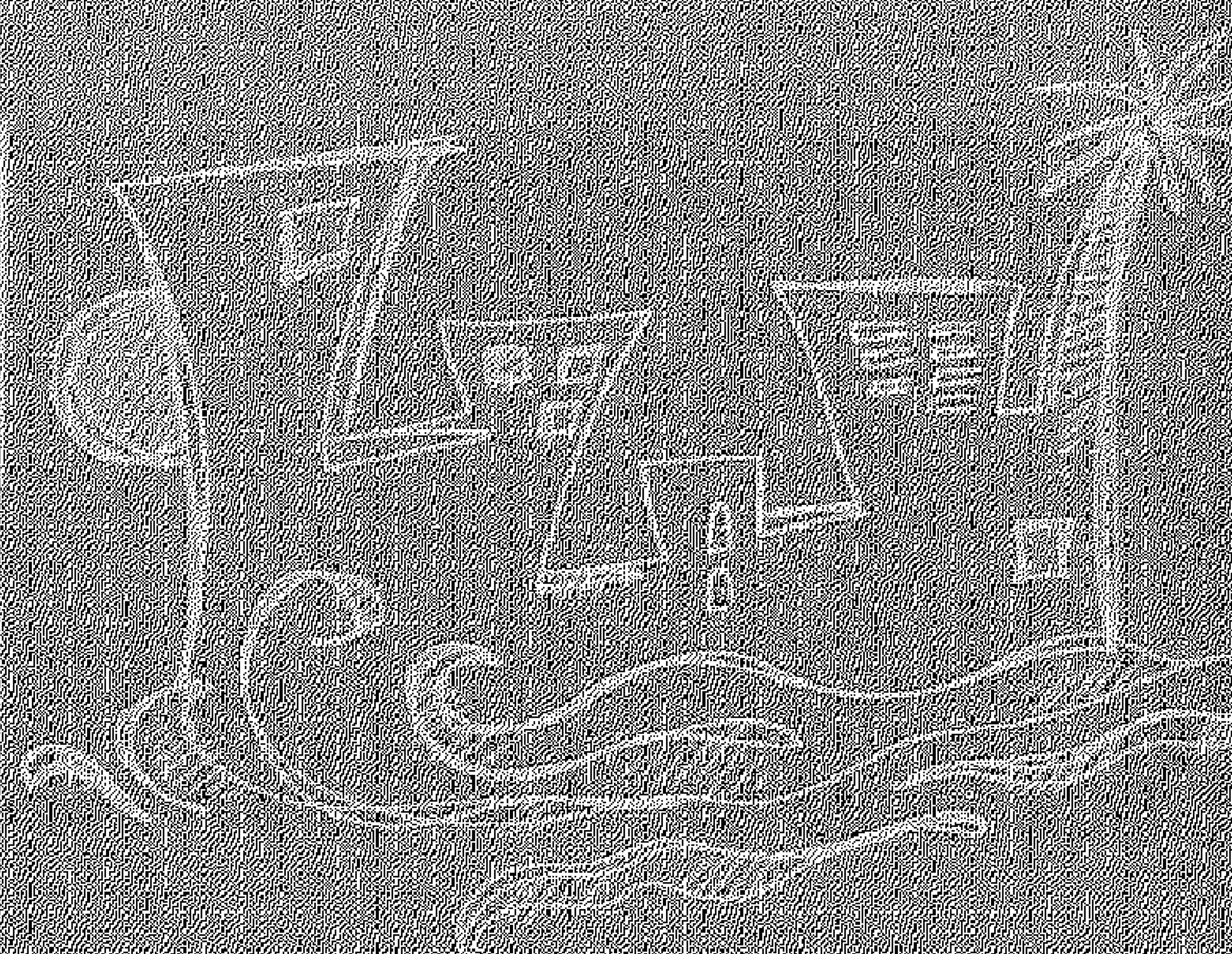
يبدو أن الدكتور كليمنتي يعي تماماً ما يقول، ولذا قال بوضوح لا لبس فيه: يمكنني أن أؤكد لكم بأنني سأكرس نفسي وكل طاقتي كمسؤول اعتباري للمساهمة في الوصول إلى هذا الهدف الأساسي والذي لا يمكن العدول عنه..

المجتمع الجماهيري هو مجتمع الخير والقيم النبيلة

لم ينس السيد الدكتور كليمنتي ماستيلا وزير العدل الإيطالي، أن يفرد مساحة مهمة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية والجماهيرية، حيث قال: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تعمل بفاعلية منذ ثلاثة عقود في سبيل تشجيع الحوار بين الثقافات والديانات، ومنذ أكثرمن ثلاث سنوات مضت - وأنا فخور بأن أقول ذلك، عقدت هذه الجمعية المهمة اجتماع الدورة الخامسة عشرة لمجلسها العالمي بمدينة روما، بحضور صديقي وصديقكم فرانشيسكو كوسيجا رئيس الجمهورية المعروف لدى الجميع.. لذلك أود أن أنتهز هذه الفرصة لأتوجه لكم جميعا بكلمة سلام وصداقة..

إن الجماهيرية العظمى، وحسب ما ورد في الوثيقة الكبرى لحقوق الإنسان، فإن المجتمع الجماهيري هو مجتمع الخير والقيم النبيلة، فهي تدرس المبادئ والقيم الإنسانية، هدفه تحقيق مجتمع إنساني بعيد عن العنف والحروب والاستغلال والإرهاب، وتنعدم فيه الفوارق بين الناس.

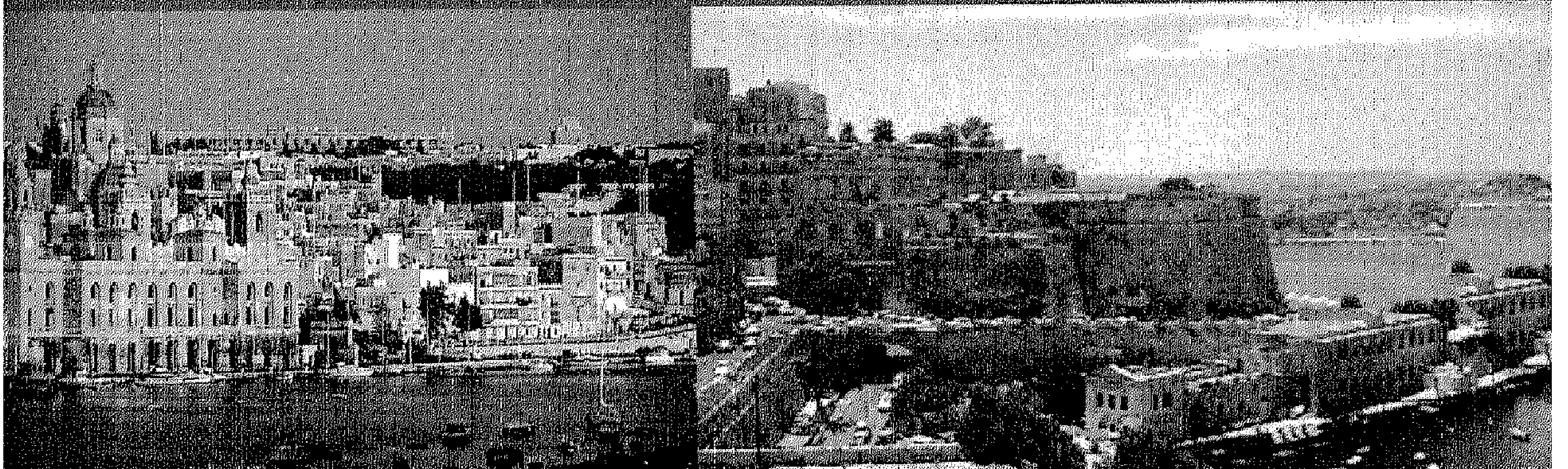


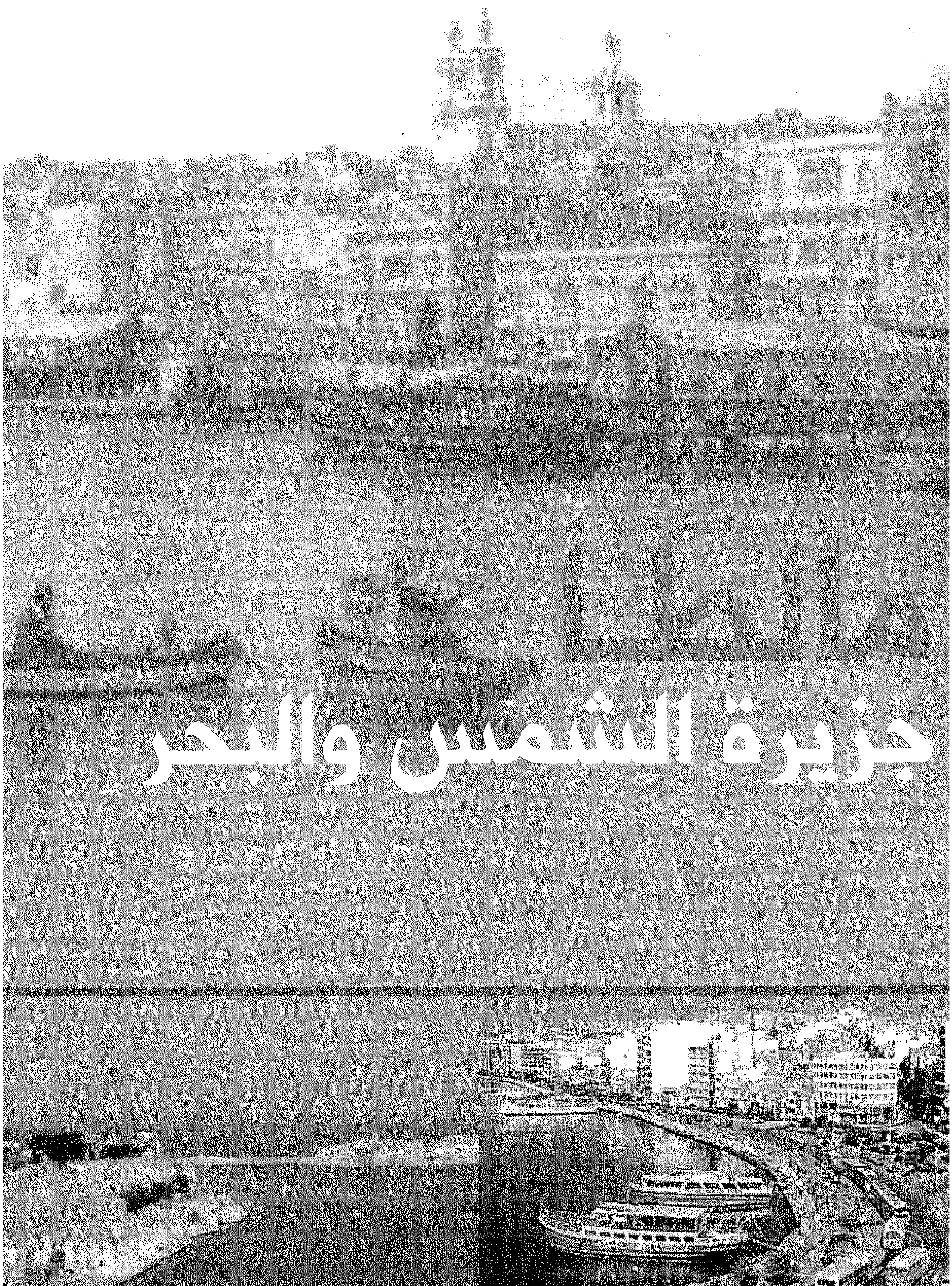


مالطا

جزيرة الشمس والبحر

مرتحلات




مالطا
جزيرة الشمس والبحر

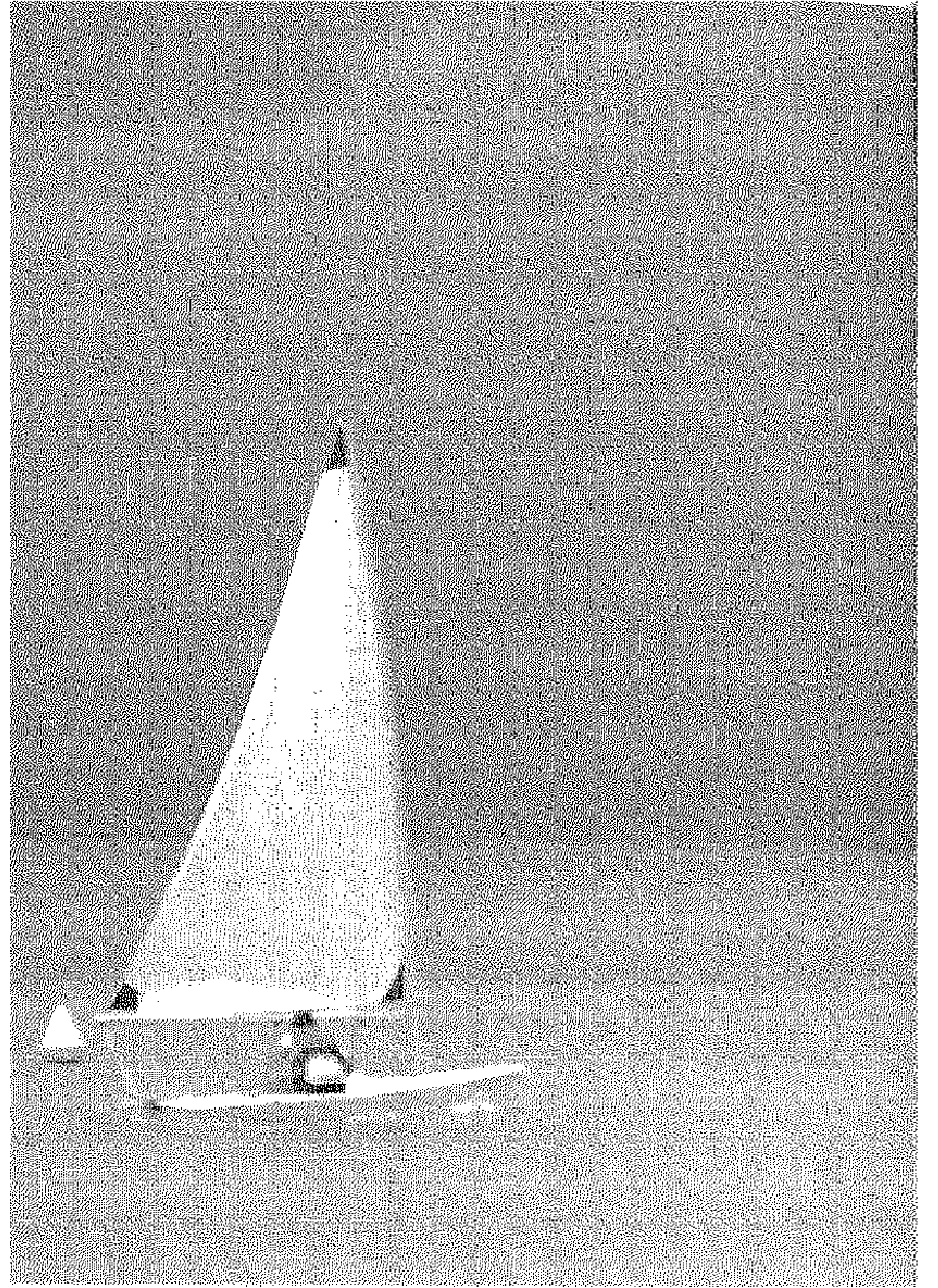
هكذا يحب المالطيون أن توصف أو تنعت بلادهم، جزيرة الشمس والبحر، وهي فعلا كذلك ...!!!
مالطا جزيرة صغيرة رائعة، رغم أنها لا تكاد ترى على الخريطة إلا بإشارة سهم إليها، وذلك لصغر حجمها، وهي عبارة عن قمم جبلية بارزة وسط الماء، وتنتشر المرتفعات وسط الجزيرة، وتحيط بها سهول غربية وشرقية، ولا يذكر إسمها أمام أحد سبق له زيارتها، إلا وانتزعت منه ابتسامة إعجاب عريضة.

إعداد: عبد الرحمن فروجا*
محمد حسن جحا**
ترجمة: محمد العالم***

تقع مالطا في قلب البحر الأبيض المتوسط، في منتصف الطريق بين جبل طارق والاسكندرية، وجزيرة صقلية والشمال الإفريقي، ولهذا فقد كانت دائماً مفترقاً رئيساً للطرق التجارية وللأطراف المتحاربة في هذا البحر المغلق. وتتكون من عدة جزر، ثلاث جزر رئيسة مأهولة وهي: مالطا MALTA، وغوزو GOZO، وكومينو COMINO. أما الجزر غير المسكونة فهي كومينوتو، وفلفلة، و جزيرة القديس بولص. هذه الجزر نشأت كبقايا للوصل الجغرافي الذي كان يوماً ما، يربط قارتي أوروبا وإفريقيا سوية. وتبعد مالطا عن المغرب العربي أو الشمال الإفريقي بحوالي 290 كيلومتراً (180 ميلاً)؛ في حين تبعد عن جزيرة صقلية الإيطالية (Sicily) من ناحية الشمال بحوالي 93 كيلومترا (58 ميلاً). وتبلغ مساحة مالطا الكلية ما يقارب 316 كيلومتراً مربعاً (122 ميلاً مربعاً)؛ يشغلها حوالي أربعمائة ألف نسمة، تدين غالبيتهم - أي حوالي 95 ٪ منهم - بالمذهب الكاثوليكي. ونظراً لصغر حجم الجزيرة فإن الكثافة السكانية فيها عالية، حيث تقدر بحوالي 1198 لكل كيلومتر مربع؛ هذه النسبة تجعل منها ثالث أعلى بلد بالعالم من حيث الكثافة السكانية. 94 ٪ من سكان البلاد يسكنون في المدن. يتركز معظمهم في عاصمتها فاليتا Valletta إذ يقطنها أكثر من سبعين ألف نسمة، وتبلغ نسبة الأجانب حوالي 5 ٪ من مجموع السكان..

أما الجزيرتان الصغيرتان الأخريان فهما: جزيرة (جوزو Gozo) فيقطنها حوالي 30 ألف نسمة، وجزيرة (كومينو Comino) التي لا يتجاوز عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة.

* باحث / مالطا
** كاتب وإعلامي وأستاذ جامعي / ليبيا
*** مترجم وصحفي / ليبيا

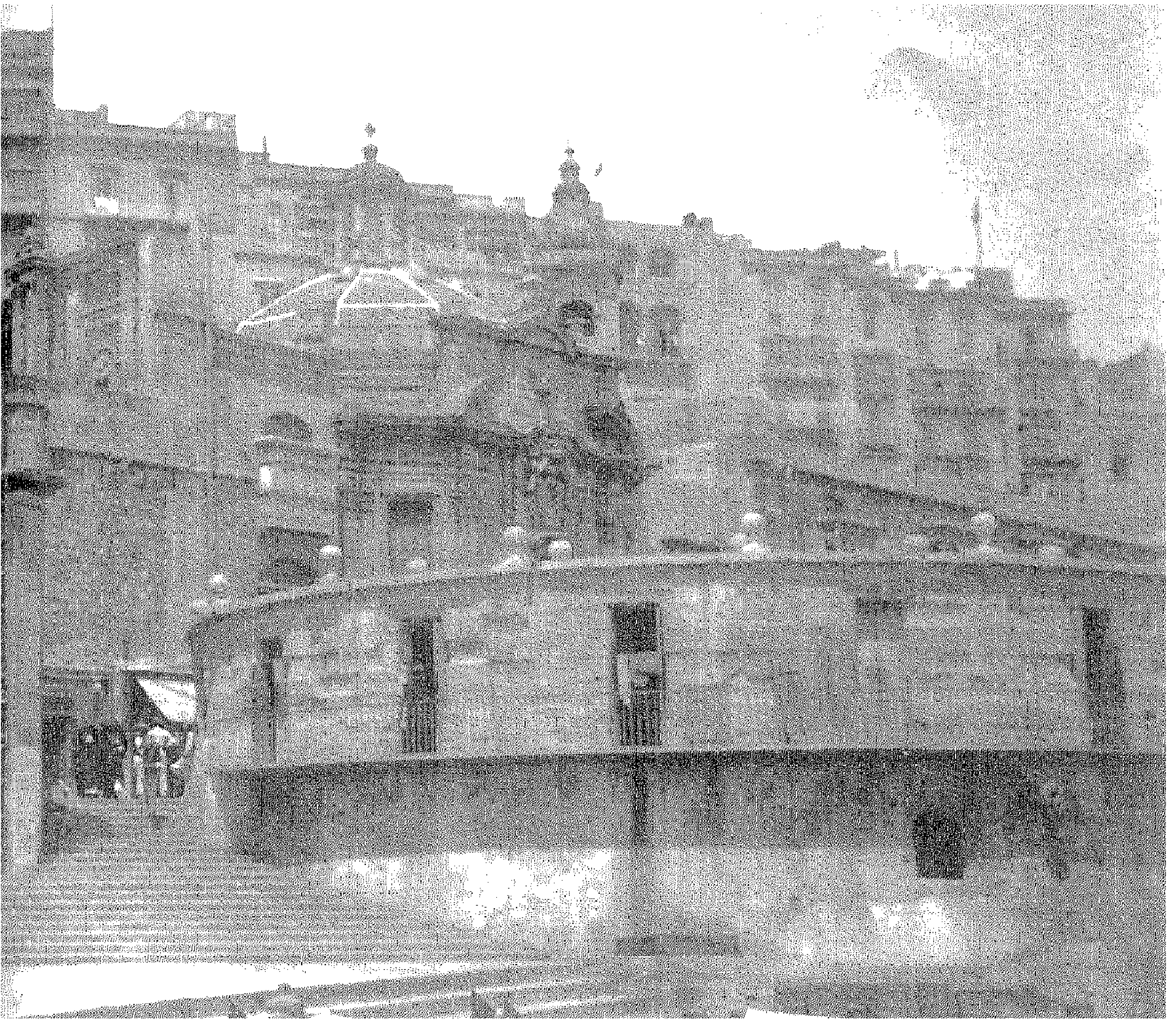


لمحة عن تاريخ مالطا

يعود أصل تاريخ مالطا إلى ما يقرب من 5000 سنة قبل ميلاد المسيح (أي قبل ظهور الديانة المسيحية) عندما قررت مجموعة من الأفراد من جزيرة صقلية المجاورة الإبحار خلال المضيق الصغير لاكتشاف تلك الجزيرة الصغيرة التي كانت تتراءى لهم في الأفق. لقد كان من الواضح أن هذا ما كان ليحدث لولا أن أولئك الأشخاص كانوا يتمتعون بمهارات بحرية وتفوق في صناعة المراكب التي كانت من الرحابة بمكان، بحيث نقلت معها الأمتعة وبعض الحيوانات مثل الغنم والماعز والماشية وأيضاً الحبوب كالقمح والشعير.

وقد استقر أولئك الأشخاص في الجزيرة وسكنوا الكهوف الكثيرة التي كانت توجد هناك، وكان يسمى أقدمها (غار الظلام GHAR

كاتدرائية سان جونز في فاليتا

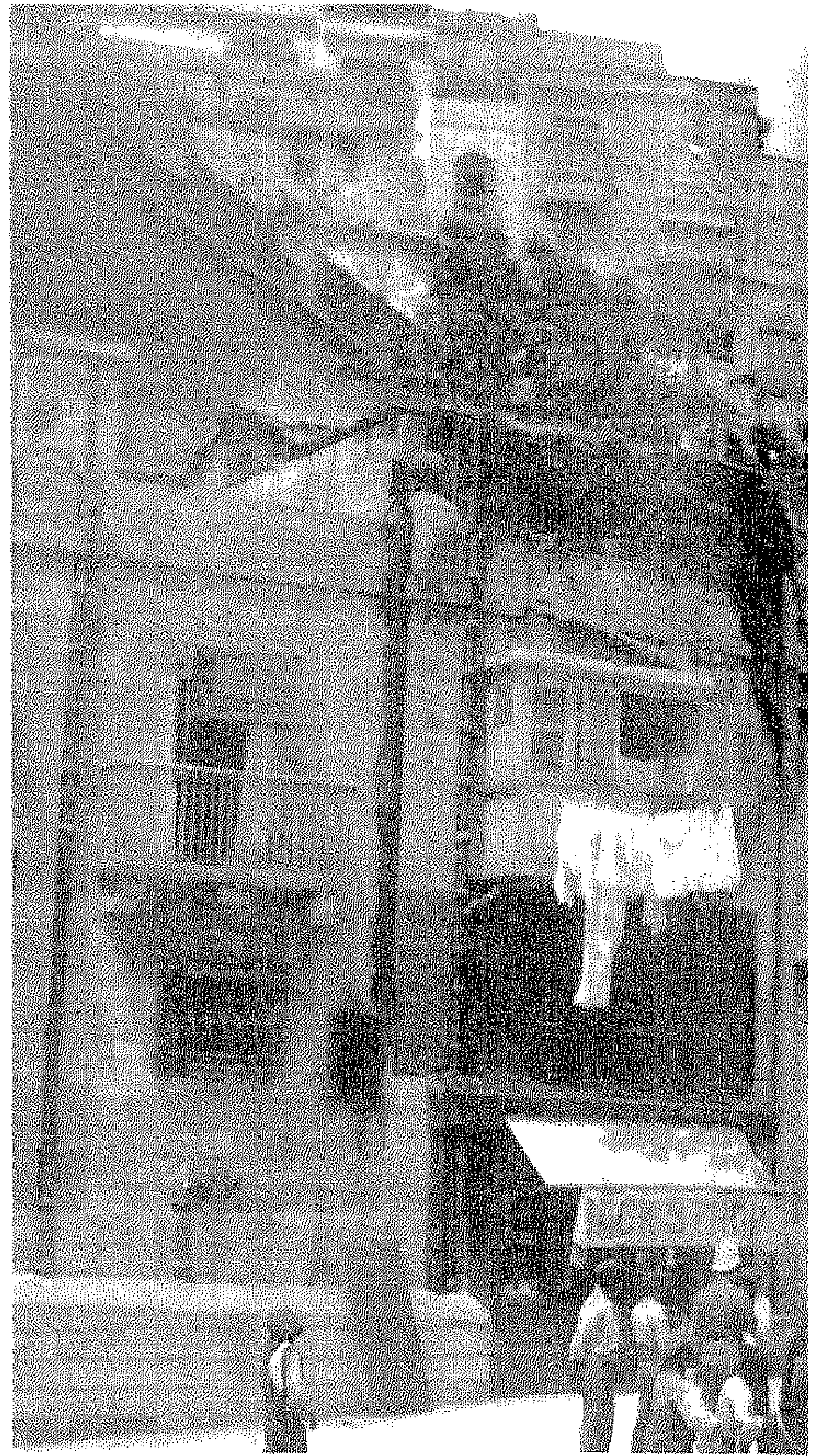


سوق السمك في فاليتا

DALAM) حيث دلت بقايا أولئك الأشخاص وأدواتهم التي عثر عليها على جوانب من طرق حياتهم، وقد قاموا بزراعة الأرض بالقمح والشعير ومارسوا تربية الحيوانات.

ولم يتسن جمع الكثير من المعلومات حول أولئك الأشخاص، ولكن من المعلوم أنهم مارسوا تجارة العسل والنسيج مع جيرانهم الشماليين عن طريق مقايضة بضائعهم بسلع غير موجودة في الجزيرة، إلا أن أغلب المعلومات قد اشتقت من خلال القبور والأديرة والتماثيل الفخارية الصغيرة والأدوات والفنون التي تم اكتشافها، وبحلول الألفية الرابعة قبل ميلاد المسيح ظهرت بعض الطقوس ومراسم الدفن، وبدأ الكثير من سكان الجزيرة في تشييد الأديرة التي ما زال البعض منها قائماً حتى الآن، وتعرف على أنها من أقدم الأبنية في العالم.

وبحلول عام (3500 ق. م) بدأ السكان في إقامة مبان ضخمة قل أن تجد نظيراً لها في أي مكان آخر، وقد بقوا على اتصال مع أبناء عمومتهم في جزيرة صقلية، حيث يستجلبون منهم المواد التي تمكنهم من صناعة الأدوات التي تساعدهم على التعامل مع الصخور. إن تلك المباني ـ التي يوجد منها خمسة عشر في جميع أنحاء الجزيرة ـ هي من أقدم البنايات التي شيدت بالأحجار الضخمة، والتي عرفها الإنسان، وقد تم تشييدها قبل بناء الأهرامات في مصر أو صخور ستونهنج STONEHENGE في إنجلترا بحوالي 1000 عام.



القرطاجيون والرومان

أصبحت الجزر بعد ذلك تحت سيطرة قرطاجة (400 ق. م) ثم روما (218 ق. م)، وقد ازدهرت الجزر تحت الحكم الروماني حيث اعتبرت آنذاك (بلدية) من بلديات (روما)، وتقف الآثار القديمة شاهداً على العلاقة الوطيدة بين المالطيين وشعب روما، وفي عام 60 بعد الميلاد، واستناداً إلى كتاب النصارى المقدس، فقد زار القديس بولس الجزيرة، ويقال إن سفينته تعرضت لعطب على الشاطئ فيما يسمى اليوم بـ (خليج القديس بولس).

مالطا والإسلام

كانت مالطا تحت سيطرة بيزنطة عندما وصل

ستراداتياترو - فاليتا
(ملامح من التأثير العربي الإسلامي في العمارة المالطية)



صورة تعود إلى أكثر من مائة سنة، حيث الترام (المترو) وعربات نقل البضائع

الاقتصاد والبنية التحتية

أهم ركائن الإقتصاد المالطي هي قطاعات الزراعة، صيد الأسماك والسياحة. شركة مالطا دراي دوكس (Malta Drydocks) هي أكبر مشغل للعمالة في البلاد، وثاني أكبر حوض بناء سفن في أوروبا. معظم السياح يأتون من المملكة المتحدة، ألمانيا، إيطاليا، وليبيا. يبلغ عددهم سنوياً حوالي نصف مليون نسمة. تم عام 1992 إنشاء بورصة للأوراق المالية في مالطا. هناك علاقات تجارية قوية مع كل من إيطاليا وليبيا.

لا توجد شبكة سكك حديدية على الجزيرة، في المقابل هناك شبكة حافلات كثيفة تربط معظم مناطق مالطا ببعضها وخاصة حول العاصمة فاليتا. يعود تاريخ هذه الشبكة إلى حقبة الإستعمار البريطاني. المطار الدولي يوجد في لوقا، من هناك يوجد خط مروحيات يربط مالطا بجزيرة غوزو. توجد أيضاً حركة عبارات تسير عدة رحلات يومياً إلى غوزو، بينما حركتها أندر إلى جزيرة كومينو.

إليها العرب، وكانت تدين بالنصرانية، حيث توجد بقايا قبور مسيحية ترجع إلى ذلك التاريخ، ولا أحد يعلم ما اللغة التي كانت وسيلة للتخاطب، عدا أن اليونانية كانت على ما يبدوا لغة الإدارة. كان البيزنطيون قد اتخذوا من مالطا قاعدة لشن هجماتهم على البلاد الإسلامية في شمالي إفريقيا، لاسيما على ليبيا وتونس، وكان العرب يصدون هجمات الروم ويتعقبونهم أحياناً إلى قواعدهم في مالطا، وقد أرسل (الأغالبة) حكام تونس حملة إلى مالطا في سنة 209هـ، بعد ذلك، وإثرمقاومة قوية من المحتلين البيزنطيين دانت الجزر بالولاء إلى القوة الجديدة، حيث تمكنوا من فتحها بقيادة الخليفة الأموي عبد الله بن عبد الرحمن الثاني (عام 250 هـ - 870م)، وهكذا بدأت السيطرة الإسلامية على مالطا في منتصف القرن الثالث الهجري، فحكمها الأغالبة حتى سنة 297هـ، ثم حكمتها الدولة الفاطمية حتى سنة 483هـ، فاستمر الحكم الفاطمي لمالطا 186 سنة، انتشر الإسلام خلالها بين سكان الجزيرة، وهاجرت إليها

عناصر عربية، واستخدمت اللغة العربية بين سكانها، وتركت آثارها في اللغة المالطية، وانتشرت المساجد في أنحائها، وارتبط تاريخ الإسلام بها بتاريخ الإسلام في جارتها صقلية، لهذا عندما قامت الحروب الصليبية في الشرق نال صقلية ومالطا الكثير من التحدي، وقاسى المسلمون بالجزيرتين من صنوف الاضطهاد والتعسف، فهاجر عشرات الآلاف من المسلمين من مالطا، وخضعت الجزيرة لحكم (النورمانديين) في نهاية العقد الخامس الهجري.

وقد استفادت مالطا من هذه الحقبة المضيئة في تاريخها، وبالرغم من وجود القدر القليل من الوثائق والدلائل المادية على وجودهم، فإن تأثير العرب في الثقافة المالطية كان كبيراً إذا أن كثيراً من أسماء الأماكن كانت مشتقة من اللغة العربية ليس أقلها (مدينة MDINA) وهي العاصمة القديمة التي بناها العرب ولا زالت أطلالها باقية من العصر العربي.

ولا يوجد أدنى شك في أنه خلال ما يربو على ثلاثة قرون كان الإسلام عقيدة الأغلبية، إن لم يكن الأغلبية المطلقة للمالطيين، ولقد تم العثور على عدد كبير من القبور الاسلامية، حيث يوجد مائة منها في (مقبرة الربط) وحدها، وتحمل تواريخ ترجع للقرن الثاني عشر، ومن أشهرها (قبر ميمونة) المعروف في غوزو، ويرجع تاريخه إلى عام 1174 م، كتب على قبر ميمونة ما يلي:

(بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا قبر ميمونة، إسأل نفسك إن كان هناك أي شيء دائم... وا حسرتاه.. لقد اختطفني الموت من حياتي القصيرة، لقد كنت كادحة في عملي، وإن كل ما فعلته هو في الحسبان، ويبقى ذكريات.. لا توجد إلا الدموع في هجوعي ومسكني هذا) !!.

ورغم طول الفترة التي سيطر فيها المسلمون على مالطا؛ إلا أنه لا توجد أطلال للمساجد، ولم يتم اكتشاف مبان إسلامية محددة.



الميناء





الميناء من زاوية اخرى

إعادة تجسيد جوانب من صور الماضي



النورمانديون

أجلي العرب من الجزيرة عام 1090م من قبل مجموعة من المغامرين النورمانديين تحت قيادة الكونت روجيه الأول (ROGER I)، الذي أسس مملكة في جنوب إيطاليا وجزيرة صقيله، وبذلك أصبحت مالطا ملحقة بصقلية لمدة تربو على 440 عاماً.

وقد نُسِجت الكثير من الأساطير إبان وصول الكونت روجيه والنورمانديين إلى مالطا، ولكن أغلبها لم يكن له أساس من الصحة. قيل أن الكونت روجيه قد أعطى لمالطا لون علمها، وعرف عنه أنه أعاد تنصير المالطيين وتأسيس الكنائس وتنصيب الأساقفة، وحتى طرد العرب. إن كل هذا تكتنفه ظلال من الشك كثيرة. وعلى أية حال فقد فتح وجود النورمانديين الباب لإعادة الهوية الأوروبية للشعب المالطي، وقد استمر ما يسمى بالعصر التورماندي إلى عام 1194، وبالرغم من أن النورمانديين قد تركوا الكثير من الكنوز والفنون المعمارية في صقلية؛ إلا أنه من الصعوبة بمكان أن تجد آثاراً لتلك الحقبة في مالطا.

فرسان القديس يوحنا

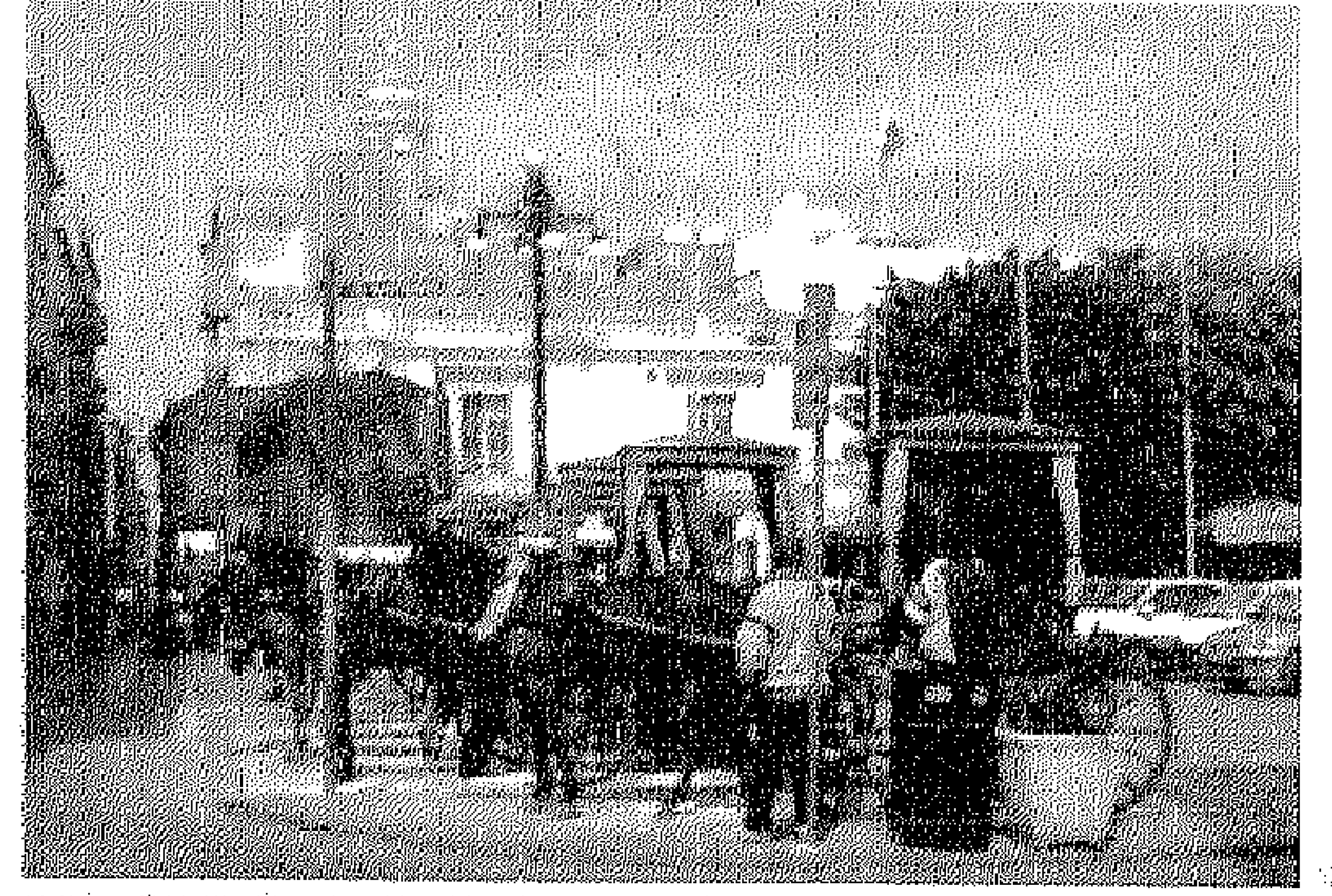
حلت جماعة القديس يوحنا بمالطا بعد أن تقهقروا من جزيرة رودس لصالح سليمان الثاني التركي عام

1522م، وقد مكثوا في رودس منذ عام 1039م، وكانوا قبل ذلك التاريخ في الأراضي المقدسة حيث تم تأسيس الدرجة الكهنوتية عام 1099، ولقد كانت تركيا العدو الرئيس لهم. في تلك الأثناء أصبحت مالطا تكتسي أهمية استراتيجية كبيرة فيما يتعلق بالسيطرة على البحر المتوسط من قبل السلطة التركية.

وفي عام 1547 شن الأتراك هجوماً مباغتاً على جزيرتي مالطا وغوزو، وتم اعتقال 5000 أسير، ولقد اقتنعت الجماعة الدينية بأنه ينبغي عليها إعداد العدة للدفاع عن الجزيرة تحسباً لأي هجوم جديد.

وبعد فترة قصيرة من ذلك وفي عام 1565 ظهر جيش تركي كبير على شواطئ مالطا مستهلاً ما يسمى اليوم (حصار مالطا الكبير) وبعد أشهر قليلة أصبحت الغلبة لفرسان القديس يوحنا والشعب المالطي وتم دحر الأتراك.

وبعد عام من ذلك بدأ فرسان القديس يوحنا العمل على إنشاء مدينة جديدة بتحصينات لا نظير لها، وذلك في شبه جزيرة تسمى (غولجا سيبراس Gholja Sciberas) التي استخدمها العثمانيون قاعدة في أثناء حصارهم، ولقد اطلق عليها (فاليتا) تيمناً بـ(جين



موقف عربات الخيول وسيلة المواصلات السياحية



بانسوت دي فاليتا Jean pansot de Valletta) وهو الزعيم المبجل لدى تلك الجماعة الدينية. وبما أنه لم تقم الامبراطورية العثمانية بشن هجوم آخر فلم يتم اختبار التحصينات التي نصبت، وها هي الآن باقية من بين ما تم حفظه من هذا العصر.

وفي سنوات تلت، أصبحت فاليتا قلعة حصينة تحتوي على قصور مهيبة وكنائس، وأصبحت أيضاً مركزاً مزدهراً للتجارة والتعليم، وقد قام الزعماء الدينيون المتعاقبون بإنشاء مشاريع كبرى مثل بناء عديد التحصينات وقنوات المياه وجامعة، حيث يتم تدريس التشريح والجراحة.

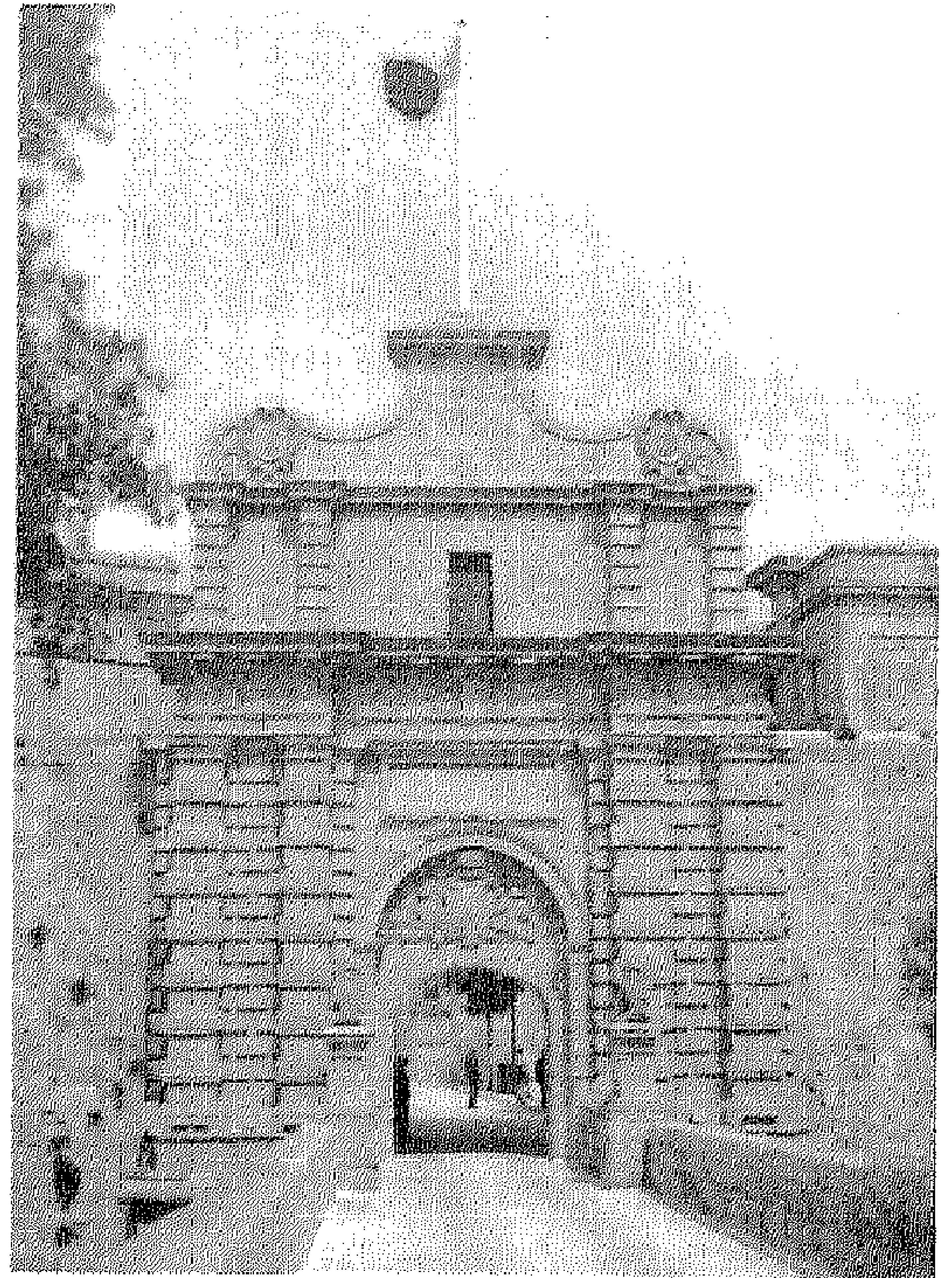
التقسيم الإداري وأهم المدن

مالطا مقسمة منذ عام ١٩٩٣ إلى ٦٨ دائرة إدارية. أهم مدن البلاد إلى جانب العاصمة فاليتا (حوالي 70,000 نسمة/2000) هي: بير كاركارة (حوالي 25,000 نسمة)، سلامة، سانت جوليان، رباط أو فكتوريا (حوالي 6,000 نسمة)، بير زبوج، وحمرون. مدن سلامة وسانت جوليان تقعان على أطراف فاليتا، لذا فهما امتداد لها.

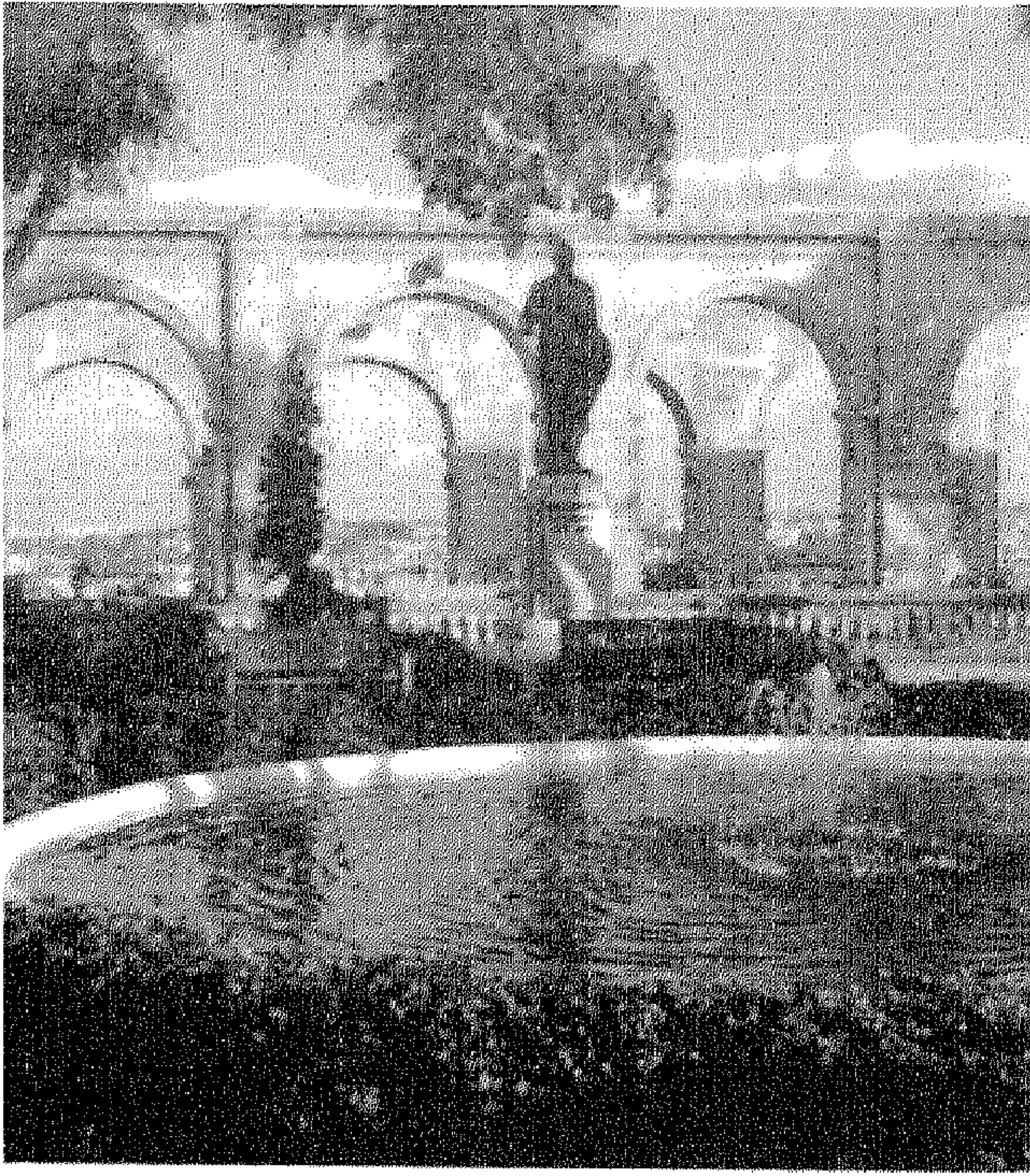
وبمرور الزمن بدأ نجم فرسان مالطا في الأفول، إذ كان الوضع في أوروبا متفجرا آنذاك، وتسببت الثورة الفرنسية تحت تأثير زعيمها نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte في تغيير وجه أوروبا. وفي عام 1798 قام نابليون بغزو مالطا وطرد الجماعة الدينية، منهياً 268 عاماً من حكم جماعة فرسان القديس يوحنا الدينية.

الحكم الفرنسي

استمر الحكم الفرنسي لمالطا سنتين اثنتين فقط، حيث قام المالطيون بتمرد بعد ثلاثة أشهر من وصول الفرنسيين، وقاموا بمحاصرتهم في فالتيا، ونجحوا - بمساعدة البريطانيين - في طردهم عام 1800، وقام البريطانيون باحتلال مالطا في غضون خمسة عشر عاماً تلت ذلك التاريخ، وأصبح مصير الجزيرة مجهولاً، إذا أن المالطيين لا يريدون عودة الفرسان مرة أخرى، وكانت بريطانيا مترددة إلى حد كبير فيما كانت ترغب في البقاء في مالطا، ولكن، وعلى حد سواء، فإن بريطانيا كانت لاترغب في مجيء الفرنسيين أو الروس الذين وضعوا مالطا في محور



البوابة الرئيسية للمدينة التاريخية



من الآثار القديمة في مالطا

اهتمامهم لفترة من الزمن، وأرادوا احتلالها. وأخيراً حزم المالطيون أمرهم وطلبوا من البريطانيين البقاء، حيث تم الاعتراف باحتلال بريطانيا لمالطا تطبيقاً لبنود اتفاقية باريس التي تم التصديق عليها عام 1815 من قبل مجلس فيينا.

الحكم البريطاني

تعود المالطيون على الحكم البريطاني، ولكن لم يمض وقت طويل حتى طلب المالطيون من البريطانيين مشاركة متساوية في تسيير شؤون الجزيرة، وكالعادة انعكس رخاء الجزيرة سريعاً في زيادة وتيرة عدد السكان. وقد استمر هذا الوضع حتى القرن العشرين، وارتفع عدد سكان الجزيرة من 114,000 عام 1842 إلى 124,000 عام 1851. وبالرغم من الرخاء الذي شهدته إلا أنه لم تكن هناك أعداد كافية من اليد العاملة، وتم تطبيق سياسات هجرة لم تنجح في بادئ الأمر. ومن ناحية ثانية بدأ المالطيون في الهجرة وبخاصة إلى الشمال الإفريقي، وذلك مع نهاية القرن التاسع عشر، مع تراجع الازدهار التجاري واضمحلال ثروة المالطيين.

القرن العشرون

مع بداية الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها كانت مالطا في المعمعة، ومرة أخرى سال لعاب الطامعين في موقعها الاستراتيجي المهم في البحر المتوسط. لقد تم قصف الجزيرة بعنف من قبل سلاح الجو الإيطالي والألماني خلال عامين ونصف العام.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بدأت بريطانيا عملية إزالة آثار الاستعمار، وكانت مالطا جزءاً من تلك العملية، ولكن الطريق نحو الاستقلال كان بطيئاً ويكتنفه الغموض. وبحلول العام 1964 دوت صرخة الاستقلال من قبل الأطراف السياسية النافذة. وبعد مداولات مع الحكومة البريطانية تم أخيراً التوصل إلى اتفاقية الاستقلال مع المملكة المتحدة، والتي

نصت في أحد بنودها على الائتلاف الدفاعي والمالي لمدة عشر سنوات. وفي 21 الفاتح (سبتمبر) 1964 أصبحت مالطا ذات سيادة ومستقلة ضمن دول الكومنولث. وبعد عقد من الزمان أقر البرلمان المالطي تعديلات مهمة في الدستور. وفي 13 الكانون (ديسمبر) 1979 أعلنت مالطا جمهورية، وبعد خمس سنوات غادر آخر جندي من القوات البريطانية الجزيرة. وفي 31 الربيع (مارس) 1979 تم إنزال العلم البريطاني، وحققت مالطا أخيراً الهدف الذي ناضل من أجله شعبها لقرون من الزمان، أي القدرة على اتخاذ قررات من قبل المالطيين أنفسهم، من أجل خيرهم وخير دولتهم دون أي تدخل من القوى الخارجية.

ومالطا ممثلة اليوم في منظمة الأمم المتحدة، ولها دور نشط في الشؤون الأوروبية.



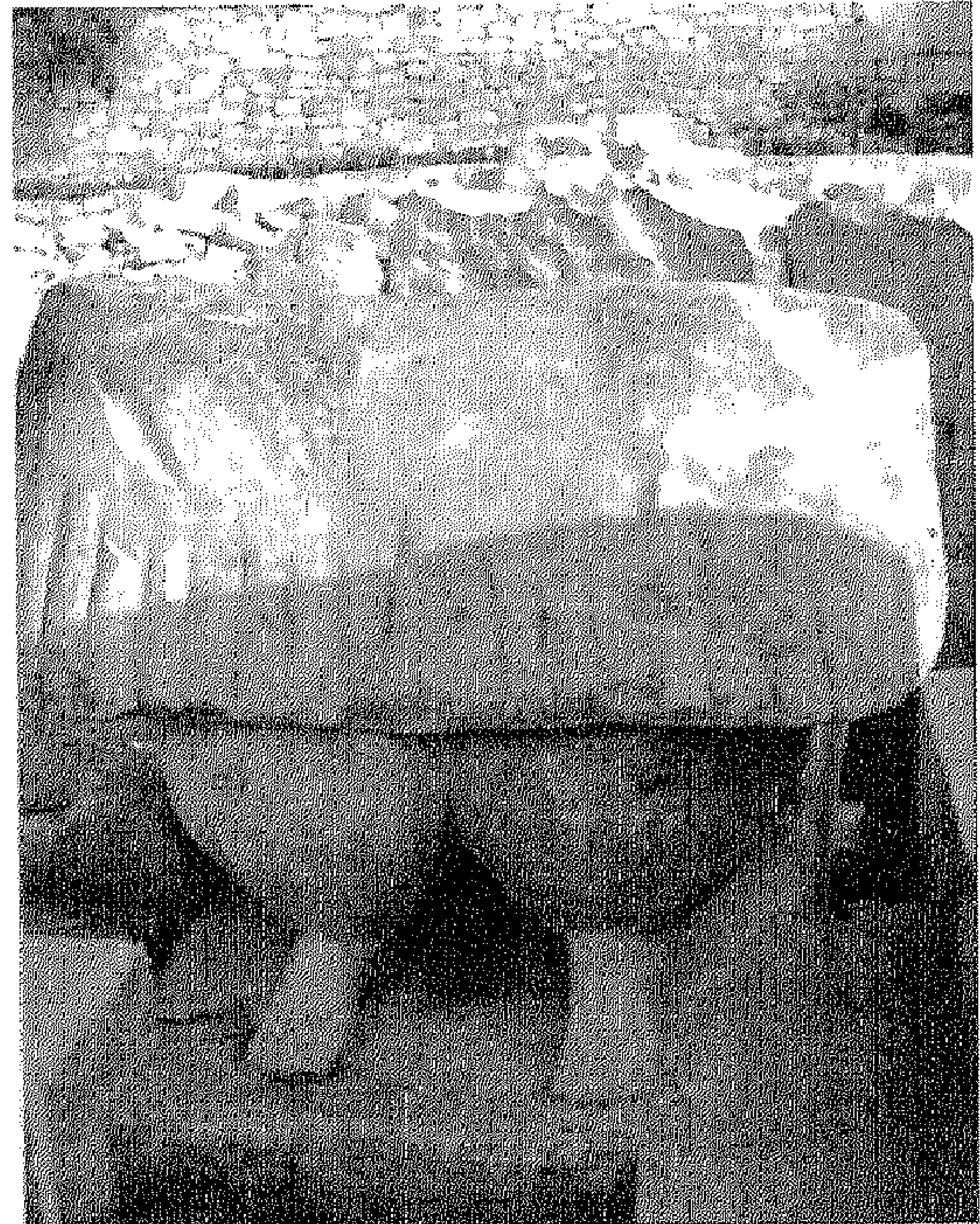
عضوية الاتحاد الأوروبي

أصبحت مالطا عضواً في الاتحاد الأوروبي في الأول من شهر الماء (مايو) 2004، وفي الأول من شهر أي النار (يناير) 2008 تسعى مالطا إلى تبني اليورو ليكون العملة الرسمية للجزيرة.

المباني الصخرية في الجزيرة

في عام 1902 اكتشفت في شارع صغير مهمل في عاصمة الجزيرة حفرة تحت الأرض تؤدي إلى مبنى سريّ صخري بني قبل تاريخ الإنسان، يتكون من غرف متقاطعة ومتصالبة، الأمر الذي أدهش العالم كله.

يتميز المبنى بكمال التشكيل وروعة التصميم، وينقسم إلى ثلاثة طوابق، ويبلغ عمقه 12 مترا، وترتفع من أرضيته أعمدة صخرية ضخمة تسند سقف المبنى بشكل قبّة. فمن صمّم وبنى هذا المبنى السري الذي



آثار من العصور القديمة



أحد شوارع فاليتا



مطار مالطا في لوقا

يرجع تاريخه إلى العصر الحجري، ولماذا؟ لم يجد علماء العالم الجواب حتى الآن !!.

رغم أن مساحة جزيرة مالطا 246 كيلومترا فقط؛ غير أن العلماء اكتشفوا على سطح هذه الجزيرة الصغيرة أكثر من 30 طللا من المباني الصخرية الضخمة منذ عام 1902. ويعتقدون أنها معابد قديمة للسكان القدماء على الجزيرة. بنيت جميع هذه المباني بحجر كلسي، وتتميز بمزايا وخصائص مختلفة. اكتشفت في أحد هذه المعابد طاولات حجرية مرتّبة على جانبي بوابة المبنى، وعدة تماثيل حجرية لآلهة أنثى. إن هذا المبنى من أكثر الأطلال تعقيداً في العصر الحجري، ويحوي الكثير من الألغاز التي لم يتمكن العلماء من فك طلاسمها بعد. وبني معبد آخر قبل حوالي 4500 سنة على جرف منحدر مطلّ على البحر الأبيض المتوسط، ويتحلى بميزات المباني الصخرية الضخمة في مالطا، حيث يشبه شكل طابقه الأرضي المروحة. وبفضل حماية الجرف لم تتعرض صخور المبنى لتعرية شديدة، وما زالت بشكل جيد.

والذي يحير الناس أكثر هو معبد اسمه (مونيادري) واسمه الآخر (معبد الشمس). يتميز هذا المبنى بتشكيل غريب وفريد يذهل الزوار والعلماء

المهمة المستحيلة لم تعد كذلك

هناك مثل يتردد على ألسنة بعض الناس في البلاد العربية يقول: (كمن يؤذن في مالطا) بمعنى يقوم بالأذان أو الدعوة للصلاة في مالطا، هذا المثل يضرب عادة للدلالة على القيام بعمل غير مفيد أو غير مقبول، الذي لا يترك أية فائدة لأنه عندما يقوم أي شخص بالأذان في مالطا. هذا أيضًا دون فائدة لأنه لا أحد سيجيء ليصلي.. الجميع مسيحيون.

منذ 29 سنة، تم زرع شجرة صغيرة، وعلى مرور السنين، نمت هذه الشجرة وكبرت وأصبحت تحمل ثماراً، ثم أصبحت تعطي ثمارا ناضجة، هذه الشجرة هي مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمالطا، نحن المالطيين المسلمين، ثمار هذه الشجرة. الإسلام في مالطا ينموا. المسجد، الذي كان ضخمًا ومعظم الوقت فارغًا سنة 1984م، اليوم معظم الأوقات مليء، والناس تصلي بالخارج، اليوم عندما يكون الأذان في مالطا، فإن المالطيين المسلمين ينهضون لصلاتهم. فمن الممكن القول: «أذن بمالطا» أصبحت قديمة الآن، لأن الأذان في مالطا لم يعد دون فائدة أو غير معقول بعد الآن!! وهذه عظمة الله.

ويحيرهم. وقام رسّام هندسي مالطي بقياس ومسح أرضية هذا المعبد، وطرح فرضية مدهشة: كان هذا المعبد في الحقيقة ساعة شمسية دقيقة جداً! وأشار إلى أن أشعة الشمس على مذبح المعبد وأعمدته الحجرية تدلّ على الظواهر الموسمية المهمة في السنة بدقة عالية. وهناك شيء آخر مفاجئ للناس هو أن المعبد تم بناؤه في عام 10205 قبل الميلاد أي قبل 12,000 سنة.

إذن، كيف تمكّن المشيّدون القدماء على جزيرة مالطا من بناء هذه الساعة الشمسية الدقيقة قبل 12,000 سنة؟ هل كانت لهم حقّاً هذه المعرفة العلمية العالية المستوى لتصميم هذا المبنى العجيب؟ ولماذا لم تتطور معرفتهم في نواح أخرى إلى هذه الدرجة؟ وما هو الدافع الذي أثار حماستهم لبناء هذه المباني الضخمة؟ وكيف ضاع هذا الفن المعماري الرائع؟ لم يجد العلماء الجواب عن هذه الأسئلة. وما زالت تلك الصخور الضخمة تقف على أرض الجزيرة صامتة تنتظر يوم كشف أسرارها للعالم.



اللغة المالطية

اللغة المالطية هي إحدى اللغات السامية، نتجت عن لهجة عربية، حيث إنه وكنتيجة للأصول العربية التي شغلت تلك الجزيرة والجزر التابعة لها فترة طويلة من الزمن؛ كان الأثر العربي واضحاً جداً على اللغة المالطية الأصلية. وتوصف اللغة المالطية الحديثة من قبل اللغويين على أنها (لغة مختلطة) من (السامية والعربية والفرنسية والرومانية والإسبانية)، فيما يطلق عليها آخرون لهجة عربية. والزائر لمالطا يجد أن حوالي 40٪ من اللغة المالطية أصلها عربي. واللغة المالطية تستعمل الأحرف اللاتينية لتكون بذلك أول لغة سامية تكتب بالحرف اللاتيني بسبب الإستعمار البريطاني الطويل للبلاد، ولذلك فإن اللغة الإنجليزية منتشرة بكثرة في الجزيرة، و خاصة في الدوائر الحكومية، و تأتي في الأهمية قبل الإيطالية.

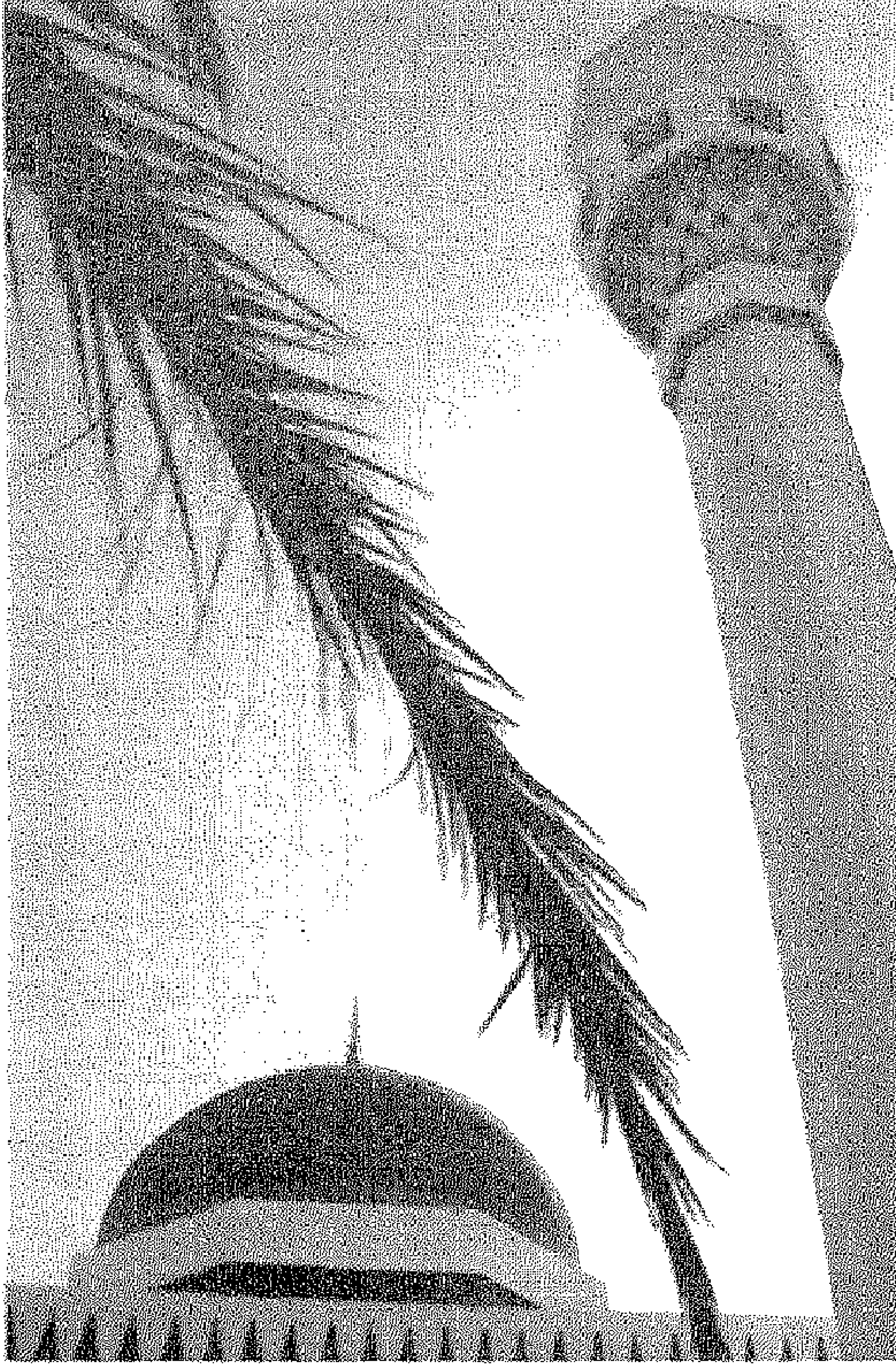
ومهما يكن، فإنه مما لا يرقى إليه الشك أنه وبانضمام مالطا إلى الإتحاد الأوروبي في شهر الماء (مايو) عام 2004 م؛ فقد أصبحت المالطية اللغة الرسمية الوحيدة ذات الأصول العربية في الإتحاد الأوروبي.

الإسلام في مالطا

يعيش في جزيرة مالطا أكثر من خمسين ألف مسلم، تتزايد أعدادهم بصورة مستمرة في إطار الحرية الدينية التي يكفلها الدستور المالطي، حتى أصبح الإسلام اليوم الدين الثاني من حيث عدد معتنقيه بعد الكاثوليكية، وهي الديانة الرسمية للجزيرة.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وفي إطار اهتمامها بالمسلمين في كل مكان؛ كان لها حضورها في مالطا منذ العام 1978.

كان دوم مينتوف Dom Mintoff آنذاك رئيساً



وارتفع الآذان من مالطا

إرسال مالطيين مسلمين لأداء مناسك الحج

خلال سنة 2000م، قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بارسال مجموعة مسلمة مكونة من 40 مالطياً، لتأدية فريضة الحج، وهذه كانت مبادرة تاريخية رائعة، كانت أول مرة تتوجه خلالها مجموعة مالطية مسلمة لأداء فريضة الحج، وكان للإعلام المالطي اهتمام بهذه اللفتة الكريمة، حيث قام بتغطيتها إعلامياً، صحفيون وإعلاميون كانوا موجودين في المطار لمقابلة الحجيج قبل سفرهم، وأثناء عودتهم. ومنذ سنة 2000م، وكل سنة تقوم الجمعية بإرسال مسلمين مالطيين لأداء فريضة الحج.

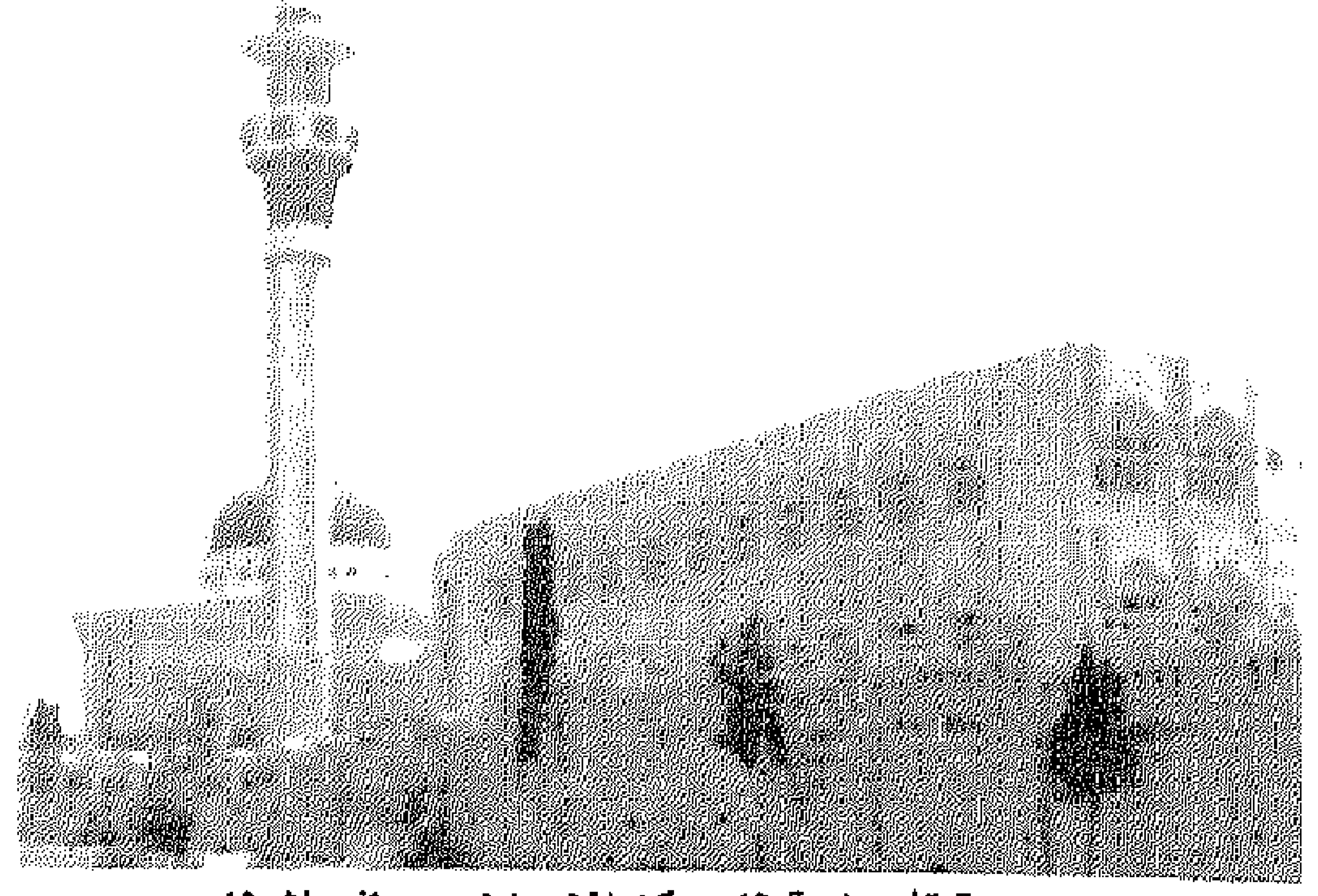


مسلمون يؤدون الصلاة في المسجد في مالطا

للوزراء، وقد شغل المنصب خلال سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن الماضي، وكان يعمل بجد من أجل إنشاء علاقات قوية مع ليبيا وأهمها الصلات التجارية، لكن الصداقة بين الشعبين المالطي والليبي لم تكن مقتصرة على التجارة، إذا أصبحت ليبيا من الأصدقاء والحلفاء المقربين لمالطا، وكان دوم مينتوف عادة مايشير إلى الليبيين على أنهم (أبناء عمومة). بدأت التجارة مع ليبيا في تحقيق الازدهار، وكان من الطبيعي أن يزور الكثير من رجال الأعمال الليبيين مالطا بانتظام، وقد أقام عدد منهم في الجزيرة، وتزوج بعض منهم نساء مالطيات، وإلى جانب الليبيين كان هناك عدد آخر من الجنسيات العربية في مالطا، وكان معظمهم تونسيون ومصريون ومغاربة وجزائريون وسوريون وأردنيون ولبنانيون وفلسطينيون وباكستانيون.

ومن هنا كانت الحاجة أكثرمن ضرورية لبناء مسجد يكون مكاناً يسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم، وقد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بشراء قطعة أرض لبناء مركز إسلامي، وقد تم - بحمد الله وتوفيقه - بناء مركز إسلامي متكامل يتكون من مسجد ومبان إدارية ومقر إقامة للإمام ومكتبه وقاعة مؤتمرات وغرفة للألعاب وساحة للأطفال ومحطة للسيارات. بدأ العمل في المركز الإسلامي عام 1978م، وقد قام الأخ معمر القذافي قائد الثورة بوضع حجر الأساس، لقد كان بناء المركز عملاً ضخماً، واستغرق ست سنوات من البناء والتشييد، وطبقاً للمثل المالطي الذي يقول: (كل ما يبدأ لا بد وأن يتم في النهاية) فقد تم استكمال بناء المركز الإسلامي عام 1989 م، وتم افتتاحه في 11 من شهر الحرث (نوفمبر). ومرة أخرى كان القائد معمر القذافي حاضراً، وقد اهتم بصورة شخصية بموضوع بناء المركز الإسلامي.

وبفضل الجهود المباركة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية؛ فإن الإسلام في مالطا يشهد اليوم نمواً


صورة تاريخية للمركز الإسلامي في مالطا


وصورة حديثة له

ملحوظاً وهناك عدد كبير من المالطيين اعتنقوا الإسلام والحمد لله، وهناك اشخاص يترددون على المركز الإسلامي إما للإستفسار عن الإسلام أو لاعتناقه، ويقوم المركز بتنظيم العديد من الأنشطة وذلك لتشجيع الحوار بين المسلمين والمسيحين.

الأخ ماريو عبد الرحمن فروجا أحد المالطيين الذين هداهم الله إلى الإسلام، يحدثنا عن قصة اعتناقه الإسلام قائلاً:

منذ طفولتي كنت دائمًا أحب القراءة، الكتب دائمًا كانت ترافقني أينما ذهبت. عندما كنت في سن العاشرة، الأطفال عادة كانوا يلعبون كرة القدم، أنا

خلال شهر رمضان

فرع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بمالطا نشط جدًا خلال شهر رمضان المبارك، تقام صلاة التراويح تحت إشراف وبإمامة قارئ من ليبيا، المسجد يكون مليئا معظم الوقت، وعلى الأخص خلال احتفالات العيد. ووجبات الإفطار تقدم للذين يعيشون مغتربين عن ديارهم وأوطانهم واللاجئين من الأقطار العربية والمسلمة كافة.

نشاط سنوي يقوم به المركز خلال شهر رمضان، وهو احتفال إفطار مع رئيس وزراء مالطا وبحضور وزراء آخرين ودبلوماسيين. هذا النشاط يقدم مناسبة جيدة للسلطات المحلية لزيارة المركز، ويؤكد روح التعاون والاحترام المتبادل، وأيضًا يسمح للمالطيين المسلمين بأن يلتقوا ويتحدثوا مع بعضهم ومع السياسيين. وهذا يعمل على إشاعة وترسيخ جو من الاحترام المتبادل من خلال معرفة كل الآخرين.

مثل ذلك النشاط يعد إشارة إلى أن العلاقات بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والحكومة المالطية، والتي كانت وستبقى دائمًا على أحسن ما يرام.



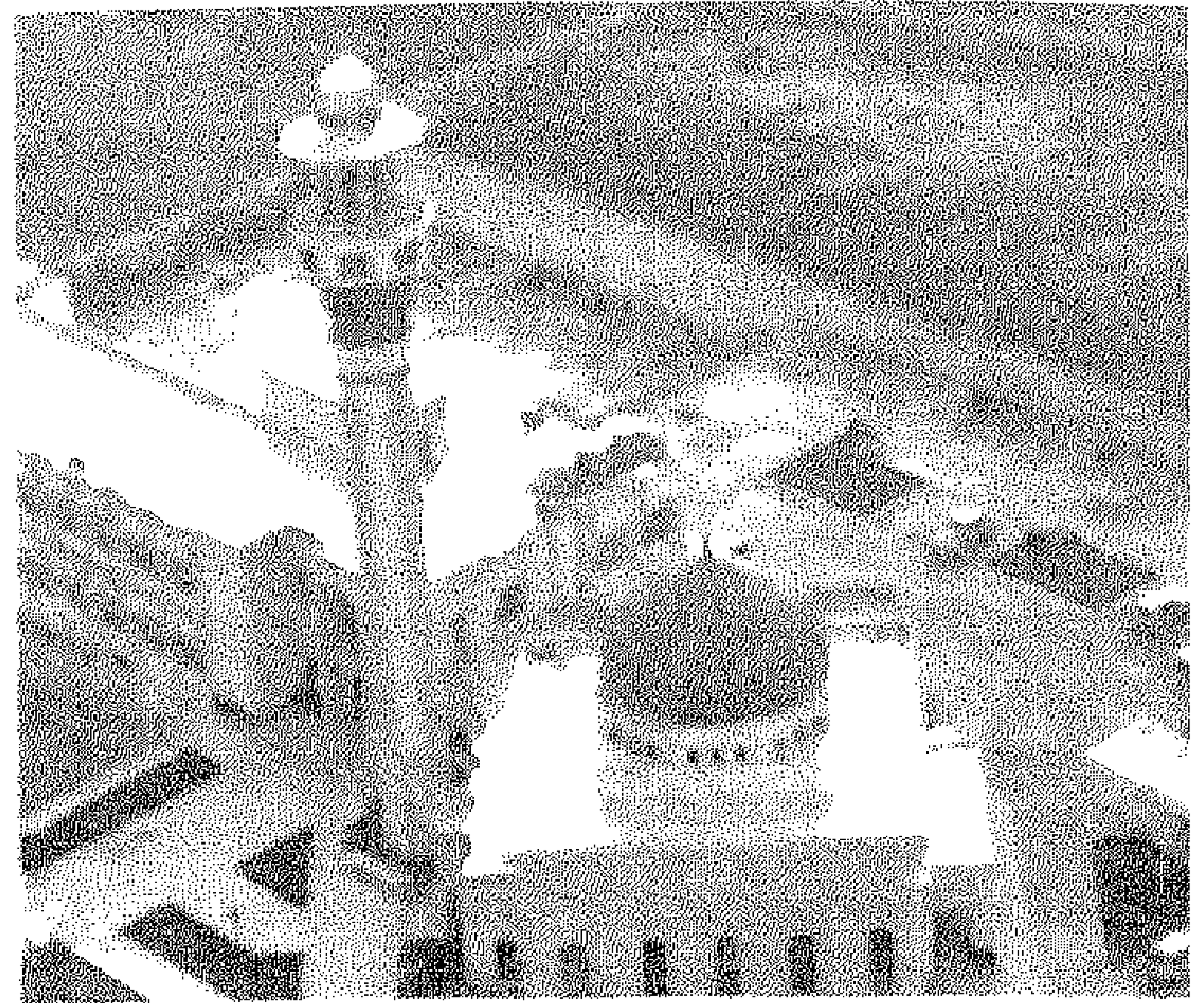
أحد الملتقيات في المركز الإسلامي

الندوات والمؤتمرات في مالطا

تعقد في رحاب المركز الإسلامي بين الفينة والأخرى ندوات وملتقيات ثقافية فكرية، معظمها بهدف تشجيع العلاقات الجيدة بين المسلمين والمسيحيين، وعادة نجد قادة ومسؤولين من مختلف الهيئات والمؤسسات والفئات (الطوائف) المسيحية يحضرون تلك الأنشطة ويشاركون فيها. ومن ذلك مثلا ندوة عقدت خلال شهر الربيع (مارس) 2006م، بعنوان: (احترام الأديان بين حرية التعبير ومسؤولية الإعلام) في سياق ما أحدثه نشر الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ. عدة ضيوف مميزين ساهموا في هذه الندوة، من بينهم وزير خارجية مالطا، والرأي العام حول هذا النشاط كان حرية التعبير، التي يجب أن تكون لها حدودها، وأن لا تنتهك أو تؤثر على حرية الآخرين.

كنت أجلس وأقرأ كتاباً بالكامل. هذه العادة بقيت تلازمني حتى كبرت، تعطشي للمعرفة نما معي أيضًا. الدين أصبح واحدا من المواضيع المحببة لي قراءتها، وعلى الأخص لأنني لم أكن مقتنعا بما أنا عليه، لهذا كنت ـ دون وعي ـ أفتش عن الحقيقة، بما أنني ولدت في مالطا، طبعًا من عائلة مسيحية كاثوليكية.

حبي للقراءة قادني إلى قراءة القرآن الكريم، وخلال فعاليات معرض الكتاب في مالطا قمت بزيارة جناح رُفعت أمامه لافتة كان مكتوبا عليها (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـ فرع مالطا)، حيث اخترت القرآن الكريم، المترجم إلى اللغة الإنكليزية من قبل Muhammad Marmaduke Pickthall (محمد مرمادوك بكتول) وتفحصت بعض الصفحات، تقدم ناحيتي شاب مسلم وسألني إذا كنت مهتما بالإسلام؟ جوابي كان تلقائيًا: لا، لكن أنا لدي فضول للاطلاع. الشاب قدم لي دعوة لزيارة المركز الإسلامي، وسألني إذا كنت أرغب في شراء نسخة من المصحف؟ ولأكون



صورة جوية للمركز الإسلامي في مالطا

صادقًا، فأنا لم أكن أريد أن أنفق مالاً على شراء كتاب ديني إسلامي، فهو كتاب دين آخر غير الدين الذي أعتنقه لكنني وعدت الشاب بأن أقوم بزيارة المركز الإسلامي. هكذا أعطاني نسخة من القرآن مجانًا. بعد أسبوع، ولفضولي، قمت بزيارة المركز الإسلامي. الباقي أصبح الآن تاريخاً. أنا - بحمد الله - مسلم منذ أكثر من عشر سنوات. خلالها تعلمت كثيرًا حول الإسلام، وأيضًا أصبحت ناشطًا في المركز الإسلامي. شخصيًا، أنا أدين كثيرًا لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على المساعدة التي أعطتني إياها، وهي الحصول على معرفة حقة عن الدين الإسلامي.

أنا أيضًا أصبحت أثمن الأعمال العظيمة التي تقدمها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أنشطة الجمعية موجودة في معظم بلدان العالم، مساعدة المسلمين وغير المسلمين بالتساوي، ليس فقط في المسائل الدينية، لكن أيضًا تقدم مساعدات طبية وغذائية واجتماعية...

وماذا عن الأنشطة الدعوية في مالطا ؟

أحب أن أؤكد هنا أن مكتب الجمعية في مالطا قد وطّد ورسّخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، وقدّم المساعدات للجميع..

الدعوة الإسلامية في مالطا، ومن خلال المركز الإسلامي أنجزت في عدة طرق، لكن دائمًا أتذكر كلام الله:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية: 125]

وبما أنني مالطي فأنا عادة أتكلم عن المالطيين غير المسلمين الذين أظهروا اهتمامًا بالإسلام وأتوا إلى المركز للاستفسار عنه.

نحن دائمًا نركز على بناء الاختيار الأحسن للتعاليم الإسلامية في اللغة المالطية، لأنه ليس كل الشعب المالطي يتكلم الانكليزية. ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة المالطية تحت الإنجاز، وعندما يتم الانتهاء منها سيكون واحداً من المشاريع الكبيرة والمنجزة من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مالطا.

إضافة إلى ذلك، فإن إمام مسجد المركز الإسلامي دائمًا يكتب مقالات في الصحف المحلية عن مواضيع مختلفة تخص الإسلام.

عدد المالطيين المسلمين الآن وصل إلى (250).

المعرض السنوي للكتاب في مالطا

تشارك جمعية الدعوة الإسلامية العالمية سنويا في معرض الكتاب في مالطا. ويزور المعرض الآلاف من الشعب المالطي، ويعد فرصة مناسبة لمقابلة الناس خارج المركز الإسلامي. بهذه الطريقة، نحن نذهب إلى الناس الذين لا يأتون إلينا، الناس تسأل كل أنواع الأسئلة لأن الدين الإسلامي أصبح معروفاً جدًا.

لمعرض الكتاب معنى خاص بالنسبة لي هذه الأيام، لأنني كما قلت في البداية، أول ما تعرفت على الدين الإسلامي كان خلال المعرض. لهذا أنا شخصياً أحاول أن أكون موجودًا في جناح الجمعية بالمعرض وأدعوا الناس لزيارتنا في المركز الإسلامي.


أمواج البحر تعانق سليما


منظر عام لجزيرة مالطا

الذي يظهر بأنه عدد صغير، لكن بالنسبة إلى عدد سكان مالطا وهو (000, 380 نسمة)، حيث إن معظم سكان مالطا مسيحيون كاثوليك، فهذا العدد مشجع جدًا.

لقد قمت بمقابلة مالطييْن مسلميْن كلاهما كان مسيحياً قبل اعتناقه الإسلام، وسألتهما عن رأيهما وكيف اعتنقا الإسلام وحول حياتهما كمسلمين.

أحدهما هو (جورج شيفاي / رجل أعمال مالطي) متوسط العمر، ابتدأ بدراسة عدة أديان منها البوذية، لأنه لم يكن مقتنعًا بديانته. كان لديه صديق فلسطيني في مالطا وكان يشرح له الإسلام وبدأ يدرك بأنه وجد الحقيقة. دام بحثه سبع سنوات ليتأكد بالكامل، حيث كان خلال هذه المدة يقوم بزيارة المركز الإسلامي باستمرار. هناك، وبمساعدة الإمام ومسلمين آخرين توصل إلى قراره. جورج، بعد اعتناقه الإسلام اختار اسم (جهاد مصطفى)، قائلاً: لو لم يأت إلى المركز الإسلامي في مالطا، لم يكن ليصبح مسلمًا.

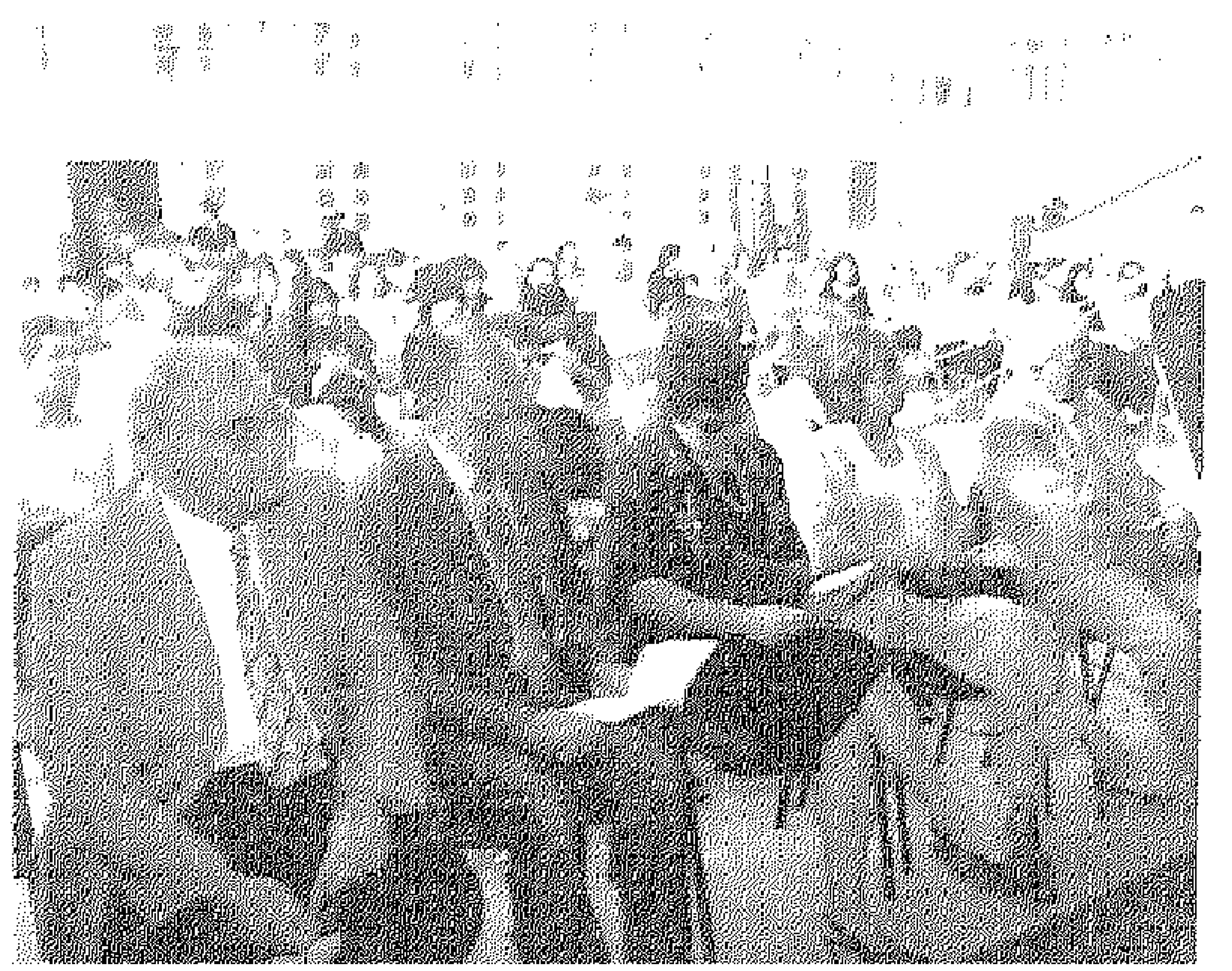
جورج، أصبح مسلمًا، ولست سنوات مضت، لم يتم قبوله من قبل عائلته المسيحية. هو لا يقدر حتى أن يذكر الإسلام في بيته، أخوه كاهن مسيحي، لهذا فإن

المستقبل:

بما أنه قد أنجز الكثير للإسلام في مالطا منذ وصول جمعية الدعوة الإسلامية العالمية هنا، فنحن نشكر الله أولاً ثم الجمعية ثانيًا. يوجد هناك عدة حاجيات مطلوب القيام بها. أولاً، نحن بحاجة لإعلام الشعب المالطي حول عمل الجمعية هنا، لأن عدة مالطيين لا يعرفون ذلك. حقيقة، بعض المالطيين يفكرون أن الجمعية مؤسسة ليبية لخدمة الليبيين فقط. كم هم على خطأ! هم بحاجة لمعرفة أن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تخدم المسلمين في جميع أنحاء العالم.

نحن نخطط لنستمر بالعمل على طباعة الكتب باللغة المالطية، على الأخص ترجمة معاني القرآن الكريم. كما نخطط لنستمر بمساعدة المالطيين المسلمين في حل مشاكلهم، تعليمهم الدين الإسلامي بأحسن طريقة ممكنة. ونحن نخطط ونعمل لنستمر بالعمل الدعوي لغير المسلمين، لهذا أكبر عدد ممكن من الشعب المالطي يفهم حقيقة وصدق الدين الإسلامي.

وواحد من الطموحات، أرغب بأن يكون لدينا محطة إذاعية مسموعة إسلامية يوما ما، ومن الممكن بأن يكون هناك برنامج أسبوعي في محطة إذاعية مرئية لكن هذا ما زال حلمًا ونحن يجب أن نعمل بجد لنحصل عليه.



حضور كثيف في إحدى المناسبات
التي أحياها المركز الإسلامي في مالطا

عائلته استقبلت تحوله إلى الإسلام على نحو رديء، وحرمته حتى من ميراث العائلة.

جورج، يريد أن يرى المركز الإسلامي في مالطا يقوم بتنظيم عدة أنشطة أكثر للمالطيين المسلمين، وأيضًا يرغب في أن يرى المالطيين المسلمين بأنفسهم يساعدون ويعلمون الدين الإسلامي للشعب المالطي. جورج، أو جهاد، يرغب في أن يرى المالطيين المسلمين يقومون بزيارة المركز الإسلامي باستمرار ليلتقوا مع بعض اجتماعيًا.. ويتعلمون.


جهاد مصطفى، يعرف أن الجمعية تقوم بأنشطة دعوية إنسانية في عدة بلدان في العالم، لكنه ليس لديه أي معرفة حول أنشطتها العلمية والطبية.

النموذج الآخر الذي هداه الله إلى نور الإسلام، هو (ماريو ديبونو، مهندس) ابتدأ اهتمامه باعتناق الإسلام بعد مقابلته فتاة مغربية اسمها منى، والتي هي زوجته الآن، سمع عدة أشياء حول الإسلام خلال مدة عمله في ليبيا. اعتنق الإسلام منذ ثلاث سنوات، ليس لديه أية مشاكل مع عائلته. وفي الحقيقة فقد حضروا احتفال زواجه في المركز الإسلامي بمالطا.

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ساعدته كثيرًا في الوصول إلى قراره. الموظفون في المركز الإسلامي علموه وشرحوا له الإسلام لإزالة كل شكوكه، وقدّمت له مطبوعات ومنشورات إسلامية لتوصيل مفهوم الإسلام بطريقة مبسطة وسهلة.

ماريو، الذي اختار اسم (محمد)، يرغب من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أن تقوم ببناء مصليين جديدين: واحد في شمال الجزيرة والثاني في وسطها (حيث إن موقع المركز الإسلامي في الجنوب)، وذلك ليتمكن المسلمون من أداء الصلاة في أوقاتها (حتى وإن كانت مالطا جزيرة صغيرة، فالمالطيون يعتبرون الإنتقال من الشمال إلى الجنوب سفراً ورحلة طويلة).





مدرسة (مريم البتول) نموذج للتسامح

في سنة 1997م، تم تحويل جزء من مكاتب الإدارة الموجودة داخل المركز الإسلامي إلى مدرسة ابتدائية للأطفال المالطيين المسلمين، حيث إن عدد الأطفال المسلمين في نمو متواصل. العائلات المسلمة في مالطا تواجه مشكلة إرسال أبنائها إلى المدارس المالطية الحكومية والخاصة، فجميعها مسيحية، وهذه مشكلة تتمثل أولا في كيفية تعليم الأطفال الدين الإسلامي، قراءة القرآن الكريم، الحياة الإسلامية عامة.

وتم الحصول على رخصة من وزارة التعليم المالطي بافتتاح مدرسة في المركز الإسلامي لتعلم الأطفال المنهاج المالطي، ليتم اندماجهم وتحضيرهم بالنمو والعيش في مالطا، والدين الإسلامي، واللغة العربية والتي هي الأولى في قائمة المواضيع الأخرى.

يمثل أطفال مدرسة مريم البتول، - وهم الذين ولدوا وترعرعوا كمسلمين، من البحر المتوسط -، المستقبل بالنسبة لأكبر أقلية دينية في مالطا.

اليوم يوجد حوالي (150) طالبًا في مدرسة (مريم البتول) الإسلامية، وأعمارهم تتراوح من 3 إلى 11 سنة، و15 مدرسًا، ويعتبر العاملون مدرستهم (تجربة اجتماعية فريدة) فيما يتعلق بالتسامح والتنوع الديني.

تدير المدرسة سيدة مالطية كاثوليكية، وتستخدم المدرسة، مدرسين مسلمين ومسيحيين، وذلك من أجل تدريس التلاميذ، على الصعيدين: المالطي والإسلامي (بما في ذلك القرآن الكريم).

والهدف من إنشاء هذه المدرسة، هو دعم التعليم، في إطار المنهج الدراسي المالطي، في جو من الحميمية والصداقة، وتشجع التلاميذ على حب عقيدتهم، واحترام أنفسهم والآخرين، بغض النظر عن انتمائهم الديني. يتم تعليم التلاميذ، كيف يمكن لهم أن يحيوا بسعادة، وأن يشعروا بالفخر، لكونهم مسلمين مالطيين.


مديرة المدرسة

الثقافة والتعليم

الثقافة المالطية متأثرة بجيرانها ومحتليها عبر التاريخ، وخاصة إيطاليا شمالاً وبريطانيا (المستعمر السابق)، لغويا هي متأثرة أيضا بالدول العربية جنوباً. كما ذكرنا سابقا، وتأثير الكنيسة قوي في البلاد. حاولت مالطا محاربة التأثير الثقافي الإيطالي في البلاد من خلال تبني الانجليزية لغة رسمية وخاصة في التعليم. الآن تشكل القنوات المرئية الإيطالية العديدة السفير الأول لإيطاليا في البيوت المالطية، يليهم السياح الطليان الذين يزورون البلاد بالآلاف سنوياً. النظام المروري في مالطا يتبع النظام الإنجليزي، أي أن السائق يكون على يسار الشارع. الرقص (الفلكلوري) المالطي هو شبيه بالرقص الإيطالي والعربي، من خلال مجموعات رجالية ونسائية تتشابك الأيدي (الدبكة). والمطبخ الإيطالي دارج في مالطا.

هناك ثلاث مناطق في مالطا، اعتبرتها منظمة اليونسكو من التراث العالمي: العاصمة فاليتا، حيث تشتهر بأزقتها التاريخية، معبد ميغاليث، الذي يعود تاريخه إلى العصر الحجري، ومعبد حال صافليني، الذي يعود تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة.

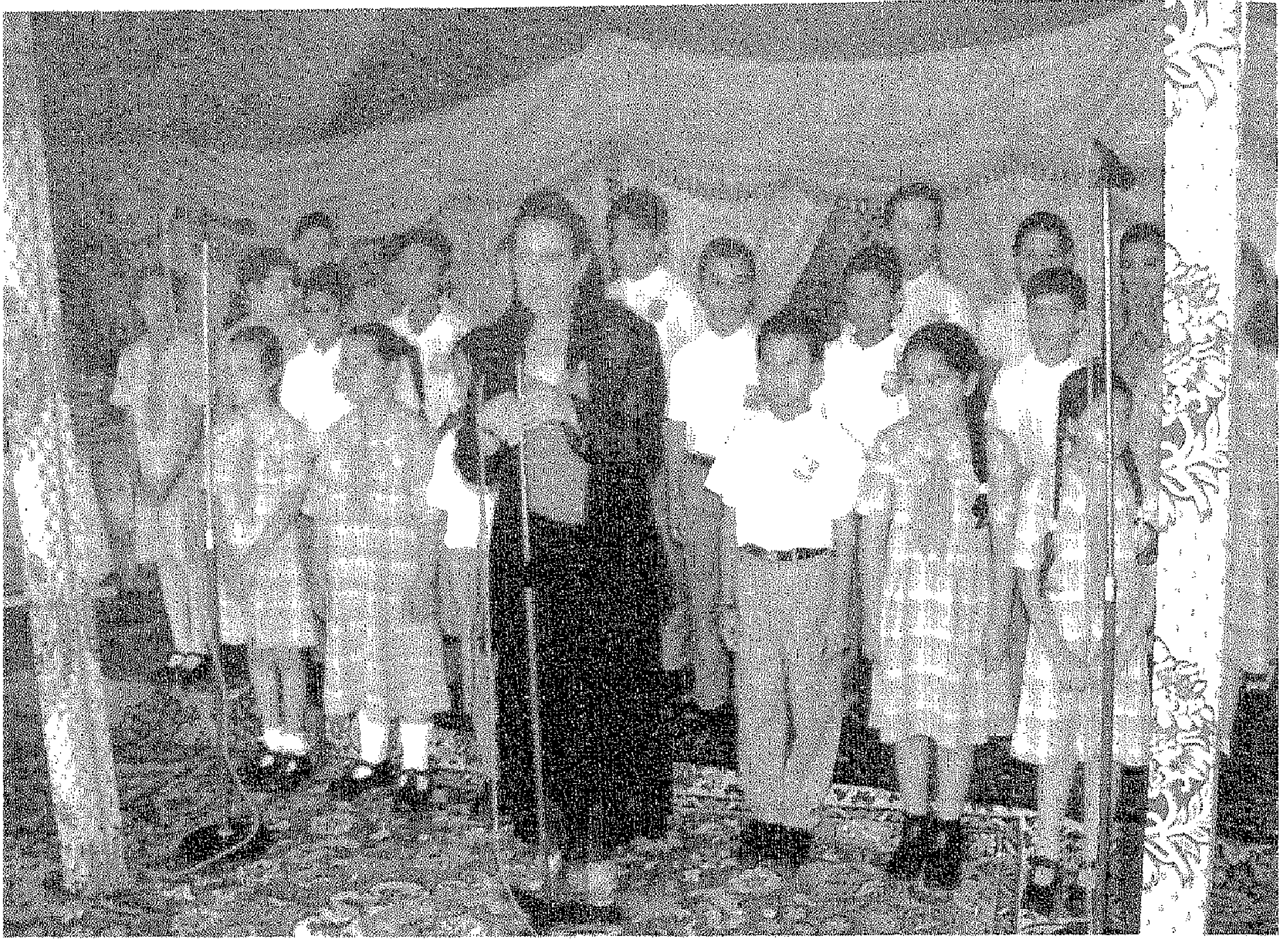


طلاب من مدرسة مريم البتول في مالطا

تعتز مديرة المدرسة (ماريا كاميليري Maria Camilleri) بأن مدرستها، تعتبر من أفضل المؤسسات التعليمية في مالطا.

لقد نجح كل من أدى امتحانات العام الماضي، إنها المدرسة الوحيدة التي يتعلم فيها التلاميذ، ثلاث لغات، بدءًا من الروضة، وهي: المالطية والإنجليزية والعربية.

وتقول السيدة (كاميليري) إن سر نجاح المدرسة، هو الانضباطية، التي حثت عليها العقيدة الإسلامية. وتضيف: «لقد أعجبت بالأطفال، خلال شهر رمضان... عندما انظر إلى نفسي فيما يتعلق بديني، فإن لنا يومان مفروضان للصوم ليس إلا، وأحياناً نقوم بتجاهل هذين اليومين، أمّا هنا، فالأطفال ممتثلون، لاعتقادهم بأنهم يريدون تأدية ما يؤديه الأطفال الآخرون، إنه لشيء يجعلني أفكر في أنني، أحتاج إلى العودة إلى نفسي». «إنه انضباط ديمقراطي». وأوضحت مديرة المدرسة: إنه بالرغم من أن قبول



حفل نظمته مدرسة مريم البتول

الأقلية المالطية المسلمة، يسير ببطء، تظل تلك المسألة، المهمة الأكبر التي تواجه أطفال المدرسة، «إن الأمر لا يتعلق بقبول الإسلام، وإنما يتعلق بقبول الجميع، إن ذلك هو لب الموضوع، إن القضية بالنسبة لي، هي قضية احترام، فطالما أن الآخرين يبدون احترامًا لي، فأنا سوف احترمهم، بغض النظر عن ثقافاتهم، وعقائدهم، وانتماءاتهم العرقية، لأن الشيء المهم هنا، هو تحقيق السلام». وتقول السيدة كاميليري: لقد ترجمت منظومة القيم الإسلامية التي تدرس في المدرسة، إلى الكاثوليكية. وتضيف «لو قامت الأم (تيريزا Mother Teresa) بالإنكفاء على نفسها، بسبب اختلاف الناس، والعقائد التي خبرت، فإنها سوف لن تكون الأم (تيريزا) التي نعرف. لقد احترمها العالم، فأنا لست الأم (تيريزا) ولكنني متعلقة بشخصها، وإن تلك الشخصية مقدسة عند الله».

وحول المدرسة يقول الأخ عبد الرحمن فروجا: المدرسة تؤكد على تربية الأطفال على روح التعاون والاحترام والتسامح. المدرسة إجمالاً، وبحمد الله، أصبحت ناجحة، ومعظم الطلبة أنهوا دراستهم بنجاح ليستمروا باستكمال دراستهم في المدارس الثانوية المالطية. بينما أذكر المدارس الثانوية، أود أن أقول إن الحاجة ماسة لتطوير المدرسة لتصبح قادرة على تقديم التعليم الثانوي، بحيث يكون بمقدور الطلبة أن يبقوا في المدرسة بعد سن الحادية عشرة، لتقوية الأسس الإسلامية التي تحصلوا عليها خلال مرحلة التعليم الأساسي.

رسوم المدرسة ليست عالية، لكن الأموال المجمعة من الرسوم لا تكفي أحيانا لإدارة المدرسة، والأهالي الذين لا يسمح لهم وضعهم المالي بدفع الرسوم يقبل أولادهم في المدرسة مجانًا دون دفع الرسوم، لأن



حفل طلابي

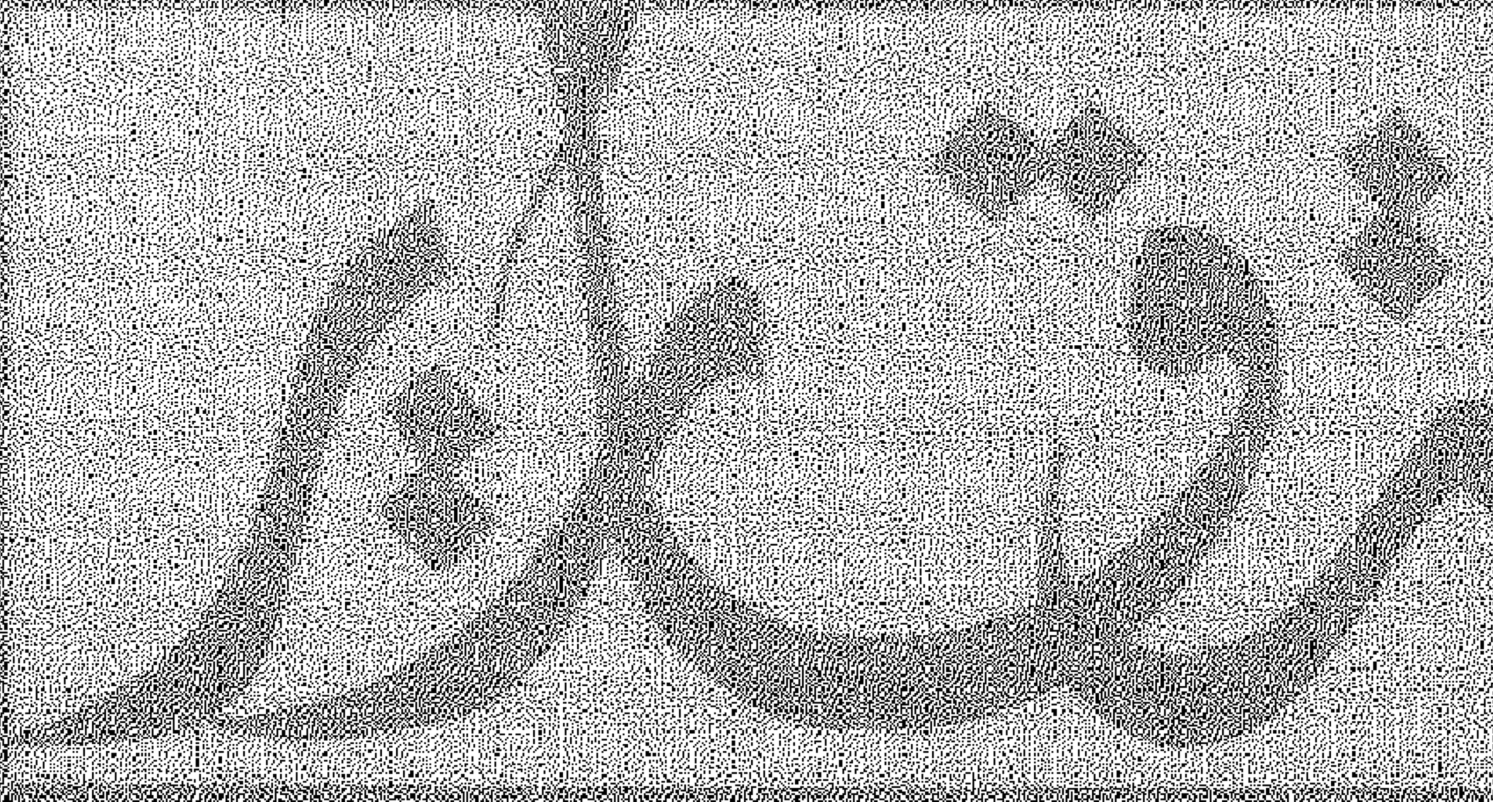
اجتماعات المسلمين المالطيين

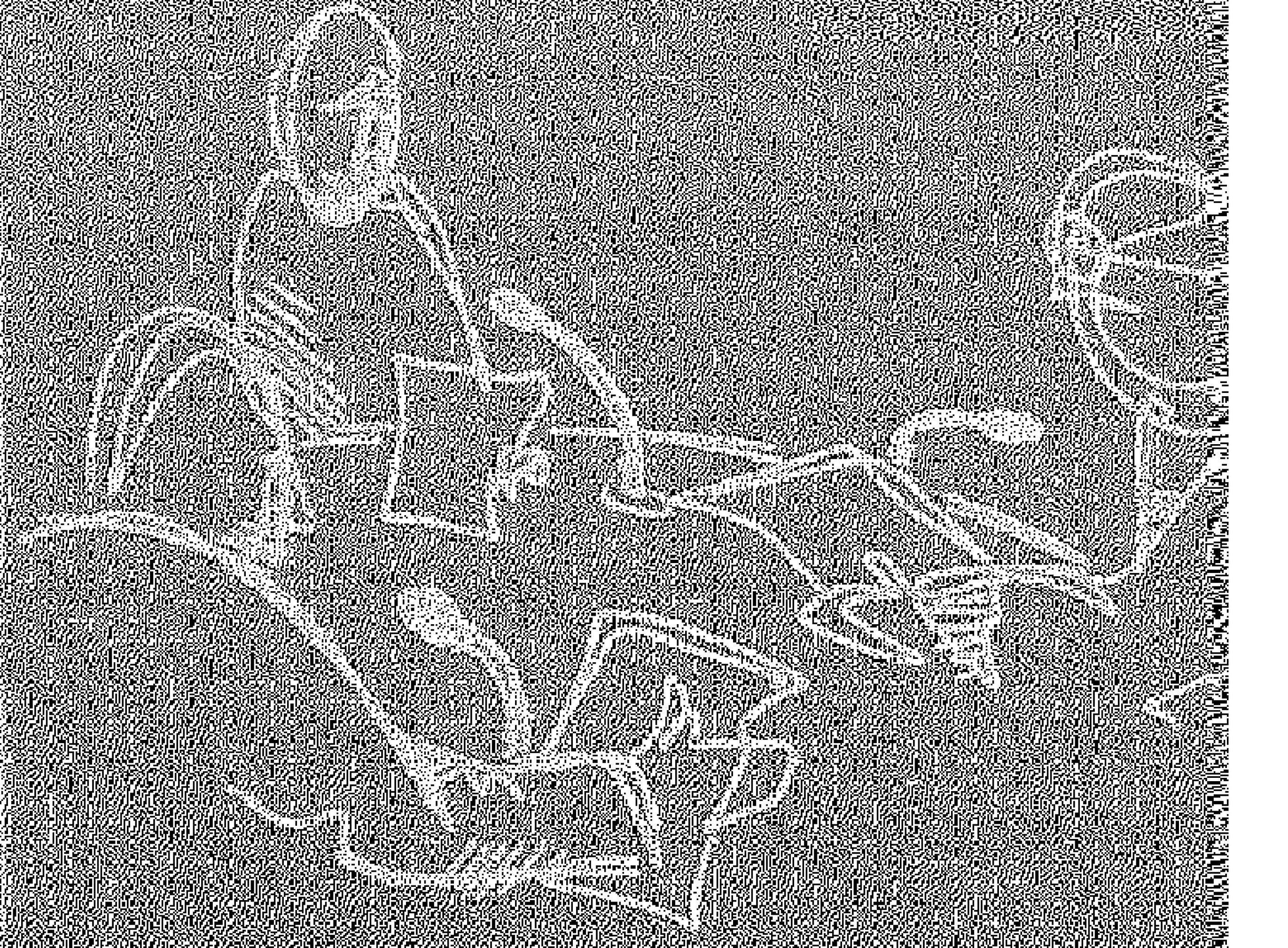
من بين أنشطة المركز الإسلامي، وضمن البرنامج الدعوي؛ يتم عقد اجتماعات للمسلمين المالطيين، كل يوم جمعة، وهذا منذ ما يقرب من عشر سنوات، يقوم الإمام محمد السعدي - خلال اللقاء - بالحديث حول موضوع معين، وبعد ذلك تبدأ المناقشات، والذين يحضرون اللقاء أيضًا تكون لهم فرصة لإلقاء أسئلتهم.

يقول الأخ عبد الرحمن فروجا: هذا اللقاء الأسبوعي مهم جدًا، لأن عدداً من المالطيين الذين اعتنقوا الإسلام لا يحضرون أية دراسات إسلامية، هم فقط يتعلمون الأسس الأولية لديننا. وهذا اللقاء يزيدهم معرفة دينية حيث إنهم لم يولدوا من عائلات إسلامية، لكن اعتنقوا الإسلام في فترة زمنية قصيرة من حياتهم.

المدرسة ليست مؤسسة تهدف إلى الربح. وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية تدعم المدرسة بمساعدة مالية، وعدد من المسلمين الذين يعيشون في مالطا يقدمون هبات أيضًا. مع ملاحظة أن بعض الأسر المالطية المسلمة ليست غنية.

ويضيف الأخ فروجا: يجب أن نتذكر أن المدرسة الإسلامية ستكون مستقبل المسلمين في مالطا، هذه المدرسة، إن شاء الله، ستزود الجالية الإسلامية بالأطباء، والمحامين، والمهندسين، والمحاسبين، وبمدرسيها في المستقبل القريب، الشيء غير الموجود حالياً. قادة المستقبل من الجالية المالطية المسلمة سيتم تخرجهم في هذه المدرسة، وإن شاء الله، ونحن يجب أن نؤكد على أن قادة المستقبل هؤلاء يجب أن يكونوا على دراية بالدين الإسلامي، يعرفون الإسلام جيدًا، ولهم أسس تعليمية جيدة.





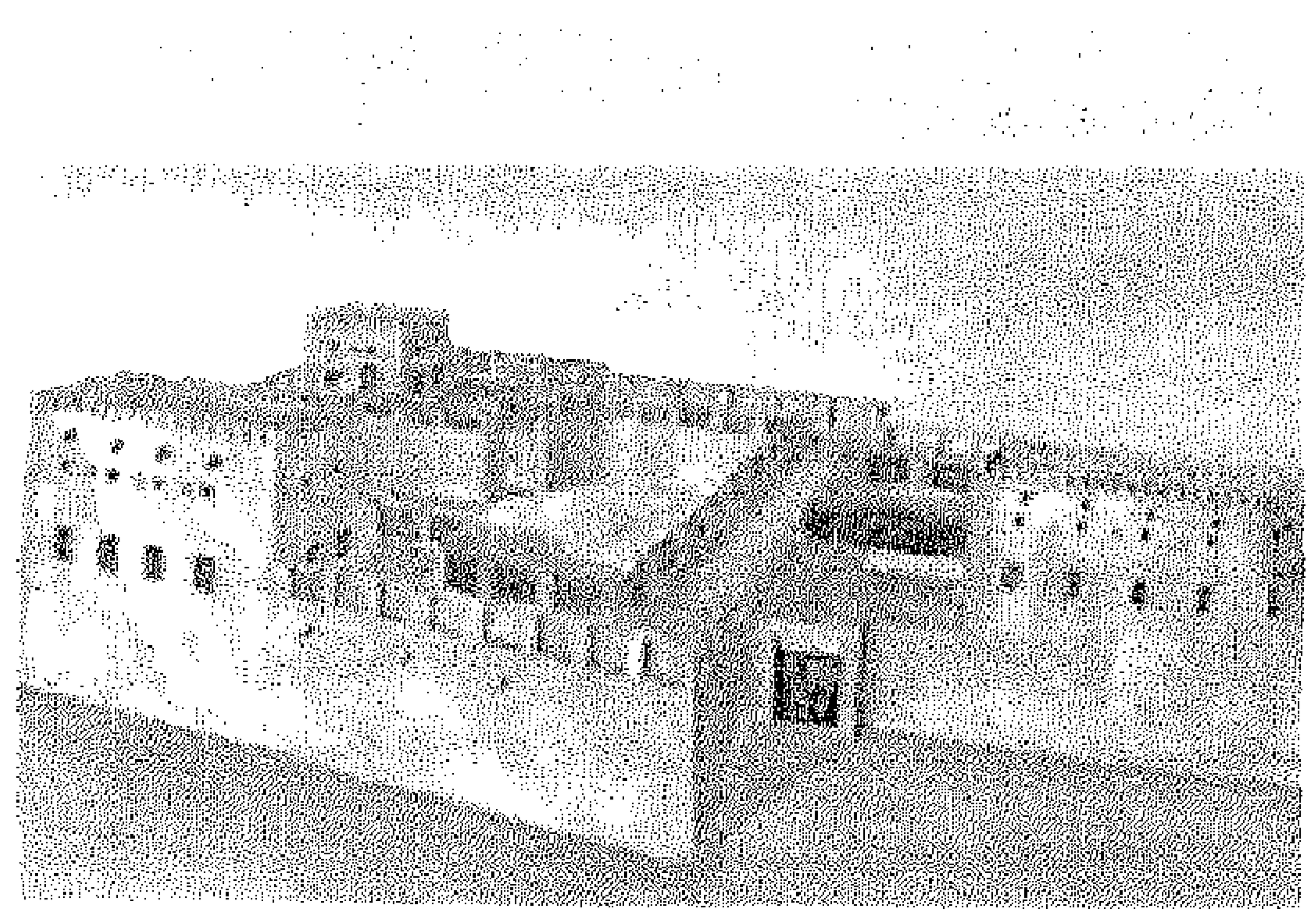
المتحف الإسلامي بالشارقة

صرح حضاري يؤكد على عمق الإرتباط بالهوية الإسلامية

المتحف الإسلامي بالشارقة
صرح حضاري يؤكد على عمق الإرتباط بالهُوية الإسلامية

حسام فتحي أبو جبارة*

تعتبر المتاحف إحدى الوجوه الأساسية في العملية الثقافية، وهي تشكل أقنية رفد حقيقية للمؤسسات العاملة في الحقل المعرفي. وقد استطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تؤسس لشبكة من المتاحف المتخصصة التي تضم محتويات تقوم على مفاهيم جديدة ورؤى عصرية، وتقدم ماضي حياة السلف والخبرة المتوارثة عبر الأجيال، إلى جانب كونها تعرض نفائس من الماضي وإبداعات من الحاضر. و(المتحف الإسلامي) في إمارة الشارقة هو واحد من تلك الصروح الحضارية، الشاهدة على عمق الارتباط بالهوية الإسلامية والمحيط القريب من العالمين العربي والإسلامي.



يقع المتحف في منطقة الغرب، إحدى ضواحي مدينة الشارقة القديمة، في بيت تاريخي عريق عمره حوالي 200 سنة، تعود ملكيته إلى المرحوم سعيد محمد الشامسي، وهو أحد تجار اللؤلؤ، والذي اشتهر بطول قامته فعرف باسم (الطويل). ويتكون البيت من طابقين : الأرضي، ويضم عدداً من الغرف التي كانت تستخدم مسكنا للأسرة. والعلوي، الذي يضم ثلاث غرف كانت تستخدم مسكناً للأسرة في أيام السلم، وموقعا دفاعيا في أيام الحرب.

ويقول علي المري، مدير المتحف الإسلامي : إن بيت الشامسي ظل فريسة لعوامل التعرية القاسية بحكم تعاقب الزمن، إلى أن قرر حاكم الشارقة، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، في بداية فترة التسعينيات من القرن الماضي، ترميم منطقة التراث وإعادتها للحياة مرة أخرى، تحت إشرافه المباشر واليومي، مضيفاً أن الاحتفاظ بالبيوت التراثية يعد موجة عالمية تجتاح العالم بأسره، وأي مكان يصلح لخدمة الحركة الثقافية تتم الاستفادة منه بأسرع وقت. ولفت المري، إلى أن أعمال الترميم بدأت من بيت (النابودة) المجاور لبيت الشامسي، حيث يقع الآن

* صحفي وكاتب فلسطيني مقيم في الإمارات العربية المتحدة.
* الصور خاصة بمجلة التواصل.

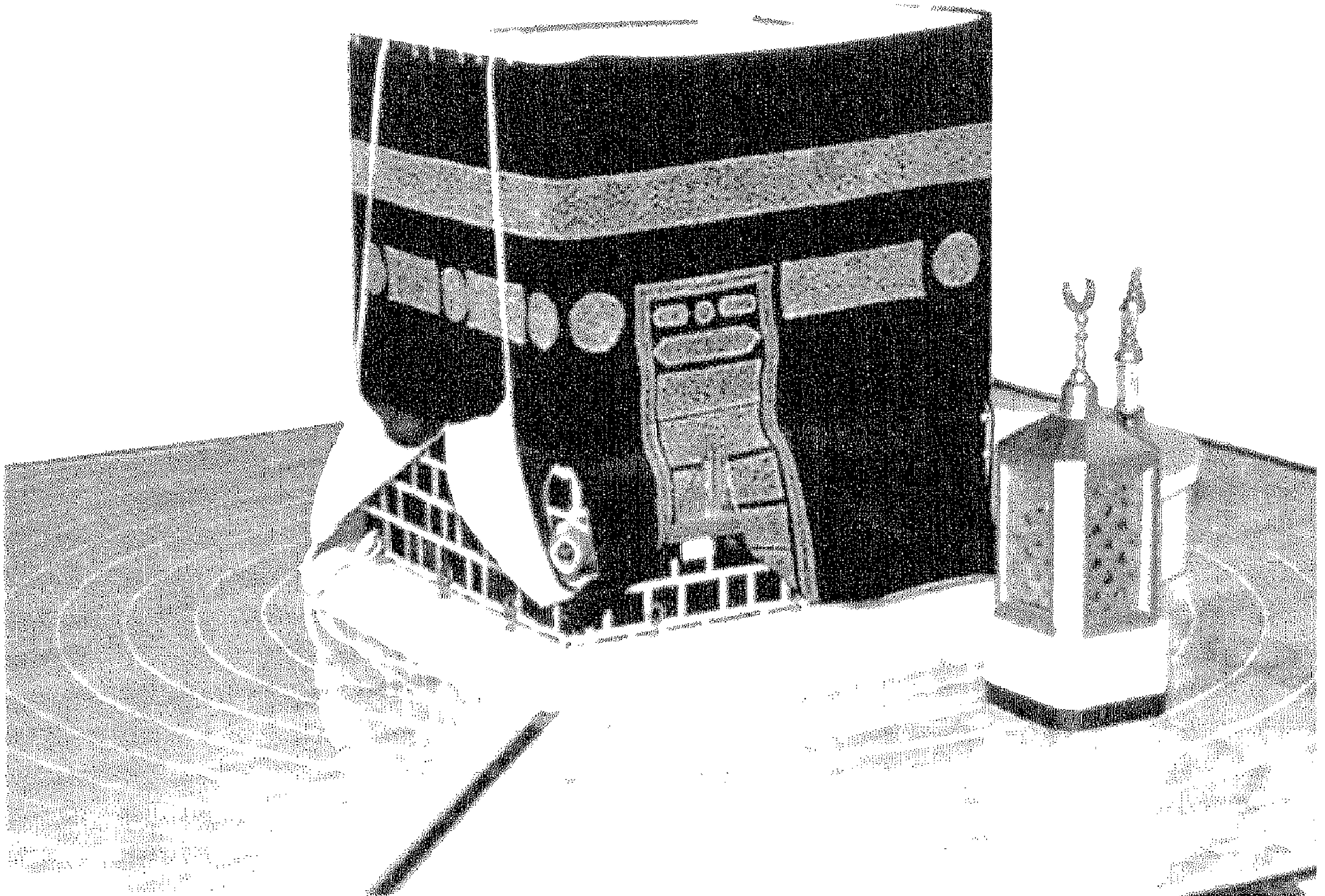
المتحف الإسلامي. ولبيت النابودة يرجع الفضل في التنبيه لما وقع من سرقات للقطع الأثرية المهملة، فقبل سنوات قريبة ارتاب رجال الجمارك الإماراتيون في حمولة قد تكون مسروقة، وكان صاحبها يأمل بأخذها معه لبلاده، واتضح بعد التحقيق معه أن تلك الحمولة هي أحد أبواب بيت النابودة. ويضيف المري: كانت تلك محاولة لسرقة قطعة من تاريخنا، ومؤشراً على ضرورة التحرك، لقطع الطريق ضد أية محاولات قادمة. وهكذا ازداد الاهتمام بالبيوت القديمة، ومنها بيت سعيد الشامسي الذي أعيد افتتاحه بعد عمليات ترميم وصيانة تحت مسماه الجديد (المتحف الإسلامي) في 25 جمادى الآخرة 1417هـ، الموافق 16 الحرث (نوفمبر) 1996م.

وجرى تقسيم غرف البيت (المتحف) إلى عدد من الدور (القاعات)، وكل دار تضم طائفة من المعروضات التراثية الإسلامية، فضلاً عن مقتنيات وقطع زجاجية وفخارية ومعدنية عثر على بعضها في مواقع مختلفة من إمارة الشارقة.

❖ المدخل ودار الكعبة

قبل أن يدلف الزائر إلى أروقة المتحف الإسلامي تواجهه في المدخل شاشة عرض كبيرة تعرض شريطاً (فيلماً) تسجيلياً عن مراحل تطور المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف، والمسجد الأقصى، ويتبعه دعاء لإمام المسجد الحرام.

وتبدأ الرحلة عبر المتحف بدار الكعبة المشرفة،



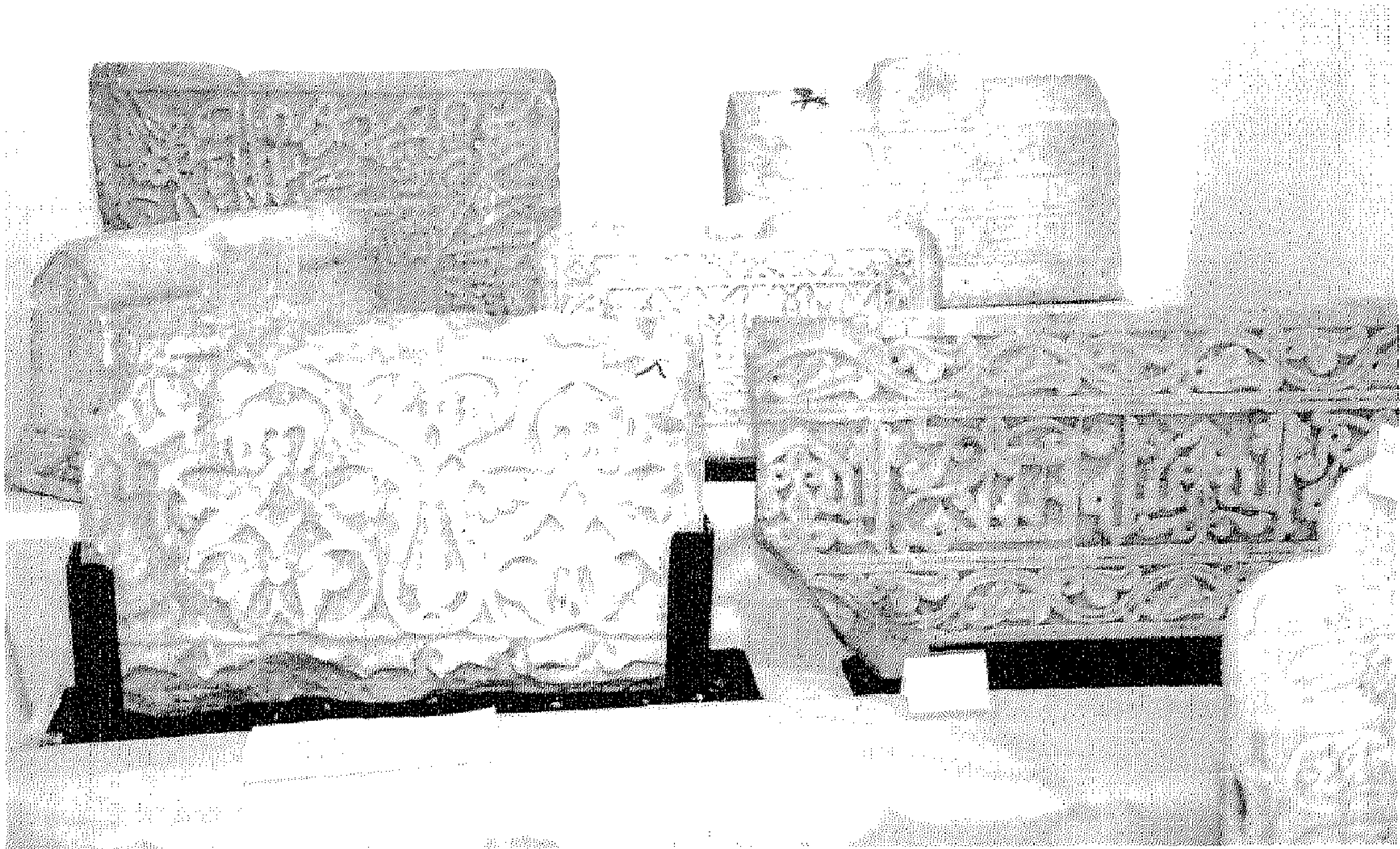
مجسم الكعبة المشرفة

التي تتوزع محتوياتها على غرفتين صغيرتين. الغرفة الأولى تقع على يمين المدخل وتحمل اسم (مناسك الحج) وتحتوي على لوحات تشرح أعمال الحج بأقسامه الثلاثة (حج التمتع، والقران، والإفراد)، وتعرض خريطة مضيئة للمواقيت المكانية (مواقيت الحج والعمرة) وصوراً للإحرام والطواف والسعي والذهاب إلى منى، ويوم عرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمرات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مقتنيات المتحف كافة تتضمن شروحات بالعربية والإنجليزية، بما في ذلك الأشرطة (الأفلام) التسجيلية التي تعرض من حين لآخر. ويتوسط الغرفة مجسم للكعبة المشرفة مشغول بطريقة رائعة، مع شروحات لما تحتوي عليه من معالم لباب الكعبة، والركن اليماني، وقياسات الكعبة، والحجر الأسود.

أما الغرفة الثانية، فتحتوي على صور قديمة من مكة المكرمة وبيوتها تعود للفترة من عام 1927-1933م، وتحتها هناك مجسم للمسجد الحرام بمكة المكرمة، ومجسم للمسجد النبوي الشريف بالمدينة



مجسم للحجر الأسود



قطع مزخرفة من الحجر الرملي

المنورة، ومقابلهما توجد صور لمقام إبراهيم عليه السلام، وقطعتان من الحجر الرملي الأحمر نحتت عليهما آيات من القرآن الكريم لتستخدم في تزيين العمارة الإسلامية من الخارج، وهما من دلهي بالهند، تعودان للقرنين الثامن والتاسع الهجريين. كذلك تعرض في دار الكعبة المشرفة قطعة من كسوة الكعبة الداخلية، تخص باب التوبة، وهي آخر ستارة لباب الكعبة الداخلية، لأنها استبدلت في السنوات الأخيرة بباب من الذهب الخالص، وأهدى حاكم الشارقة هذه القطعة إلى المتحف لتكون جزءاً مهماً من معروضاته، ويبلغ طولها 285 سنتمتراً، فيما يبلغ عرضها 165 سنتمتراً، وهناك قطعة من المرجح أن تكون جزءاً من أستار الكعبة الداخلية، ويعود تاريخ صنعها إلى القرن الثاني عشر للهجرة، وهي من الحرير الأخضر المنسوج، تميزت بتشكيل لأسطر متوازية متعرجة على شكل مثلثات تناوبت فيها كتابات بخط الثلث هي ﴿لا إله إلا الله﴾، ﴿محمد رسول الله﴾، ﴿الله جل جلاله﴾.

وتوجد إلى جانب الستارة لوحة تشرح مراحل كسوة الكعبة عبر التاريخ، وتعريف بمصنع كسوة الكعبة بأم الجود في مكة المكرمة الذي افتتح عام 1977م، ويحتوي صندوق زجاجي مثبت في الحائط على محفظة مفتاح الكعبة المشرفة تعود لعام 1407هـ، وإلى جانبه توجد صورة ـ طبق الأصل ـ لمفتاح باب الكعبة المشرفة.

❖ مسكوكات من الذهب والفضة

بعد دار الكعبة المشرفة، ينتقل الزائر إلى (دار المسكوكات الإسلامية)، التي يبدأ مدخلها بلوحات كبيرة تقدم شرحاً مفصلاً لمفهوم النقد، وأهمية دراسة المسكوكات الإسلامية، باعتبارها وثائق تفيد في دراسة التاريخ السياسي والمالي للدولة الإسلامية، ومعرفة مدى توسعها، والسلالات الحاكمة فيها، وشخصياتها، وأحداثها، وتتبع تطور فن الخط العربي فيها، كما تقدم بعض اللوحات التي تزين جدران الدار شرحا مفصلا لكيفية صناعة المسكوكات. بعد ذلك نجد سلسلة من النصب الخشبية التي تتوسط الغرف الصغيرة التي تحتويها الدار، تتضمن كل مجموعة منها عملات لدولة أو منطقة أو عهد معين. ويضم هذا القسم أكثر من 2600 قطعة من الدنانير الذهبية، والدنانير الفضية، والفلوس النحاسية، من مختلف العصور الإسلامية.


عملة إسلامية

ففي البداية تأتي الدنانير الأموية، وبينها أول دينار ضرب في الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان سنة 78هـ، وبعدها تأتي مجموعة من الدنانير العباسية، كذلك هناك العملات الساسانية المعربة، التي عرفها العرب قبل الإسلام وتعاملوا بها في مجال التجارة الخارجية.

وتزخر الدار بعملات قديمة جداً ونادرة، منها الفلس العربي البيزنطي الذي قلده العرب وحاولوا تعريبه بدءاً من وضع حرفي (AM) عليه كدلالة على مدينة دمشق، وضربت النقود المعربة في إنطاكية وبعلبك وحمص وطبريا. كذلك تعرض الدار فلوساً بيزنطية من فترات مختلفة من فلسطين وحمص والبصرة.

وفي غرفة صغيرة جداً تعرض عملات من الدولة المغولية من سنوات مختلفة، وعملات من الدولة

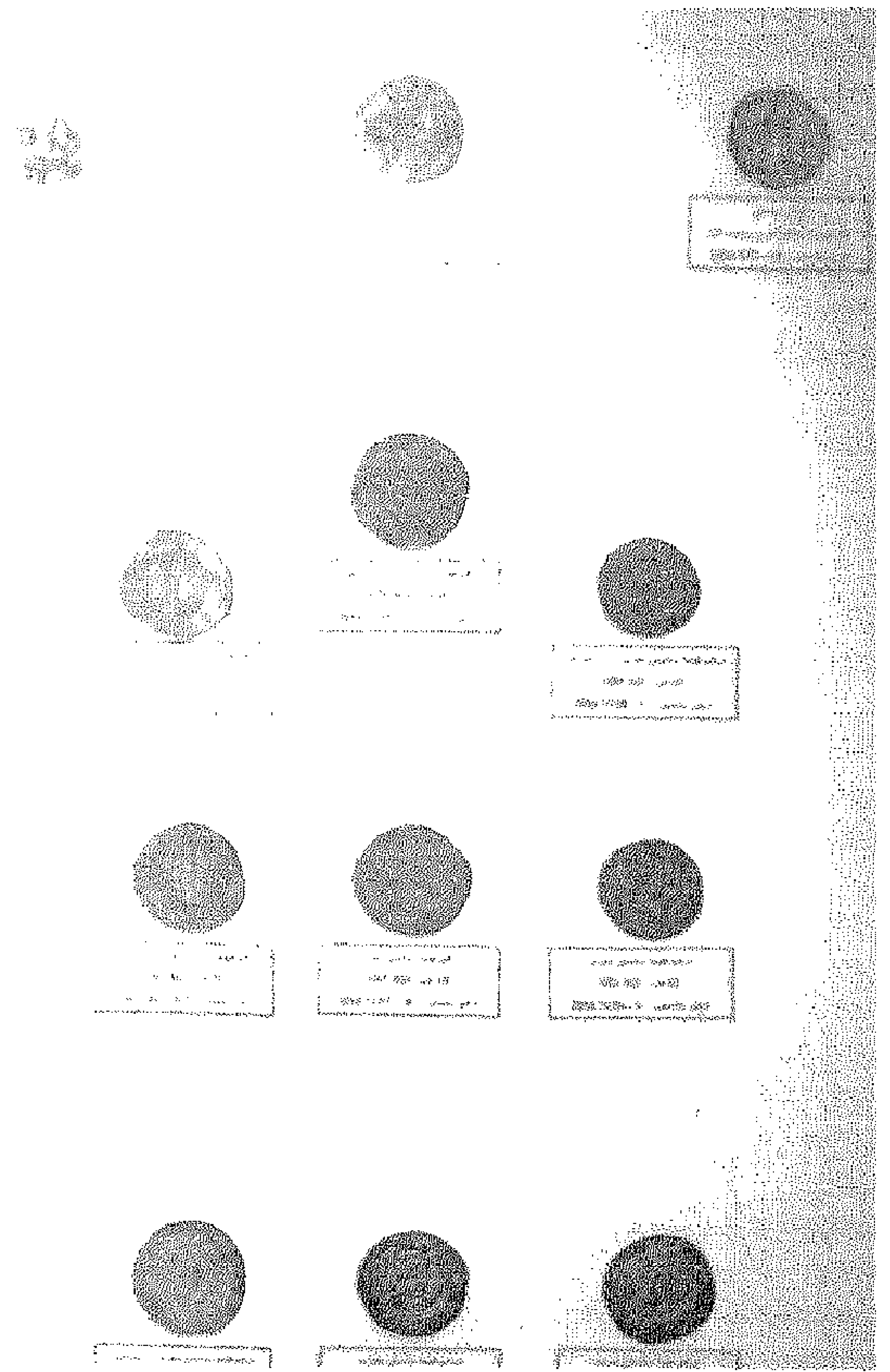
اسم الخليفة، وباستعمال الخط الديواني. وفي نقود الدولة البويهية حذف لقب أمير المؤمنين. أما الدولة العثمانية فتميزت نقودها بـ (الطغراء) وهو التوقيع الرسمي الخاص بالسلطان العثماني، ويضم اسمه ولقبه واسم والده أحياناً.

ولكن أندر وأغرب موجودات دار المسكوكات الإسلامية، هي عملة (طويلة الحسا) التي تعتبر أغرب عملة في التاريخ، كونها تشبه مشبك الشعر، وكانت تتداول قبل 300 سنة في منطقة الحسا الممتدة من شمال الكويت وحتى حدود قطر جنوباً.

❖ الإدريسي يرسم العالم

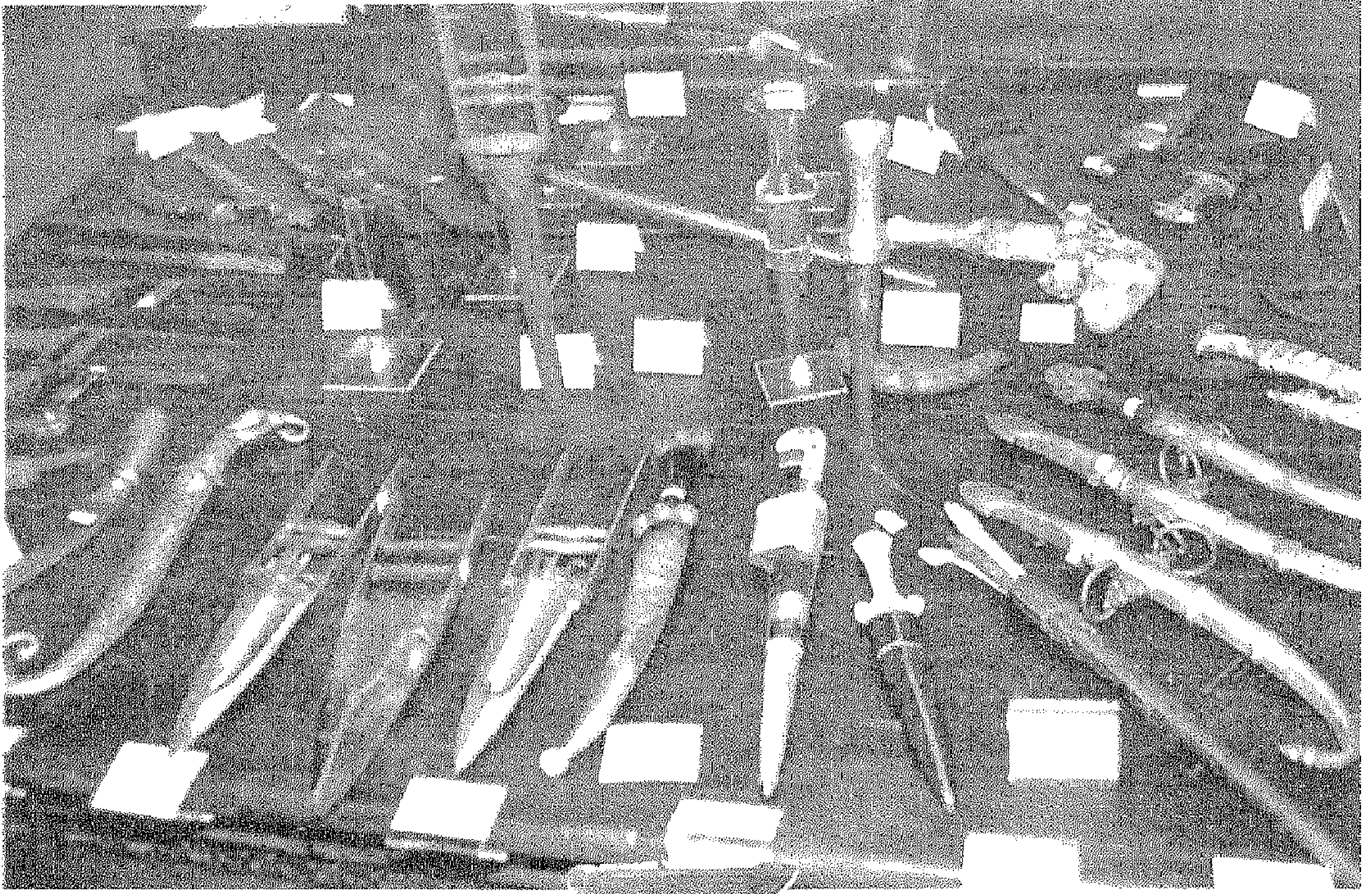
رغم التاريخ العلمي المشرف للمسلمين إلا أن (دار العلوم) في المتحف الإسلامي هي الأصغر، إذ تنحصر محتوياتها في ممر صغير جداً يصل دار المسكوكات بدار المشغولات المعدنية والفخارية. وأبرز ما تضمه هذه الدار شيئان : صورة عن خريطة الأرض التي رسمها الشريف الإدريسي الذي ولد في مدينة (سبتة) المغربية، في عام 1099م، والتي تعتبر أول خريطة في العالم، والنسخة الموجودة في المتحف من هذه الخريطة نشرتها نقابة المهندسين العراقية عام 1970م، وقد جمع أجزاء هذه الخريطة المتفرقة وألف بينها المستشرق الألماني كونراد ميلر، وأعادها إلى أصلها العربي محققها ومحررها محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي، بعد أن رجعا في تصحيحها إلى خمس نسخ مصورة من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي، وطائفة من كتب العرب الجغرافية.

أما الشيء الآخر المهم الموجود في دار العلوم فهو آلات الرصد الفلكي، وأهمها (الإسطرلاب) الذي يستخدم كأداة لتحديد ارتفاع النجوم والأبراج في القبة السماوية، وأيضاً (الكرة السماوية) التي ترصد أبراج الفلك ومواقع النجوم، وقد صنع الكرة السماوية ناصر الدين أطوبي عام 1205هـ.



مسكوكات قديمة

الأيوبية كدرهم الملك عبد العزيز عثمان، الذي ضرب في دمشق عام 592هـ، إضافة إلى درهم ودنانير من الدولة السلجوقية التي ظهرت في بلاد ما وراء النهر وتوسعت حتى بخارى وسمرقند وأصفهان، والدولة البويهية التي ظهرت في العراق وإيران. وفي غرفة صغيرة أخرى تتوزع على جدرانها لوحات تقدم شروحاً لعملات كل دولة يعرض المتحف شيئاً منها، والفروقات بينها، فعملات الدولة المغولية تتميز بوجود مربع في الوسط في معظمها، وبكتابة الشهر بجانب سنة الضرب، وتتميز عملات الدولة الأيوبية بالأشكال الهندسية كالمربع والنجمة السداسية وظهور الشخوص الآدمية على العملات والفلوس النحاسية في الأماكن التي لها علاقة بالمناطق الصليبية، وتميزت عملات الدولة السلجوقية بظهور اسم الأمير إلى جانب



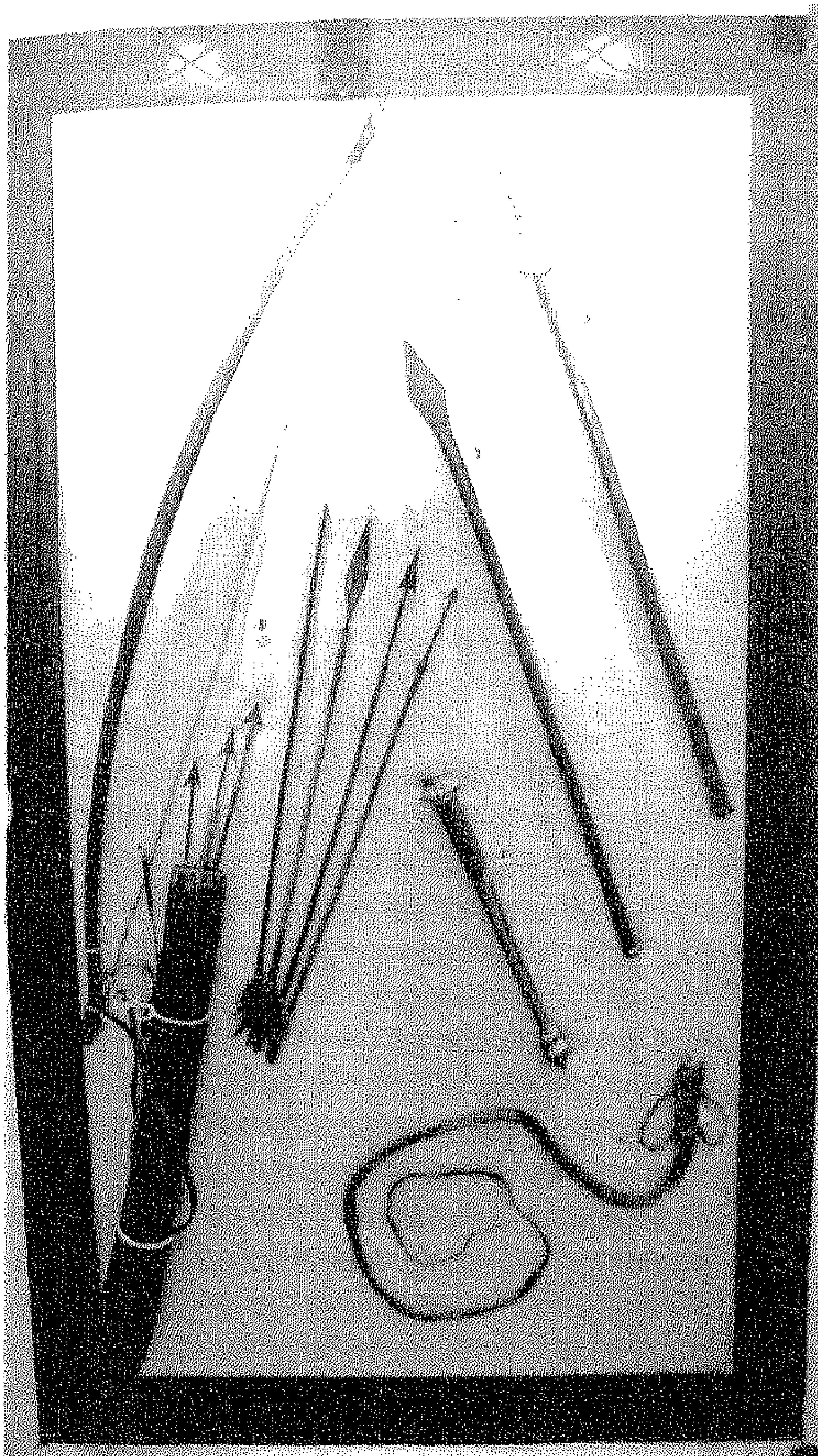
مجموعة خناجر قديمة وحديثة

❖ مشغولات من المعدن والفخار

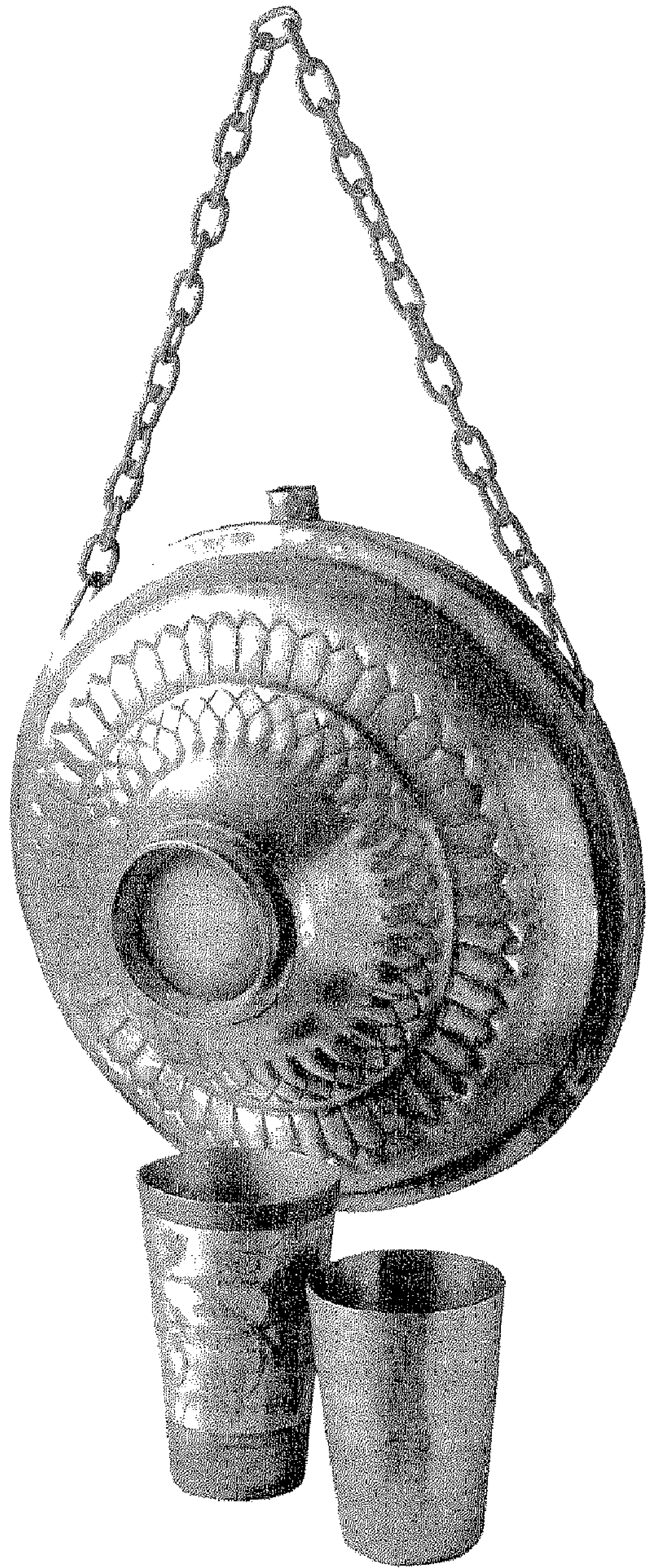
تعتبر (دار المشغولات المعدنية) والقسم الملحق بها والخاص بالفخاريات؛ أكبر أقسام المتحف، إذ يحتوي على عدد كبير من المشغولات المعدنية والفخارية التي تعود إلى فترات مختلفة، فهناك أباريق نحاسية وشمعدانات نادرة من عصر المماليك، وأوعية وأباريق من النحاس، بعضها مكفت بالذهب من القرنين السادس والسابع الهجريين، عثر عليها في بلاد فارس وخراسان.

ولعل أول ما سينتابك وأنت تتجول بين أرجاء هذا القسم هو الشعور بالدهشة والانبهار، أمام تلك الصنعة والحساسية الجمالية العالية التي ميزت المبدع المسلم، وهو يضع بصمات مهاراته الفنية على مشغولاته وإبداعاته بذلك الصبر الدؤوب، وتلك العناية القصوى بتفاصيلها وتنويعاتها، وكأنه يسكب فيها ذلك الغنى الروحي، وإبداعه في تجريد الأشياء من خلال التوالي المتنوع الذي يفيض سمواً وصفاء ورفعة.

ويُعرض في دار المشغولات المعدنية والفخارية صندوقان زجاجيان صغيران، يحتوي الأول على قوارير زجاجية مختلفة من خراسان تعود للقرن الثاني عشر الميلادي. والآخر يحتوي على قناني من الزجاج الملون، كانت تستخدم



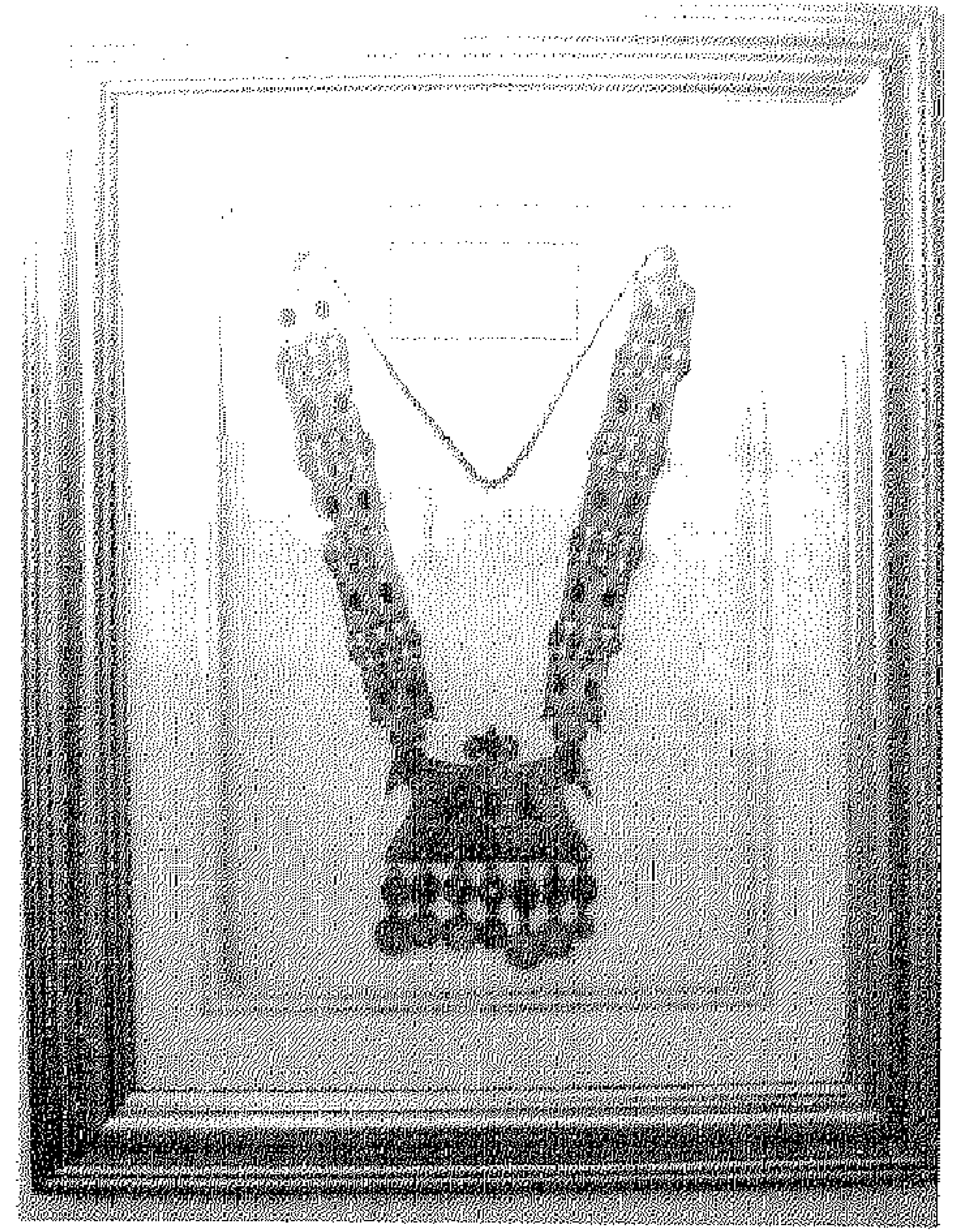
أدوات قتالية قديمة



لحفظ ورش ماء الورد، وهي من سوريا وإيران.

وفي الغرفة المخصصة لأدوات الحرب، توجد خوذة من العصر المغولي مصنوعة من الحديد، وأوعية لحفظ البارود على شكل قرني ثور من تركيا، ودروع لتغطية الصدر والظهر بغرض وقاية مرتديها من ضربات السيوف وطعنات الرماح ورميات السهام. كذلك هناك سيوف قديمة، منها سيف ذو غمد مزخرف من روسيا يعود لعام 1321هـ، ومجموعة من خمسة خناجر من الفضة، عثر عليها في المغرب، خلال القرن الثالث عشر للهجرة،





قلادة تركمانية من عام 1613م



تحفة نحاسية

ومجموعة أخرى من الرماح المختلفة الأشكال والأحجام، المزخرفة والمنقوشة بأشكال فنية دقيقة. ولا ننسى الفؤوس، وأهمها فأس ذو حدين من الفولاذ يعود للقرن الثالث عشر للهجرة، وصولجان من الهند من الفترة ذاتها.

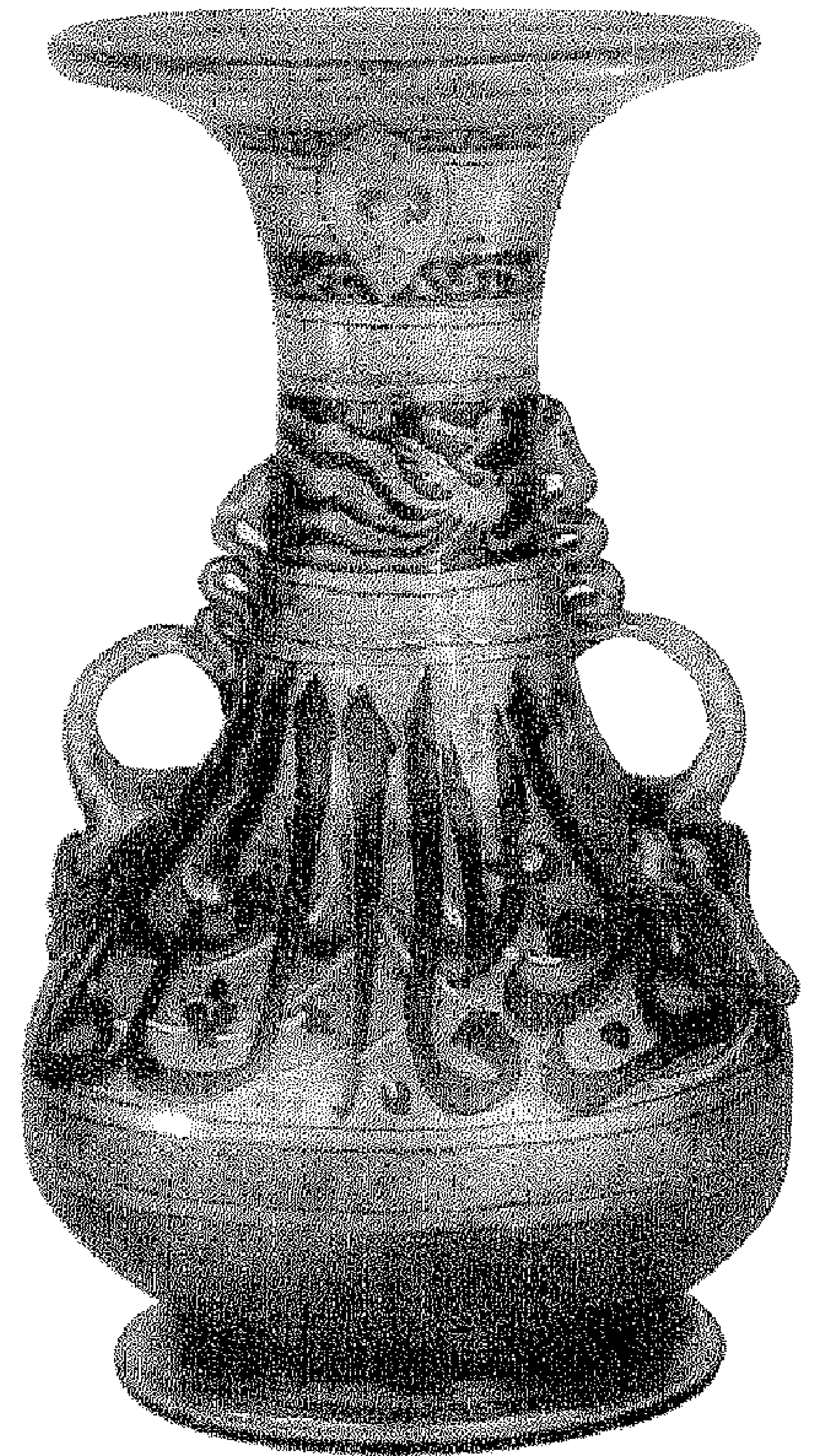
ونواصل السير إلى غرفة أخرى لنجد أنفسنا أمام أساور وخواتم فضية من عهود إسلامية متأخرة، ومنها زوج أقراط كبيرة الحجم مزركشة مصنوعة من الفضة، تعود للقرن العاشر مسيحي، وقلادة من الخرز الأحمر والنحاس من إيران تعود للقرن التاسع عشر مسيحي، وقلادة أخرى تركمانية مطلية بالذهب، ومرصعة بالأحجار الكريمة من عام 1033هـ، وحامل للقرآن الكريم من القرن الثالث عشر للهجرة.

وفي صندوق زجاجي مثبت في الحائط ثمة

شروحات لأجزاء المسبحة، وأصلها، وقد ورد في إحدى الشروحات أن أصل المسبحة يعود للديانة البوذية في الهند، ثم انتقلت إلى بلاد العرب عن طريق التجار والمستكشفين. وفي الغرفة القريبة من هذا الصندوق ثلاثة صناديق زجاجية مستطيلة الشكل، يحتوي الأول على منضدة برونزية لها باب صغير، وتحمل لقب السلطان المملوكي الناصر قلاوون من مصر عام 963هـ، ويحتوي الثاني على إبريق من النحاس من إيران (العصر السلجوقي) تعود للقرن السادس الهجري. أما الثالث فيحتوي على إناء للزهور رائع الجمال، مطلي بالذهب، وله غطاء مزخرف بنقوش نباتية وملونة بألوان بديعة.

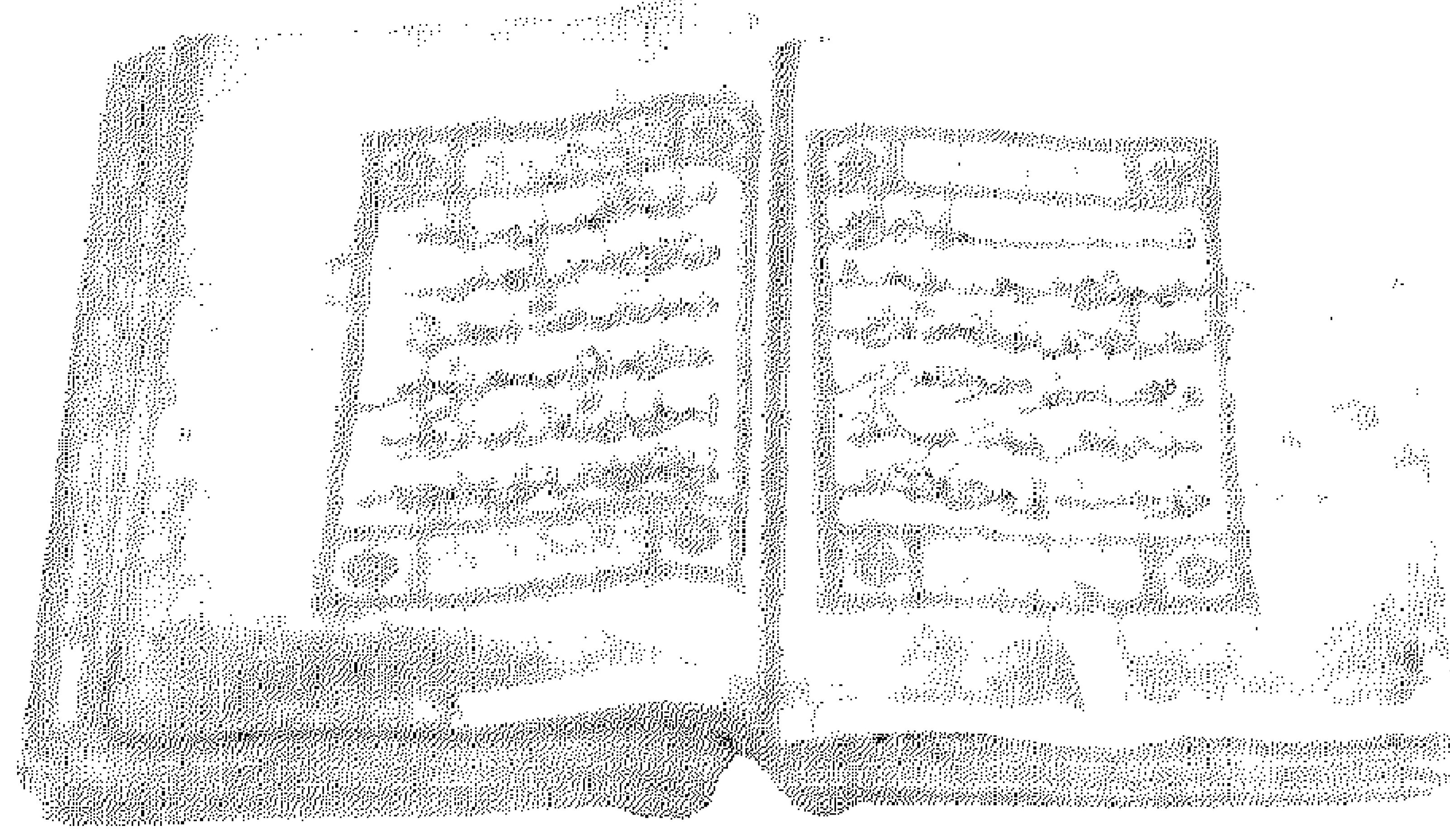
وهناك أيضاً وعاء عميق من النحاس الأصفر مزخرف بنقوش وكتابات عربية تتضمن أبياتاً من شعر الحكمة بخط الثلث جاء فيها: (لا تظلمن أحداً إن كنت مقتدراً، فالظلم آخره التبكيت والندم).

وتحتوي الدار كذلك على أواني ومشغولات نحاسية مكفتة بالفضة من الهند (القرن الثاني عشر للهجرة)، وشمعدانات نحاسية من إيران تعود للقرن الثالث عشر للهجرة. إضافة إلى أوعية فخارية من نيسابور وخراسان (القرن الرابع الهجري) ملونة بالأحمر والأخضر والأرجواني، وقرميد (بلاط) لتزيين الحائط على شكل مربع مزخرف، يحتمل أن يكون صنع في أوائل القرن الرابع للهجرة.



❖ مخطوطات نادرة

يمتلك المتحف مجموعة مهمة من المخطوطات الإسلامية والعربية حفظت في (دار المخطوطات الإسلامية) التي تحتوي على حوالي 100 مخطوط، منها ما هو معروض ومنها ما هو محفوظ، من مختلف العلوم والمعارف. وفي الطريق إلى (دار المخطوطات الإسلامية) تتوزع على الجدران نماذج أصلية وصور من بعض صفحات القرآن الكريم بخطوط من عصور

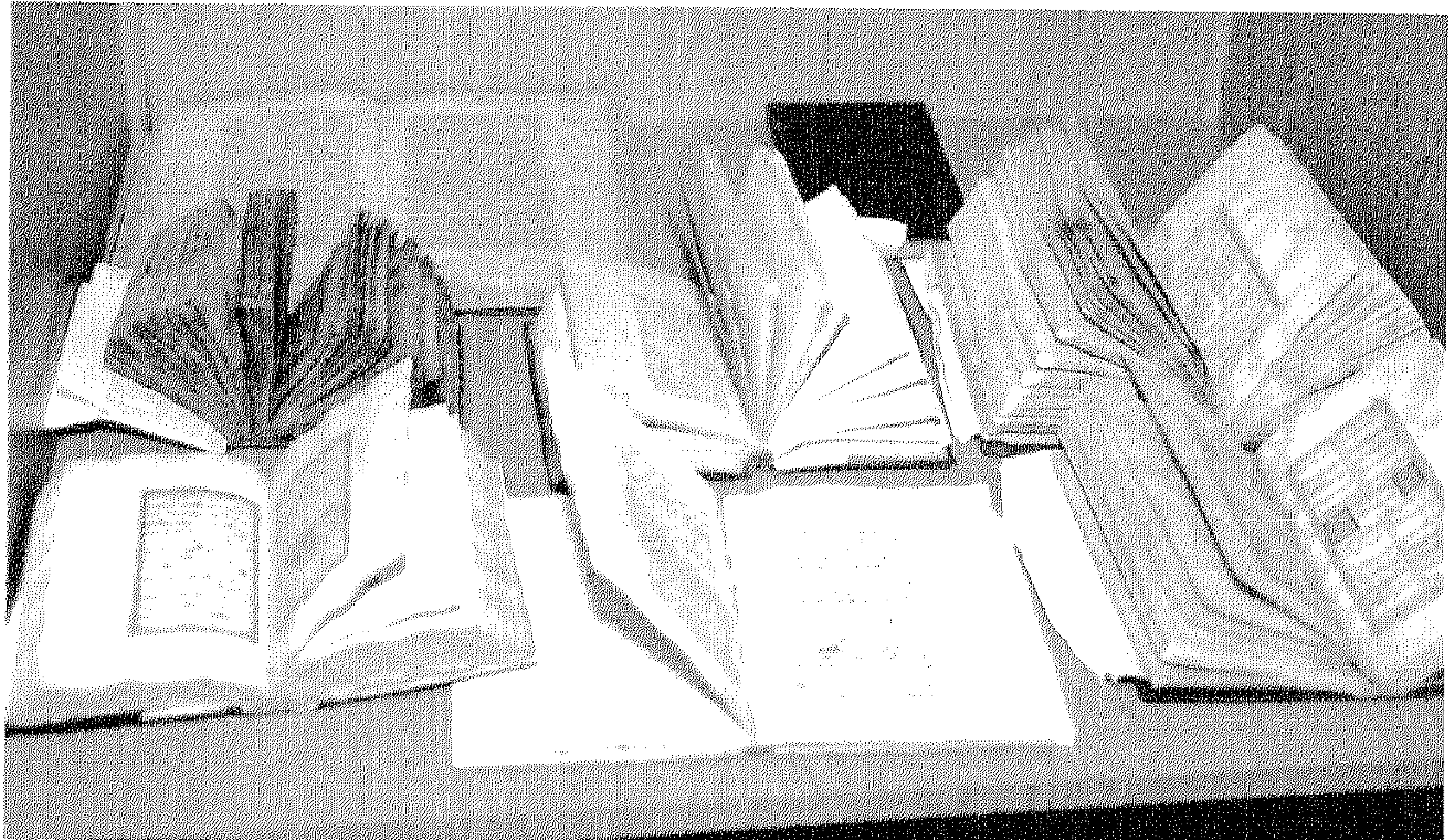


نسخة نادرة من القرآن الكريم

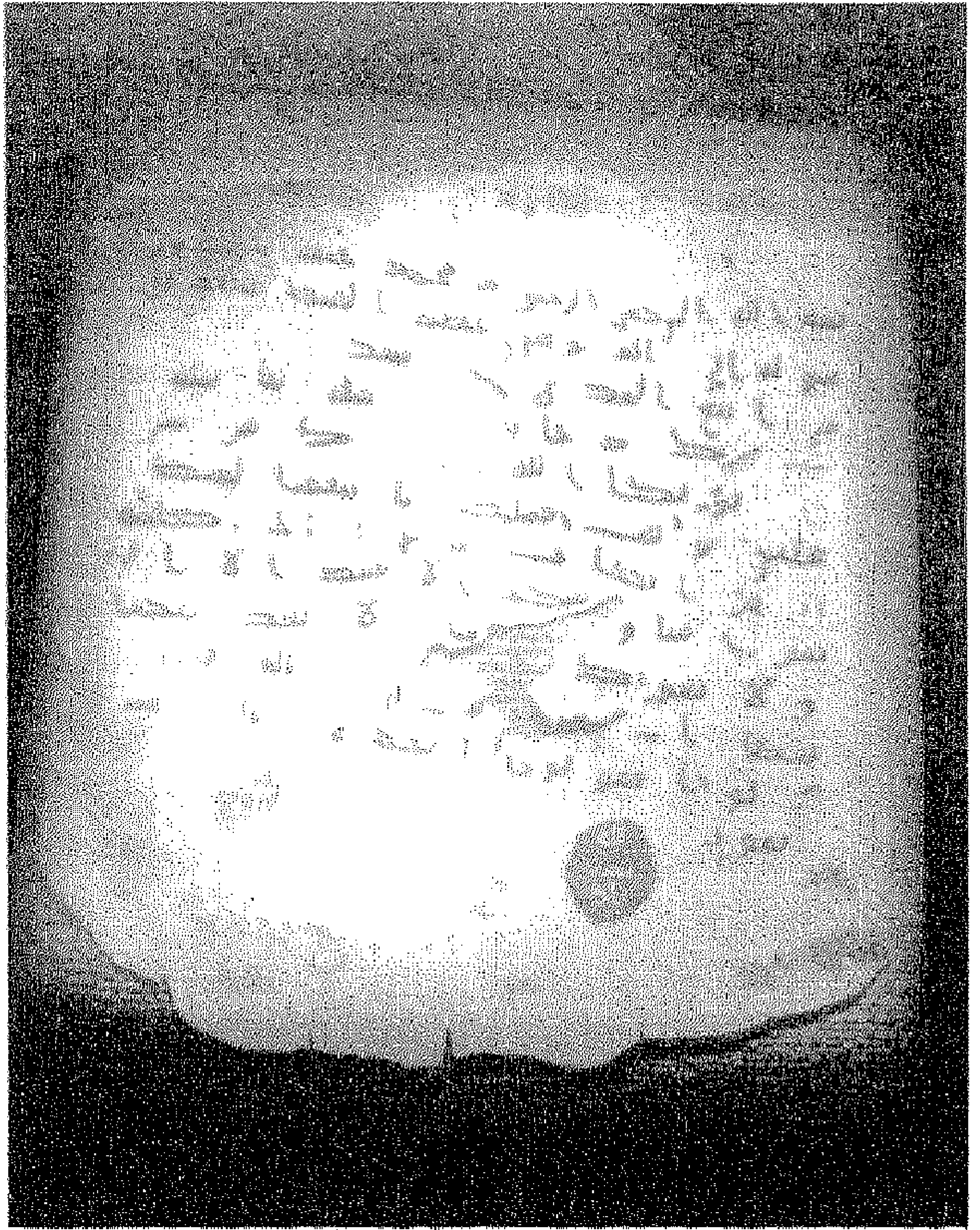
مختلفة، وهناك صندوق زجاجي صغير في الحائط يحتوي على ختم أموي صغير الحجم صنع مقبضه من الفضة، وكتبت عليه عبارة (حسبي الله ونعم الوكيل) بالخط الكوفي القديم، وهو من القرن الثاني للهجرة، ووزنه3, 3 غرام.

أما دار المخطوطات ذاتها، فهي حافلة بالنفائس والمقتنيات النادرة، حيث تتصدرها مخطوطات القرآن الكريم، ومنها مخطوط كامل للقرآن الكريم، كتبه عيسى الردي القارئ بخط النسخ في القرن السادس للهجرة، ومخطوط نادر وكامل للقرآن الكريم كتبه عبد العزيز العرياني بالخط المغربي في القرن العاشر، ومخطوط نادر وكامل للقرآن الكريم كتبه بخط النسخ حافظ حسن البلوي من سوريا عام 1254هـ، وتتميز هذه النسخة بتصميمها ضمن دائرتين متساويتين فوق بعضهما البعض وتتخللهما تحلية ذهبية رائعة.

وهناك أيضاً مخطوطة متكاملة كتبها محمد بن



مصاحف من عصور مختلفة



صورة من رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس

عبد العزيز العرياني بالخط المغربي، وتتميز بزخارفها البسيطة واختلاف ألوانها المميزة لعلامات الإعراب وعناوين السور، وتعود هذه المخطوطة إلى المغرب العربي، القرن العاشر الهجري. ويلفت انتباهنا مخطوط يعد من أشهر المخطوطات القرآنية في العالم، وهو مطابق تماماً لمخطوط أحمد قرة حصاري الذي يعود إلى عام 953هـ، والمخطوط منقوش بأفضل نمط تقليدي عثماني، محلى بكامله بالذهب، فضلاً عن تعدد ألوانه وزخارفه.

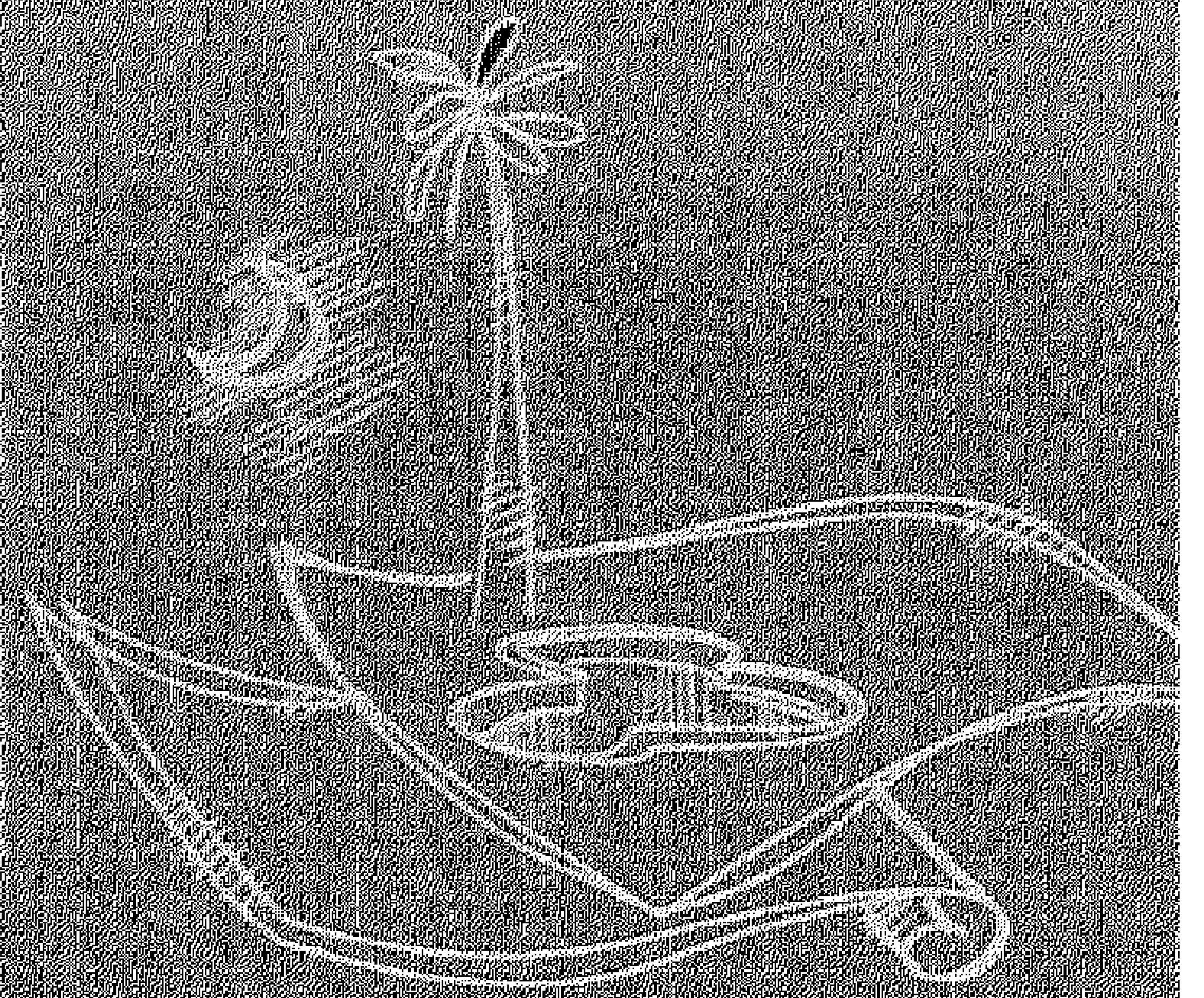
كذلك يحتوي المتحف على مخطوط للجزء الثاني من كتاب (الجامع الصحيح) في الحديث الشريف للإمام البخاري، بخط النسخ، وبالمداد الأسود، عدا عناوين الأبواب، من عام 860هـ، ومخطوط في الطب مترجم إلى اللغة العربية للمؤلف جالينوس اليوناني، خطه ابن عناية الله محمد داود، بخط الثلث عام 1062هـ.

كما تنتشر على جدران الدار صورة مكبرة لرسائل الرسول الكريم ﷺ إلى الملوك والأمراء، ومنها رسالته إلى كسرى أنو شروان (ملك الفرس)، والمقوقس (عظيم القبط في مصر)، وهرقل (قيصر الروم)، والمنذر بن ساوي (أمير البحرين)، والنجاشي (ملك الحبشة)، إضافة إلى صورة لختم الرسول محمدﷺ.

وتشرح لوحة مثبتة على أحد جدران دار المخطوطات عملية صناعة المخطوط، ومن خلال إظهار أدوات الكتابة ونماذج منها، مع شرح عن صانعي المخطوط ودور كل واحد منهم، كالخطاط الذي يقوم بنسخ الكتاب بالخط المناسب، والمصور الذي يقوم بزخرفة المخطوط ورسم المنمنمات، والطراح الذي يعمل على زخرفة الصفحات الأولى من القرآن الكريم، والمذهّب الذي يضع لمسات من ماء الذهب على الرسوم والزخارف، والقاطع الذي يقوم بقص الكتاب حتى يأخذ شكله النهائي، والمجلد الذي يحيك كعب الكتاب ويصنع الغلاف ويثبتهما معاً.

ويختتم الزائر للمتحف جولته بزيارة الغرفة الصغيرة المخصصة للآثار الإسلامية المكتشفة في إمارة الشارقة، والتي تتكون من حجارة وأباريق مصنوعة من طينة حمراء وبرتقالية، وهناك خريطة بالمواقع الأثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وبذلك نكون قد اختتمنا جولتنا في هذا الصرح الحضاري المتميز، الذي يشع حضارة وفكراً وعلماً ونوراً، ويحمل معه ذلك المزيج المتناسق من خصوصية المقتنيات، وجمالية المعمار والبناء.




- لوحة جزيرة أواجي

فوجيشيما تاكيجي

- لوحة ميناء كانكارنو

بول سيجناك

- رسالة المسيح كانت لوعظ «الخراف الضالة»

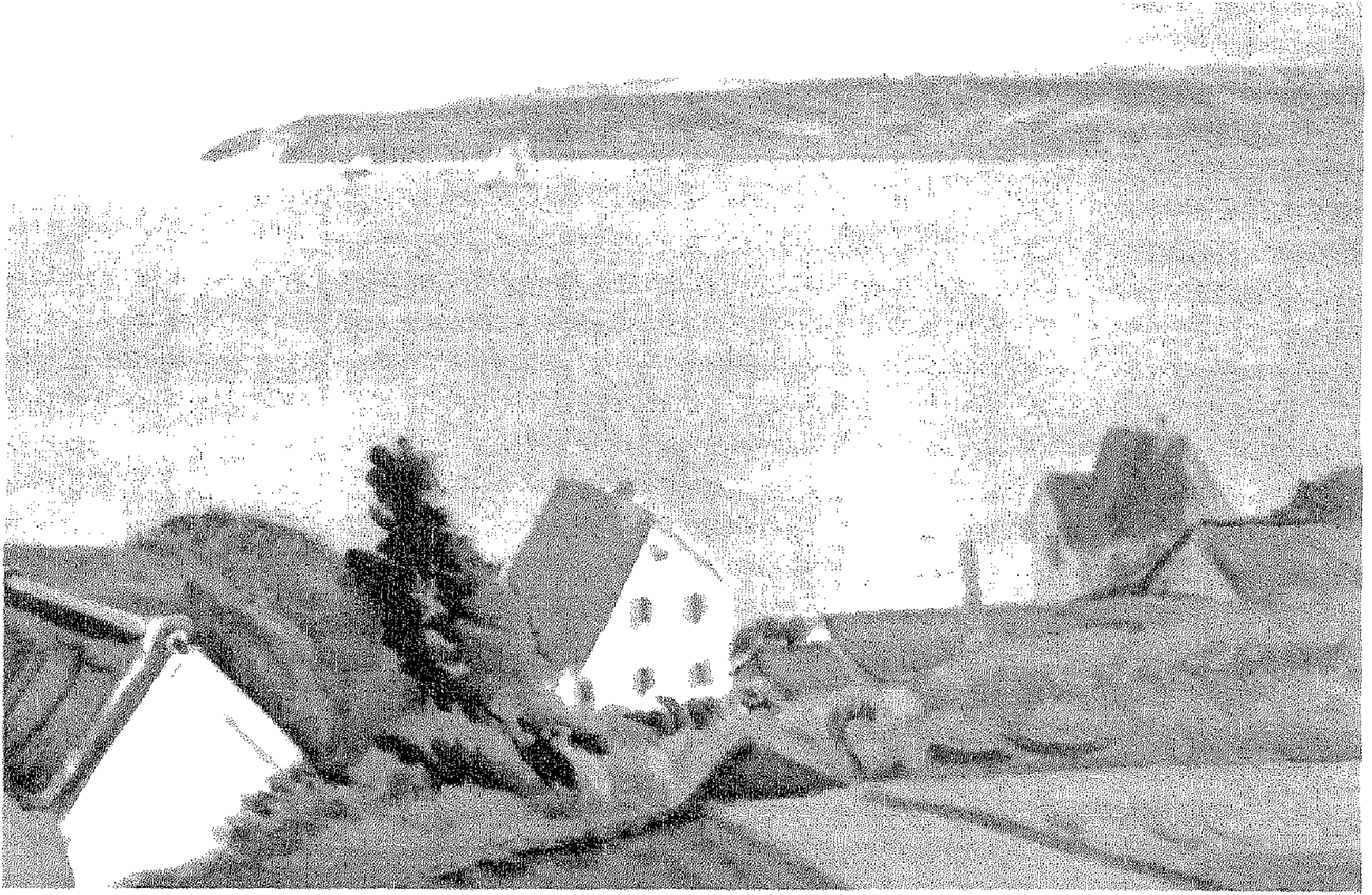
- السعادة..

أبو القاسم الشابي

- إن شاء الله

ميخائيل نعيمة

مشهد بعيد لجزيرة أواجي



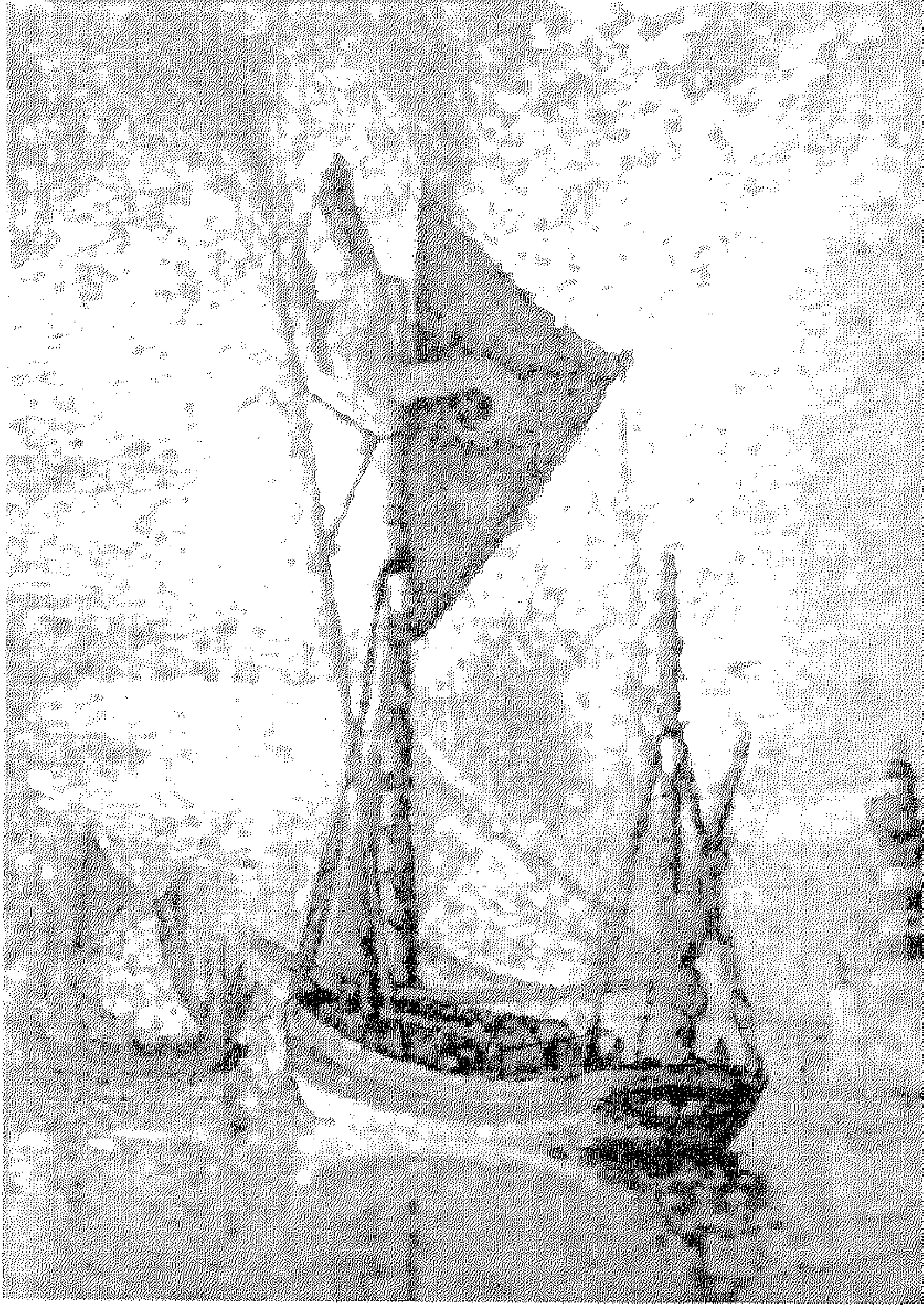
فوجيشيما تاكيجي
FUJISHIMA TAKEJI
(1943-1876)

❖ رسام غربي الأسلوب ولد في كاكوجيما، استهل دراسته بالرسم الياباني قبل الانفتاح على الأسلوب الغربي، وبانقضاء القرن أصبح عضوًا في الـ(هاكويا ـ كاي)، وهي مجموعة مثلت الفن الغربي في اليابان، صور فوجيشيما الموضوعات الأدبية والتاريخية في أعمال زيتية رفيعة المستوى، وذات تأثير يزيد على الفن الغربي الحالي. في سنة 1905م سافر إلى أوروبا لدراسة تقنيات الرسم الزيتي التقليدي في باريس ولندن، وبعد عودته إلى وطنه سنة 1915م، ابتكر أسلوبًا بهيجًا مشرقًا، صور فيه الموضوعات الشرقية بواسطة ضربات الفرشاة القوية، إلى حين أصبح شخصية رائدة في الأكاديمية اليابانية.

❖ المشهدُ يظهر الجزيرة كما لو كانت ترى من مقاطعة (مايكو)، وعلى مقربة شديدة من الموقع الحالي لبحر (آكاشي كايكيو). في اليابسة الأمامية شاطئ بحري ساكن لمنطقة مأهولة، ذات مزيج من بيوت تقليدية قرميدية مائلة، بالإضافة إلى بيوت غربية، ذات أسطح معاصرة. قام الفنان برسم العمل واقفًا على أحد المنحدرات المطلة على شاطئ البحر، بهذا تضم طريقة التركيب اليابسة الرئيسة في المقدمة، واليابسة المتوسطة باختزال، والبحر الممتد في الخلف بأقصى اتساع.

وظف هذا في خدمة البعدين الطبيعيين للوحة، وقد تقوى بمفتاح العناصر الأفقية الناشئة، وباستعمال الحواجز المسطحة للألوان، وتقدم الضربات البنية والخضراء لحقول الأرز نبرة خادعة للتكوين الكلي الواضح المدهش.

لوحة ميناء كانكارنو



كانكارنو بلدة وميناء في بريتاني بفرنسا، أحب سيجناك القوارب، وأبحر بمحاذاة طول الساحل الفرنسي، بيخته الخاص، وهو يرسم شاطئ البحر، وقد رسخت هذه اللوحة في الذاكرة، لرحلة كهذه، بقارب يقبع بوضوح في مركز اللوحة، ويمكن وصفه بأنه وجه اليخت، تعود اللوحة إلى سني عمره المتأخرة، وبالتالي فقد ركبت من نقاط فسيفسائية أكبر قليلاً، تشبه ضربات الفرشاة، إنها لوحة استثمرت الماء الرقراق، الضوء الراقص، والراية الخفاقة في الريح، أشياء تجعل المرء يتوقع أنه بصدد عنصر الانطلاق السريع والعشوائية، والسكون المعجز غير المستقر.

بول سيجناك

PAUL SIGNAC

(1935 - 1863)

يعود طموح سيجناك، في أن يصبح رسامًا، إلى أعمال مونيت في الأصل، وإلى الزمن الذي شارك فيه بالمعرض المستقل في العام 1884، حيث أصبح صديقًا لـ(سبوراتس)، معًا قام الاثنان بتهذيب التقسيمية الانطباعية، إلى مذهب الرسم بالتنقيط العلمي المنهج، من ذلك انطباعية التنقيط الحديثة، التي هدفت إلى ابتكار صور تنضج بالضوء، يستعمل سيجناك النقاط الصغيرة، في رسم المناظر الطبيعية والأفراد، لكن أعماله تتأثر بالضوء والماء المضطرب المائج، بنسبة تقل عن شيوع السكون الكلاسيكي لحد ما، فوق هذا فقد كان سيجناك منظرًا أيضًا، وإن أطروحته: (من ديلاكروا وحتى الانطباعية الحديثة) التي أصدرها سنة 1898م، كانت بمثابة دليل وإلهام (لماتيسه) وغيره من الرسامين الليبراليين، استحق عن جدارة لقب: ممهد الاحتمالات الحديثة، للاستخدام التعبيري باللون.

رسالة المسيح كانت لوعظ «الخراف الضالة»

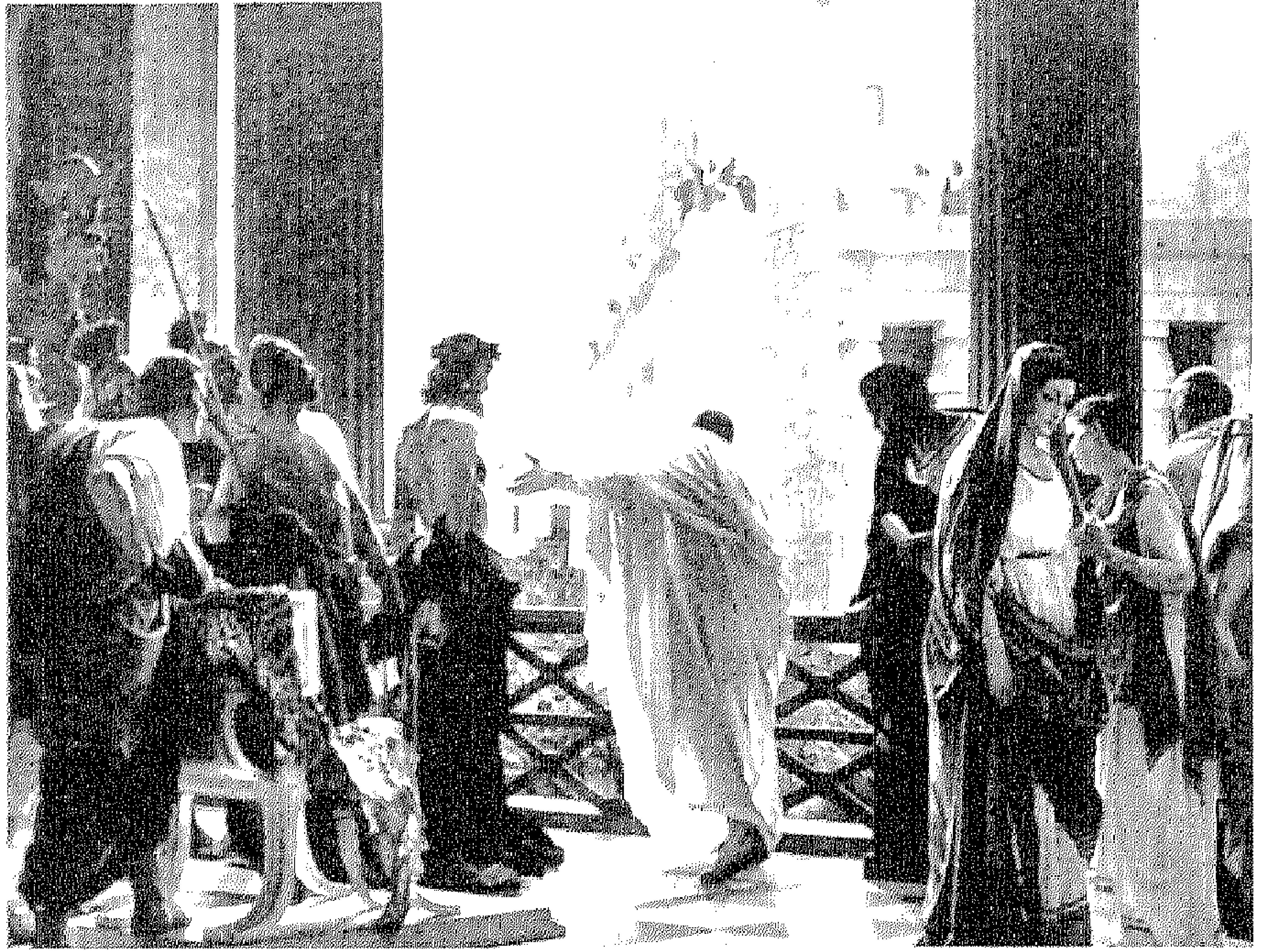


رسم متخيل لمحاكمة عيسى عليه السلام

كان المؤرخ البريطاني.. أرنولد توينبي*، يرى أن على الإنسان أن يزود نفسه بأجوبة مقنعة، خلال حياته المضطربة (جسداً وعقلاً) عن الألغاز التي تضعها الظواهر الطبيعية، هذا مفروض عليه حتى ولو عجز عن الحصول على هذه الأجوبة من العلم، وحتى لو كان يعتقد بأن المعرفة العلمية هي المعرفة الوحيدة الحقة، على أن هذا الاعتقاد ليس في حرز من التشكيك فيه، ومع ذلك فإنه من الصحيح أن الأجوبة التي نعثر عليها، خارج حدود العلم، هي أفعال إيمان لا يمكن إدراكها، فهي ليست شرحاً عقلياً، إنما هي إيمان ديني، وكل تعبير ديني سابق كان يعدل، بحيث يتناسب مع النظرة العقلية للعصر والمكان، حيث صيغ ذلك التعبير بالذات، ولكن الجوهري - الذي هو ركيزة الدين - هو ولا ريب ثابت ثبات جوهر الطبيعة البشرية ذاتها.

يقول أرنولد توينبي أنه - وبحسب ما ورد في الكتب

* ولد أرنولد توينبي في لندن عام 1889 وتوفي عام 1975.
- درس اليونانية واللاتينية في أكسفورد وتأثر بأعمال ابن خلدون.
- عمل لسنوات طويلة أستاذاً للدراسات اليونانية والبيزنطية بجامعة لندن.
- تعد موسوعته (دراسة التاريخ) التي استغرقته نحواً من أربعين عاماً، وطبعت في اثني عشر مجلداً من أهم المراجع لنهوض وانحدار الإمبراطوريات، وهو يعزو سقوط الحضارات إلى ظواهر مجتمعية يشخصها في ضعف القوة الخلاقة بين الأقلية وتخلي الأكثرية عن موالاتها، ومن ثم تتفكك الوحدة في كيان المجتمع.
- تعرض لانتقادات شديدة من رموز الحركة الصهيونية، الذين اعتبروا تاريخ توينبي مجرد هرطقة TOYNBEE HERESY .



رسم متخيل
لمحاكمة عيسى
عليه السلام

المقدسة المسيحية ـ فقد رفض (يسوع) نفسه فكرة الألوهية بالنسبة إليه، في أي معنى كانت، على الأقل في قولين له مدونين، يرمي (يسوع) إلى القول بأنه لا يستوي مع الله في الهوية، إلا أنه يمكن أن يكون (إلهاً) بالمعنى الهندوكي، في كونه إنساناً قضى نهائياً على ذاته EGO، ومن ثم فقد نزع جانباً النقاب الذي يغطي، في أكثر الرجال، الحقيقة الروحية المطلقة القائمة في الداخل، وبالنسبة إلى المدرسة اللاثنائية في الفكر الهندي تكون هذه الحقيقة المطلقة أساساً لجميع المظاهر، وهي تُشعُّ أنوارها ـ بالشكل والحين ـ حينما يُنزع هذا النقاب العميق، الذي يدور حول التمركز النفسي الفردي. ولعل هذه الرؤية المباشرة للحقيقة الروحية المطلقة، عبر يسوع، هي التي حملت المؤمنين به من غير اليهود إلى التصدي له؛ لكن لو أن يسوع ذاته عاش حتى دعي إليها، فمما لا ريب فيه أنه كان أنكر وضعاً لا يمكنه القبول به، ولعله كان، أسوة بغيره من أحبار اليهود، يدعو نفسه «ابن الله»؛ إلا أنه، من حيث التعبير اليهودي، تصبح بنوته لله هذه تعبيراً مجازياً، القصد منه التنويه بعلاقة ود وثقة خاصة به. كان (يسوع) من مستقيمي الرأي، ولذلك فإن أفقه الجغرافي والعنصري كان متجهاً نحو يهود فلسطين، ولما أرسل تلاميذه في حملة تبشيرية أشار عليهم بأن يكتفوا بوعظ الخراف الضالة.

وكان أتباع (يسوع) من اليهود يصدقونه، وبأنه من مستقيمي الرأي، لكن الفريسيين اختلفوا معه عندما فسر الشريعة اليهودية باعتباره صاحب سلطان، دون أن ينتظر بعض الوقت ليحصل على إجماع مسبق للأحبار حول نقطة ماء وتكاد تكون أكثر تفسيرات يسوع غير التقليدية، التي انفرد بها، نتفق تماماً مع بعض الأحبار الذين اتبعوا التقليد المألوف. أما الصدوقيون فقد وافقوا السلطات الرومانية المحلية حين حكمت عليه بالموت، لأنه سمح لليهود المقيمين في القدس أن يخاطبوه على أنه «المخلص» (أي الإنسان المحرر الملكي للشعب اليهودي). كما تمسك الصدوقيّون بموقفهم،وهو أن إعدام يهودي متطرف واحد، كان ضماناً شرعياً لمنع قيام مجموعة (مخلصية يهودية) قد يحتاج إخمادها إلى إزهاق أرواح الكثيرين من اليهود.

السعادة

أبو القاسم الشابي

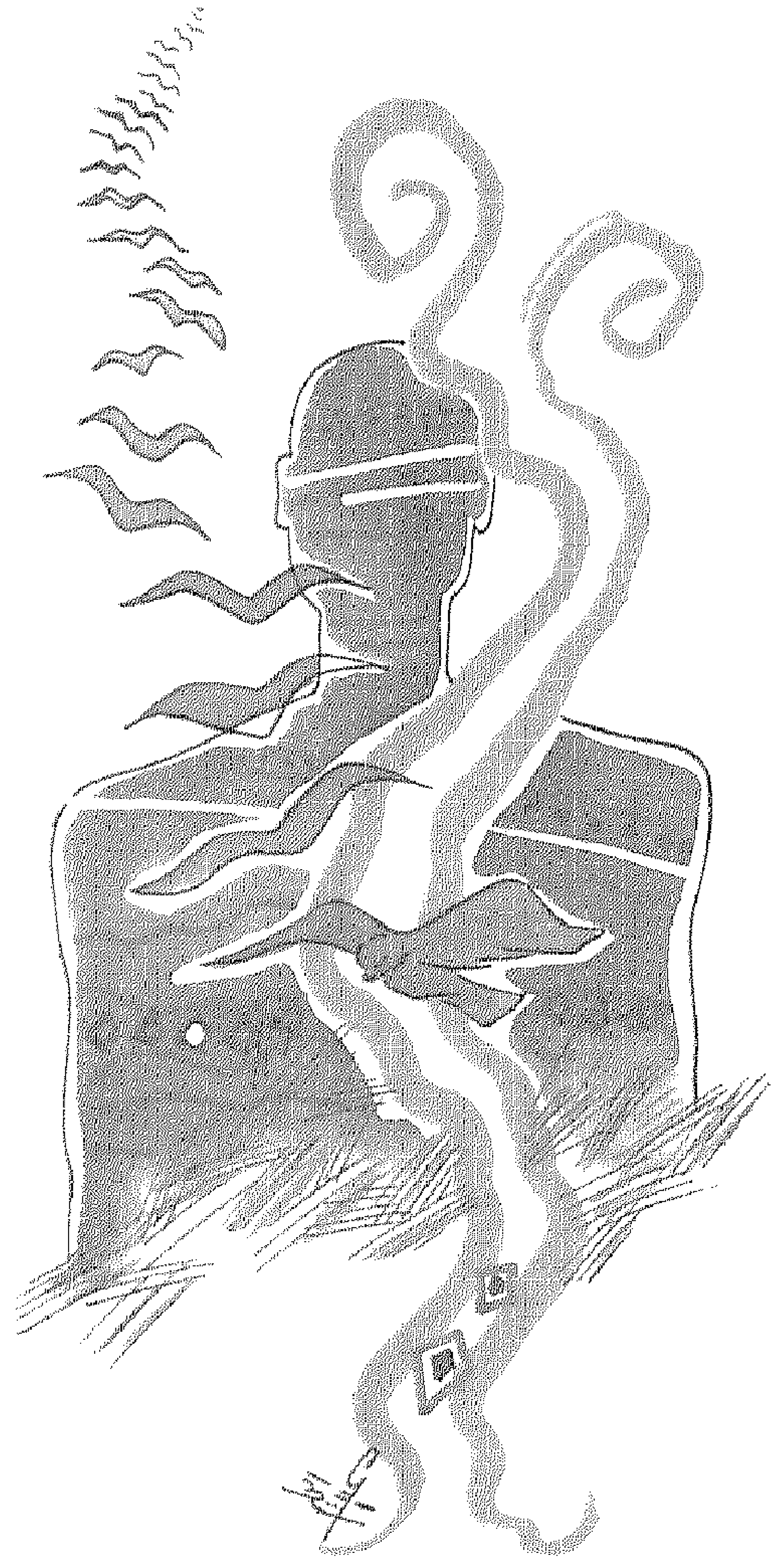
ترجو السعادةَ يا قلبي ولو وُجِدَتْ ... في الكونِ لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا ألَمُ
ولا استحالت حياةُ الناسِ أجمعُها ... وزُلْزلتْ هاتِه الأكوانُ والنُّظُمُ
فما السعادةُ في الدُّنيا سوى حُلُمٍ ... ناءٍ تُضَحِّي له أيَّامَها الأمم
ناجتْ به الناسَ أوهامٌ مُعَرْبِدَةٌ ... لَمَّا تغشتهُمُ الأحلامُ والظلَمُ
فهبَّ كُلٌّ يناديهِ وينشُدُهُ ... كأنَّما الناسُ ما ناموا ولا حَلُموا



«خُذ الحياةَ كما جاءتك مبتسماً ... في كفِّها، الغارُ أو في كفِّها العدم»
وارقصْ على الوَردِ والأشواكِ مُتَّئِدًا ... غنَّت لك الطيرُ، أو غنت لك الرُّجُمُ
واعملْ كما تأمُرُ الدنياءُ بلا مَضَضٍ ... والجِم شُعورَكَ فيها، إنَّها صَنَم
فَمَنْ تَألَّمَ لم تُرْحَم مضاضتُهُ ... ومَنْ تجلَّدَ لم تَهْزأ به القِمَم
هذي سعادةُ دُنيانا، فكن رجُلاً ... إن شئتها - أبدَ الآبادِ - يبتسم!
وإنْ أردتَ قضاءَ العيش في دَعَةٍ ... شعريَّة لا يُغشِّي صفوَها ندمُ
فاتركْ إلى الناس دُنياهم وضجَّتَهمْ ... وما بنوا لنظامِ العيشِ أو رسَمُوا
واجعلْ حياتك دوحًا مُزْهِرًا نَضِرًا ... في عزلةِ الغابِ ينمو ثم ينعدمُ
واجعل لياليك أحلامًا مُغَرِّدَةً ... إنَّ الحياةَ وما تدوي به حُلُمُ!

إن شاء الله

ميخائيل نعيمة



لو تعوَّد الإنسان قول «إن شاء الله»، بقلبه لا بلسانه، لما عتمت المعرفة، أن سكبت من نورها في قلبه.. وإذ ذاك لآزرت المشيئةُ العامة مشيئته، فأسعدته بدلاً من أن تسحقها فتشقيه، لكنّه لاهٍ عن مشيئة الحياة المبصرة، وما في طاعتها من طمأنينة لا تدرك، وغبطة لا توصف بمشيئته العمياء، وما تبذره في كل يوم من مشاكل وهموم.

أوَلا ترون كيف أنّه يرهق جسدَه، بتوسيع نطاق حاجاته، إلى حدّ لا يطاق، ويخنق روحه بتضييق نطاق حاجاتها، إلى حد لا يطاق؟ ما أبسط حاجات الجسد وأقلها لمن يعقلون! فالذي وهب الإنسان الفكر، وما فيه من سحر، والخيال وما فيه من قوّة، والشعور وما فيه من جمال، لن يبخل عليه برغيف وقميص ومأوى، أوَلا ترون كيف أنّه يسعى جهده لامتلاك كل ما تصل إليه يداه، غير عارف أن المالك مملوك ما يملك؟

أوَلا ترون كيف أنّه يدأب الليل والنهار، في تحصيل ما يحسبه ثروة أو غنى، جاهلاً أن الغني من استغنى عن الشيء لا به، وأن الزيادة في ثروة المادة نقصان في ثروة الروح؟

يا للعار أن يصبح مالك الكون، مملوكًا لمال أو عقار!

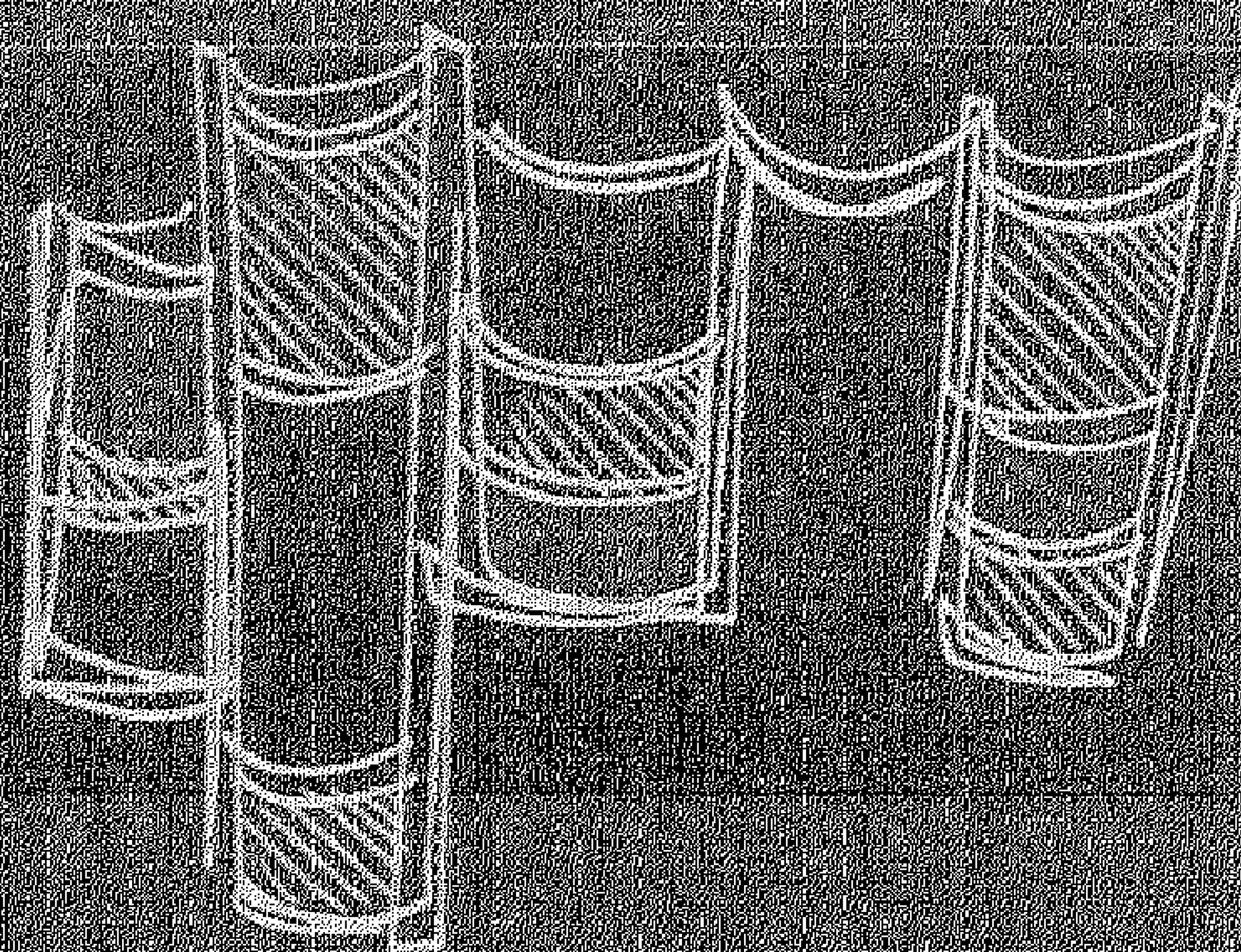
يا للخزي أن تغدو صورة الله، سلعة في أسواق الكسب، والخسارة والنخاسة والدعارة!

يا للهزيمة أن يهرب مثال الله من الله، إلى كهوف الهمّ ومفاوز الشكّ والشقاء! ألا فرّجوا عن صدوركم فأنتم أقوى من الفناء، لأنّكم ورثة الحياة التي تعطي أبدًا ولا تستعطي. وأنتم أشدّ من أن تخور عزائمكم، لأنّكم ذرية الحياة التي لا تعرف الملل ولا الفتور.

لا تهتموا بالأسباب، لأنّكم تجهلون أسباب أي عمل من أعمالكم، وفكر من أفكاركم، أين تبتدئ، ولا بالنتائج لأنكم لا تعرفون نتائج أي عمل من أعمالكم، ولا أي فكر من أفكاركم إلى أين تمتدّ؛ واعملوا في حقل الحياة الفسيح، مؤمنين بأنها لن تكون إلا عادلة، في كل ما تقتضيه، لكم أو عليكم، وإنها إذا ما انصرفتم عن كلّ همّ غير همّ الوصول إلى المعرفة، لن تبخل عليكم بالمعرفة، من بعد أن وهبتكم كلّ وسائل المعرفة. وريثما تدركون ذلك، قولوا في قلوبكم، كلما أقدمتم على عمل أو نويتم نية أو رغبتم رغبة: «إن شاء الله» والحياة كفيلة بأنكم لن تضلوا المحجّة، التي عندها تستطيعون أن تقولوا: «أنا أشاء لأنّني أعرف».

تلكم في اعتقادي هي محجة المحجات، والناس كلّهم مدركون يومًا ما .. إن شاء الله!



الأندلس العربية

إسلام الحضارة وثقافة التسامح

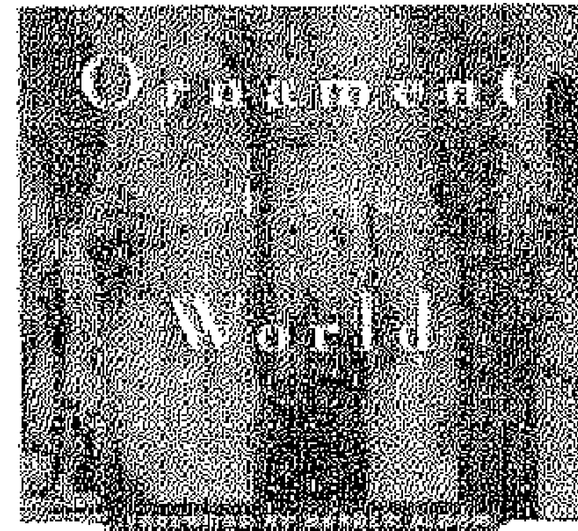
الأندلس العربية
إسلام الحضارة وثقافة التسامح

تأليف: **ماريا روزا مينوكال** *

عرض: **د. سالمة عبد الجبار** **

يبحث هذا الكتاب بنظرة مختلفة، في تاريخ الأندلس العربية، من فترة منتصف القرن الثامن الميلادي، حتى بداية القرن الثالث عشر.

ما يميز هذا الكتاب، أنه ليس كتاب تاريخ فحسب، أو هو ليس كتاب تاريخ بالمعنى التقليدي، إذ يحاول رسم المسارات الثقافية للأندلس منذ دخول العرب إليها، عبر تصوير شخصيات فاعلة، أسست لثقافة الحوار والتسامح، وبناء المعنى الاجتماعي للثقافة والإنسان، عبر تتبع تواريخ بعض المآثر، إذ تنطلق المؤلفة من افتراض أن استقرار الأمويين بأوروبا، يعد حدثًا حاسما، أسس أوروبا الحديثة وشكّلها، ولذلك تحاول أن تقف على أنماط التأثير، التي مارستها الحضارة العربية، الغنية، والمركبة، والفريدة من نوعها، في الثقافة الأوروبية الحديثة، ومن خلالها في حضارة العالم بأسره.



غلاف كتاب
الأندلس العربية

ومن جانب آخر يرصد هذا الكتاب، تاريخ الأندلس العربية، من منظور يغاير ما دأبت عليه خطاباتنا التاريخية عن الأندلس، وعن إسلامها وعروبتها وثقافاتها ولغاتها؛ إنه منظور تصر عليه المؤلفة، وهو يتشكل من نظرة الغرب «الذي لا يصادر الآخر ولا ينساق وراء بعض التعميمات المختزلة للثقافة العربية بالأندلس، بل يعترف بها وبمنجزاتها الإنسانية»، ومن نظرة الحاضر وضرورة الاستفادة من دروس الماضي الثقافية، القائمة على التلاقح والتعايش، في إطار ثقافة كانت تجمع دون غضاضة بين المتعارضات، بل ترفعها إلى مصاف التعبير، وهذا ما سيشكل الإرث المشترك النابع من اتساع الفكر وامتداده، ليدرج الآخر المختلف، إنه إرث يجب الوعي به، وتغذيته في الحاضر والمستقبل.

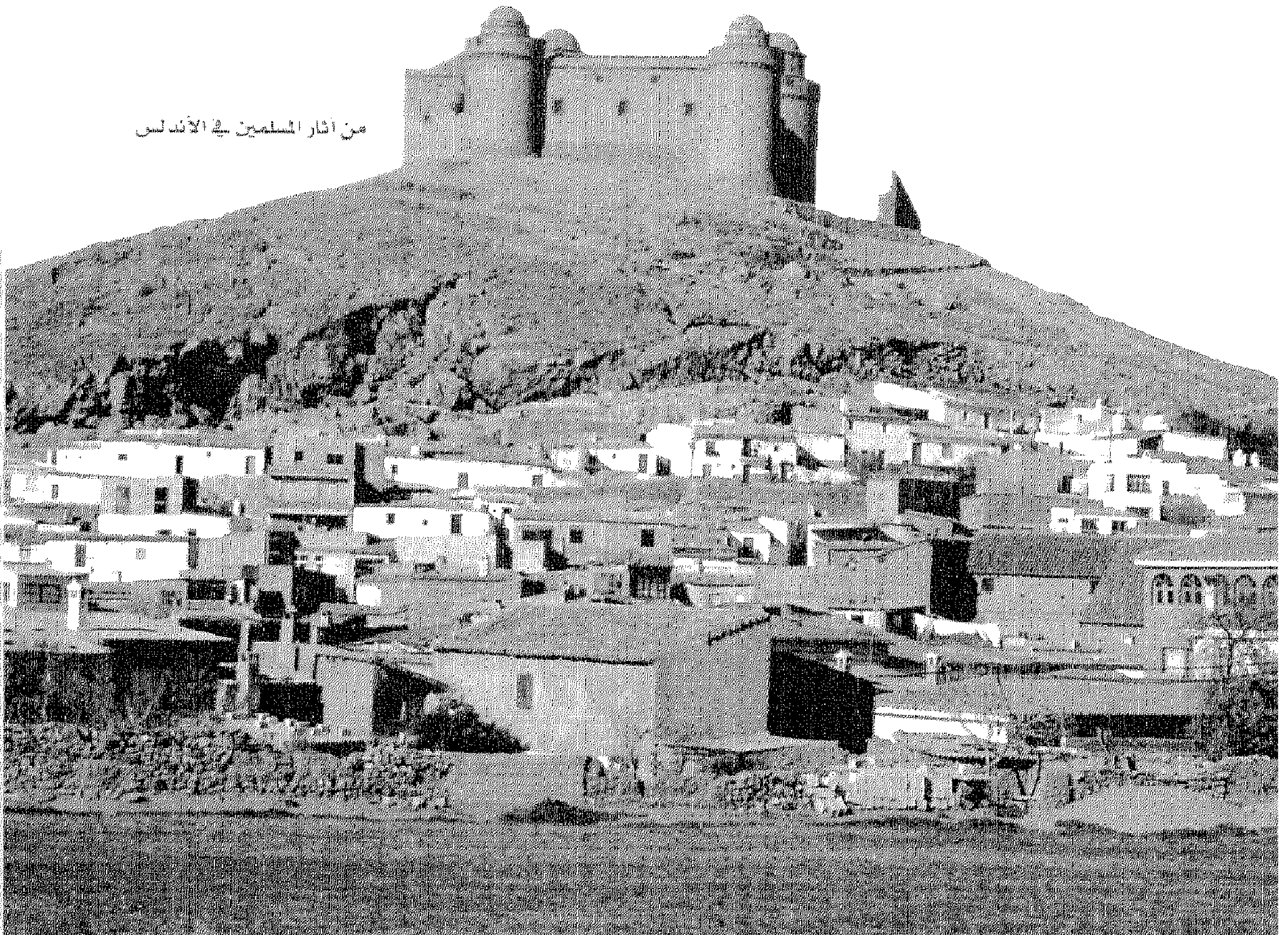
إن هذا الكتاب الذي يحمل تصورًا آخر للتاريخ، التاريخ بوصفه بحثًا في الظواهر الحية، والمأمولة وليس بوصفه بحثًا في الظواهر الزائلة، لهو صرخة مدوية في وجه العالم الهمجي المعاصر، الذي تلفه الأحادية والأصوليات من كل نوع، وتغلفه الأفكار الإيديولوجية الجاهزة.

* باحثة وأستاذة جامعية / أمريكا

** كاتبة وأستاذة جامعية / ليبيا

تكمن روح هذا الكتاب، في محاولة تقديم نماذج من الحوار والتسامح، بين الأديان الثلاثة، التي تعايشت في الأندلس، ومن التساكن الذي غلب على تجاوز القيم الثقافية المتنافرة، والمنتمية لشعوب وجماعات إثنية متباينة؛ وتبين المؤلفة، إلى جانب هذا، الإقبال الكبير، الذي كان على الثقافة واللغة العربيتين من قبل الجماعات غير العربية التي أتقنت اللغة العربية، ولبست اللباس العربي، وأقبلت على الفنون العربية، من شعر، وغناء، ومعمار، وقد كان لهذا التأثر نتائج على نهضة الفنون والآداب بأوروبا فيما بعد.

إن عمل «مينوكال» يقدم درسًا قويًا، لمن يحسن استخلاص الدروس، حول الدور الذي لعبته الترجمة، في تمرير الثقافات وسيرورات التملك المعرفي، المنشئة لأسس التسامح والحوار، وتتتبع الكاتبة المصائر المتشعبة لعينات من الذخائر العربية، المنقولة من قبل المعربين من اليهود والمسيحيين اللاتينيين، في لغات عالمية ومحلية، في حركة غير معزولة عن مخاض تشكل وتطور اللغات في أوروبا الوسيطية، وتدافعها وتجددها المتصل المفضي إلى العصر الحديث؛ مسرح شاسع خشبته طليطلة، ـ معهد الترجمة العالمية، وقبلة المنقبين عن كنوز العربية، رمز عقلانية الفكر وحداثته يومئذ، وأطرافه إشبيلة وغرناطة وصقلية ونورماندى وباريس ـ ... على هذا المسرح عبرت لغات، وتلاقحت وسكبت تراث اليونان والعرب، في أقداح بعضها البعض، في حميمية



من آثار المسلمين في الأندلس

تغذي وحدة أبناء البشرية، وتكرس التسامح الحضاري، الذي لم تتوقف عن إجهاضه، وهدر مكتسباته، النزعات الإيديولوجية، والدينية المنشطة لدورة سياسية، آلت بمستقبل التسامح إلى الاضمحلال، ثم إلى الكارثة.

ولا يتجلى انزياح هذا الكتاب عن سرد التاريخ التقليدي في الموضوع، بل إنه يتحقق كذلك في اللغة وفي التراكيب، التي تعتمدها المؤلفة في تتبعها للشخصيات والثقافات، وهي تتلاقح وتتجاور وتتحاور، فالأزمنة المعتمدة في سرد الوقائع التاريخية، أزمنة حضور، أزمنة تمكن السارد من التواجد في الواقعة، والعيش داخلها، رفقة أبطالها، ولعل هذا الانشغا هو الذي جعل جُمل «ماريا روزا مينوكال»، جملاً طويلة، جملاً تعتمد تقنية الدمج، فلا تترك المؤلفة معلومة تعرفها، دون أن تدسها في الجملة، حتى تكتمل الصورة، ويحضر معها القارئ ضمن الشخصيات. أما الوقائع المسرودة، فهي وقائع من منظورات أشخاص، عاشوا المرحلة، وبنوا فيها معالم ثقافية مادية، أو مجردة من معمار وأدب وفكر وفن.

وإذ كانت المؤلفة «ماريا روزا مينوكال»، ذات الأصل الكوبي، وأستاذة اللغتين الإسبانية والبرتغالية، في جامعة (يال) الأمريكية، قد أصبحت معروفة على المستوى الدولي، بإعادة قراءتها للتاريخ الثقافي والأدبي في الأندلس، فإن هذا الكتاب يمثل عملاً تركيبيًا للحضارة الأندلسية، ولكنه مفاجئ أيضًا باختلافه، عندما يؤكد أن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها، إلى ما قدمته الأندلس، من نموذج حضاري وإنساني، ثم عندما تصر على أن تعايش الديانات السماوية، في ظل الإسلام، بالأندلس، يبقى حلمًا إنسانيًا مفتوحًا على المستقبل، لكل هذا نفهم لماذا اختارت المؤلفة عبارة الشاعرة الألمانية «هروتسفيتا»، في وصف الأندلس بـ«توشيح العالم» عنوانًا أصليًا لكتابها.

المؤلفة: ماريا روزا مينوكال



- ❖ كاتبة أمريكية من أصل كوبي وعالمة مشهورة في مجال ثقافة وتاريخ العصور الوسطى، تحصلت على درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة بينسلفانيا.
- ❖ في العام 1986 انضمت إلى جامعة يال كاستاذة للغتين الاسبانية والبرتغالية.
- ❖ في عام 2002 م، ألفت مينوكال كتابها الشهير The Ornament of the World «زينة العالم: كيف حقق المسلمون واليهود والمسيحيون تسامحًا في إسبانيا العصور الوسطى» الذي ترجم إلى عدة لغات، ومنها: العربية تحت عنوان: الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح.
- ❖ وتشغل البروفيسورة مينوكال حاليًا مديرة مركز (يال وايتنى) للدراسات الإنسانية.
- ❖ كما أنها الآن استاذ مشارك في سلسلة الادب العربي بجامعة كامبردج.

مؤلفات أخرى:

- دور العرب في تاريخ أدب العصور الوسطى.. تراث منسي
- كتاب حول مبالغة دانتي في حب الحقيقة.. من بروجيه إلى بوكاسيو.

إسلام الحضارة وثقافة التسامح في الأندلس العربية

منتصر حمادة*

يروي أحد الباحثين العرب، على هامش انعقاد قمة مدريد حول الديمقراطية والأمن والإرهاب المنعقدة بالعاصمة الإسبانية، حيث حرص على سؤال من صادفهم من العرب والمسلمين، على معرفة ما إذا كانوا قد تعرضوا، في أعقاب تفجيرات مدريد سيئة الذكر لأي تفرقة أو إساءة في المعاملة.

وكانت الإجابة من جميع من سألهم هي بالنفي، مضيفا أنه حمِد الله أن العرب والمسلمين ما زالوا يحظون، في هذا الجزء من أوروبا والغرب، بمعاملة طبيعية كريمة.

هل يمكن توقع نفس الردود، من أبناء الجالية العربية والأقلية المسلمة، في باقي الدول الأوروبية؟

يصعب الجزم في الجواب، ويصعب معه نفي فرادة النموذج الإسباني في هذا الصدد، والمتجول بين ما تبقى من الماضي الأندلسي المجيد والمُتَمَيِّز، لا يسعه إلا أن يعتز بالخلاصة التي توصل إليها الباحث من جهة، وألا يستغرب من التوصل إليها.

المسألة هنا ليست تنظيراً أو كلاماً فضفاضاً، وإنما تطبيقاً على واقع مجتمعي «حضاري مُرَكَّب، مشهود له بالتميز عن باقي النماذج في الوقائع الأوروبية. ولمعرفة أهم أصول وجذور هذه الممارسات التي أثلجت صدر الباحث، نُعَرِّج في هذا العرض على الكتاب الرائع: «الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح»، لمؤلفته ماريا روزا مينوكالج(*)، وهو كتاب يُلقِي نظرة مختلفة على تاريخ الأندلس العربية، وتمتد الفترة الزمنية التي تعالجها المؤلفة من منتصف القرن الثامن الميلادي حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وهي الفترة التي تبدأ بفرار عبد الرحمن الداخل من بطش العباسيين بدمشق، مرورًا بما بناه الأمويون من مآثر معمارية وثقافية في إطار خلافتهم الأندلسية، ثم ما تلى ذلك من مشاهد الدمار التي لحقت مناطق عديدة من البلاد في أعقاب سقوط الخلافة وما خلفها من تناحرات ملوك الطوائف، ودخول الأندلس في دولة المرابطين ودولة الموحدين بعدهم، ثم الحروب الصليبية التي سميت بحروب الاسترداد وأدت إلى سقوط الأندلس.

وماريا روزا مينوكال بالمناسبة، ذات أصل كوبي، أستاذة اللغة الإسبانية والبرتغالية في جامعة ييل

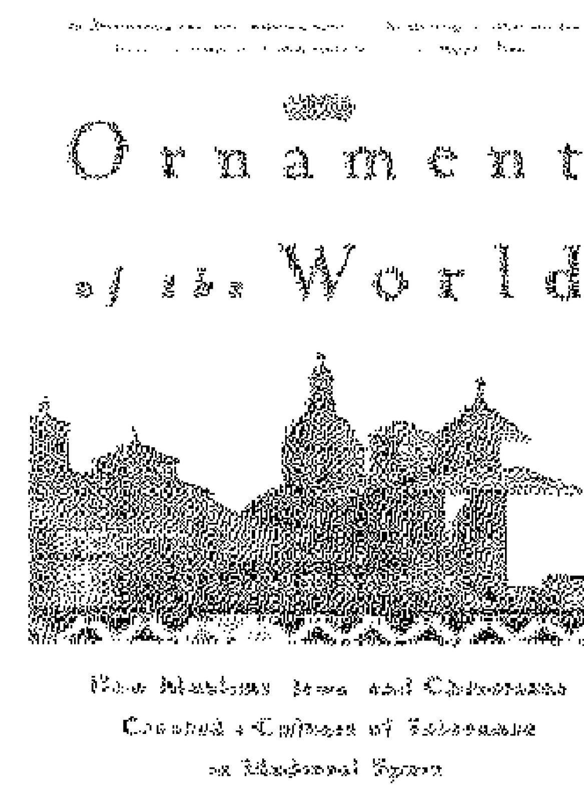
---

* كاتب وصحفي / فرنسا.

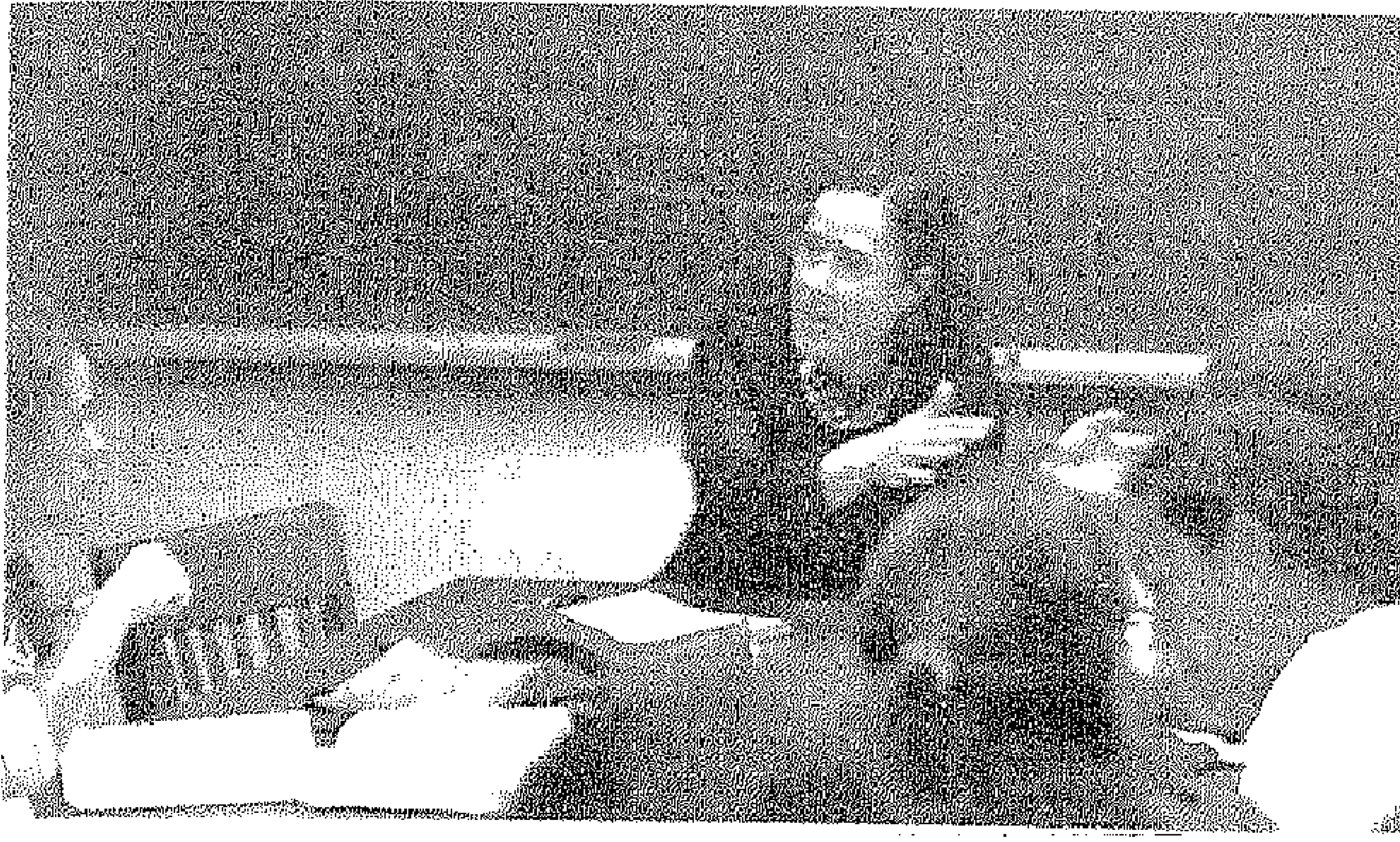
(*) «الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح». ماريا روزا مينوكال.

- ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفى جبّاري. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. الطبعة الأولى 2006.


غلاف الطبعة العربية من كتاب الأندلس العربية



غلاف كتاب الأندلس العربية


البروفيسور ماريا روزا مينوكال مع بعض طلابها

الأمريكية، وأصبحت معروفة على المستوى الدولي بإعادة قراءتها للتاريخ الثقافي والأدبي في الأندلس.

والكتاب، كما نقرأ في التقديم، ليس كتاب تاريخ فحسب، وليس كتاب تاريخ بالمعنى التقليدي، فهو يحاول رسم المسارات الثقافية للأندلس منذ دخول العرب إليها، عبر تصوير شخصيات فاعلة، أسست لثقافة الحوار والتسامح وبناء المعنى الاجتماعي للثقافة وللإنسان، وعبر تتبع تواريخ بعض المآثر.

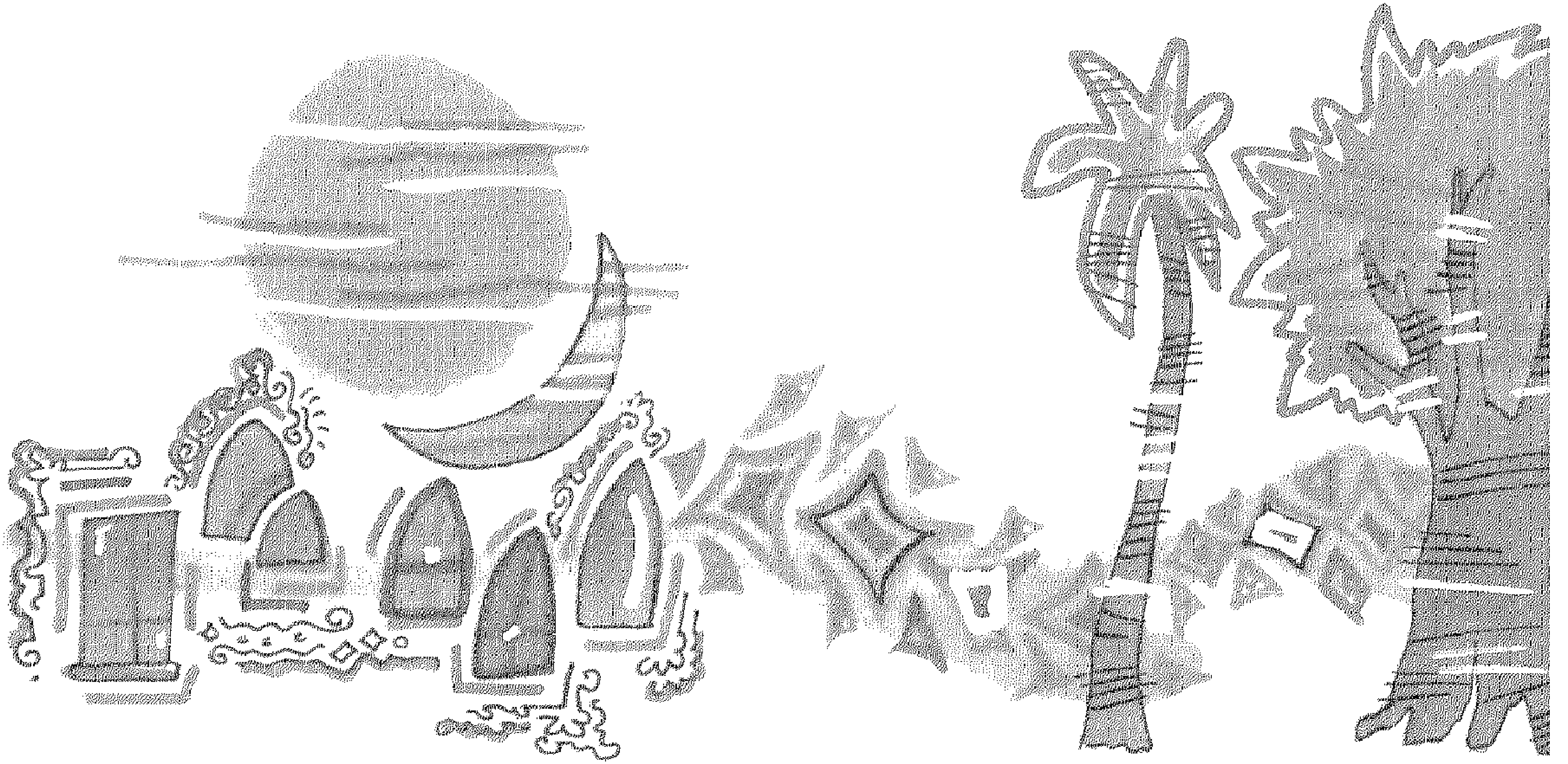
تنطلق المؤلفة من افتراض استقرار الأمويين بأوروبا باعتباره حدثاً حاسماً أسس أوروبا الحديثة وشكلها، ولذلك تحاول أن تقف على أشكال التأثير التي مارستها الحضارة العربية (الأموية بالخصوص) الفنية والمُركَّبة والفريدة من نوعها في الثقافة الأوربية الحديثة، ومن خلالها في حضارة العالم بأسره.

والكتاب إجمالا يُمَثِّل عملاً تركيبياً للحضارة الأندلسية. ولكنه مفاجئ أيضاً باختلافه، عندما يؤكد أن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها إلى ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وإنساني، ثم عندما يصر على أن تعايش الديانات السماوية الثلاثة في ظل الإسلام الأندلسي والأندلس العربية يظل حلماً إنسانياً مفتوحا على المستقبل. وبهذا نفهم لماذا اختارت المؤلفة عبارة الشاعرة الألمانية هروتسفيتا في وصف الأندلس بـ«توشيح العالم» عنواناً أصلياً لكتابها.

دور الترجمة.. من بغداد إلى الأندلس

يُقدِّم عمل مينوكال درساً قوياً لمن يُحسِن استخلاص الدروس، حول الدور الذي لعبته الترجمة في تمرير الثقافات وصيرورات التملك المعرفي المنشئة لأسس التسامح والحوار. حيث تتبعت الكاتبة المصائر المتشبعة لعينات من الذخائر العربية المنقولة من قبل المعربين من اليهود والمسيحيين اللاتينيين في لغات عالمية ومحلية. حركة غير معزولة عن مخاض تشكل وتطور اللغات في أوروبا الوسيطية، وتدافعها وتجددها المتصل المفضي إلى العصر الحديث، مسرح شاسع خشبته طليطلة، مركز الترجمة العالمي وقبلة المنقبين عن كنوز العربية، رمز عقلانية الفكر وحداثته يومئذ، وأطرافه إشبيلية وغرناطة وصقلية ونورماندي وباريس. فعلى هذا المسرح عبرت لغات وتلاقحت ثقافات امتزج تراث اليونان والعرب لتُغَذِّي وحدة أبناء إبراهيم وتكرس التسامح الحضاري الذي لم تتوقف عن إجهاضه وهدر مكتسباته الترهات الإيديولوجية والدينية المنشطة لدورة سياسية آلت بمستقبل التسامح إلى الاضمحلال ثم إلى الكارثية.

تابعت الأندلس، مثل باقي العالم الإسلامي، تطورات الترجمة والنقل، واقتفت في البداية أثر بغداد. لكن مسار الأحداث سيكشف لدى المفكرين الأندلسيين إرادة عدم السلوك كمجرد مستوطنين وافدين. وعند وفاة ابن حزم الأفلاطوني الحديث، ذائع الصيت، سنة 1064م، كان واضحاً حتى في ظل الفوضى السياسية



التي تلت سقوط الخلافة بقرطبة وربما بسبب تلك الفوضى نفسها، أن الأندلس في ظل حكم الطوائف ستستمر في طليعة كل محاولات التجريب الثقافية. وسيتكثف النشاط الفلسفي رغم ما أسفرت عنه الدورة السياسية من أنظمة استبدادية متصاعدة، مسيحية ومسلمة، بعد نهاية القرن الحادي عشر. ومع مرور الزمن، أصبح «التعارض بين الإيمان والعقل» بمثابة المحرك الضمني لمشروع الترجمة، حاجة آنية متزايدة.

تقف المؤلفة عند الإقبال الكبير الذي كان على الثقافة واللغة العربيتين من قبل الجماعات غير العربية، التي أتقنت اللغة العربية ولبست اللباس العربي وأقبلت على الفنون العربية من شعر وغناء ومعمار وبستنة. وكان لهذا التأثر نتائج على نهضة الفنون والآداب بأوروبا فيما بعد. (وتشير المؤلفة في هذا الصدد إلى أنه في أواسط القرن التاسع، في أحد أشهر وثائق ذلك العصر، نجد بول أفار القرطبي يشكو من عجز الشبان المنحدرون من الجماعات المسيحية عن كتابة رسالة واحدة باللاتينية، في حين أنهم يكتبون ـ أو كان لهم على الأقل طموح كتابة ـ قصائد بعربية فصحى تضاهي تلك التي يكتبها المسلمون).

خلافة كانت ضحية ازدهارها

ترى المؤلفة أن الخلافة بقرطبة كانت، بمعنى مُعَيَّن، ضحية لازدهارها ونجاحها، ولكل ما ترتب عن ذلك، فخلافاً للأفكار الشائعة، لا يمكن اختزال هذا التاريخ في صراع بسيط بين كفار ومؤمنين، فحوالي سنة 900م، قام المنصور متحديا بغارات تهديمية ضد معاقل المسيحية في الشمال، وكان قد اكتسب سلطة تفوق سلطة الخليفة الشاب والشريف الذي يفترض أنه كان حاميه، غير أنه، مع منعطف الألفية، لم تكن الغارات والتحديات الموجهة إلى ممالك الشمال، هي التي أحدثت انهيار السلطة المركزية للخلافة. فقد اندلعت حروب أهلية عنيفة سنة 1009م بين عصب مسلمة متنافسة بالأندلس، وخلال العقدين المواليين، مزقت هذه الحروب «جوهرة العالم الساطعة» وقد

أطلق شهود مذهلون، بصورة جد مؤثرة، على سنوات هذا التدمير الذاتي اسم «الفتنة».

ها هي هذه الثقافة، التي كانت قد عرفت أوج قوتها، تنثني وتتراجع، ولم يكن ذلك بسبب هجوم المتوحشين على أبوابها، ولكن من فرط الضربات الهمجية لشعبها نفسه، داخل حدوده، داخل «دار الإسلام» بدأت العجرفة والانحرافات التي أحدثها الرخاء والازدهار تؤثر في الخلافة حوالي نهاية القرن العاشر. وفي نفس الوقت، خلقت رباطة الجأش التي أبداها عبد الرحمن الثالث بإعلانه الخلافة الأندلسية، خصوماً ومنافسين. وقع هذا تحديدًا في الوقت الذي بدأت فيه إمارات إسلامية قوية أخرى، معادية لتفرد الأمويين، سواء على المستوى العقائدي أو على المستوى السياسي، تبرز في إفريقيا الشمالية.

شهدت الأندلس منذ بداياتها تأسيس علاقات دينية مشهودة وفريدة. فالعشيرة اليهودية انبعثت من رمادها وخرجت من تلك الحياة الفظيعة التي كان قد أغرقها فيها الحكم القوطي. ذلك أن الأمير الذي نصب خليفة في القرن العاشر كان وزيره في الشؤون الخارجية يهوديا. وقد تميزت الهوية الأندلسية خلال هذه القرون الأولى بزيجات بين عشائر من ثقافات متنوعة، وبحوارات ثقافية من مستوى عال مع الذميين. وفي الواقع، كان هذا كله يشكل جزءاً لا يتجزأ من الخصوصية الأموية مقارنة بباقي العالم العربي. وفي سنة 929م، تم الإعلان جهراً عما كان يحس به الكثيرون أو يؤمنون به منذ سنة 756م. لقد أعلن في كل مساجد الأندلس أن عبد الرحمن الثالث هو الحامي الحقيقي للعقيدة، والخليفة الشرعي للعالم الإسلامي كله، والمرشد الديني لكل المسلمين.

وبالنتيجة، شكل الدمار العنيف الذي تعرضت له مدينة الزهراء سنة 1009م، مباشرة بعد اندلاع الحرب الأهلية، التاريخ الذي يحدد نهاية السلم السياسي الذي عرفته الولاية الإسلامية في وسط أوروبا. ويكفي استحضار الأوصاف التي أطلقت على المدينة البلاطية الباذخة الواقعة في ضواحي قرطبة، والتي جَسَّدت برأي المؤلفة إحدى روائع الهندسة المعمارية في العالم الإسلامي.

صرخة في وجه العالم الهمجي المعاصر

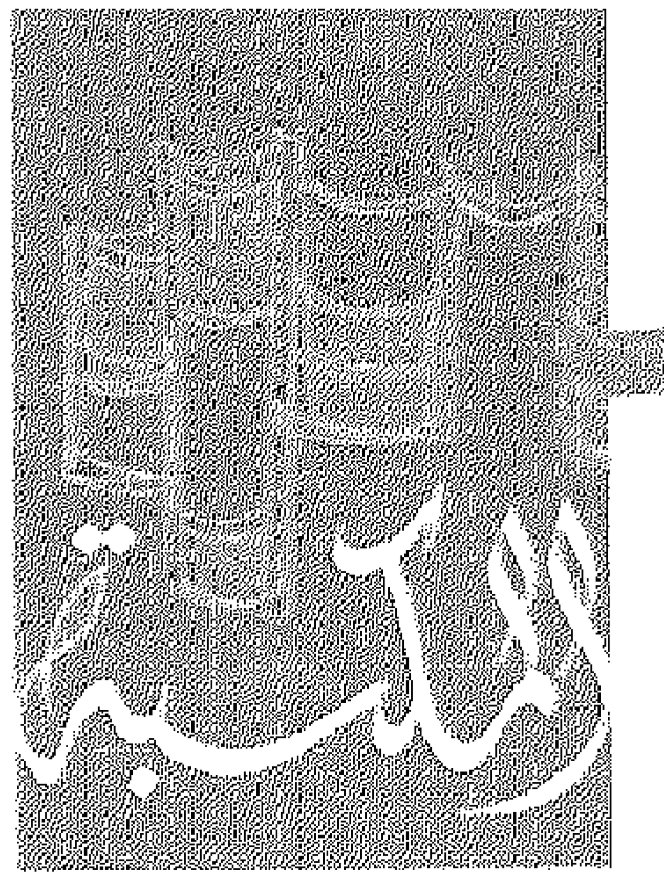
لم تبلغ حضارة أخرى، في أي مكان آخر، ما بلغته هذه الحضارة من بهاء وجلال خلال القرنين السابقين، وغالباً ما توصف الحضارة الإسلامية بأن إنجازها وتأثيرها لم يكونا بهذه العظمة إلا خلال تلك المئات من السنوات التي أعقبت عزل العباسيين للأمويين واستقرارهم ببغداد، وطنهم الجديد. فهنا أعاد اليهود، وقد تعربوا بصورة عميقة، اكتشاف العبرية وأعادوا ابتكارها وهنا تبنى المسيحيون كل مظاهر الأسلوب العربي تقريبا، والمنهج الفلسفي وحتى الهندسة المعمارية للمساجد، ولم يقتصر هذا على زمن السيادة العربية، بل تعداه إلى ما بعد انتزاع السلطة منهم.

تقر المؤلفة بأن الحداثة الأوروبية تعود في كثير من مظاهرها وأفكارها إلى ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وانساني.

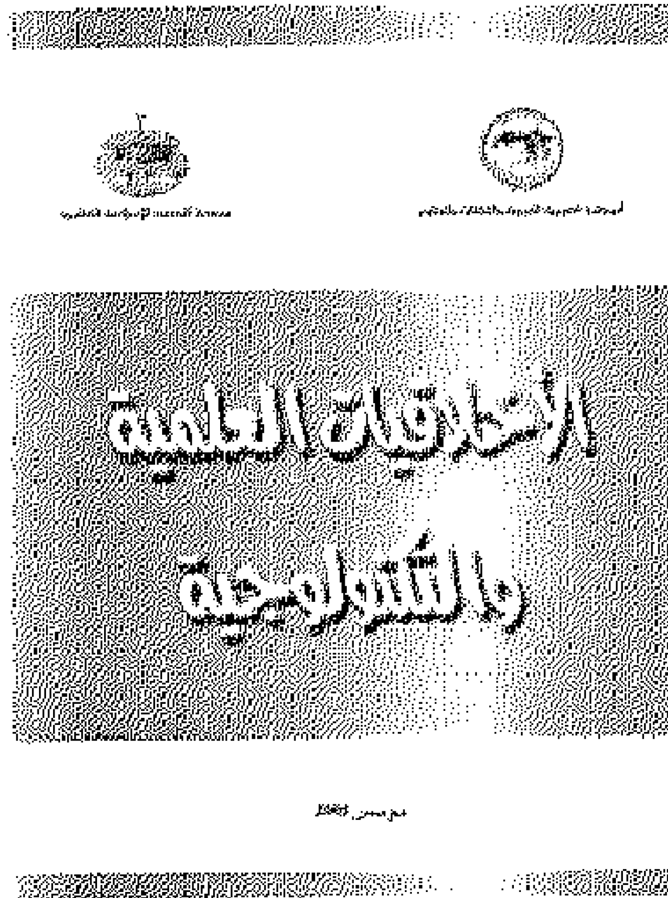
وهنا، أيضاً لم يتردد رجال ذوو إيمان راسخ، أمثال أبيلار وابن ميمون وابن رشد، وهم يبحثون عن الحقيقة الفلسفية أو العلمية أو الدينية، في تجاوز حواجز المعتقدات، لقد أدرك هذا النموذج المثالي من التسامح ما كان يمنحه التنوع والتعدد، الفردي والثقافي من غنى ومن ثمار.

نترك مسك الختام لمترجمي هذا العمل القيم، حيث لاحظ المترجمان أننا بصدد إرث يجب الوعي به وتغذيته في الحاضر والمستقبل. فالكتاب يحمل تصورا آخر للتاريخ، أو التاريخ بوصفه بحثا في الظواهر الحية والمأمولة. نحن أمام صرخة مدوية في وجه العالم الهمجي المعاصر الذي تلفه الأحادية والأصوليات من كل نوع، وتغلفه الأفكار العقائدية الجاهزة.


التواصل
AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة



الأخلاقيات العلمية والتكنولوجية



تحرير:

أ. د. البهلول اليعقوبي

أ. د. علي بن الأشهر

أ. د. مصطفى التير

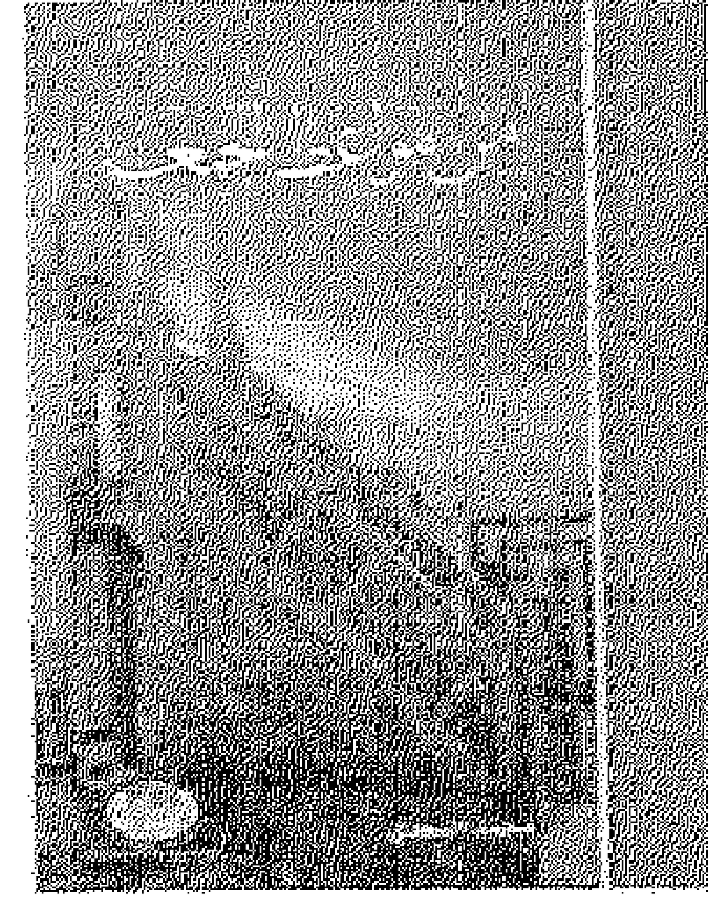
الناشر:

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

426 صفحة / قطع متوسط

تنبهت أمم العالم ـ في العقود الأخيرة ـ إلى ضرورة اقتران العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتهما المختلفة بالأخلاق، حتى لا يكون التقدم العلمي والتطور التكنولوجي وبالاً على الإنسان. وفي إطار المساهمة في علاج تلك القضايا المترتبة على التطبيقات المنحرفة للعلم والتكنولوجيا يأتي هذا الكتاب الجاد من (الجمعية والمنظمة) في سياق الإسهام في النهضة العلمية العربية والإسلامية على أساس من الأخلاق الفاضلة والقيم السامية. ويجد القارئ في ثنايا هذا الكتاب أفكاراً عميقة ومعلومات ومعارف قيمة، يتعلق بعضها بالمفاهيم العامة للعلم والتكنولوجيا وعلاقتها بالأخلاقيات والسلوكيات والممارسات، ويناقش بعضها الآخر الأزمة الحديثة للفكر الإنساني بين البحث العلمي من جهة والوازع الأخلاقي من جهة أخرى. وتتناول دراسات أخرى يضمها هذا الكتاب الجوانب الفلسفية والاجتماعية لهذه القضية، وعلاقة كل ذلك بمجتمع المعلومات، كما تناولت قضايا محددة تتصل بالممارسات الأخلاقية، وبخاصة الجوانب الانحرافية وغير السوية، مثل غزو الفضاء، والأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، والكائنات المعدلة جينياً، والسلوكيات الطبية والدوائية، وقضايا البيئة.



من مواعظ الجمعة

المؤلف:

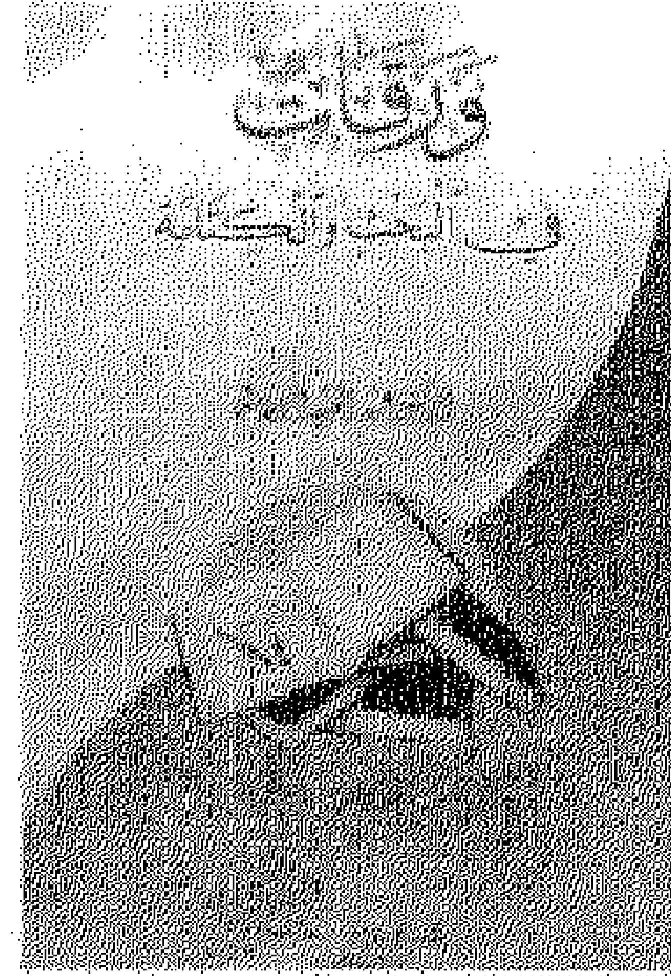
محمد قاسم السعدي

الناشر:

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

400 صفحة / قطع متوسط

يحتوي هذا الكتاب على نماذج من خطب الجمعة، تعالج قضايا متنوعة، وتتناول مناسبات إسلامية عديدة، وتغطي خطب سنة كاملة. وليس قصد المؤلف تقديم خطب جاهزة، وإن كان بعض الخطب يصلح لذلك، ذلك أن لكل مكان خصوصياته واهتماماته وهمومه، وإنما المقصود تقديم مادة خطابية، إلى جانب الكتب الأخرى القيمة في هذا المجال، تساعد الخطيب في اختيار موضوعاته، وإعداد خطبه، وتقديمها بالشكل الذي يتناسب مع أوضاع وحاجات رواد مسجده وأهل منطقته. وفضلاً عن هذا، فإن الكتاب، وإن كان ديوان خطب، إلا أنه يمكن اعتباره بشكل عام بحوثا في الثقافة الإسلامية، تساهم في بيان حقيقة تعاليم الإسلام للمسلمين وغيرهم في زمن عاد فيه الإسلام غريباً في داره، وتضاعفت غربته في ديار الآخرين.



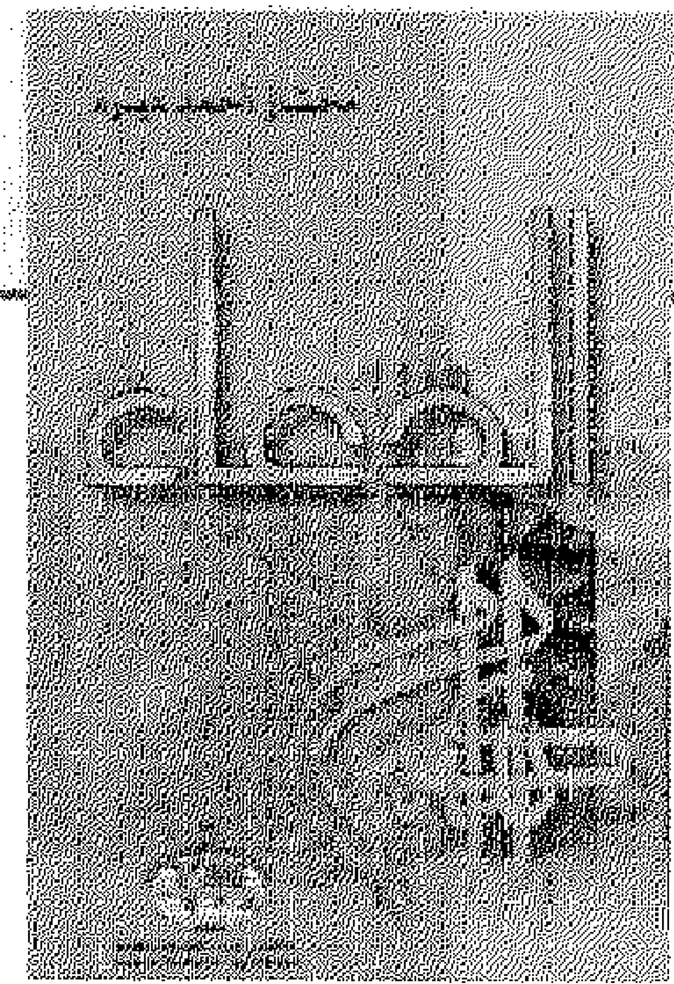
ورقات في البحث والكتابة

المؤلف: د. عبدالحميد الهرامه

الناشر: كلية الدعوة الإسلامية/طرابلس

360 صفحة/قطع متوسط

تعود أهمية البحث العلمي إلى كونه السبيل الأصح والأقرب لاكتساب المعرفة، ولما كانت المعرفة هدفاً إنسانياً سامياً؛ كان السبيل المؤدي إليها بهذا سمو والأهمية. وفي هذا الكتاب رحلة مع البحث العلمي والكتابة والمصادر أشبه ما تكون بملاحظات الممارس الذي يكتشف مواطن الصعوبة، فيحاول أن يعين الباحثين على التغلب عليها، ويلتمس مشاكلهم، ويتحسس معاناتهم، ويعرفهم بالعقبات التي قد يواجهونها على مستوى التفكير والعمل والتخطيط والتحليل والكتابة، وينقسم الكتاب إلى قسمين، يتناول القسم الأول البحث العلمي (منهجية البحث العلمي، التفكير العلمي والبرهنة، عمليات التفكير، الإجراءات البحثية، أخطاء التفكير، أدب الاختلاف الفكري، أدب الاختلاف في البحث، آداب البحث والمناظرة، الفهم ونقد النص، دوافع البحث العلمي، صفات الباحث، أغراض التأليف، أوليات البحث العلمي، خطوات البحث، الكتابة: أساليبها وأنواعها، تحقيق المخطوطات) أما القسم الثاني (المكتبة والمصادر) فيتناول فيه المؤلف (التأليف المكتبي: المكتبة ومحتوياتها، تصنيف المكتبة، نظم الفهرسة، مصادر المعرفة، أدلة المعرفة، كتب الأعلام).



الدعاء

المؤلف: د. المختار أحمد ديره

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

63 صفحة/قطع متوسط

يبحث هذا الكتاب في موضوع الدعاء بعد الصلاة المكتوبة، فيتناول حكم الدعاء أهو سنة أم مستحب؟ أهو بعد الصلاة المكتوبة أم بعد النافلة؟ أهو جماعي أم إفرادي؟ هل يجوز رفع اليدين فيه أو لا؟ وهل يجوز فيه الجهر أو يكون سراً؟ وأسئلة كثيرة أخرى نجد الإجابة عنها في ثنايا الكتاب. كما يتناول الدعاء أو الذكر، حيث لا ينفصل الذكر عن الدعاء، فالذكر دعاء والدعاء ذكر، وليس بينهما فرق إلا في اللفظ. وما دفع المؤلف للكتابة في هذا الموضوع هو ما أثير حول قضية الدعاء بعد الصلوات المكتوبات من جدل انتهى ببعضهم إلى القول ببدعته. ويتناول الكتاب فضل الدعاء وأهدافه وفوائده وآدابه، كما يتناول الاستغفار لأهميته في حياة المسلمين.



من الهند: نطلب ما صدر من (التواصل)

الأخ أمين هيئة التحرير

تحية عطرة، وبعد

أنا مسلم هندي الأصل، أحب العرب لأنهم حملة الإسلام إلى جميع أمم العالم، كما أحب وأوثر اللغة العربية على جميع اللغات، حتى لغتي الأم الرقيقة العذبة (اللغة الأردية) لأن اللغة العربية هي لغة حبيبنا المصطفى ﷺ. وهذا الدافع الإيماني هو الذي بعث فينا روح العزم والمثابرة على جعل العربية اختصاصاً للدارسة، فقد أكملت مرحلتي البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية وآدابها من إحدى الجامعات العراقية، وما أزال طالباً للدكتوراه في إحدى الجامعات الهندية وهي الجامعة الملية الإسلامية في دلهي الجديدة، وموضوع دراستي للدكتوراه (الحِرَفُ والصناعات في القرآن الكريم).

لقد كنت يوماً في حضرة المشرف الأستاذ الدكتور زبير أحمد الفاروقي (رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية سابقاً) وقد جرى الكلام حول المجلات العربية، وأثناء الحديث التفت الدكتور إلى (التواصل) وأعطاني منها العدد الثامن للاستفادة منها، فما أن قرأت مجلتكم الغراء حتى أعجبت بها إعجاباً شديداً، ما دفعني إلى كتابة هذه الأسطر إلى جنابكم الكريم..

سيدي.. إن مجلتكم الفتيه علمية قيمة مفيدة للطلبة والباحثين؛ لذا نرجو من لدنكم تزويدنا إياها مع الإعداد السابقة، إذا لم تكن نفدت.

وأرفق لكم مع رسالتي مقالة بعنوان (تاريخ الدراسات الاستشراقية للغة العربية.. دواعيها ومخاطرها) لإمكانية نشرها على صفحات التواصل إذا كانت صالحة لذلك. وفي الختام تقبلوا تحياتنا من أعماق القلوب.

أنوار أحمد خان البغدادي

دلهي الجديدة/الهند

المحرر نحييك ونكبر فيك هذا الحب للعرب والعروبة والعربية، كما نحيي فيك ذلك الدافع الإيماني الذي جعلك تختار العربية وعلومها اختصاصاً للدارسة، ونحييك على إعجابك بمجلة التواصل. ونعلمك بأن الأعداد السابقة قد نفدت، وقد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة لتلبيته. أما مقالتك المرفقة مع الرسالة فقد أحلناها إلى لجنة مراجعة وتقييم النصوص. ونرجو دوام التواصل.

من بنين:
وجدنا (التواصل) في بنين

○ الإخوة إدارة تحرير مجلة التواصل

حفظكم الله ورعاكم.. وبعد

فإن إدارة معهد الدراسات الإسلامية والعلوم العربية وهيئة التدريس قاطبة تغتنم هذه الفرصة الطيبة ونحن نكتب إلى فضيلتكم هذه السطور المملوءة بالتواضع والاحترام، داعين الله سبحانه وتعالى بالتوفيق لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية على ما تقوم به من أعمال جليلة وعظيمة.

يسرنا ويسعدنا أن نعبر لكم عن مدى سرورنا وفرحنا وابتهاجنا؛ لما اطلعنا عليه على صفحات مجلة التواصل في إحدى المكتبات الإسلامية بجمهورية بنين، وقد استفدنا منها فوائد جمة. ولذلك هانحن نبادر بالاتصال بكم، والكتابة إلى (منتدى التواصل) ولنا أمل ورجاء وثقة في أن ترسلوا إلينا هذه المجلة وما يتوفر لديكم من مجلات وبحوث ودراسات، ولنا رغبة في أن تكون بيننا وبينكم علاقة ود وتواصل متينة، ونحن على يقين بأنكم ستحققون رغبتنا، ونسأل الله أن يوفق جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ويحفظكم ويسدد خطاكم، وتفضلوا أيها الأفاضل بقبول فائق احترامنا وتقديرنا.

إدارة معهد الدراسات الإسلامية والعلوم العربية

إغولو ولاية بلاتو/جمهورية بنين

المحرر: نشكركم على ما تفضلتم به من كلمات طيبة، ونحييكم على مبادرتكم بالكتابة إلينا، ويسرنا إعلامكم أن بنين كانت موضوع استطلاع العدد الماضي. ونفيدكم بأننا أحلنا طلبكم إلى قسم التوزيع بالمجلة.

من اليونيسكو:
مقال للمدير العام

○ الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

بعد التحية

يسرني أن أضع بين أيديكم مقالاً كتبه السيد (ماتسورا) مدير عام منظمة اليونيسكو بعنوان (لنبرم معاهدة سلام مع الأرض). وهذا المقال يلخص ما ورد في خطابه في افتتاح ملتقى (حوارات حول القرن الواحد والعشرين) الذي نظمته اليونيسكو مؤخراً. نأمل أن يجد المقال قبولاً لديكم وتأذنون بنشره في مجلة التواصل. ونحن على أتم الإستعداد لتقديم أية معلومات ترغبون في الحصول عليها.

ولكم جزيل الشكر مقدماً.. مع تحياتنا

جيروم باندي

مدير عام دائرة الدراسات المستقبلية

تحرير السيدة ناتاشا كايو

منظمة اليونيسكو

المحرر: نشكر دائرة الدراسات المستقبلية باليونيسكو على اهتمامها بالتواصل، ونحن على استعداد دائم للتعاون مع كل من يسعى إلى تعميق التعارف وتشييد جسور التواصل الإيجابي بين بني البشر.

وحول المقال الذي تم إرساله لنا فإنه نشر في هذا العدد الذي بين أيديكم، وفي انتظار مساهمات السيد مدير عام اليونسكو تقبلوا تحيات هيئة وأسرة التحرير.

من سوريا: قرأتها بشغف

السيد أمين هيئة تحرير مجلة التواصل

بالصدفة المحضة عثرت على العدد السابع من مجلتكم الرائدة والفريدة في اطروحاتها في وطننا العربي والإسلامي، وعكفت على قراءتها بشغف وإعجاب. الافتتاحية الممتازة (الإعلام في الدول المتخلفة) ومقال (الإنجيلية طائفة تسعى للسيطرة على العالم) الذي يمتاز بمصداقيته بكل كلمة وردت فيه، لأنني زرت الولايات المتحدة الأمريكية ورأيت دور عبادة هذه الطائفة مبثوثة في كل مدينة أمريكية. كما استرعى نظري في العدد السابع (استطلاع سورينام) وأوضاع المسلمين فيها، وعدم التواصل معهم. والتركيز الملفت للنظر على ما يكتبه الآبقون من أمثال: سلمان رشدي وإرشاد منجي، بسبب سوء التربية من جهة ووقوعهم بغبائهم بأيدي الإعلام الصهيوني لغاية تشويه صورة الإسلام، ولكن دين الله هو المنصور دائماً، والمآذن تنادي: الله أكبر، وتسبح بحمد الله في أنحاء العالم، والمساجد تغص في كل صلاة.

لقد حاولت أن أشتري هذه المجلة من المكاتب ومراكز بيع المطبوعات ولكن قيل لي إنها لا تباع هنا، فأرجوكم ـ إن تكرمتم ـ أن تشركوني بحيازة هذا السفر العظيم، وسأوافيكم ببعض كتاباتي ولكم الشكر والتقدير.

د. أحمد منصور/حلب/سوريا

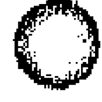
المحرر نبادلك التحية بمثلها ونشكرك على كلماتك الطيبة وما سجلته في رسالتك من انطباعات عن محتويات العدد السابع من مجلة التواصل وقد نشرنا في عددنا الماضي تقريراً صحفياً عن احتفالية: حلب عاصمة الثقافة الإسلامية، ونفيدك بأننا قد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة، ونحن في انتظار أن توافينا بكتاباتك التي تساهم في مد جسور التواصل.

ردود قصيرة

الأخ حفيظ الرحمن الأعظمي

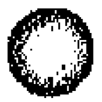
مسؤول تحرير مجلة الرباط/باكستان

نشكرك على المبادرة بالكتابة إلينا، ونفيدك علماً بأن الموضوع الذي أرسلت به غير متطابق مع معايير وأسس النشر على صفحات التواصل. وقد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة



الأخ ضياء/إسلام أباد/باكستان

نرحب بك قارئاً متابعاً لمجلة التواصل ومنشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ونفيدك بأنه ليس بإمكاننا إرسال عشرين نسخة إليكم من كل عدد، ويمكنك الاتصال بمكتب الجمعية في باكستان لتزويدك بما يتوفر لديه من نسخ حسب الإمكانيات.



الأخ خلف أحمد عبدالعليم محمد

المنيا/مصر

وصلتنا رسالتك وقد أحلنا طلبك إلى قسم التوزيع بالمجلة.

محمد عبد السلام شاهين*

ضرورتان.. لتفعيل التواصل

ربما تكون ملامح هذه المجلة وتوجهاتها قد تحددت مع صدور ثلاثة عشر عدداً - من حيث المضمون الفكري والمعالجة التحريرية، ومع ذلك فثمة ضرورتان جرى تداولهما بين أعضاء هيئة وإدارة التحرير، خلال مناقشات التقويم للمواد والمضامين الفكرية التي احتوتها الأعداد السابقة؛ الضرورة الأولى يعرضها الأخ أمين هيئة التحرير، في افتتاحية هذا العدد، بدعوة القراء، لتفعيل شعار (التواصل) ما يعني المزيد من الحوار بين القراء والمجلة، فليس هناك من هو أصدق من المتلقي، الذي ينتظر، ويبحث عن مطبوعة بعينها من بين مئات المطبوعات من جرائد ومجلات ليقرأها، وهو حين يتوجه إليها بملاحظاته يكون بذلك قد أسهم بإيجابية في تطويرها..

الضرورة الثانية تتوجه بها إدارة التحرير إلى المتعاونين والمتعاونات، من المفكرين والباحثين الذين لم يقصروا في عطاءاتهم المتميزة، من مقالات ودراسات واستطلاعات، كان لها الفضل الأول في إنجاح هذه المطبوعة، مع التأكيد على أن ما تريد إدار التحرير من المتعاونين معها أبعد ما يكون عن الإملاء أو ما يسمى (الاستكتاب) وتلك ظاهرة نعرف جميعاً مدى انتشارها في الوسط الإعلامي والصحفي، وتغلغلها اللافت والشائن في هيئات وإدارات القنوات الفضائية، حيث تعد المواد الإعلامية وفقاً لتوجهات أصحاب تلك القنوات، وتحدد للمشارك - الذي يصنف ضمن المفكرين والباحثين - المضمون والإتجاه، وأحياناً النص الحر في لمداخلته، كل ذلك يتم الإتفاق عليه قبل الطبع، أو السفر إلى مقر القناة الفضائية للتصوير، ومن المزعج حقاً الخوض في هذه الترهات!..

مجلة التواصل لا تطلب من كتابها الإشادة، لكنها أيضاً لا ترفض نشر مقال أو بحث موضوعي يثري ويواكب كل الجهود الصادقة، التي تسعى لنصرة الإسلام ومساعدة الفقراء والمظلومين من مختلف الأعراق والجنسيات..

والمجلة - في التنويه لا التوجيه - تعيد طرح محاور أعدادها الأربع لعامها الرابع على النحو التالي:

❖ التعارف والتعاون الثقافي والحضاري بين مختلف الأعراق.

❖ استطلاعات تنفتح على المناطق شبه المغفلة في أرجاء المعمورة.

❖ إعادة النظر - في ضوء ما طرأ على أدوات البحث العلمية من طفرات متقدمة - في الثوابت المعرفية المتوارثة (انظر العدد السابق والعدد الحالي ترى مثلين على ذلك في ملف ودراسة حول نظرية داروين)..

❖ يبقى التنويه إلى أن هذه المجلة لم تصدر أساساً إلا لتكون منبراً ثقافياً مستنيراً، ولعل الجميع يتفقون على أن مفهوم الإستنارة في الإسلام يدعو إلى التواصل ونبذ التعالي على غير المسلمين، والإنكفاء على الماضي، وهي حقيقة تدعو المتعاونين - إن شاء الله تعالى - إلى تجاوز (النص التقليدي) في المقال والبحث، وإمعان النظر، أكثر وأكثر، في القواسم الحضارية المشتركة...

* كاتب وصحفي / ليبيا